

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (النور)

مَجْمُوعَةٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ

- زُمْرَةُ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ.
- رِسَالَةٌ فِي عِلْمِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ.
- رُويَاتٌ حَدِيثِ طَيِّبِ الشَّدَا.
- نُورُ الْقَلْبِ فِي ظُلُمَاتِ الْفِكْرِ.
- هَمَسَاتُ قَلْبِي.

مَنْ أَنَا؟.. مَنْ أَيْنَ أَتَيْتُ؟.. أَيْنَ أَنَا؟.. إِلَى أَيْنَ الْمَسِيرُ؟  
وَحِينَ لَا تَعْلَمُ شَيْئاً.. لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئاً!



أَبِي إِنَّ لِي فِيكَ لَفُدْوَةً..  
أُمِّي يَا مَلَائِكِي.. وَلَمْ أَزَلْ طِفْلاً أَعْفُو عَلَى يَدَيْكَ  
محمد زكوان بن عزة حصرية

## المؤلف في كلمات

وُلِدَ الْمُؤَلَّفُ فِي مَدِينَةِ دِمَشْقَ مِنْ أُسْرَةٍ تَتَّسِمُ بِالْأَصَالَةِ الدِّينِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ،  
وَتَشْرَبُ حُبَّ الْفَضِيلَةِ - فِي طُفُولَتِهِ، وَرِعَانَ شَبَابِهِ - مِنْ أَبِيهِ صَالِحِينَ.

دَرَسَ الْهَنْدَسَةَ الْمَدِينِيَّةَ فِي جَامِعَةِ دِمَشْقَ، وَسَاهَمَ فِي تَطْوِيرِ اسْتِخْدَامَاتِ  
الطَّاقَةِ الشَّمْسِيَّةِ فِي سُورِيَّةَ، ثُمَّ تَابَعَ أَعْمَالَهُ فِي الْبَحْثِ وَالتَّطْوِيرِ  
وَالاسْتِشَارَاتِ فِي الْبَرْمَجِيَّاتِ الْحَاسُوبِيَّةِ ( مِنْذُ الْعَامِ ١٩٨٤ إِلَى الْآنَ ).

وَيَتَمَيَّزُ الْمُؤَلَّفُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الدَّائِي، وَحُبِّ التَّبَصُّرِ  
فِي دِينِ اللَّهِ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ ﴾ ( آل عمران )، وَحُبِّ الْإِطْلَاعِ  
عَلَى فُرُوعِ الْمَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ - عَلَى اخْتِلَافِهَا - مِنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ إِلَى الْآنَ.

وَمَا زَادَنِي الْأَيَّامُ إِلَّا ظَمًا إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْحِكْمَةِ:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ ( البقرة )

وَإِنَّ رَأْسَ الْحِكْمَةِ - يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ - إِنَّمَا هُوَ مَعْرِفَةُ الدَّاتِ، أَيِ:  
الْإِجَابَةِ عَنْ مَسَائِلِ أَوْلِيَّيَةِ:

مَنْ أَنَا؟.. مَنْ أَيْنَ أَتَيْتُ؟.. أَيْنَ أَنَا؟.. إِلَى أَيْنَ الْمَسِيرُ؟

وَحِينَ لَا تَعْلَمُ شَيْئًا.. لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا!

## رُمْرَةٌ سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (النور)

زكوان حصرية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تَمْهِيدٌ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي إِلَىٰ جَمْعِ هَذِهِ الْمَعَارِفِ كُلِّهَا، فِي إِطَارٍ وَاحِدٍ، لِأَنْشُرَهَا بَيْنَ الْعَالَمِينَ، لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِي بِهَا مَنْ يَشَاءُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَيُثَبِّتُ بِهَا قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَشُدُّهَا إِلَىٰ سَارِيَةِ الْيَقِينِ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنفال)، أَي: يُحْيِي الْقُلُوبَ إِنْ جَفَّتْ فَذَبَلَتْ؛ لِابْتِعَادِهَا عَنِ خَالِقِهَا سُبْحَانَهُ إِلَىٰ عَمَرَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.



﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الزمر)، أَي: لَا بُدَّ مِنْ اتِّبَاعِ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ - مِنْ لَدُنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَتَطْوِيعِ جِمَاحِ النَّفْسِ؛ لِتَعْرُجَ - فِي مَعَارِجِ النُّورِ الْإِلَهِيِّ - إِلَى اللَّهِ، إِذْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ:

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الحج)



وَلَقَدْ وَقَرَ فِي نَفْسِي أَنَّ سُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ السُّورِ الشَّامِلَةِ الْجَامِعَةِ؛  
ذَلِكَ بِأَنَّهَا تَجْمَعُ - بِأَحْكَامٍ قُرْآنِيٍّ - بَيْنَ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَدَلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ الْقُرْآنِيَّةِ  
الْقَاطِعَةِ، وَالَّتِي يَفْهَمُهَا الْقَلْبُ الْعَقُولُ دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغَوْصِ فِي لُجَجِ  
الِاسْتِدْلَالِ وَالْجَدَلِ الْفِكْرِيِّ الْعَقِيمِ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ سُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا هِيَ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَسْتَقَرُّ مُبَاشَرَةً فِي الْقَلْبِ،  
لِيُشْرِقَ إِيمَانًا يَشْرُخُ اللَّهُ بِهِ صُدُورَ الْعَالَمِينَ، وَيَهْدِيهِمْ بِهِ إِلَى شَاطِئِ الْحَقِّ  
وَصُورًا إِلَى الْيَقِينِ، بَعْدَ طُولِ اللَّجِّ فِي ظُلُمَاتِ الْبَاطِلِ وَرُكُوبِ أَمْوَاجِ الشَّكِّ  
وَالْحَيْرَةِ؛ فَتَقَلَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فِي عَوَاصِفِ الرَّغَائِبِ، وَالشَّهَوَاتِ الرَّخِيصَةِ.

فَاعْلَمْ - يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ - أَنَّ الْيَقِينَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ  
وَبِحُكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَبِإِنَّا لَمْ نُخْلَقْ عَبَثًا؛ إِنَّمَا هُوَ ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَمْ يَدُقْ  
طَعْمَهَا، فَمَا عَرَفَ شَيْئًا مِنْ حَلَاوَتِهَا، أَبَدًا!



وَيَتَلَخَّصُ هَذَا الْجَهْدُ الْمُتَوَاضِعُ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:

< أَوَّلًا: بِمَا هَدَانِي اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَهُوَ الْغَالِبُ دَوْمًا: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ  
فَلَا رَادَّ لِقُضْلِهِ﴾ (١٧٧) ﴿يُونُسَ﴾ سُبْحَانَهُ.

< ثَانِيًا: اخْتِيَارُ أَحْسَنِ الْأَقْوَالِ، وَأَكْثَرِهَا تَلَاوُمًا وَتَوَافُقًا مَعَ سِيَاقِ الْكَلَامِ،  
وَإِعَادَةُ صِيَاعَتِهَا وَإِخْرَاجُهَا بِأَجْزَلِ الْأَفَاطِظِ.

ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَعْنَى إِنَّمَا هُوَ غَايَةُ الْأَقْوَالِ، وَمَكْنُونُهَا الْمُسْتَتَرُّ خَلْفَ الْأَفَاطِظِ.

وَكَفَى بِكِتَابِ اللَّهِ وَهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاهِدًا مُبِينًا، إِنْ اِخْتَلَفَتِ الْأَرَاءُ  
وَتَعَارَضَتِ الْأَقْوَالُ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ  
فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء) .

وَعَنْ ( عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه ) ، قَالَ: « بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ نَقُولَ  
بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَئِيمًا. الْحَدِيثُ » (مسلم: ١٧٠٩).

لِذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ تَجَاهَلْتُ - فِيمَا يَخْصُنِي مِنَ الْقَوْلِ - كُلَّ الَّذِي يَنْبَغِي عَدَمَ نَقْلِهِ  
مِنَ الْأَخْبَارِ وَالتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ، وَكُتُبِ التَّارِيخِ،  
وَعَيْرِهَا مِنَ الْآثَارِ وَالْأَوَابِدِ الَّتِي تَجْتُمُّ شَامِحَةً عَلَى صَدْرِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛  
وَذَلِكَ شَفَقًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ، وَتَصَدِيقًا وَحُبًّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

إِنِّي وَرَبِّي، مَا هِيَ إِلَّا أَحَادِيثٌ ضَعِيفَةٌ، وَأَخْبَارٌ مَوْضُوعَةٌ، وَرَوَايَاتٌ مَكْذُوبَةٌ،  
وَتَأْوِيلَاتٌ فَاسِدَةٌ؛ قَدْ جَاءَ بِهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ، وَالزَّنَادِقَةُ الْمُلْحِدُونَ، وَشَيَاطِينُ  
الْعِلْمِ الَّذِينَ يَتَفِيهَقُونَ فِي الْكَلَامِ، فَلَا يُبَالُونَ مَا قَالُوا مِنْ صِدْقٍ أَوْ كَذِبٍ!

فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ قَدْ جَاؤُوا شَيْئًا نُكَرًا! لِمَا فِي تِلْكَ الْإِيحَاءَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ مِنْ عَظِيمِ  
اِفْتِرَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ سُبْحَانَهُ وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَعَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) ، أَنَّهُ قَالَ:

« إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أَحَدَّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:

﴿ مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ﴾. الْحَدِيثُ » (مسلم: ٢).

وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ:

- أَنْ أَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ.

- أَوْ أَنْ أَكُونَ ذَلِكَ الَّذِي يَحْقِنُ السَّمَّ الزُّعَافَ فِي جَسَدِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ،  
مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَلَا دِرَآيَةٍ!

وَإِنِّي بَرَاءٌ مِنْ مَقُولَةٍ: ( نَاقِلُ الْعِلْمِ لَيْسَ بِكَافِرٍ )، وَإِنْ أَعَقَبَهَا ذَلِكَ الْغَافِلُ  
بِقَوْلِهِ: ( وَاللَّهُ أَعْلَمُ ).

ذَلِكَ بَأَنَّ نَاقِلَ الْعِلْمِ - مِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ فِي الْأُمُورِ - إِنَّمَا هُوَ أَشَدُّ خَطَرًا  
مِنْ نَاقِلِ الْكُفْرِ؛ فَهُوَ حَاقِنُ السَّمِّ، أَي: الْقَاتِلِ الْحَقِيقِيِّ! ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ  
فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة).

وَحَسْبُ الْمَرْءِ جَهْلًا:

- أَنْ يَتَكَلَّفَ إِلَى تَأْوِيلِ مَا لَا يَفْقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

- وَأَنْ يَخُوضَ مَعَ الْخَائِضِينَ - مِنَ السَّلَفِ أَوْ الْخَلْفِ - بِلَا بَصِيرَةٍ قَلْبٍ  
فَهْمٍ، فَطِنٍ، فَقِيهِ بِمَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ، الَّذِي: ﴿ يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ  
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ التَّأْوِيلَ إِنَّمَا يَأْتِي دُونَهُ الْفِطْنَةُ وَالْفَهْمُ؛ وَإِلَّا فَهُوَ اتِّبَاعٌ لِلظَّنِّ،  
بَلْ تَأْوِيلُ الْجَاهِلِينَ!



وَقَالَ الشَّاعِرُ ( من البسيط ):

أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ قَانِدُهُمْ .. إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَحْزَابُ وَالشَّيْعُ

فَاعْلَمْ أَنَّ آفَةَ الْإِسْلَامِ وَبَلَوَاهُ - الْيَوْمَ - إِنَّمَا هِيَ فِي أَوْلَيْكَ ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ ( الأعراف )؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ مِهْنَةٌ وَأَوْلَيْكَ الدُّعَاةُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، وَلَيْسَ دِينَهُمْ.

لَا، بَلْ إِنَّ قِنَاعَ إِسْلَامِهِمُ الْبَاطِلَ - لِأَمْرِ شَيْطَانِيهِمْ - إِنَّمَا يُخْفِي وَرَاءَهُ مُسُوخًا بَشْرِيَّةً، بِقُلُوبِ شَيْطَانِيَّةٍ، وَعَمَائِمَ إِسْلَامِيَّةٍ!

وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّاهِيَةَ الدَّهْوَاءَ، إِنَّمَا هِيَ فِي ذَلِكَ الْقَطِيعِ الْبَشْرِيِّ الْهَائِلِ - مِنَ الْحَمْقَى مَعْصُوبِي الْأَذْهَانِ - الَّذِينَ هُمْ عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَادُونَ كَالْبَهَائِمِ إِلَى حَتْفِهِمُ الْأَكِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْآخِرَةِ، وَ﴿ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ ( البقرة ) .

أَلَا بِنَسِ مَتَوَى الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَبِنَسِ الرَّفْدِ الْمَرْفُودِ.

فَأَمْهَلَهُمْ رُويْدًا، ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ ( الطور )، أَي: خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ( الزمزم )!

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَعْيَارَ الْأَسَاسِيَّ فِيمَا تَسْمَعُ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - إِنَّمَا هُوَ:

أَلَّا تَنْظُرَ إِلَى مَنْ قَالَ، بَلْ أَنْ تَنْظُرَ فِيمَا قَالَ، فَاَنْتَبِهْ! ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ لَا لِيَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَاتِبُهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ( الأعراف ) .



وَاعْلَمْ - يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ - أَنْ فِعْلَ نَارِ الْعَاطِفَةِ الْعَمِيَاءِ إِذَا وَقَعَ عَلَى هَشِيمِ الْجَهْلِ، فَاسْتَوْقَدَتْ وَهَاجَ لَهَيْبِهَا؛ فَلَنْ تَهْمُدَ نَارَ النَّيِّرَانِ الْمُوقَدَةَ، حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَاسِ، فَإِذَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ رَمَادًا تَذْرُوهُ - فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ - رِيَاخَ الشَّيَاطِينِ!

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ ﴿١١﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣﴾ (المائدة).



وَخِتَامًا، أَرْجُو مِنَ اللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ التَّوْفِيقَ وَالْهُدَايَةَ إِلَى الْغَايَةِ الْمَرْجُوءَةِ مِنْ هَذَا الْجَهْدِ الْمُتَوَاضِعِ، أَلَا وَهِيَ: جَلَاءُ الْفَهْمِ، وَعُمُقُ الْبَصِيرَةِ، أَي: سَلَامَةُ الْقَلْبِ، وَعِلْمُ الْيَقِينِ.

ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَعْيَارَ الْأَسَاسِيَّ، إِنَّمَا هُوَ: الْفَرْقُ بَيْنَ مَا يَفْهَمُ الْمَرْءُ، وَكَيْفَ يَفْهَمُ! وَالْفَرْقُ عَظِيمٌ، كَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ:

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٨﴾ (الزمر).

وَلَقَدْ أَوْضَحْتَ الْحَقَّ لِلْقَارِي - فَأَجْهَدْتَ وَبَلَغْتَ جَهْدِي - لِذَلِكَ:

- إِمَّا أَنْ تَخْتَارَ مِنْ هَذَا الْجَهْدِ الْمُتَوَاضِعِ مَا وَقَعَ وَفَقًا لِطَبِيعَتِكَ، وَأَنْ تَدَعَ مَا لَا يُرْضِيكَ!

- أَوْ عَسَى أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ - إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا - فَتَقْرَأْ؛ لِنُعِينِي عَلَى إِغْلَاءِ الْحَقِّ وَدَمْعِ الْبَاطِلِ، وَ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ﴿٨١﴾ (الإسراء).

وَإِنِّي لَأَرْجُو الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْغَفُورِ سُبْحَانَهُ، وَالْمَعْذِرَةَ مِنْكُمْ عَلَى ضَعْفِي الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي لَا مَنَاصَ مِنْهُ: ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ (الإسراء).



اللَّهُمَّ رَبَّنَا، أَنْتَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَرِيكَ لَكَ  
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ.. أَنْتَ إِلَهَ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ مِنْكَ أَنْتَ وَحْدَكَ

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ حَقًّا، حَقًّا



﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا  
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر)

وَإِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَنَا خَطَايَانَا يَوْمَ الدِّينِ، وَأَنْ يَخْشُرَنَا جَمِيعاً  
فِيمَا سَمَّيْتُهَا أَنَا: ( زُمْرَةَ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ )، وَذَلِكَ:

حِينَ نَلَقَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَنَلَقَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْحَوْضِ،  
وَنُورُ الْإِيمَانِ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِينَا وَبِأَيْمَانِنَا: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (الحديد).

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ

أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

اللَّهُمَّ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة)

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ حُجَّةً لَنَا، وَلَا تَجْعَلْهُ حُجَّةً عَلَيْنَا

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَبَارِكْ عَلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلِّمْ

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَنَا وَأَمَانَتَنَا وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِنَا

اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ السَّلَامُ، فَحَيِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ

اللَّهُمَّ ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التحریم)

وَآخِرُ دَعْوَانَا ﴿ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس)

اللَّهُمَّ آمِينَ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت)

زكوان حصريّة

## لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

اعْلَمْ، يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ:

- أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَي: إِنَّمَا الْإِلَهُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكُلُّ مَا اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ مَعْبُودًا، كَانَ إِلَهًا عِنْدَ مُتَّخِذِهِ.

- وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ الْفَاعِلُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

- وَأَنَّ كُلَّ مَا خَلَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ مَفْعُولٌ بِهِ، لَا وَلَنْ يَمْلِكَ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الأعراف).

- وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، إِنَّمَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا.

- وَأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ وَالْبَاطِلُ كَثِيرٌ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ!

- وَأَنَّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، إِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ.

لذلك، لَا يَجُوزُ تَحْرِيفُ أَوْ تَبْدِيلُ شَيْءٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ أَوْ حُرُوفِهِ، أَبَدًا.

وَمَا يَنْبَغِي لِأَحَدِهِمْ تَأْوِيلُ كَلَامِ اللَّهِ بِالظَّنِّ وَالْحَدْسِ، أَي: رَجْمًا بِالْغَيْبِ! ذَلِكَ، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ

كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ (آل عمران).

كَذَلِكَ، يَنْبَغِي أَلَّا يُتَّصَرَ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَجُوبُ تَقْدِيمِ وَتَأْخِيرِ، أَوَّلًا؛  
وَإِنَّمَا يَقَعُ الْكَلَامُ فِي الْأَلْفَاظِ مُرْتَبًا عَلَى الْمَعَانِي الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ.

وَالْمَقْصُودُ - مِمَّا ذُكِرَ آنِفًا - أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَاسَ كَلَامُ اللَّهِ قِيَاسًا  
بِمَقَابِيصِ النَّحْوِ - وَهُوَ عِلْمٌ بِقَوَاعِدِ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ - أَوْ مَا سِوَاهُ مِنْ كُلِّ عُلُومِ  
اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوَّلًا؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، الَّذِي ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ  
مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق)، أَي:

إِنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ إِنَّمَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يُقَاسُ عَلَيْهِ، فَيُنْسَخُ نَسْخًا  
مَا كَانَ عَلَى خِلَافِهِ، وَيُتِمَّمُ تَتْمِيمًا مَا نَقَصَ مِنْ عُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّهَا.



﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ  
وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأحزاب)،  
أي: لَمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ  
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ (التوبة):

- أَنْزَلَ سُبْحَانَهُ عَلَى قَلْبِهِ ﷺ الْكِتَابَ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ: ﴿ وَإِنَّكَ لَلْأَقْرَبَ  
مِن لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ ﴿ ٦ ﴾ (النمل).

- وَعَلَّمَهُ سُبْحَانَهُ الْحِكْمَةَ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿ ٣ ﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ  
يُوحَىٰ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ (النجم).

وَلَقَدْ أَتَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ حُسْنَ النَّتَاءِ، وَوَصَفَهُ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتٍ  
لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، كَمَا يَبَيِّنُ - جَلِيًّا - فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الْآتِيَةِ:  
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿ ١ ﴾ ﴾ (الكهف).

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ ٥٢ ﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿ ٥٣ ﴾ ﴾ (الشورى).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ (الأنبياء).

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ (القلم).

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ  
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿ ٥٦ ﴾ (الأحزاب).

وَكَذَلِكَ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ ﷺ بِاتِّبَاعِ مَا يُوحَى إِلَيْهِ: ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (يونس).

وَقَضَىٰ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ جَمْعَاءَ - فِي كُلِّ زَمَانٍ - إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ:

١ - اتِّبَاعِ مَا أُنزِلَ عَلَى قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ لَدُنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ.

٢ - اتِّبَاعِ هُدَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَلَا وَهُوَ: جَمِيعُ مَا قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ

- مِنَ الْقَوْلِ، أَوْ الْفِعْلِ، أَوْ التَّقْرِيرِ، صِرَاحَةً أَوْ حُكْمًا - ثُبُوتًا قَطْعِيًّا،

لَا شُبْهَةَ وَلَا رَيْبَ فِيهِ، أَبَدًا: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران).



وَإِنْ كُنَّا مِنْ دُونِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَفِي خُسْرَانٍ مُبِينٍ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلِّمْ

إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.. اللَّهُمَّ آمِينَ

## أَمَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَكَفَرْنَا بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (النساء).

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ ﴾ (النساء).

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الحج).

﴿ أءِلهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (النمل) عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، إِلَى تَيْهَاءِ الْبَاطِلِ!

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ (لقمان).



الْحِبْتُ: هُوَ كُلُّ مَا عُبِدَ - مِنْ دُونِ اللَّهِ - مِنَ الْأَصْنَامِ، وَغَيْرِهَا.

وَالطَّاعُوتُ: هُوَ كُلُّ مَنْ طَعَى فِي الْكُفْرِ وَجَاوَزَ الْحَدَّ، فَاسْتَكْبَرَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِكِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ ⑥ ﴾ (القصص).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الطَّوَاعِيَةَ إِنَّمَا هُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ عَظَمَاءُ هُمْ وَكَبَرَاءُ هُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَالظُّلْمِ، وَالْفَسَادِ.



## بَحْثٌ فِي الْكُفْرِ:

﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑦ ﴾ (الزمر).

إِنَّ الْكُفْرَ نَقِيضُ الْإِيمَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ ﴿ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ⑦ ﴾ (الزمر).

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَهُوَ الَّذِي قَدْ طَمَسَ الْكُفْرُ عَلَى قَلْبِهِ كُلَّهُ، فَذَهَبَ بِنُورِهِ وَتَرَكَهُ فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

لِذَلِكَ، يُقَالُ عَلَى الْمَرْءِ أَنَّهُ قَدْ أَبْصَرَ، إِذَا خَرَجَ مِنْ عَمِيَّةِ الْكُفْرِ وَظُلْمَةِ الْبَاطِلِ، إِلَى بَصِيرَةِ الْإِيمَانِ وَنُورِ الْحَقِّ: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ⑧ ﴾ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ⑨ ﴾ (الأنعام)، أَي:

لَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ: ﴿ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ⑩ ﴾ (الحديد)؛ فَمَنْ أَبْصَرَ فَقَدْ أَفْلَحَ وَنَجَا بِنَفْسِهِ،

وَمَنْ عَمِيَ فَقَدْ ضَلَّ وَخَابَ سَعْيُهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ!

وَإِنَّمَا أَصْلُ الْكُفْرِ - فِي اللُّغَةِ - هُوَ: تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ تَغْطِيَةً تَامَةً، وَكُلُّ مَنْ سَتَرَ شَيْئاً فَقَدْ كَفَرَهُ. وَيُقَالُ: كَفَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ، وَكَفَرَ بِهَا، أَي: جَحَدَهَا وَسَتَرَهَا، وَمِنْهُ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿ إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ عَلِيمٌ ﴾ (الفصص)، أَي: جَاحِدُونَ.

وَأَمْرٌ كَافِرٌ، أَي: جَاحِدٌ لِنِعْمِ اللَّهِ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ.

وَلَوْ لَمْ يَتَّخِذِ ذَلِكَ الْكَافِرُ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا - مِنْ دُونِ اللَّهِ - لَمَا سَتَرَ مِنْ نِعْمِ اللَّهِ كِبَارَهَا وَحَجَبَهَا عَنْ نَفْسِهِ، فَكَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ!

وَتِلْكَ النِّعَمُ، هِيَ:

١- الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى وُجُودِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ أَسْرَارِ الْوُجُودِ أَوْ الْخَلْقِ:

﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (الروم) •

﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ (العنكبوت) •

٢- إِرْسَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالْآيَاتِ الْمُعْجِزَةِ، وَالْكِتَابِ الْمُنزَلَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ الْبَيِّنَةِ، عَلَى:

- أَنْ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ؛ فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْخَلْقِ،  
أَوْ الْمُلْكِ، أَوْ الْأَمْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

- وَأَنَّ الْأَرْضَ ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٢٤) ﴿(الأعراف).

- وَأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ مُّحْتَبَسَةٌ بِأَعْمَالِهَا، لَا تَفَارِقُهَا بِإِنْتِظَارِ الْحِسَابِ:  
﴿لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٢) ﴿(الجنّاثية).

- وَأَنَّ ﴿مَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ (١٨٥) ﴿(ال عمران).

فَاعْلَمْ، يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ: أَنَّ رَأْسَ النِّعَمِ كُلِّهَا إِنَّمَا هُوَ فِيَمَا ارْتِضَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
لَأُمَّةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ  
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) ﴿(المائدة).

وَلَقَدْ كَفَرَ الَّذِي لَمْ يُصَدِّقْ بِبَعْضِ تِلْكَ النِّعَمِ، أَوْ كُلِّهَا؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ  
نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦١) ﴿(البقرة).



وَالْكَفْرُ عَلَىٰ أَنْوَاعٍ أَرْبَعَةٍ:

١- كُفْرٌ إِنكَارِي: وَذَلِكَ بِأَنْ يَكْفُرَ الْكَافِرُ بِقَلْبِهِ، وَلِسَانِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ  
اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَصْلًا، وَلَا يَعْتَرِفُ بِهِ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ  
لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦) ﴿(البقرة)، أَي: الَّذِينَ كَفَرُوا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

٢- كُفْرُ جُحُودٍ: بِأَنْ يَعْتَرِفَ الْكَافِرُ بِقَلْبِهِ مَا لَا يُقِرُّ بِلِسَانِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ جَاحِدٌ؛ لِأَنَّ الْجُحُودَ نَقِيضُ الْإِقْرَارِ:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٨١) (البقرة).  
وَمِثَالُ ذَلِكَ:

- كُفْرُ إِبْلِيسَ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ (٤٤) (مريم).  
وَالْوَيْلُ تَارًا، وَالثَّبُورُ تَارًا، لِذَلِكَ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فَاسْتَكْبَرَ،  
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ!

- كُفْرُ أُمِّيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ - وَهُوَ: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ. كَانَ أَبُوهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ  
الْمَشْهُورِينَ بِالطَّائِفِ. وَكَانَ أُمِّيَّةً أَشْعَرَهُمْ - وَقِيلَ:  
- إِنَّ أُمِّيَّةً كَانَ مُسْتَقِيمًا.

- وَإِنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ عَلَى الْإِيمَانِ، ثُمَّ زَاغَ عَنْهُ.  
- وَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ سُبْحَانَهُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ  
الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ  
مِنَ الْعَاوِينَ ﴾ (١٧٥) (الأعراف).

٣- كُفْرُ مُعَادَاةٍ: وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

١ - أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ الْكَافِرُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيُقِرَّ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَدِينُ بِهِ  
حَسَدًا أَوْ بَغْيًا، وَمِثَالُ ذَلِكَ:

كُفْرُ أَبِي جَهْلٍ، وَكُلُّ أَوْلِيكَ ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
عَلَى الْآخِرَةِ وَيُصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ (٣) (إبراهيم).

٢ - أَنْ يَعْتَرِفَ الْكَافِرُ بِقَلْبِهِ وَيَقِرَّ بِلِسَانِهِ، وَيَأْبَى أَنْ يَدِينَ دِينَ الْحَقِّ،  
 وَمِثَالُ ذَلِكَ: كُفْرُ أَبِي طَالِبٍ - عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذْ قَالَ:  
 " وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا، لَوْلَا  
 الْمَلَأَةُ أَوْ حِدَارٌ مَسْبِيَّةٌ، لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَلِكَ، مُبِينًا."

٤ - كُفْرُ نِفَاقٍ: بِأَنَّ يُقِرَّ الْكَافِرُ بِلِسَانِهِ، وَيَكْفُرُ وَلَا يُؤْمِنُ بِقَلْبِهِ:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا  
 إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا  
 كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾  
 بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ  
 الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ  
 فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٧٩﴾ ﴾ (النساء)، أي:

﴿ بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ ﴾ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ وَهُمْ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ،  
 ثُمَّ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، ثُمَّ كَفَرُوا؛ ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا بِإِقَامَتِهِمْ  
 عَلَى الْكُفْرِ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الضَّلَالِ، وَاتَّخَاذِهِمُ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ  
 مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.



وَأَمَّا وُجُوهُ الْكُفْرِ فَهِيَ:

﴿ الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ: وَذَلِكَ بِأَنْ يَتَّخِذَ مَعَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ إِلَهًا آخَرَ:

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ (الزمر).

﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٦﴾ يَعْذِبُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١١٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١١٨﴾ (النساء)، أي: إِنَّ النَّاسَ هُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٠﴾ (إبراهيم).

أَلَا سَاءَ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا - لِقَبِيلِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ - أَلَا وَسَاءَ نَصِيرًا!

وَأَمَّا عِبَادُ الرَّحْمَنِ فَهُمْ: ﴿ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (الفرقان) - مِنْ طَوَاعِيَتِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ - لِأَنَّ ﴿ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ (الفرقان).

﴿ كُفْرٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﷺ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ط

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (آل عمران):

فَمَنْ رَدَّ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سَبَّحَنَهُ أَوْ الرَّسُولِ ﷺ،  
أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، أَوْ أَنْكَرَ أَحَدَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ - فَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

﴿ كُفِرَ بِادْعَاءِ الْوَالِدِ لِلَّهِ: ﴿٤٤﴾

فَاعْلَمْ أَنَّهُ ﴿ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ﴿٤٤﴾ (الكهف)، إِنَّمَا قَدْ جَاؤُوا بِأَفْتِرَاءٍ عَظِيمٍ عَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ، وَبُهْتَانٍ تَتَحَيَّرُ فِيهِ الْعُقُولُ وَالْأَلْبَابُ:

﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ  
إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ ﴿٤٥﴾ (الكهف).

﴿ كُفِرَ مُدْعَى الْإِسْلَامِ: مِنْ أَحَدِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ الْفَاسِدِينَ الْمُفْسِدِينَ: ﴿٤٦﴾

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٤٨﴾ (البقرة).

﴿ كُفِرَ نِعْمَةَ اللَّهِ: بِأَن يُنْكِرَ الْإِنْسَانُ إِنْعَامَ اللَّهِ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُبْصِرٌ إِحْسَانَهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ: ﴿٤٩﴾

﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٤٩﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٠﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ (النحل).

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ أَفِيالْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل) .

◀ الافتراء على الله ورسوله:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (النحل) .

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل) .  
 مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (يونس) .

وَعَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أَحَدَّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

﴿ مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ﴾ . الحديث « (مسلم: ٢) .  
 وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : " جَمَعَ أَبِي الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَتْ خَمْسِمِئَةَ حَدِيثٍ - فَبَاتَ لَيْلَتَهُ يَتَقَلَّبُ كَثِيرًا " .  
 قَالَتْ : " فَعَمَّنِي ، فَقُلْتُ : أَتَتَقَلَّبُ لِشَاوِي أَوْ لِشَيْءٍ بَلَغَكَ؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ ، قَالَ : أَيُّ بَنِيَّةٍ ، هَلُمِّي الْأَحَادِيثَ الَّتِي عِنْدَكَ ، فَجِئْتُ بِهَا ، فَدَعَا بِنَارٍ فَحَرَقَهَا ، فَقُلْتُ : لِمَ أَحْرَقْتَهَا؟ قَالَ : خَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ وَهِيَ عِنْدِي ، فَيَكُونُ فِيهَا أَحَادِيثٌ عَنْ رَجُلٍ قَدْ انْتَمَنَتْهُ وَوُثِّقَتْ ، وَلَمْ يَكُنْ كَمَا حَدَّثَنِي ، فَأَكُونُ قَدْ نَقَلْتُ ذَلِكَ " .



﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ (التحد)، أي:

إِنَّ مِنْ عَظِيمِ الْاِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِنَّمَا هُوَ فِي حَدِيثِ أَوْلِيكَ الْمُتَفَيِّهِينَ  
فِي الْكَلَامِ، الَّذِينَ لَا يُبَالُونَ مَا قَالُوا مِنْ صِدْقٍ أَوْ كَذِبٍ!

بَلْ لَا يُبَالُونَ إِنْ اسْتَقَامُوا مَرَّةً وَاعْوَجُّوا أُخْرَى! وَذَلِكَ خَشْيَةُ الْوُقُوعِ فِي الْإِحْرَاجِ  
- لِانْقِطَاعِ حُجَّتِهِمْ أَمَامَ النَّاسِ - أَوْ مُوَادَعَةِ، أَوْ مُمَائِلَةٍ، أَوْ مُحَابَاةً، أَوْ جَهْلًا فِي  
دِينِ اللَّهِ - يَبْتَغُونَ عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴾ ﴿١٣٨﴾ (آل عمران).

### التَّفْرِيقُ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ  
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ  
ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ  
عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ (النساء).



﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٣٨﴾  
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ (النساء)، أي:  
مَا كَانَ اللَّهُ الْغُفُورَ الرَّحِيمَ لِيُغْفِرَ - أَبَدًا - لِأَوْلِيكَ الَّذِينَ قَدْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
بِاتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ؛ فَلَقُوا اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَهُمْ كَافِرُونَ:

﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْعًا  
وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (يونس).

وَحِتَامًا، فَإِنَّ مِنْ مَعَانِي الْكُفْرِ أَيْضًا: الْبِرَاءَةُ، مِثْلُ: حِكَايَةِ اللَّهِ عَنِ الشَّيْطَانِ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ، وَحَقَّ الْعَذَابُ عَلَى الْكَافِرِينَ: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢) (إبراهيم).

أَلَا بِنَسِ النَّصِيرِ الشَّيْطَانِ، وَسَاءَ قَرِينًا لِأَوْلَائِكَ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ؛ وَأَوْلَائِكَ هُمُ الَّذِينَ قَدْ اتَّبَعُوا الْهَوَى وَطَرِيقَ الضَّلَالِ، فَاتَّخَذُوا طَوَاغِيتَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ - وَمِنْ فَوْقِهِمْ كَبِيرُهُمْ إِبْلِيسَ - آلهَةً وَأَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ، وَمَا كَانُوا مِنَ الْمُنتَصِرِينَ، أَبَدًا!

يُقَالُ: أَشْرَكَ فَلَانٌ بِاللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ إِذَا عَبَدَ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا آخَرَ.

كَذَلِكَ، فَإِنَّ كُلَّ مُشْرِكٍ هُوَ كَافِرٌ، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ كَافِرٍ بِالْمُشْرِكِ.

فَالشَّيْطَانُ - مِثْلًا - مِنَ الْكَافِرِينَ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤) (البقرة).

وَأَمَّا الَّذِي اتَّخَذَ الشَّيْطَانُ - أَوْ أَوْلِيَائَهُ - وَلِيًّا أَوْ نَصِيرًا - مِنْ دُونِ اللَّهِ - فَهُوَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (٨١) (القصص)، أَبَدًا!



﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١٥٢) (البقرة)

فَإِذَا كَانَ الْكُفْرُ هُوَ جُودُ النِّعْمَةِ وَسِتْرُهَا، فَإِنَّ الشُّكْرَ خِلَافُهُ، أَي:

إِنَّ الشُّكْرَ - عَامَّةً - هُوَ عِرْفَانُ الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ؛ أَمَا شُكْرُ اللَّهِ - خَاصَّةً - فَهُوَ مُقَابَلَةُ النِّعْمَةِ بِالْقَوْلِ، وَالْفِعْلِ، وَالنِّيَّةِ: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣٤) (إبراهيم)، وَإِظْهَارُ نِعْمَةِ الْمُنْعَمِ سُبْحَانَهُ عَلَيْكَ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (١١) (الضحى).

وَقَالَ ( الْمُعِيرَةُ بْنُ شَعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ): « قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: ﴿ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٤٨٣٦) ».

لِذَلِكَ، فَالشُّكُورُ مِنَ الْعِبَادِ هُوَ: الْكَثِيرُ الشُّكْرِ، الَّذِي يَجْتَهِدُ فِي شُكْرِ اللَّهِ؛ وَذَلِكَ بِطَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ، أَي: آدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالنَّوْافِلِ: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (النساء).

وَالشُّكُورُ - أَيْضًا - مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يُضَاعَفُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ثَوَابِ الْقَلِيلِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً:

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الإسراء)، أي:

إِنَّ الشُّكْرَ مِنَ اللَّهِ الشُّكُورِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ - لِكُلِّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا (١) -  
إِنَّمَا هُوَ الْمَغْفِرَةُ، وَحُسْنُ الثَّوَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ  
فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ (التوبة).

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١١﴾ ﴾ (المزمل)

(١) أي: كَانَ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْإِنْقِطَاعِ عَنْ مَعَاصِيهِ،  
مَا اسْتَطَاعَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا  
وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ﴿١١﴾ ﴾ (التغابن).

وَعَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه )، قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ  
لَا يَشْكُرُ اللَّهَ ﴾. الْحَدِيثُ « (الترمذي: ١٩٥٤).

وَلَقَدْ افْتَرَنَ شُكْرُ اللَّهِ بِشُكْرِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ جُحُودَ الْإِحْسَانِ، وَكُفْرَانَ الْمَعْرُوفِ  
- إِنَّمَا هُوَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ عَلَى سُوءِ الطَّبَعِ، وَرَدَاءَةِ النَّشْأَةِ، وَذَهَابِ الْحَيَاءِ،  
وَقِلَّةِ الْمُرُوءَةِ!

لِذَلِكَ، فَإِنَّ شُكْرَ النَّاسِ عَلَى إِحْسَانِهِمْ إِلَيْكَ، إِنَّمَا هُوَ حَقٌّ عَلَيْكَ؛ حَتَّى يَبْقَى  
الْإِحْسَانُ، وَالْجُودُ، وَإِعَانَتُهُ الْمُهُوفِ، وَحُبُّ الْخَيْرِ، عُرْفًا سَانِدًا بَيْنَ النَّاسِ  
- كَافَّةً - وَسَيِّدَ أَخْلَاقِ الْأُمَّةِ.

ذَلِكَ لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ الشُّكْرُ - وَعِرْفَانُ الْمَعْرُوفِ - مِنْ تَمَامِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَعَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، قَالَ:

« لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الْغَفَارِيَّ - مَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ انْتِنِي، فَاَنْطَلَقَ الْآخِرُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. الْحَدِيثُ « (مسلم: ٢٤٧٤) .



وَخِتَامًا:

فَإِنَّ الشُّكْرَ مِثْلَ الْحَمْدِ، إِلَّا أَنَّ الْحَمْدَ أَعْمٌ وَأَشْمَلُ مِنْهُ؛ فَالْحَمْدُ رَأْسُ كُلِّ الشُّكْرِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ:

١- تَعْظِيمٌ وَتَمْجِيدٌ لِلَّهِ وَحُسْنُ النَّثَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

٢- اطمِنَانٌ إِلَى اللَّهِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ سُبْحَانَهُ.

٣- شُكْرٌ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ كُلِّهَا - ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً - وَعَلَى عَظِيمِ فَضْلِهِ عَلَيْكَ:

﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء) .

لِذَلِكَ، فَإِنَّهُ وَبِالشُّكْرِ تَدْوُمُ خُضْرَةِ النِّعَمِ كُلِّهَا؛ فَلَا يَهِيْجُ نَبَاتُهَا فَتْرَاهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - حُطَامًا:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَهُ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال) .

تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام  
زكوان حصريّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (الأنبياء)

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (المؤمنون)

لا، وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ يَا رَبَّنَا..

﴿ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِيلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (آل عمران)

فَمَا الدُّنْيَا إِلَّا دَارُ قَرَارٍ وَمَتَاعٍ إِلَىٰ حِينٍ، لَا دَارَ خُلْدٍ وَنَعِيمٍ مُّقِيمٍ!

﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (يس)

إِي وَرَبِّي، إِنَّهُ لِحَقٌّ، فَمَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَخْلُقَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ عَبَثًا،  
أَي: بِلَا ثَوَابٍ، وَلَا عِقَابٍ!

فَاعْلَمْ - يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ - أَنَّهَا الْحِسَابُ وَاقِعٌ، لَا مَحَالَةَ:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (الأنبياء).



## بَحْثٌ فِي مَجْهُولَاتِ النَّفْسِ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾ ﴾ (النساء) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَدْشَأَكُمْ مِنَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأنعام) .  
فِي الْأَرْضِ، إِلَى مِيقَاتِ الْيَوْمِ الْمَعْلُومِ: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأنعام) .

فَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - أَنَّ النَّفْسَ الَّتِي يُطْلَقُ بَعْضُهُمْ عَلَى هَيْئَتِهَا الْعَقْلِيَّةِ تَسْمِيَةً - ضَيْقَةَ الْمَعْنَى - أَلَا وَهِيَ: ( الْعَقْلُ الْبَاطِنُ )؛ إِنَّمَا هِيَ:

- الْوَعَاءُ الْمُسْتَوْعِبُ لِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْمَعَارِفِ، وَالْعُلُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ،  
مِنذُ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

أَي: إِنَّ النَّفْسَ لَتَسْتَوْعِبُ جَمِيعَ مَا لَزِمَ - خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ -  
مِنْ سُلْطَانِ الْعِلْمِ، الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِنْسَانَ: ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ  
مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥٠﴾ ﴾ (العلق) .

- الْمُسْتَوْدَعُ لِكُلِّ مَا خَبِرَتِ النَّفْسُ مِنَ الْمَعَارِفِ، وَالْعُلُومِ، وَالْأُمُورِ الْمُحَدَّثَةِ  
فِي حَيَاتِهَا الدُّنْيَا.

- الْمُسْتَوْدَعُ لِكُلِّ مَا اجْتَرَحَتْ جَوَارِحُكَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ  
- فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - وَذَلِكَ بِإِنْتَظَارِ يَوْمِ الدِّينِ: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ

مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ (إبراهيم) .



وَأَمَّا وَظِيفَةُ الدَّمَاعِ البَشْرِيِّ - فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ - فَهِيَ:

١- اسْتِدْكَارُ وَمُعَالَجَةُ الْعِلْمِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِ - حِينَ شَاءَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً - وَذَلِكَ بِمَا يَتَلَاعَمُ مَعَ مَرَاكِحِ

تَطَوُّرِ الْإِنْسَانِيَّةِ - فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ - فَتَسْتَقِيمُ الْخِلَافَةُ فِي الْأَرْضِ.

٢- تَخْزِينُ جَمِيعِ مَا خَبِرَتِ النَّفْسُ مِنَ الْمَعَارِفِ، وَالْعُلُومِ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَةِ فِي حَيَاتِهَا الدُّنْيَا؛ فِيهَا.

٣- تَفْسِيرُ أَوْامِرِ النَّفْسِ - مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ - إِلَى أَقْوَالٍ أَوْ أَفْعَالٍ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ (فصلت) .

\* \* \*

## الفِطْرَةُ وَالْعِلْمُ الْفِطْرِيُّ

﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم)، أَي:

إِنَّ الْفِطْرَةَ هِيَ: مَرَكُزُ النَّفْسِ؛ فَمَنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ فَقَدْ تَاهَ وَضَلَّ سَعْيُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُ، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ إِلَّا أَشَدُّ الْعَذَابِ.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿٩﴾

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ (الشمس)، أَي:

إِنَّمَا هِيَ فِطْرَةُ النَّفْسِ عَلَى سَوَاءٍ - بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ - لِذَلِكَ:

- فَإِنَّ النَّجَاةَ وَالْفَوْزَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ لِكُلِّ مَنْ قَدْ طَهَّرَ النَّفْسَ مِنْ خَبَائِثِ وَأَدْنَسِ الشَّيْطَانِ، فَارْتَقَى بِهَا عَلَى مَعَارِجِ الْكَمَالِ.

- وَإِنَّ الْوَيْلَ وَالْهَلَاكَ لِمَنْ قَدْ وَضَعَ مِنْ قَدْرِهَا؛ فَاَنْحَطَّ بِهَا سَاقِطاً إِلَى مَا دُونَ مَرْتَبَةِ الْبَهَائِمِ، يَتَقَلَّبُ مُتَمَرِّغاً فِي أَوْحَالِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ (محمد).

وَلَقَدْ بَيَّنَّ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ لِذَلِكَ الْإِنْسَانَ طَرِيقِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ (البدر)، أَي: أَفْعَلْ وَقُلْ مَا شِئْتَ، وَلَكِنْ لَا تَنْسَ أَنَّهُ:

- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿١﴾﴾ (الشمس) مِنْ رِجْسِ الشَّيْطَانِ، وَدَنَسِ الْخَطَايَا الْآثَامِ؛ فَنجَا بِهَا، وَفاز بِرِضْوَانِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

- ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس) بِأَنْ ظَلَمَهَا؛ فَأَوْرَدَهَا مَوَارِدَ الْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴿١٩﴾﴾ (الكهف):  
إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ التَّخْيِيرِ فِي شَيْءٍ، أَبَدًا! وَإِنَّمَا تَهْدِيدٌ بَيْنَ، وَوَعِيدٌ حَقٌّ مِنَ الْخَلَّاقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ (القيامة)!

لَا، وَرَبِّكَ - رَبِّ الْعِزَّةِ جَمِيعاً - مَا تَرَكَ اللَّهُ النَّاسَ هَمَلاً كَالْأَنْعَامِ الضَّالَّةِ؛  
يُخْبِطُونَ فِي عَمِيَاءٍ عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَيَرْتَعُونَ فِي أَرْضِ اللَّهِ لَعِباً وَلَهْواً،  
وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا عَايَةٍ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ  
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (البقرة).

وَأَمَّا الْعِلْمُ الْفِطْرِيُّ الَّذِي قَدْ فَطَرَ اللَّهُ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ عَلَيْهِ، فَهُوَ - بِلَا رَيْبٍ -  
رَأْسُ وَابْتِدَاءُ كُلِّ الَّذِي قَدْ عَلَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَتِكَ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، حِينَ  
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥٠﴾﴾ (العلق)، وَلَعَلَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ الْفِطْرِيَّ قَدْ اقْتَصَرَ عَلَى:

١ - إِقْرَارُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِرُبُوبِيَّةِ خَالِقِهَا سُبْحَانَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

٢ - الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ.

٣ - التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ الرَّشَادِ، أَيِ هُدَى اللَّهِ: ﴿فَإِمَّا  
يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٧٦﴾﴾ (طه).

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

وَمِنَ الْغَرِيبِ، أَنَّ أَوْلِيكَ الْخَائِضِينَ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ - عَلَى غَيْرِ هُدًى -  
إِنَّمَا يُطْلَقُونَ تَسْمِيَةً شَادَّةً - أَي: ( غَرِيْزَةُ التَّنْذِيْنِ ) - عَلَى مُحَاوَلَةِ رُجُوعِ النَّفْسِ التَّائِبَةِ  
إِلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهَا الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْفَتَهَا شَيْطَانُ  
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَحَوَّلَتْهَا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى تِيهَاءِ الْبَاطِلِ.

فَاعْلَمْ، أَنَّ الْغَرِيْزَةَ إِنَّمَا هِيَ نَزْعَةٌ بَهِيمِيَّةٌ فِي الْحَيَوَانِ - عَامَّةً - وَمِثَالُهَا أَيْضاً:  
( نَزْعَةُ التَّجَمُّعِ ) عَلَى هَيْئَةِ جَمَاعَاتٍ، أَوْ قُطْعَانٍ مِنَ الْبَهَائِمِ وَغَيْرِهَا!

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (الأعراف)، أي:

لَقَدْ أَشْهَدَ اللَّهُ وَلَدَ آدَمَ وَوَلَدَهُ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ - فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، وَهُمْ فِي قَبْضَةِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ - مُذَكَّرًا إِيَّاهُمْ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾؟

﴿ قَالُوا ﴾ جَمِيعًا بِلَا اسْتِثْنَاءٍ: ﴿ بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ (الأعراف).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ تِلْكَ الشَّهَادَةَ، أَيْ:

- إِفْرَارُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْخَلْقِ أَوْ الْمُلْكِ:

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأعراف).

- شَهَادَةُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ لِلَّهِ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ - عَلَى جَمِيعِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - وَالَّذِي: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (البقرة).

- إِفْرَارُ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عليه السلام - كَأَفَّةً، وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - بِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا خَالِصَةً لِلَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، فَلَا إِسْلَامَ إِلَّا إِسْلَامًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَحْدَهُ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات).

مَا هِيَ - حَقًّا - إِلَّا حُجَّةُ اللَّهِ الْقَاطِعَةُ عَلَى الْكَافِرِينَ، ذَلِكَ ﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (الأعراف).

فَلَا حُجَّةَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - لِأَوْلَائِكَ ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمْ  
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (الأنعام) بَلَىٰ وَرَبِّي، لَا حُجَّةَ لَهُمْ إِذْ يُقَدِّمُهُم - يَوْمَئِذٍ - أَرْبَابَهُمْ  
 مِنْ طَوَاعِيَتِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا  
 إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة) .

﴿ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ ﴾ (يس): بَعْدَ إِذْ حَقَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ، فَمَا لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ شَدِيدِ  
 عِقَابِ اللَّهِ مِنْ دَافِعٍ وَلَا وَاقٍ، ذَلِكَ ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (يس) .  
 وَ﴿ قَالُوا ﴾ حِينَ ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا:

يَا ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا أَتْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَتْنَتَيْنِ ﴾ (غافر)، أَي:

يَا رَبَّنَا، لَقَدْ أَمَتْنَا - بَعْدَ إِذْ خَلَقْتَنَا فِي عَالَمِ الْغَيْبِ - إِلَىٰ أَنْ أُحْيَيْتَنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا،  
 ثُمَّ أَمَتْنَا - بَعْدَ ذَلِكَ - فَأُحْيَيْتَنَا هَذِهِ الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ؛ ﴿ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ  
 إِلَىٰ خُرُوجٍ ﴾ - مِنْ عَذَابِ الْخُلْدِ - ﴿ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ  
 وَحَدَّهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (غافر) .



﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة)

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة)، أَي:

إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ بَيْنَ السُّلْطَانِ عَلَيْهَا؛ ذَلِكَ بِأَنَّ  
 الْخَلْقَ الْعَلِيمَ سُبْحَانَهُ قَدْ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق) .

وَلَقَدْ اسْتَخْلَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ - مِنْ أَجْلِ إِعْمَارِهَا - وَأَمَرَهُ:

- أَلَا يَشْرِي الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، ابْتِغَاءَ عَرْضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

فَهُوَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ خُسْرَانًا مُبِينًا، الَّذِينَ خَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ (النمل).

- وَأَنْ يُقِيمَ حُدُودَ اللَّهِ، فَلَا يَتَعَدَّاهَا: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ

حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ (النساء).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

﴿ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحْرَمُهُ ﴾ (مسلم: ١٥٩٩).

\* \* \*

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ (الحجر)، أي:

وَتَسْرِي رُوحُ اللَّهِ - أَيِ الْحَيَاةِ - فِي جَسَدٍ مِنْ طِينِ الْأَرْضِ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ (الإسراء)؛

فَإِذَا بِذَلِكَ الطِّينِ قَدْ صَارَ بَشَرًا حَيًّا:

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون)

وَتَدْخُلُ النَّفْسُ ذَلِكَ الْقُمْقُمَ الدُّنْيَوِيَّ لِحُظَّةِ الْوِلَادَةِ - وَذَلِكَ كِنَايَةً عَنِ اخْتِبَاسِ شَيْءٍ عَظِيمٍ، فِي جَسَدٍ ضَعِيفٍ - وَيَرَأْفُهَا شَهَقَةُ الْوَلِيدِ - فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ - فَتَصِيرُ خَلْقًا آخَرَ، أَي: إِنْسَانًا تَامًا مِنْ جَسَدٍ وَرُوحٍ وَنَفْسٍ: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ① ﴾ (الإنسان)، ذَلِكَ ﴿ وَيَسْتَهْلِكُ صَارِحًا - أَي: يَرْفَعُ الْوَلِيدُ صَوْتَهُ، وَيَصِيحُ بَاكِئًا - مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ ﴾ (البخاري: ٣٤٣١).

فَإِذَا اسْتَجْمَعَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ شَرَائِطَ التَّكْلِيفِ كُلَّهَا، بَدَأَ الْاِمْتِحَانَ:

- فِيمَا الْقَوْرُ الْمُبِينُ.

- وَإِمَّا الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

وَأَمَّا الْاِخْتِبَارُ الْأَسَاسِيُّ - فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - فَهُوَ فِي تَزْيِينِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَبَهْجَتِهَا:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ①٨ ﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ①٩ ﴾ كَلَّا نُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ②٠ ﴾ (الإسراء) عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، سِوَاءِ أَكَانَ أَحَدُهُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ أَمْ الْكَافِرِينَ.

وَالْقُمْقُمُ: نَوْعٌ مِنَ الْأَوَانِي. وَيُقَالُ: إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَ يَحْبِسُ الْعَصَاةَ - مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ - بِدَاخِلِهِ.

وَحَظَرَ عَلَى الْمَرءِ شَيْئًا، أَي: حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ الشَّيْءِ.

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الحجر)، أي:

إِنَّ سُجُودَ الْمَلَائِكَةِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - لَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا هُوَ سُجُودٌ تَعْظِيمٌ وَتَمْجِيدٌ لِصُنْعِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ؛ وَمَا كَانَ بِسُجُودِ عِبَادَةٍ أَوْ تَفْضِيلِ لَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَدْبًا! ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون).

﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الحجر)، أي:

إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ لِإِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ - مَعَ الْمَلَائِكَةِ - لَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا يَغْنِي - أَدْبًا - أَنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُهُمْ!

وَإِنَّمَا الْقَوْلُ الْحَقُّ هُوَ: إِنَّ إِبْلِيسَ قَدْ كَانَ حَاضِرًا ذَلِكَ الْمَشْهَدَ، وَكَانَ لِلرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ عَصِيًّا: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الكهف).

وَالْعَرَبُ تَقُولُ ( إِذَا خَرَجَتِ الرُّطْبَةُ مِنْ قَشْرِهَا ): قَدْ فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ.

فَالْفِسْقُ هُوَ: الْعِصْيَانُ وَالْخُرُوجُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، أَيْ: الْغُدُورُ عَنِ نُورِ الْحَقِّ، إِلَى ظُلْمَةِ الْبَاطِلِ.

وَأَمَّا إِبْلِيسُ فَهُوَ مِنْ أْبْلِيسَ، أَيْ: يَنْسُ وَنَدِمَ - فَهُوَ الْمُبْلِسُ مِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ - أَوْ سَكَتَ لِانْقِطَاعِ حُجَّتِهِ، فَلَا جَوَابَ عِنْدَهُ.

ذَلِكَ، وَإِنَّ إِبْلِيسَ قَدْ كَانَ مِنَ الْجِنِّ، كَمَا يَتَبَيَّنُ - جَلِيًّا - فِيمَا يَأْتِي:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (الأعراف).



﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴾ (الحجر، ١٧) أي: مِنْ النَّارِ الْمَسْغُورَةِ،  
ذَاتِ الْحَرِّ الشَّدِيدِ؛ فَالْجَانُّ كُلُّهُمْ مِنَ النَّارِ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُكْرَمُونَ مِنْ نُورِ اللَّهِ، أَي:  
لَمْ يَكْ إِبْلِيسُ مِنْهُمْ، أَبَدًا!

وَلَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ حَالِ إِبْلِيسَ قَبْلَ أَنْ يَفْسُقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ فَكَانَ  
مِنَ الصَّاعِرِينَ؛ إِذْ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ.  
فَأَنْتَبِهْ! ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ  
أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر، ٦).

\* \* \*

﴿ وَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَحْدِ لَهُ عَزْمًا ﴾ (طه، ١١٥) :  
إِذْ اسْكُنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَهُ حَوَاءَ الْجَنَّةِ، وَنَهَاهُمَا سُبْحَانَهُ عَنْ تِلْكَ  
الشَّجَرَةِ مُحَذِّرًا إِيَّاهُمَا بِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَهُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ:

﴿ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ  
لَا يَبْيَأُ ﴾ (١١٦) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ  
وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴿ (١١٧) ﴾ (طه، ١١٧) ، فَنَحَّاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْ نَعِيمِ مُقِيمٍ إِلَىٰ شِقَايَ وَفَنَاءٍ،  
وَقَضَى الْأَمْرَ.

وَبِذَلِكَ أَقَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحُجَّةَ الْقَاطِعَةَ عَلَىٰ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَدُرِّتَهُ كَافَّةً مِنْ بَعْدِهِ  
- إِلَىٰ مِيقَاتِ الْيَوْمِ الْمَعْلُومِ - أَنْ يَقُولُوا: رَبَّنَا لِمَ أَهْبَطْتَنَا مِنْ نَعِيمِ الْخُلْدِ،  
إِلَىٰ شِقَايَ الْأَرْضِ؟ ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف، ٥٤).

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ (البقرة ٣٨) ، أي: اهبط يا آدم، أنت وزوجك  
 وذريتكم، من الجنة، جميعاً: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٢٤)  
 قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ (الاعراف ٢٥) .

\* \* \*

﴿ يٰبَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰنُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ (الاعراف ٢٧) ،  
 أي: فانظروا! ألا كفى به حُبًّا مَبِينًا!؟

بلى وربّي، إِنَّهُ نَفْسُ الْإِخْلَاصِ وَالنُّصْحِ الشَّيْطَانِي لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتِهِ  
 مِنْ بَعْدِهِ - فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ - إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ!  
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يُحَدِّرَ - فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - النَّاسَ جَمِيعًا، مِنْ شَرِّ  
 مَا يُسَوِّلُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ، وَمَا يُمْلِي لَهُمْ؛ ذَلِكَ بَأَنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُمْ  
 ضَلَالًا بَعِيدًا، لِذَلِكَ فَإِنَّ تَأْوِيلَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، هُوَ:

يَا بَنِي آدَمَ، مَا هُوَ إِلَّا الشَّيْطَانُ نَفْسَهُ الَّذِي أَفْسَمَ لِأَبَوَيْكُمْ جَهْدَ أَيْمَانِهِ،  
 إِنَّهُ لَمِنَ النَّاصِحِينَ الْمُخْلِصِينَ لَهُمَا:

﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ (طه ١٢١) ، فَانظُرْ! وَخَرَّ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاقِطًا،  
 فَهَوَى - وَزَوْجَهُ وَذُرِّيَّتَهُ جَمِيعًا - مِنْ دَارِ نَعِيمٍ وَبِقَاءٍ، إِلَى دَارِ شِقَاقٍ وَفَنَاءٍ!  
 يَا بَنِي آدَمَ: ﴿ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٣٨)  
 إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٧٠) .  
 فَاعْلَمُوا - يَا بَنِي آدَمَ، جَمِيعًا - أَنَّ مَا ذَلِكُمْ هُوَ خُبْثٌ، وَمَكْرٌ، وَشَرُّ الشَّيْطَانِ:  
 ﴿ الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ (الناس ٥) .

إِنَّ الْغَوَايَةَ الشَّيْطَانِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا خُطْوَةً خُطْوَةً، وَالْإِضْلَالَ الشَّيْطَانِيَّ - عَنِ سِوَاءِ السَّبِيلِ - شَيْئاً فَشَيْئاً؛ حَتَّى تَنْحَرِفَ النَّفْسُ تَمَاماً عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَتَتَرَدَّى سَاقِطَةً فِي هَاوِيَةِ الضَّلَالِ وَالْفُجُورِ، حَيْثُ يَتَلَاعَبُ بِهَا الشَّيْطَانُ كَيْفَمَا يَشَاءُ!

وَقَالَ الشَّيْطَانُ فِيمَا حَكَى عَنْهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الحجر)، فَانظُرْ!

لِذَلِكَ، فَإِنَّ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا وَمَتَاعَ غُرُورِهَا - لَيْسَتْ مُجْتَمِعَةً إِلَّا فِتْنَةً تُفْتَنُ بِهَا قُلُوبُ النَّاسِ، وَذَلِكَ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (سبا)، أَي: فَمَنْ غَوَى فَقَدْ هَوَى!

وَإِنَّ كَيْدَ الْإِنْسَانِ - عُمُومًا - وَالْمَرْأَةِ - خُصُوصًا - إِنْ أَرَادَتِ التَّبَاهِيَّ وَالتَّفَاخَرَ بِتَنَكُّ الْحِلْيَةِ الْبَهِيَّةِ؛ إِنَّمَا هُوَ أَشَدُّ وَأَدْمَى مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ! وَذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ الْإِضْلَالَ الشَّيْطَانِيَّ إِلَى الْفِعْلِ الْإِنْسَانِيِّ، فإِذَا شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ حَقِيقَةً أَبِينُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ!

كَذَلِكَ الَّذِي قَدْ كَانَ بَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِمْرَأَةَ الْعَزِيزِ: ﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا رَعَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (يوسف).

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف)،  
لِذَلِكَ: أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ الرَّعُوفِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ تَهْدَأُ الْقُلُوبُ وَتَسْكُنُ مِنْ اهْتِيَاجِهَا،  
وَغَلِيَانِهَا مِنْ أَرْ شَيْطَانِيْنَ.

﴿ إِنَّمَا التَّجَوَّى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا  
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (المجادلة)، أَي: إِنَّمَا تَلِكْ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْخَلْقِ لَا تَبْدِيلَ لَهَا،  
فَلَا تَبْتَسِنِ: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المجادلة).

فَاعْلَمْ - يَقِينًا - أَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لِلشَّيْطَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ إِلَّا بِمَا يُؤَسُّوسُ بِهِ  
الْوَسْوَاسُ الْخَنَاسُ فِي الصُّدُورِ، وَذَلِكَ لِتَرْوِيحِ الْمَعْصِيَةِ وَتَرْيِينِهَا فِي قَلْبِ  
الْغَافِلِ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ؛ حَتَّى إِذَا غَلَبَتْ شَهْوَةُ الْجَسَدِ عَلَى النَّفْسِ، فَصَارَ الْجَسَدُ  
إِلَيْهَا مَطَاعًا لَا تُعْصَى لَهُ رَغْبَةً - هُنَالِكَ كَانَتْ الْوَلَايَةُ لِلشَّيْطَانِ، وَلَنْ يُخَوِّفَ  
بِتِلْكَ الْوَلَايَةِ إِلَّا أَوْلِيَائِهِ! ذَلِكَ بِأَنَّهُ: ﴿ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى  
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ  
مُشْرِكُونَ ﴾ (التحل)، أَلَا سَاءَ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا لِأَوْلِيَائِهِ وَسَاءَ لَهُمْ نَصِيرًا.

وَإِنَّمَا الْخَنَاسُ هُوَ الشَّيْطَانُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ اللَّهَ فِي قَلْبِهِ، تَنَحَّى الشَّيْطَانُ  
وَخَسَّ - أَي: انْقَبَضَ مِنَ الْقَلْبِ وَتَأَخَّرَ - نَعُودُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنْ نَزْعٍ، وَشَرٍّ،  
وَأَرْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

وَالنَّزْعُ: الْإِفْسَادُ بَيْنَ الْقَوْمِ الْمُتَحَابِّينَ، وَنَزْعُ الشَّيْطَانِ: هُوَ أَنْ يُؤَسُّوسَ فِي قَلْبِ الْمَرْءِ  
بِمَا يُفْسِدُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ.

\* \* \*

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (لقمان)، أي:

فَاعْلَمْ - يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ - أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالنُّجُومَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَسَائِرَ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ - سَوَاءً أَكَانَ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ الْأَرْضِ؛ إِنَّمَا مُسَخَّرٌ - بِإِذْنِهِ سُبْحَانَهُ - لَكَ أَنْتَ وَحَدِّكَ.

وَكَذَلِكَ، فَقَدْ أَنْتُمْ سُبْحَانَهُ نِعْمَهُ عَلَيْكَ فَوَسَّعَهَا لِتَسْتَوْعِبَ مَنَافِعَ الْأَرْضِ كُلَّهَا، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات)، أي: وَلِذَلِكَ خُلِقْنَا مِنْ أَجْلِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ؛ وَتَمَّ خَلْقُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا مِنْ أَجْلِنَا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأنفال)، أي:

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ مَا هُمْ إِلَّا أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَ أَجْسَادِهِمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ، إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ! ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ (محمد). ( وَالْوِزْرُ: الْحِمْلُ الثَّقِيلُ. )

أَلَا وَلَيْعَلَّمْ أَوْلَانِكَ الْغَافِلُونَ عَنْ مَشْهَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ:

- بَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا.

- وَأَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ، تَرْتَهِّقُهُمْ ذُلَّةٌ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْفِرَارَ مِنْ لِقَاءِ يَوْمِهِمْ هَذَا! ذَلِكَ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي

جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الإنفطار).

وَكَذَلِكَ هُوَ جَزَاءُ الَّذِينَ قَدْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى؛ فَاتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ تَمَامَ النِّعْمَةِ وَعَظِيمِ الرَّحْمَةِ، هُمَا - بِلَا رَيْبٍ - فِيمَا ارْتَضَاهُ الْبِرُّ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ خَاطَبَهُمْ سُبْحَانَهُ، قَائِلًا:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ (المائدة).

وَحَسْبُ الْمَرْءِ مِنَ الضَّلَالَةِ:

- أَنْ يَخْتَارَ حَدِيثَ الْبَاطِلِ عَلَى حَدِيثِ الْحَقِّ.

- وَأَنْ يُجَادِلَ فِي اللَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ سُبْحَانَهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ (الحج).

\* \* \*

وَخِتَامًا، فَإِنَّ الْجَسَدَ الْبَشَرِيَّ إِنَّمَا هُوَ أَعْلَىٰ مَرْتَبَةً مِنَ الْحَيَوَانِ؛ لِإِحْتَوَاءِ جُمُوعَةِ رَأْسِهِ عَلَىٰ أَكْثَرِ الْجُمَلِ الْعَصَبِيَّةِ الْمَرْكَزِيَّةِ تَطَوُّرًا - بَيْنَ أَفْرَانِهِ مِنْ بَقِيَّةِ الْحَيَوَانَاتِ - وَالَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا فِي عِلْمِ الْحَيَوَانِ: (الدَّمَاعُ الْبَشَرِيُّ).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ - بِلَا رَيْبٍ - هُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، مَا دَامَ الْجَسَدُ هُوَ تِلْكَ الْمَطِيَّةُ الدَّلُولُ الَّتِي تَرَكَّبُ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ مَطَاهَا؛ فَتَجْتَازُ بِهَا دَارَ الْإِمْتِحَانِ إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهَا، أَي: إِلَىٰ الْفَوْزِ بِرِضْوَانِ اللَّهِ الْبَرِّ الرَّحِيمِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ الْحَرِيقِ إِلَىٰ عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ هِيَ الْخَضَعَاءُ، وَعَلَا عَلَيْهَا الْجَسَدُ؛ فَضَلَّ بِهَا هَانِمًا - عَلَىٰ غَيْرِ هُدًى - فِي بَرَارِيٍّ وَقِفَارِ الرَّغَائِبِ وَالشَّهَوَاتِ الرَّخِيصَةِ الدَّنِيَّةِ، فَهَلَكَتْ دُونَهَا! فَحِينِنْدِ، صَارَ الْإِنْسَانُ أَحَطَّ الْخَلْقِ جَمِيعًا رُتْبَةً - بَلْ أَحَقَرَهَا شَأْنًا عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ - وَإِنَّمَا ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ!

\* \* \*

فَاعْلَمْ، يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ: أَنَّمَا الصَّبْغَةُ صِبْغَتَانِ:

١ - صِبْغَةُ اللَّهِ - وَلِيَّ الدِّينِ آمَنُوا - سُبْحَانَهُ.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (البقرة)

وَهِيَ ( الصَّبْغَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ) الشَّقَافَةُ الْوَقَادَةُ ضِيَاءً بِنُورِ اللَّهِ، وَالَّتِي تَعْرُجُ بِهَا نَفْسُ الْإِنْسَانِ فِي مَعَارِجِ النُّورِ الْإِلَهِيِّ إِلَى اللَّهِ، الْمَلِكِ، الْقُدُّوسِ، السَّلَامِ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ (المائدة).

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر)

وَهِيَ ( الصِبْغَةُ الْبَشَرِيَّةُ ) الطَّنِينَةُ الْحَالِكَةُ بِسَوَادِ ظُلُمَاتِ الْإِضْلَالِ وَالْغَوَايَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَالَّتِي يَهْوِي بِهَا الْإِنْسَانُ سَاقِطًا بِأَثْقَالِ الْمَعَاصِي، وَأَنَامِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الْمَحْرَمَةِ إِلَى ظُلُمَاتِ هَاوِيَةِ الشَّيْطَانِ، أَلَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَأً وَمُقَاماً! ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (يونس).



## بَحْثٌ فِي طَهَارَةِ النَّفْسِ:

وَكَمَا أَنَّ قَدَارَةَ الْجَسَدِ تَسْتَوْجِبُ الْاِغْتِسَالَ دَائِماً، كَذَلِكَ فَإِنَّ قَدَارَةَ النَّفْسِ إِنَّمَا تَسْتَوْجِبُ لِزَاماً - وَبِلاَ مُهْلَةً - تَطْهِيرَ النَّفْسِ الْإِثْمَةِ مِنْ صَغَائِرِ ذُنُوبِهَا، وَمِنْ رَجَسِ فَوَاحِشِهَا وَكِبَائِرِ آثَامِهَا، وَذَلِكَ فِي ثَلَاثِ:

١ - عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

﴿ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ؟ ﴾ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: ﴿ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا ﴾

. الحديث « (مسلم: ٦٦٧).



لَذَلِكَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ - بِلا رَيْبٍ - إِنَّمَا هِيَ:

- رَأْسُ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الصَّلَاةَ ذَكَرَ لِلَّهِ، وَصِلَةً لَا تَنْقَطِعُ  
- لَيْلًا وَلَا نَهَارًا - مَعَ الْغُفُورِ الْوَدُودِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه).

- سَكَنٌ لِلْقُلُوبِ الْوَاجِفَةِ، وَاطْمِنَانٌ إِلَى اللَّهِ التَّوَّابِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ:  
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ  
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد).

فَتَدْخُلُ فِي صَلَاتِكَ قَائِلًا: اللَّهُ أَكْبَرُ ( وَمِنْ كُلِّ كَبِيرٍ )، فَتَمْضِي فِيهَا؛  
فَتَرْكَعُ وَتَسْجُدُ مُنَاجِيًا رَبَّكَ، حَتَّى تَقْضِيَهَا حَيْثُمَا شِئْتَ.

فَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَى الصَّلَاةِ - بَلْ تَرَكَهَا عَامِدًا مُتَعَمِّدًا - فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ  
بِأَنَّ تَاهَ ضَلَالًا؛ فَحَابَ سَعْيُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِمَ أَعْمَى  
فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء)، وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ.

٢- بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ بِالِاسْتِغْفَارِ الدَّائِمِ مِنَ اللَّمَمِ وَصَغَائِرِ الذُّنُوبِ:  
﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل).

---

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (النجم)  
وَاللَّمَمُ: هُوَ مُقَارِبَةُ الذَّنْبِ - أَحْيَانًا - دُونَ الْوُقُوعِ فِيهِ. وَأَمَّا صَغَائِرُ الذُّنُوبِ،  
فَهِيَ: كُلُّ ذَنْبٍ مَا دُونَ الْفَاحِشَةِ مِنْهَا أَوْ الْأَخْطَاءِ لِمَنْ يُذْنِبُ عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ.

---

٣- بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْخَطَايَا، وَكَبَائِرِ الْإِثْمِ، وَالْفَوَاحِشِ - مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ - ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (آل عمران).

والتَّوْبَةُ النَّصُوحُ إِنَّمَا هِيَ: التَّوْبَةُ الْخَالِصَةُ إِلَى اللَّهِ ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ (غافر)، فَلَا يَغُودُ الْعَبْدُ بَعْدَهَا إِلَى مَا تَابَ عَنْهُ. وَالْخَطَايَا: جَمْعُ خَطِيئَةٍ، أَي: الذَّنْبُ عَلَى عَمْدٍ.



### بَحْثٌ فِي الدَّعَاءِ:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (البقرة)، أَي:

إِنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ إِنَّمَا هِيَ بَصِيرَةٌ - مِنْ بَصَائِرِ اللَّهِ - وَهَدَى لِعِبَادِهِ الْمُوقِنِينَ بِرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهَدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الجناتية).

إذ بَيَّنَّ لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ، فَعَرَفَهُمْ سُبْحَانَهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ:

١- ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴿١٨٦﴾ ﴾ (البقرة)، أَي: ابْتِدَاءً بِالطَّاعَةِ الَّتِي لَا يُخَالِطُهَا مَعْصِيَةٌ، مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ (التغابن).

إِنَّمَا اسْتَحَقَّ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - ذَلِكَ الَّذِي:

- قَدْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ مَا أَظْهَرَهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

- وَلَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِهِ شَكٌّ وَلَا رَيْبَةٌ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،  
وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَهُوَ الْعَلِيُّ  
الْعَظِيمُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ فِي الْخَلْقِ أَوْ الْمُلْكِ أَوْ الرُّبُوبِيَّةِ.

- ثُمَّ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَفَوِّضْ أَمْرَهُ إِلَى اللطيفِ الخبيرِ سُبْحَانَهُ.

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا  
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ  
لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ (١٧٤) ﴾ (ال عمران) .

وَكَذَلِكَ اسْتَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دُعَاءَهُمْ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴿ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَيَدْعُونَنا رَغْبًا وَرَهْبًا ط وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴾ (١١) ﴿ (الانبیاء) .

---

وَالْخُشُوعُ هُوَ: خُضُوعُ الْبَدَنِ بِالطَّاعَةِ، وَتَذَلُّ النَفْسِ إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ سُبْحَانَهُ:  
﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ (٣٧) ﴾ (الجاثية) .

---

وَخِتَامًا، فَإِنَّ الدُّعَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ.

وَقَدْ يَكُونُ الدُّعَاءُ:

- إِمَّا عِبَادَةً، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّوْحِيدُ، وَالتَّنْزِيهُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّمْجِيدُ: ﴿ دَعَوْتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

وَأَخِرُ دَعَوْتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ (يونس).

- أَوْ اسْتِعَاثَةً بِالْحَيِّ الْقَيُّومِ سُبْحَانَهُ.

- أَوْ رَغْبًا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ سُبْحَانَهُ.

- أَوْ رَهْبًا وَشَفَقًا مِنْ خَشْيَتِهِ سُبْحَانَهُ.



بَحْثٌ فِي الْعِبَادَةِ:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (الحج)، أي:

إِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا خَالِصَةً لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَعَدَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (طه).

لِذَلِكَ، فَمَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، أَوْ أَشْرَكَ بِهِ شَيْئًا، فَهُوَ مِنَ الْخَائِبِينَ؛ وَإِنَّ سَعْيَهُ لَفِي خَسَارٍ مُبِينٍ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ، وَيَنْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ.

ذَلِكَ بَأَنَّ الْإِقْرَارُ بِالْأُلُوْهِیَّةِ وَالرُّبُوبِیَّةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِیْكَ لَهُ سُبْحَانَهُ، أی: بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ - إِنَّمَا هِيَ غَايَةُ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِیِّ:

﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (النَّازِعَاتِ)، أی:

إِنَّ أَى تَفْصِيرٍ عَنِ الْغَايَةِ - وَإِنْ صَغُرَ - إِنَّمَا هُوَ تَفْرِيطٌ بِالْأَمَانَةِ، وَإِفْسَادٌ لِلْقَلْبِ بِاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ - الَّتِي جَمَاعُهَا الضَّلَالَةُ، وَضِيَاعُ الْحَيَاةِ، وَمِيعَادُهَا نَارُ جَهَنَّمَ - ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (البقرة).

بَلَى وَرَبِّي، لَنْ يَبْقَى فِي النَّارِ - حِينَ يَزُوي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ - إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ فِيهَا؛ فَتَطْبِقُ عَلَى أَصْحَابِهَا، ﴿ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ ﴾ (مريم)، أی: فَاتَّقُوا النَّارَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ، وَلِزُومِ الطَّاعَةِ، وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي - قَبْلَ انْقِطَاعِ الْعَمَلِ بِانْقِضَاءِ الْأَجْلِ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ - أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (آل عمران).

وَعَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) « أَنْ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: ﴿ وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ ﴾ قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ: ﴿ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾. الحديث « (البخاري: ٣٦٨٨).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَشَجَرَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي الْقَلْبِ، وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ؛ وَلَنْ تُؤْتِيَ أَكْلَهَا إِنْ لَمْ تُسَقَّ بِمَاءِ الطَّاعَةِ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران).  
وَحِتَامًا:

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور).



## بَحْثٌ فِي مِيثَاقِ الْخِلَافَةِ:

﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص): وَإِنَّمَا فِي ذَلِكَ الْمَنْهَجِ الْإِلَهِيِّ الْقَوِيمِ وَمِيثَاقِ الْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (التكوير).

وَلَوْلَا وَثَاقُ اللَّهِ لَضَلَّ ضَلَالُنَا، وَلَوْ قَعْنَا فِي الْأَضَالِيلِ وَالْأَبَاطِيلِ؛ فَخَابَ سَعِينَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكُنَّا فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وَيَسْتَنْدُ مِيثَاقَ الْخِلَافَةِ إِلَى أَرْكَانٍ أَرْبَعَةٍ، أَلَا وَهِيَ:

١- ﴿وَأَبْتَعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ﴾ (القصص: ٧٧) : فَمَنْ أَرَادَ كَسْبَ الدُّنْيَا

- وَالْآخِرَةَ فِيهَا، وَالْآخِرَةَ بِلَدَاتِهَا - ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ

لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٨) .

وَأَمَّا ﴿مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ

كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٩) .

وَيَوْمَئِذٍ، يَكُونُ ذَلِكَ الشُّكْرُ الْإِلَهِيُّ بَأْنٍ: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥) ، وَلِرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ!

إِي وَرَبِّي، فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا دَارُ امْتِحَانٍ وَارْتِحَالٍ:

- فَإِنَّمَا الْفَوْزُ وَالنَّجَاءُ.

- وَإِنَّمَا الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُ.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ

وَأَتَّقُوا وَيَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٧٧) .

٢- ﴿وَلَا تَنَسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ﴾ (القصص: ٧٧) : فَالْخِلَافَةُ فِي الْأَرْضِ

وَإِعْمَارُهَا مِنْ أَصْلِ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ مِنَ الْعِبَادَةِ الثَّوَابُ عَلَيْهَا:

- إِنَّمَا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦) .

- أَوْ آجِلًا فِي الْآخِرَةِ: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ

ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦) .

وَعَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) ، قَالَ: « كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ:

﴿ اللَّهُمَّ ﴾ رَبَّنَا عَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . ( الحديث « البخاري: ٦٣٨٩ ) .

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: " إِذَا آتَاكُمُ اللَّهُ ذَلِكَ ، فَقَدْ آتَاكُمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ . "

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴿٣٢﴾ ( الأعراف ) .

فَمَا جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ - وَمَا خَلَقَ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا - إِلَّا ثَوَابًا لِلنَّاسِ كَأَفْءٍ عَلَى خِلَافَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ: ﴿ قُلْ

هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣٣) ( الأعراف ) ، أَي: إِنَّ

تِلْكَ النَّعَمَ مَفْسُومَةٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ - بِلَا اسْتِثْنَاءٍ - فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا؛ وَذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ قَدْ كَدَّ ، فَاجْتَهَدَ فِي خِلَافَةِ الْأَرْضِ وَإِعْمَارِهَا .

لَكِنَّهَا خَالِصَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ حَرَّمَ الْجَنَّةَ

عَلَى الْكَافِرِينَ: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا

عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا

عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٥) ( الأعراف ) .

٣- ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ ( القصص ) : فَمَنْ أَنْتَ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ،

لِتَنْسُبَ الْإِحْسَانَ وَالْإِفْضَالَ إِلَيْكَ؟! فَلَا تَتَطَوَّنْ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِكَ

وَإِحْسَانِكَ إِلَيْهِمْ: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ ( التحد ) !



أَنْتَ يَا مَنْ تَدْعِي الْفَضْلَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، أَمَا قَرَأْتَ كِتَابَ اللَّهِ:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكَم خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ (١٦٥) ﴿ (الأنعام)؟!﴾

مَهْلًا! مَهْلًا! فَمَا جَزَاءُ مَنْ قَدْ أَحْسَنَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،  
إِلَّا أَنْ يُحْسِنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ عَاجِلًا - فِيهَا - قَبْلَ الْآخِرَةِ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ  
الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (١٠) ﴿ (الرحمن)؟﴾

٤- ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٧٧) ﴿ (القصص)، أي:

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْسِدِينَ:

- الَّذِينَ يُبْذِرُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي الْإِفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ بَغْيًا، وَظُلْمًا.

- أَوْ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَخَرَابًا، وَيُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ  
وَالْعُدْوَانِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ إِسْلَامًا لِأَمْرِ شَيْطَانِيهِمْ.

إِنِّي وَرَبِّي، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَّا أَنَّ الْكُلَّ فِي الْإِفْسَادِ وَالْإِجْرَامِ  
الشَّيْطَانِي، سَوَاءٌ! ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧٧) ﴿ (القصص).

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ  
يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ  
ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣٣) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا  
مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣٤) ﴿ (المائدة).

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَمِيعاً، أَقَامَ اللَّهُ الْحُكَّامَ حُكَّاماً عَلَى النَّاسِ، إِذْ لَوْلَا ذَلِكَ الْفَضْلُ  
مِنَ اللَّهِ لَأَكَلَ قَوِيُّ النَّاسِ ضَعِيفَهُمْ؛ فَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَظَهَرَ الْفَسَادُ  
فِي الْأَرْضِ، وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً حَكِيماً سُبْحَانَهُ.

وَعَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه) «عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ﴿مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ  
شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً  
- أَي: عَلَى الضَّلَالِ، أَي: مِثْلَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَانظُرْ! -﴾. الْحَدِيثُ «(البخاري: ٧٠٥٣).



### فَأْمَهُلْهُمْ رُوَيْدًا، إِنْ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٧٣﴾﴾ (هود)  
فَوْرَبِّكَ - رَبِّ الْعِزَّةِ جَمِيعاً - مَا هُوَ إِلَّا الْوَعِيدُ وَالتَّهْدِيدُ الْإِلَهِيُّ - تَارَةً بَعْدَ  
تَارَةٍ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ - لِأَوْلَائِكَ الْمُسْتَضْعَفِينَ عَقْلِيًّا فِي الْأَرْضِ! وَإِنَّمَا:  
﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦٦﴾﴾ (الشورى).  
فَلِيَحْذَرْ أَوْلَائِكَ الْحَمْقَى - الْمُجْرِمُونَ - مِنْ أَخْذِ اللَّهِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ  
أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٧٣﴾﴾ (هود)!!

فَإِذَا كَانَتْ عَصَابَاتُ الشَّيَاطِينِ مِنْ هَيْبَاتٍ، وَمَنْظَمَاتٍ، وَحُكُومَاتٍ بِأَجْمَعِهَا  
مَعَهُمْ؛ فَحَسْبُهُمْ أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ يَتَرَبَّصُ بِهِمْ، فَلْيَنْظُرُوا هَلْ لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ؟!  
فَأْمَهُلْهُمْ رُوَيْدًا، رُوَيْدًا!

ذَلِكَ، ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴿٤٧﴾﴾ (الطور) أَي: خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (الزمر)!

فَأَيْنَ الْمَفْرُ لَهُمْ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ، وَشَدِيدِ عَذَابِهِ؟!

﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ﴾ (٧٦) ﴿ (النساء) : أَي، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الْمُسْتَفْذَرُونَ فِي الْأَرْضِ الَّذِينَ هُمْ أَحَطُّ قَدْرًا مِنَ الشَّيَاطِينِ! وَ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٦) ﴿ (النساء) .

ذَلِكَ بِأَنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَاءَهُ إِنَّمَا هُوَ التَّدْبِيرُ بِالْبَاطِلِ، لِذَلِكَ فَهُوَ - بِلَا رَيْبٍ - دَلِيلٌ ضَعْفٍ وَانْحِسَارُ قُدْرَةٍ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿ (١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رَوِيْدًا ﴾ (١٧) ﴿ (الطارق) .

بَيِّنَةٌ أَنَّ التَّدْبِيرَ بِالْحَقِّ إِنَّمَا هُوَ كَيْدُ اللَّهِ بِالْكَافِرِينَ، وَذَلِكَ لِنَبْطِشِ بِهِمْ سَبْطَانَةَ الْبَطْشَةِ الْكُبْرَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٧٢) ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (١٧٢) ﴿ (الأعراف) .

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٣٢) ﴿ (البقرة) ، أَي:

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ زَيَّنَتْ لَهُمُ الْهَتْمُ الشَّيْطَانِيَّةُ كُلَّ أَصْنَافِ الْمَعَاصِي وَالْإِنِّامِ؛ وَغَرَّتْهُمْ الْوَعْدُ الزَّانِفَةُ وَالْأَمَانِيُّ الْكَاذِبَةُ، وَغَرَّهْمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ!

﴿ فَخَذُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولِيكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ (١١) ﴿ (النساء) ؛ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ ﴿ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ (١١) ﴿ (النساء) عَنْكُمْ، بَلْ تَمَادَوْا فِي الْإِجْرَامِ:

فَارْتَكَبُوا الْكِبَائِرَ، وَاعْتَدُوا عَلَى حُرْمَاتِ اللَّهِ؛ وَأَسْرَفُوا فِي الْقَتْلِ، وَسَفَكَ الدَّمَاءَ، وَالسَّبَّ وَالنَّهْبَ، وَانْتَهَاكَ الْأَعْرَاضَ، وَخَرَابِ الْبِلَادِ - وَذَلِكَ إِسْلَامًا لِأَمْرِ أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، أَي: لِإِقَامَةِ الْخِلَافَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ فِي الْأَرْضِ؟! وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِهِمْ أَجْمَعِينَ.

فَقُلْ لَأَوْلِيكَ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون)

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، عَلَى الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ!

\* \* \*

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء) ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء) ﴿٦٠﴾

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران) ﴿٦٨﴾

فَانظُرْ - بِاللَّهِ عَلَيْكَ! - كَيْفَ يُرِيدُ أَوْلِيكَ الْمُتَحَرِّفُونَ دِينِيًّا:

١- ﴿ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلُوتِ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۗ ﴾ (النساء) .

٢- أَنْ يَتَّخِذُوا ﴿ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ ﴾ ( آل عمران ) بكتابِ اللَّهِ وَهَدَى رَسُولَهُ ﷺ .

وَأَنى يَكُونُ لَهُمْ ذَلِكَ، وَالْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ سَبَّأَنَهُ يُحَذِّرُهُمْ نَفْسَهُ؟!

أَلَا وَلْيُعَلِّمُ، أَوْلِيكَ الْمُسْتَعْفَلُونَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً، بِأَنَّ:

تَطْوِيلِ اللَّحَى وَتَخْضِيبِهَا وَالرَّأْسُ بِالْحِنَاءِ الْحَمْرَاءِ، وَحَلْقِ الشَّارِبِ، وَتَقْصِيرِ الرِّدَاءِ الْأَبْيَضِ إِلَى مَا دُونَ الرِّكْبَةِ - فَيُكْشَفُ عَنِ مَا خَفِيَ مِنَ السَّاقِينَ - وَدَمْعِ الْجَبِينِ بِعَلَامَةٍ - بَادِيَةً لِلْعَيَانِ - لِيُعَلِّمَ أَنَّهُ مِنَ السَّاجِدِينَ!

نَعَمْ، كُلُّ تِلْكَ السَّمَاتِ - وَالْعَلَامَاتِ التِّجَارِيَّةِ الْفَارِقَةِ - لَيْسَتْ مِنَ التَّقْوَى فِي شَيْءٍ، أَبَدًا! وَإِنَّمَا هِيَ - بِلَا رَيْبٍ - آيَاتُ الْمُفْسِدِينَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، الَّذِينَ يَعِثُونَ فِي الْأَرْضِ فَتَاوَى شَيْطَانِيَّةً؛ فَيُهْلِكُونَ الْحَرثَ وَالنَّسْلَ: ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۗ ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿ ٣٦ ﴾ (البقرة) .

\* \* \*

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّخِيصٍ ﴾ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿ ٣٧ ﴾ (٣٦)، أَي:

أَلَا حِينَ يَقَعُ عَذَابُ اللَّهِ - فَيَوْمَئِذٍ - لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ:

- قِيَّاسُ قَانِسٍ مِنَ الْقَانِسِينَ الشَّرْعِيِّينَ مِنْهُمْ.

- وَلَا اجْتِهَادُ مُجْتَهِدٍ سِوَاءَ أَكَانَ مِنَ السَّلْفِ أَوْ الْخَلْفِ؛ وَإِنَّمَا أَعْنِي كُلُّهُمْ جَمِيعاً، أَي: مَا صَلَحَ مِنْهُمْ وَمَا طَلَحَ!

- وَلَا حَتَّى كُلِّ فِتَاوَى أَوْلَانِكَ الشَّيَاطِينِ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ، وَإِنْ عَلَا شَأْنُهُمْ وَسَمًا قَدَرُهُمْ بَيْنَ أَتْبَاعِهِمُ الْغَافِلِينَ.

فَوَرَبِّكَ، لَا أَحَدَ - مِنْ كُلِّ أَوْلَانِكَ، جَمِيعاً - بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَذْفَعَ عَن ذَلِكِ الْقَطِيعِ الْبَشَرِيِّ - مِنَ الْجَاهِلِينَ الْمُسْتَضَلِّينَ - غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَأَلِيمَ عِقَابِهِ!

وَلَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ! ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ (الطلاق).

بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ! أَمَا قَرَأَ ذَلِكِ الْقَطِيعِ الْبَشَرِيُّ مِنَ الْمُسْتَغْفِلِينَ فِي الْأَرْضِ، كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ:

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَمَا كَرِهْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١١٧﴾﴾ (البقرة)؟! \*

\* \* \*

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الأعراف) ، أي:

وَذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ ظُهُورَهُمْ! فَمَا كَانَ الْحِمَارُ إِلَّا الْمَرْكُوبُ وَلَيْسَ بِالرَّاكِبِ، أَبَدًا! كَلَّا، بَلْ إِنَّ الْحِمَارَ لَيَسْتَحْيِ مِنْ فِعَالِهِمْ! وَإِنَّمَا هُوَ بَرَاءٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ! فليَعْلَمْ أَوْلَئِكَ الْجَاهِلُونَ، الْمُسْتَضَلُّونَ، مَنْ هُمْ؟! قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ! ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴿٨﴾ ﴾ (فاطر):

فَمَا هُمْ وَرَبِّكَ، إِلَّا دَوَابٌّ عَلَى الْأَرْضِ يَدْبُونَ، وَفِي الْحَظِيرَةِ يَرْتَعُونَ، وَذَلِكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى! لَا، بَلْ هُمْ شَرُّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ صُمٌّ بُكْمٌ فَهُمْ لَا يَعْقلُونَ شَيْئًا! فَلَا يَعْرِفُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ سُوءَ الْعَذَابِ! ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٩﴾ ﴾ (الحج) .

وَكَذَلِكَ، أَعْيَتِ الْحَمَاقَةَ الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَّ! إِذْ أَنَّ قُلُوبَهُمْ قَدْ تَعَمَّدَتِ الضَّلَالَةَ: ﴿ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (النحل) .

\* \* \*

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (إبراهيم) .

لَذَلِكَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ شَرِيرٌ قَدْ افْتَصَرَ شَرَّهُ عَلَى الْغَوَايَةِ وَالْإِضْلَالِ الشَّيْطَانِي؛  
وَأَمَّا الْإِنْسَانُ بِلَا دِينٍ - أَوْ وَازِعٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ، يَكْفُ النَّفْسَ عَنِ فُجُورِهَا -  
فَهُوَ الشَّرُّ الْمَطْلُوقُ!

أَمَا قَرَأْتَ تِلْكَ الْمَسُوخَ الشَّيْطَانِيَّةَ - بَعْمَانِمَ إِسْلَامِيَّةٍ - كِتَابَ اللَّهِ: ﴿مَنْ قَتَلَ  
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا  
وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة)؟!؟

فَمَنْ هُمْ أَوْلَيْكَ الدُّعَاءُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ؟! بَلْ مَنْ هُمْ أَوْلَيْكَ الْمُسْتَخْفُونَ  
فِي خَفَاءِ الْإِسْلَامِ، لِيَتَحَدَّثُوا بِاسْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، أَوْ إِرَادَةِ اللَّهِ،  
أَوْ دِينِ اللَّهِ؛ وَإِنَّمَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُهُ ﷺ مِنْ رَجْسِهِمْ بَرَاءً؟!؟

عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

﴿إِذَا كَفَرَ الرَّجُلُ أَحَاهُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدَهُمَا﴾. الحديث «(مسلم: ٦٠)».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

﴿مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ، فَلَيْسَ مِنَّا﴾. الحديث «(البخاري: ٧٠٧٠)».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



عَنْ ( أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه ) ، قَالَ:

« حَظَبْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: ﴿ أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ ﴾  
فُنُنَا: اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَعْلَمُ.

فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ﴿ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ ﴾  
فُنُنَا: بَلَى، قَالَ: ﴿ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ ﴾ فُنُنَا: اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَعْلَمُ.

فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: ﴿ أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟ ﴾  
فُنُنَا: بَلَى، قَالَ: ﴿ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ ﴾ فُنُنَا: اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَعْلَمُ.

فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ﴿ أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟ ﴾  
فُنُنَا: بَلَى، قَالَ: ﴿ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا،

فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ. أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ ﴾  
قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدِ الْغَائِبِ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ

أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ - أَي: فَرَبَّمَا يَكُونُ لِلْمُبَلِّغِ بِهَذَا الْحَدِيثِ - وَغَيْرِهِ - مِنْ الْوَعِيِّ  
وَالْفَهْمِ فِي الْعِلْمِ، مَا لَيْسَ لغيرِهِ - فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ

بَعْضٍ ﴾. الْحَدِيثُ « ( البخاري: ١٧٤١ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

قَالَ ( نُفَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ رضي الله عنه ) : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

﴿ إِذَا تَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ﴾ قُلْتُ:  
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ

صَاحِبِهِ ﴾. الْحَدِيثُ « ( البخاري: ٦٨٧٥ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

قَالَ ( حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه ) :

« كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ - أَي: مَا يَقَعُ فِي النَّاسِ مِنَ الْفِتَنِ - مَخَافَةً أَنْ يُذَكِّرَنِي.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ - أَي: مَا كَانَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْكُفْرِ، وَإِتْيَانِ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ: مِنْ قَتْلِ، وَسَلْبِ وَنَهْبِ، وَزِنَى، وَغَيْرِهَا مِنْ عَظِيمِ الْمُنْكَرَاتِ - فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ - أَي: فَقَطَعْنَا عَنْ نِقْمَةِ الْكُفْرِ إِلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ؛ فَحَقَّتِ الدَّمَاءُ وَاسْتُدْفِعَتِ الْمَكَارَهُ، وَأَصْبَحْنَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ: ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ ( آل عمران ) - فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: ﴿ نَعَمْ ﴾ قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: ﴿ نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ ﴾ - أَي: إِنَّ الْخَيْرَ الَّذِي يَجِيءُ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ لَا يَكُونُ خَيْرًا خَالِصًا؛ وَإِنَّمَا فِيهِ كَدْرٌ، وَفَسَادٌ فِي الْقَلْبِ - قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: ﴿ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ﴾ - أَي: مِنْ فُتْيَاهُمْ، إِذْ يُحَرِّمُونَ الْحَلَالَ وَيَحْلُلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ - قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: ﴿ نَعَمْ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ - أَي: جَمْعُ دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ - مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدْ فُؤَهُ فِيهَا ﴾.

وَيَوْمَئِذٍ يَقَعُ النَّاسُ - عَلَى غِرَّةٍ مِنْهُمْ، وَمِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ - فِي فِتْنَةٍ صَمَاءَ عَمِيَاءَ.

فَتَصَمُّ الْعُقُولُ، وَتَعْمَى الْقُلُوبُ؛ فَلَا تَهْتَدِي، وَلَا تَقْبَلُ الْحَقَّ!

فَاعْلَمْ، أَنَّ كُلَّ مَنْ أَجَابَ أَوْلِيكَ الدُّعَاءَ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ إِلَيْهَا؛ إِنَّمَا كَانَ - قِطْعًا - وَفُودَ تِلْكَ الْفِتْنَةِ؛ إِذْ يُرْمَى بِهِمْ فِي وَطِيسِهَا، لِيَشْتَدَّ أَوَارُهَا!

فَلَا يُبْرئُ عَمِيَّةَ قُلُوبِ أَوْلِيكَ الْمُسْتَعْفَلِينَ وَصَمَمَ عُقُولَهُمْ، إِلَّا الْهَلَاكُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ: ﴿ وَمَا وَنَهُمُ النَّارُ وَيُبْئِسُ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران) لَأَنْفُسِهِمْ! ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴿ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (البقرة).

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: ﴿ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنِّتِنَا - أَي: مِنْ قَوْمِنَا وَمِنْ أَهْلِ لِسَانِنَا؛ لَكِنَّهُمْ فِي الظَّاهِرِ عَلَى دِينِنَا، وَفِي الْبَاطِنِ عَلَى دِينِ شَيْطَانِهِمْ، أَي: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (آل عمران) - ﴿ قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: ﴿ تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ - أَي: إِنَّ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، إِنَّمَا هِيَ فِي لُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَطَاعَةِ وَلِيِّ الْأَمْرِ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، حَتَّى لَوْ عَمِلَ - ذَلِكَ الْحَاكِمُ - بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ - ﴾.

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: ﴿ فَاغْتَرِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا - أَي: لَا تَتَّبِعَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ، أَوْ مِنْ دُعَاتِهَا. وَإِنَّمَا فِي ذَلِكَ وَجُوبٌ رَدُّ كُلِّ أَبَاطِيلِهِمْ وَضَلَالَاتِهِمْ، وَاجْتِنَابِ الدُّخُولِ فِيهَا، أَي: رَدُّ كُلِّ مَا خَالَفَ صَرِيحَ كِتَابِ اللَّهِ وَهُدْيِ رَسُولِهِ ﷺ؛ وَلَوْ قَالَ مَنْ قَالَهُ، مِنْ رَفِيعٍ أَوْ وَضِيعٍ - وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ - أَي: وَعَلَيْكَ بِالْعِزَّةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى تَحْمَلِ شِدَّةِ الْفِتْنَةِ؛ إِذْ أَنْ عَضَّ أَصْلَ الشَّجَرَةِ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الثَّبَاتِ وَمُكَابَدَةِ الْمَشَقَّةِ وَالْعَذَابِ، خَشْيَةَ الْوُقُوعِ فِي الْمَعْصِيَةِ وَالشَّرِّ - ﴿

. الحديث « (البخاري: ٧٠٨٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَا قَرَأَ أَوْلَيْكَ ﴿۳۳﴾ (المائدة) ، كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿۷﴾﴾ (الحشر)؟!!

فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا إِضْلَالُ الشَّيَاطِينِ، وَنَعِيقُ غُرَبَانِ الْبَيْنِ؟!  
﴿وَأُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْلَعُ لَهُمْ أَلْعَادِبُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿۳۰﴾  
أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿۱۱﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿۴۴﴾﴾ (هود).

إِي وَرَبِّي، فَمَا أَخْرَجَتْ شُطْرَانُ تِلْكَ الْعَاهَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ - فِي عِبَاءَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ -  
إِلَّا الْوَيْلَ وَالذَّمَّارَ وَالْخَرَابَ:

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿۳۷﴾﴾ (الشعراء)!!



بَحْثٌ فِي: (أَيْنَ أَنَا؟)

وَالْجَوَابُ الْحَاضِرُ - مَعْنَى لَا لَفْظًا - عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ: نَحْنُ مَوْجُودُونَ - الْآنَ -  
فِي مَكَانٍ مَا مِنْ الْأَرْضِ - فِي الْبَرِّ أَوْ الْبَحْرِ أَوْ الْجَوِّ - نَتَمَتَّعُ وَنَأْكُلُ فَرِحِينَ  
فَخُورِينَ بِمَا آتَانَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ، أَوْ نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ

مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ نَعِيمًا أَمْ شِقَاءً، لَا فَرْقَ!

وَذَلِكَ - بِلَا رَيْبٍ - ظَنَّ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَهَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ  
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟!

وَإِنَّمَا الْقَوْلُ الْحَقُّ هُوَ: " أَنَا فِي دَارِ امْتِحَانٍ وَارْتِحَالٍ، لَا دَارَ نَعِيمٍ وَبَقَاءٍ." فَانْتَبِهْ! وَمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ - وَقَبِيلُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - إِلَّا أَنْ يُضِلُّوا أَوْلِيَاءَهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا!

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الإسراء) عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، سَوَاءً أَكَانَ أَحَدُهُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ أَمْ الْكَافِرِينَ. ( وَحَظَرَ عَلَى الْمَرءِ شَيْنًا، أَي: حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ الشَّيْءِ. )

ذَلِكَ، ﴿ وَتَبَلُّوكم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنبياء)، أَي:

فَمَا الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَلَا السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ - مِنْ رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ، مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَمٍ، مِنْ غِنَى وَفَقْرٍ، مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، مِنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، مِنْ هُدًى وَضَلَالٍ - إِلَّا ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الزمر).

\* \* \*

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۗ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ (الحج)، أَي:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْفَلِتُ فِي الْأَرْضِ - عَلَى غَيْرِ هُدًى - مُتَحَوِّلاً مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؛ إِلَهُهُ هَوَاهُ: فَلَا يَعْرِفُ لَهُ رَبًّا، وَلَا يَسْتَقِيمُ عَلَى حَالٍ! وَتَرَاهُ مُهَانًا ذَلِيلًا ﴿١٣﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٤﴾ (الحج).

\* \* \*

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴾ ﴿١٤﴾ (ال عمران)، أي:

إِنَّ الْاِخْتِبَارَ الْأَسَاسِيَّ - فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - إِنَّمَا هُوَ فِي تَزْيِينِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَزُخْرُفِهَا؛ وَمَا فَعَلَ الْإِضْلَالُ وَالْعَوَايِةَ الشَّيْطَانِيَّةَ إِلَّا تَفْوِيَّةً لِحِمَاكِ الشَّهْوَةِ، وَغَلَبَتِهَا عَلَى الْقُلُوبِ! ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾ ﴿٣٧﴾ وَعَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ (ال نازعات)، أي: فَمَنْ أَقْبَلَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَخْلَدَ إِلَى أَحْضَانِهَا - فَوَقَعَ فِي شَوْكَتِهَا، وَقُوَّتِهَا - فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ بِأَنْ هَوَى بِهَا سَاقِطًا فِي هَاوِيَةِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ الَّتِي لَا قَرَارَ لَهَا! وَكَانَتْ جَهَنَّمَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - لَهُ مَابَأْ! ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَقَابِ ﴾ ﴿٤١﴾ جَنَدَتِ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٤٥﴾ (ص)، أي: إِنَّ الْمُقَرَّبِينَ لَيَسُؤُوا إِلَّا أَوْلِيكَ الْفَائِزُونَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، وَإِنَّ كُلَّ مَنْ سِوَاهُمْ قَدْ كَانُوا مِنَ الْمُبْعَدِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُونَهَا، وَمَا هُمْ مِنْهَا بِخَارِجِينَ، أَبَدًا.

\* \* \*

﴿ كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُخْتِئْتُ قُلُوبَنَا إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ (الأنعام)، أي:

فَمَا بَالُ ذَلِكَ الْغَافِلِ الْمَسْعُورِ اللَّاهِثِ جَرِيًّا وَرَاءَ الدُّنْيَا؟!

أَمَا عِلْمُ ذَلِكَ الْمِسْكِينِ أَنَّ الْحَيَاةَ لَحَطَّاتٌ مَعْدُودَاتٌ؟! ( أَلَا وَهِيَ، مَا يُسَمَّى بِزَمَنِ الْوَعْيِ الْحَاضِرِ، وَيُسَاوِي: مِنْهُ ضِعْفٌ، مِنْ زَمَنِ الْاسْتِجَابَةِ لِأَيِّ مُؤَثِّرٍ خَارِجِيٍّ. )

بَلَى، إِنَّمَا هِيَ ثَوَانٍ ثَلَاثٌ، تَتَجَدَّدُ بِاسْتِمْرَارٍ بَيْنَ وَهْمَيْنِ انْتَيْنِ:

- إِمَّا ذِكْرِيَّاتٍ لَنْ تَعُودَ، أَبَدًا!

- أَوْ أَحْلَامٍ رُبَّمَا لَا تَتَحَقَّقُ!

كَلَّا، بَلْ لَنْ يَمْلِكَ ذَلِكَ اللَّاهِثُ الْمِسْكِينُ حَتَّىٰ وَلَوْ شَهِيقًا، بَعْدَ زَفِيرٍ إِذْ قَدْ خَرَجَ مِنْ صَدْرِهِ التَّعَبُ: جَرِيًّا وَرَاءَ مَا لَدَىٰ وَطَبَّ أَوْ خَبُثَ مِنَ الرَّغَائِبِ وَالشَّهَوَاتِ! إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ، لِذَلِكَ:

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْعَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ (النساء) .

\* \* \*

﴿ أُهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف)، أي:

وَهَبْ مَثَلًا أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي قَاعَةِ امْتِحَانٍ - وَفِي وَقْتٍ وَاحِدٍ - فِتْنَانٍ مِنَ الطُّلَابِ: إِحْدَاهُمَا فِي الطَّبِّ البَشْرِيِّ، وَالأُخْرَى فِي الحُقُوقِ.

فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَتَبَادَلَ طَالِبٌ - مِنْ فِنَةِ الطَّبِّ البَشْرِيِّ - وَرَقَّةَ الأَسْنَلَةِ، مَعَ زَمِيلِهِ الأَخْر - مِنْ فِنَةِ الحُقُوقِ - أَوْ بِالعَكْسِ؟! ( وَذَلِكَ مَعَ حِفْظِ المَنْزِلَةِ العِلْمِيَّةِ لِكُلِّ مِنْهُمَا، أَوْ لغيرِهِمَا. )

لَا رَيْبَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُعْقَلُ، أَبَدًا! لِأَنَّ النَتِيجَةَ الحَثْمِيَّةَ هِيَ حُصُولُ كِلَا الطَّالِبِينَ عَلَى العَلَامَةِ الصَّفْرِيَّةِ، أَي: رُسُوبُ كُلِّ مِنْهُمَا فِي الامْتِحَانِ!

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (الزخرف)، أي:

فَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ - أَنَّكَ أَنْتَ وَغَيْرُكَ عِنْدَ اللّهِ مِنَ العِبَادِ؛ فَكُنْ صَالِحًا، لَا فَاسِدًا طَالِحًا لَا خَيْرَ لَكَ - وَلَا لغيرِكَ - فِيكَ!

بَلْ مَنْ أَنْتَ - يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ المَخْلُوقُ: ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ (السجدة) - لِتَفْعَلَ لِنَفْسِكَ أَوْ لغيرِكَ إِلاَّ بِمَا قَدْ آتَاكَ اللّهُ سُبْحَانَهُ، أَوْ عِلْمَكَ إِيَّاهُ؟! ﴿ ذَلِكُمْ اللّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الانعام)، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ!؟



أَلَا ﴿ فَلَينظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ ﴾ (الطارق) ، أَي: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ - وَهُوَ: ظَهْرُهُ مِنَ الْكَاهِلِ، أَي: مَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ إِلَى الْعِجْزِ، أَي: أَسْفَلَ الظَّهْرِ - وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ - وَهِيَ: عِظَامُ الصَّدْرِ عَلَى جَانِبِي مَوْضِعِ الْفِلَادَةِ - فَلَا تَشْطُطُ فَرَحًا فِي الْأَرْضِ - بغيرِ الْحَقِّ - فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ!

فَوَرَبِّكَ - رَبِّ الْعِزَّةِ جَمِيعًا - مَا أَنْتَ بِأَرْفَعَ مِنْ غَيْرِكَ دَرَجَةً وَلَا مَنْزَلَةً - فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ - إِلَّا بِمَا قَدْ كَانَ لَكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ (يونس) .

\* \* \*

وَخِتَامًا:

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ﴿٦١﴾ (الحديد) ، أَي:

فَلَا تَغْرَنَّكُمْ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا! وَلَا يَغْرَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ!

ذَلِكَ بِأَنَّ مَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، إِنَّمَا هُوَ - بِإِلَاحِ رَبِّ - ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ، أَلَا ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُتَنَفِّسُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ (المطففين) .

● ● ●

## بَحْثٌ فِي: (إِلَى أَيْنَ الْمَسِيرِ؟)

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٣٥) (الأنبياء)، أي:

وَتَشْهَدُ كُلُّ نَفْسٍ لِحُظَّةِ خُرُوجِ الرُّوحِ مِنَ الجَسَدِ إِلَى بَارِيهَا؛ وَبِذَلِكَ يَنْتَهِي  
الامْتِحَانُ، وَيَسْنَدُ السَّتَارُ - بِلا رَجْعَةٍ - عَلَى كُلِّ مَشَاهِدِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا!

وَيَوْمئِذٍ، تُفَارِقُ النَفْسُ دَارَ الامْتِحَانِ حَامِلَةً مَعَهَا مَا كَسَبَتْ مِنَ الحَسَنَاتِ،  
وَمَا اكْتَسَبَتْ مِنَ السَّيِّئَاتِ - بِانْتِظَارِ الحِسَابِ - تَارِكَةً وَرَاءَهَا جَسَدًا تُرَابًا:  
﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٣٠) (المؤمنون)، أي:

وَمِنْ وَرَائِهِمْ حَاجِزٌ مَانِعٌ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الحَيَاةِ الدُّنْيَا - بَعْدَ إِذْ جَاءَهُمُ المَوْتُ،  
وَصَارَ الجَسَدُ تُرَابًا - وَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيُبْعَثَ اللهُ مَنْ فِي القُبُورِ.

وَالْبَرْزَخُ هُوَ: الحَاجِزُ المَانِعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، أَوِ الأَمْرَيْنِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ البَحْرَيْنِ  
هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٥٣) (الفرقان).

\* \* \*

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ  
ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (١٨) (الزمر)، أي: فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ مِنْ  
أَجْدَانِهِمْ سِرَاعًا: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ (٤٥) (يونس).

وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ حَوْلَهُمْ حَيَارَى فَرِعِينَ! حَقًّا، إِنَّهُمْ لَيْسُوا فِي قُبُورِهِمْ!  
وَلَيْسُوا فِي أَرْضِهِمْ! وَلَا حَتَّى تَحْتَ سَمَائِهِمُ الدُّنْيَا! وَإِنَّمَا هُمْ مُنْشَرُونَ  
بَارِزُونَ أَمَامَ الوَاحِدِ القَهَّارِ سُبْحَانَهُ.

أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ وَعَدُّ اللَّهِ الْحَقُّ: ﴿٤٨﴾ (إبراهيم) - وَيَوْمَئِذٍ - مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ!

حَقًّا، إِنَّمَا هِيَ الْفُؤَادَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْقَادِرَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَبِالْكِفَايَةِ الَّتِي يَشَاءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَيُرِيدُ: ﴿٤٩﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (المائدة).

فَلَا تَسْأَلُ يَا أَيُّهَا السَّائِلُ الْحِيرَانَ فِي أَمْرِهَا: كَيْفَ؟!

بَلَىٰ وَرَبِّي، إِنَّ ذَٰلِكَ لَسَوْفَ يَكُونُ يَقِينًا: ﴿٥١﴾ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٥٢﴾ (الأنبياء).

\* \* \*

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٥٣﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٥٥﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٥٧﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَٰحِمٍ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٦٠﴾﴾ (الواقعة).

وَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا هُوَ يَوْمٌ عَقِيمٌ؛ فَلَا يَوْمَ بَعْدَهُ، أَبَدًا! ذَٰلِكَ بِأَنَّ الْأَعْمَالَ قَدْ انْقَضَى زَمَانُهَا، وَقَامَ الْحِسَابُ: ﴿٦١﴾ ثُمَّ تُوفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (البقرة).

أَلَا وَكَيْفَ يُظْلَمُونَ؟ وَلَقَدْ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (آل عمران): فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ خَلْفِهِ بِالْعَدْلِ؛ فَلَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (آل عمران).

لِذَلِكَ، فَالْعَافِلُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي:

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ (لقمان).

\*\*\*

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٧٠﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأنبياء)

﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُاْ ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٧١﴾ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الصفات)، لِذَلِكَ: لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحَقِّ مِنْ لَدُنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ، حَمَلُوا الْأَحْقَادَ وَالضَّغَائِنَ فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْهِ ﷺ، فَلَمْ يُخَفَوْهَا.

فَكَيْفَ يَنْتَفِتُونَ عَمَّا وَجَدُوا عَلَيْهِ ءَابَاءَهُمْ مِنَ الضَّلَالِ، إِلَى الْهُدَى؟!

بَلْ، وَأَنْى لِدَلِكِ الَّذِى قَدِ ارْتَاَحَ إِلَى الْأَرْضِ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهَا؛ فَاتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ،  
وَتَمَادَى فِي الضَّلَالِ فَعَاشَ رَعْدًا كَالْبَهَائِمِ - يَرْتَعُ رَتْعًا مِنْ خِصْبٍ إِلَى خِصْبٍ -  
أَنْ يَسْتَفِيقَ مِنْ مَلَذَاتِ الْجَسَدِ وَحَاجَاتِ الْحَيَوَانِ، وَيُجِيبَ دَاعِيَ اللَّهِ!؟

وَإِنَّمَا الْجَوَابُ الْحَقُّ، هُوَ:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا  
وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ  
بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الأعراف)، أي: أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ  
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ! ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴿ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ  
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (البقرة).

أَفَلَا يَتَّقُونَ وَمِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمَ الَّتِي كُنَّا يُوْعَدُونَ، وَقَدْ فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَهِيَ  
تَتَرَبَّصُ بِهِمْ؟! أَمْ أَنَّهُمْ فِي الْمَلَذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ هُمْ غَارِقُونَ، فَلَا يُسْتَفْقِدُونَ  
مِنْهَا، أَبَدًا؟! فَذَرَهُمْ فِي غَطِيطِ غَفْلَتِهِمْ يَعْطُونَ، فَلَا يَفْرَعُونَ!

بَلْ، ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الحجر)  
أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا، وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِ اللَّهِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ سُبْحَانَهُ!



﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ (الكهف)، أي:

فَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - أَنَّ الشَّقِيَّ لَيْسَ إِلَّا ذَلِكَ الْمَحْرُومُ مِنْ رَحْمَةِ  
أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ سُبْحَانَهُ، يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ  
وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرْبًا﴾ ﴿٤٥﴾ (النبا).

فَلَا شِقَاءَ أَكْبَرَ مِنْ شِقَاءِ يَوْمِنِذٍ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ!

ذَلِكَ، وَ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ (الأعراف)، أَي: الْعَابِدِينَ  
الْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ، الَّذِينَ لَا يُشْرِكُونَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمُ الْبِرَّ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ أَحَدًا؛  
وَأَوْلَانِكَ هُمْ أَصْحَابُ الْبُشْرَى: ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ ﴿٥٧﴾ (الأنبياء).

وَأَوْلَانِكَ هُمْ - بِلَا رَيْبٍ - الَّذِينَ: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ  
هَذَا يَوْمَكُمْ أَلَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ (الأنبياء).

فِيَوْمِنِذٍ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ - وَقَدْ أَشْرَقَتْ بِنُورِ رَبِّهَا، ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ -  
نَضْرَةَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ  
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٥٩﴾ (المائدة).



﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ (السجدة)، أَي:

- مَا الْخُلُودُ فِي نَعِيمِ جَنَّاتِ عَدْنٍ، إِلَّا: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً  
حِسَابًا﴾ ﴿٦١﴾ (النبا)، لِمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا.

- أَوْ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ - إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ - إِلَّا: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ ﴿٦٢﴾ (النبا)،  
لِمَنْ كَانَ فَاسِقًا.

وَلَيْسَ - أَبَدًا - كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (١٧٢٠٧):

" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي. "؟! ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (يونس).

لِذَلِكَ، فَإِنَّهُ: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨١﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النمل)؟

﴿ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (يونس)

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (يونس)



﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ بَلْ قَالُوا أَضَعَتْ أَحْلَمُ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٧﴾ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الأنبياء)

﴿ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنبياء):

وَأَنَّ ( سَمِيعٌ ) : مِنْ سَمِعَ، وَ( عَلِيمٌ ) : مِنْ عَلِمَ، هُمَا صِفَتَانِ مُشَبَّهَتَانِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ؛ وَلَا تُصَاغُ الصِّفَةُ الْمُشَبَّهَةُ - قِيَاسًا عَلَى وَزْنِ ( فَعِيلٍ ) - إِلَّا مِنْ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ لَازِمٍ وَمَضْمُومٍ الْعَيْنِ، مِثْلُ: ظَرِيفٍ مِنْ ظَرْفٍ.

أَمَّا مِنَ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمُتَعَدِّيِّ فَمَقْصُورٌ عَلَى السَّمَاعِ، وَمِثَالُهَا: رَحِيمٌ وَحَفِيزٌ، أَي: نِسْبَةُ الرَّحْمَةِ أَوْ الْحَفِظِ إِلَى الْمَوْصُوفِ بِدُونِ اعْتِبَارِ الزَّمَانِ.

وَتَتَمَيَّزُ الصِّفَةُ الْمُشَبَّهَةُ - عَنِ اسْمِ الْفَاعِلِ - بِاسْتِحْسَانِ جَرِّ فَاعِلِهَا، وَذَلِكَ بِإِضَافَتِهَا إِلَيْهِ، مِثْلُ: سَمِيعِ الدُّعَاءِ، أَي: مُجِيبِ الدُّعَاءِ.

﴿ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، أَي: يَنْبَغِي عَدَمَ عُمُقِ النَّظَرِ اللَّغْوِيِّ فِيهَا، أَبَدًا! وَإِنَّمَا الْعِنَايَةُ بِتَقْرِيبِ الْمَعْنَى إِلَى الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ، وَخَيْرُ الْكَلَامِ فِيهَا مَا قُلَّ وَذَلَّ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى) سُبْحَانَهُ.

وَأَمَّا ( الْعَالِمُ ) فَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُضَافَةً، مِثْلُ: عَالِمِ الْغَيْبِ؛ إِذْ أَنَّهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ، تَحْدِيدًا: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى اللَّهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا! أَي: إِنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ الْإِيجَازَ فِي الْقَوْلِ.



وَكَذَلِكَ، فَإِنَّهُ حِينَ يَكُونُ الْكَلَامُ عَلَى اللَّهِ بِصِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ، فَإِنَّمَا يُلْزَمُ لُزُومًا  
أَنْ يُسَبِّقَ ذَلِكَ التَّأْوِيلُ بِحَرْفِ تَفْسِيرِيٍّ - أَوْ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ - حَتَّى لَا يَشْطَطَ  
أَحَدُهُمْ بِالْقَوْلِ؛ فَيُخْرِجُ الْكَلَامَ عَلَى اللَّهِ بِصِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ، وَبِالْفَافِظِ عَلَى صُورَةِ  
مِنِ التَّأْلِيفِ مَخْصُوصَةٍ بِهِ!



﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ (١) ﴿ (الأنعام)، أي:  
فَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْخَالِدِينَ - إِلَى مَا شَاءَ سُبْحَانَهُ -  
فَتَمَثَّلُوا لِلنَّاسِ جِسْدًا لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ - لِأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ - بَل:

- كَانُوا رَجَالًا يُوحَى إِلَيْهِمْ.

- وَكَانُوا ﴿ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٢) ﴿ (الفرقان).

- وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ.



﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣) ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا  
إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤) ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً  
وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (٥) ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ (٦) ﴿  
لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ (٧) ﴿  
قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (٨) ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ  
حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴾ (٩) ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَلْعِبِينَ ﴾ (١٠) ﴿ (الأنبياء)

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب) ، أي:

حِينَ انْتَمَنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَمْ يَحْمِلْنَ جَمِيعًا تِلْكَ الْأَمَانَةَ - أَلَا وَهِيَ التَّخْيِيرُ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ - وَإِنَّمَا أَدَيْنَهَا بِالطَّاعَةِ وَالْخُضُوعِ الْمُطْلَقِ لِمَشِيئَةِ خَالِقِهِنَّ - فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، بَلْ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ جَدًّا - وَذَلِكَ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ تَدُومَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ عَلَى حَالِهِنَّ.

﴿ وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ (الأحزاب) ، أي: اخْتَارَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ طَاعَةَ التَّسْيِيرِ - بَدَلًا مِنَ التَّخْيِيرِ - خَوْفًا وَحَذَرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ إِنَّمَا هُمَا مُسَيَّرَتَانِ لَا إِرَادَةَ لَهُمَا، وَهُمَا طَائِعَتَانِ لَا خِيَارَ لَهُمَا؛ فَلَا ثَوَابَ عَلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ عِبَادَتُهُمَا - وَمَنْ فِيهِنَّ، مِمَّا شَاءَ سُبْحَانَهُ مِنَ الْخَلْقِ - وَذَلِكَ مِنْ طَاعَةٍ وَخُضُوعٍ مُطْلَقٍ، أَوْ تَسْبِيحٍ وَسُجُودٍ لَخَالِقِهِنَّ سُبْحَانَهُ.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء) .



وَلَقَدْ هَيَّا اللَّهُ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ لِحَمْلِ الْأَمَانَةِ - أي: طَاعَةِ الْإِرَادَةِ، وَالْمَشِيئَةِ - بَأَنَّ بَيِّنَ لَهُ سُبْحَانَهُ طَرِيقًا الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، أي: إِمَّا السَّعَادَةَ، وَإِمَّا الشَّقَاءَ.

﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ (الأحزاب) طَوْعًا، وَطَمَعًا بِالْفَوْزِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَثَوَابِ الْآخِرَةِ، فَكَانَ إِمَّا مِنْ أَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ، أَوْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَشْأَمَةِ، أي:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾  
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الكهف)، أي:

لَقَدْ آدَى الْأَمَانَةَ - حَقًّا - كُلُّ امْرِئٍ:

- أَخْلَصَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ سُبْحَانَهُ شَيْئًا.

- وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى.

- وَكَانَ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْإِنْقِطَاعِ عَنِ مَعَاصِيهِ.

وَإِنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابًا فِي الدُّنْيَا، وَجَنَّاتٍ نَعِيمٍ مُقِيمٍ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾  
ثَانِي عِظْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ طٌ وَنُذِيقُهُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ (الحج)، أي: لَقَدْ ضَيَّعَ الْأَمَانَةَ وَفَرَطَ بِهَا، وَحَقُّ  
عَلَيْهِ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ: ﴿ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب)، كُلُّ امْرِئٍ:

- تَمَادَى فِي ظُلْمِ نَفْسِهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا؛ فَكَذَّبَ وَعَصَى، تَارِكًا  
كُلَّ طَاعَةٍ عَلَى عَمْدٍ وَبَصِيرَةٍ.

- وَتَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ؛ فَارْتَكَبَ الدُّنُوبَ، وَاکْتَسَبَ الْإِثَامَ، وَأَتَى  
الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

وَإِنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ جَزَاءً وَفَاقًا، أَي: عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،  
وَجَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا فِي الْآخِرَةِ.



﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٦﴾ ﴾ (النازعات) ، أَي: الْقِيَامَةُ، وَإِنَّمَا هِيَ: ﴿ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾؛ إِذْ أَنَّهُ تَطَّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَتَغْلِبُ مَا سِوَاهَا.

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَعَآثِرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ ﴾ (النازعات) .



﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّآتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأنبياء)

وَالْتَمَثِيلُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، هُوَ: أَنْ يُرْمَى بِالشَّيْءِ الصَّلبِ الْقَوِيِّ، عَلَى الشَّيْءِ الرَّخْوِ الضَّعِيفِ - مِنْ فَوْقٍ - فَيَدْمَعُهُ، أَي: يَهْلِكُهُ.

وَمَعْنَى ﴿ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ ﴿١٨﴾ (الأنبياء) ، هُوَ: أَنْ تَأْخُذَ قُوَّةُ الْحَقِّ ضَعْفَ الْبَاطِلِ - مِنْ فَوْقٍ - فَإِذَا كُلُّ الَّذِي قَدْ افْتَرَيْتُمْ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ - مِنَ الْكُذْبِ - إِنَّمَا هُوَ زَاهِقٌ، أَي: بَاطِلٌ ذَاهِبٌ.

﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ (الأنبياء) !



﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١١﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿١٣﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٤﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأنبياء)

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنبياء)، أي:

- إِنَّ كُلَّ الَّذِي قَدْ اتَّخَذَهُ أَوْلِيكَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ، مَا هُمْ إِلَّا مَخْلُوقَاتٌ لِلَّهِ، أَوْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ طِينِ الْأَرْضِ.

- إِنَّ الْإِشْرَاقَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّمَا هُوَ مَحْصُورٌ فِي الْأَرْضِ، لَا فِي السَّمَاءِ.

فَاسْأَلْ أَوْلِيكَ الضَّالِّينَ، هَلْ تُحْيِي آلِهَتُهُمُ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟!

لَا، بَلْ ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ (يس).



﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأنبياء)، أي: فَلَا وُجُودَ لِلْإِلَهَةِ،

وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى) سُبْحَانَهُ؛

ذَلِكَ بِأَنَّ:

- (إِلَّا) جَاءَتْ حَرْفًا، أَي: ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأنبياء) إِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ،

يُوصَفُ بِهَا جَمْعُ نَكْرَةٍ غَيْرِ مُعَرَّفٍ، وَهُوَ ﴿ ءَالِهَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأنبياء).

- وَأَنَّ الْاِحْتِيَاجَ إِلَى الْآخِرِ وَالنَّقْصَ، لَيْسَا مِنْ صِفَاتِ الْأُلُوْهِيَّةِ.



﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (الأنبياء) : فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ،  
لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.

وَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - أَنَّ الْأَرْضَ دَارُ امْتِحَانٍ:  
- فَاِمَّا الْفَوْزُ؛ فَالِنَّجَاةُ.

- وَإِمَّا الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ؛ فَالْهَلَاكُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ!

أَي: إِنَّ الْمُتَمَحِّنَ إِنَّمَا يَبْقَى - فِي قَاعَةِ الْامْتِحَانِ - طَالِبًا: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ  
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الطَّالِبَ الْفَطِنَ إِنَّمَا يُجِيبُ عَلَى مَا جَاءَ فِي وَرَقَةِ الْأَسْئَلَةِ - تَحْدِيدًا،  
وَبِلَا مُهْلَةٍ - وَذَلِكَ قَبْلَ انْقِطَاعِ الْعَمَلِ، بِانْقِضَاءِ الْأَجْلِ!



﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِالِهَةً ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۗ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ  
وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۗ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٤٤) وَمَا أَرْسَلْنَا  
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء)

فاَعْلَمْ، يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ:

- أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي قَدْ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا عَنْ عَدَمٍ.

- وَأَنَّ كُلَّ مَا خَلَا اللَّهُ - إِنَّمَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، لِيَصِيرَ مَوْجُودًا.

أَي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿ أَلَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا  
مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا  
وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ (الفرقان).



﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ  
وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ  
إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ  
مِنْ دُونِهِ فَذَلِكْ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾ (الانبیاء)

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿٧٥﴾ (الزمر):

فَالْمَلَائِكَةُ مَا هُمْ إِلَّا عِبَادٌ لِلَّهِ مُكْرَمُونَ:

- فَلَا يَسْتَكْبِرُونَ، فَيَرُونَ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ.

- وَلَا يَسْتَكْفُونَ - أَي: لَا يَعْدُلُونَ عَنْ عُبُودِيَّتِهِمْ لِلَّهِ؛ فَيَمِيلُونَ إِلَى غَيْرِهِ  
وَيَخْرُجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ سَبْحَانَهُ - كَمَا يَفْعَلُ كُلُّ أَوْلِيكَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ!

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٥﴾ (النحل).



﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ<sup>ط</sup>  
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنبياء)

بَحْثٌ فِي ( هَذَا خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ):

﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ وَاً أَنْدَادًا ۗ<sup>ع</sup>  
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ﴾ (فصلت)، أي:

إِنَّ الْخَلَقَ الْعَلِيمَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْأَرْضَ - فِي يَوْمَيْنِ - ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ  
مِنْ فَوْقِهَا ﴿١﴾ ﴾ (فصلت)، أي: أَرَسَاهَا بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ - مِنْ فَوْقِهَا - ﴿ أَنْ تَمِيدَ  
بِكُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ (النحل)، أي: لِنَلَّا تَضْطَرِبَ؛ فَتَتَحَرَّكَ بِمَا عَلَيْهَا.

﴿ وَبَرَكْنَا فِيهَا وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (فصلت)، أي:  
إِنَّ خَلَقَ الْأَرْضَ - وَمَا بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ - وَتَقْدِيرَ أَرْزَاقِهَا فِيهَا؛  
إِنَّمَا قَدْ كَانَ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ - تَمَامًا - مِنْ أَيَّامِ الْخَلَقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ، فَلَا نُقْصَانُ  
وَلَا زِيَادَةٌ، فَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا السَّائِلُ - عَنْ ذَلِكَ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ  
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأعراف).

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا  
قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (فصلت)، أي:

فَأَتَتْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ طَوْعًا لِأَمْرِ خَالِقِهَا سُبْحَانَهُ، لَا كَرْهًا: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ  
سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴿١٢﴾ ﴾ (فصلت)، أي: اكْتَمَلَ خَلْقُ سَبْعِ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا فِي يَوْمَيْنِ:  
﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (فصلت).



﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ﴾ ﴿١٣﴾ (فصلت)،  
 أَي: وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ الْأَرْضَ فِي فَلَكَهَا؛ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، وَالْأَجْرَامَ  
 السَّمَاوِيَّةَ: مِنْ كَوَاكِبَ، وَنُجُومٍ، وَغَيْرِهَا؛ لِنَسَبِجِ دَائِرَةٍ فِي أَفْلَاكِهَا - مَعَ  
 الْأَرْضِ - دَاخِلَ تِلْكَ الْآلَةِ الْكَوْنِيَّةِ الَّتِي لَا تُدْرِكُهَا الْعُقُولُ، وَلَا الْأَبْصَارُ - مِنْ  
 عَظْمَةِ اتِّسَاعِهَا وَتَرَامِي أَطْرَافِهَا! - وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ سَقْفِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا:  
 ﴿ كُلُّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ (الأنبياء) .

\* \* \*

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ  
 عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ  
 مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ ﴿٥٤﴾ (الأعراف)، أَي: فَكَانَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا  
 - عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ وَالصُّورَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا وَقَدَّرَهَا الْخَلْقُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ -  
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، مِنْ أَيَّامِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ  
 رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ (الأعراف) .

● ● ●

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ  
 مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ  
 وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ (السجدة)، أَي:

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، أَنْ خَلَقْنَا جَمِيعًا بِيَدَيْهِ سُبْحَانَهُ أَنْسَاءً أَسْوِيَاءً،  
 لَا قِرْدَةً خَاسِنِينَ مِنْ سُلَالَةِ دَارِوِينَ!

وَكَرَّمَنَا - كَذَلِكَ - بَأَنْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَهُ فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْنَا فِيهَا، وَفَضَّلْنَا  
عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ!

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ (البقرة)، أي:

إِنَّ كُلَّ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ إِنَّمَا مُسَخَّرٌ مِنْ أَجْلِكَ - أَنْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ -  
يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي أَرْضِ اللَّهِ:

﴿أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۗ﴾ (فصلت)؟

لَذَلِكَ يَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا وَجُوبًا، الاعْتِرَافُ بِشَجَرَةِ الْعَائِلَةِ لِأَوْلَادِكَ الْبَشَرِ الْقَرْدَةِ،  
الَّذِينَ يَزْعَمُونَ - بَاطِلًا - بَأَنَّ الْحَيَاةَ فِي الْأَرْضِ قَدْ تَطَوَّرَتْ مِنَ الْخَلِيَةِ الْأُولَى  
إِلَى أَنْ أَصْبَحَتْ إِنْسَانًا - أَسْلَافُهُ فِي التَّطَوُّرِ مِنَ الْقَرْدَةِ - ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَوْفِيَاءُ  
لَأَجْدَادِهِمُ الْقَرْدَةِ الْخَاسِنِينَ، وَمِنَ الْمَعِيبِ وَالشَّائِنِ فِي حَقِّ أَوْلَادِكَ أَنْ يَتَنَكَّرُوا  
لَأَسْلَافِهِمْ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ! بَلْ، وَهَنِينًا لَهُمْ بِأَصُولِهِمْ ( الْبِهَانِمِيَّةِ )،  
وَعُقُولِهِمُ الْمُسْتَفْرِدَةِ الصَّمَاءِ، وَقُلُوبِهِمُ الشَّيْطَانِيَّةِ الْعَمِيَاءِ!

فَاعْلَمْ، أَنَّ كُلَّ حَيٍّ لَا يُمَيِّزُ أَصْلَهُ - فَلَا يَتَّخِذُ إِلَى اللَّهِ طَرِيقًا بَعِيدًا عَنْ شَيْطَانِ  
الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَضَلَالَاتِهِمْ - فَهُوَ بِهِمَّةٌ مِنْ بَهَائِمِ الْأَنْعَامِ، لَا، بَلْ أَضَلُّ سَبِيلًا!



﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُ  
الْمُضِلِّينَ عَضْدًا ۗ﴾ (العنكب)، أي:

فَلَا تَقْوِي وَلَا اسْتِعَانَةَ بَارَاءٍ وَنَظَرِيَّاتِ الْمُضِلِّينَ، وَلَا بِكُلِّ شَطْحَاتِهِمُ الْفُلْسُفِيَّةِ  
وَبَهْلَوَانِيَّاتِهِمُ الْعَلْمِيَّةِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ:

بَلَىٰ وَرَبِّي، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر) ﴿ ٧٨ ﴾ الْعَالَمُونَ  
بِمَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ أَسْرَارِ الْوُجُودِ، وَأَسْرَارِ الْخَلْقِ.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ (ص)، أي:

فَمَا بَالُ أَوْلَيْكَ الْجَهَالِ الْعَلَمِيِّينَ؟! لا، بل كَيْفَ يُجَادِلُونَ بِعِلْمِهِمُ الْحَقِيرِ؛  
فَيَنْتَصِبُونَ قَانِمِينَ بِقَامَتِهِمُ الْهَزِيلَةَ، أَمَامَ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ؟!!

إِي، وَرَبِّي: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج) ﴿ ٧٤ ﴾

بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ، أَنَّى يَكُونُ لَهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوا بِجَهَالَتِهِمْ، وَيَتَمَادُوا فِي غِيهِمْ  
وَفَسَادِهِمُ الْعَلَمِيِّ؟! وَهُمْ يَعْلَمُونَ يَقِينًا بِأَنَّهُمْ لَا، وَلَنْ يَعْلَمُوا شَيْئًا!

إِي، وَرَبِّي: ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (الزخرف) ﴿ ٦٤ ﴾



﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي  
صَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (نعمان)، أي:

كَيْفَ يُمَكِّنُ مَثَلًا - ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ (النحل) سُبْحَانَهُ - أَنْ يَصْنَعَ أَحَدَهُمْ  
آلَةً كَبِيرَةً: كَمَوْلِدِ كَهْرَبَائِي عَظِيمٍ، عَلَى سَدٍّ مِنَ السُّدُودِ الْمَانِيَةِ؛ فَيَصْمَمُ  
وَيُرَكِّبُ أَجْزَاءَهَا وَمَكُونَاتِهَا بِالشَّكْلِ الْمُنَاسِبِ - وَذَلِكَ لِتَحْقِيقِ الْغَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ  
مِنْ تِلْكَ الدُّمِيَةِ الصَّغِيرَةِ - فَتَسْجُدُ عُقُولُهُمْ جَمِيعًا لِذَلِكَ الْعَبْقَرِيِّ الْقَدِّ؟

بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَلْيَقُلْ لِي أَحَدُهُمْ كَيْفَ؟! وَيُرِيهِمُ الْخَلْقَ الْعَلِيمَ سُبْحَانَهُ آيَاتِهِ،  
فَيُنْكِرُونَهَا، وَيَقُولُونَ:

مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ! فَلَا صَانِعَ لَتِلْكَ الْآلَةِ الْكُونِيَّةِ، وَلَا غَايَةَ مِنْهَا؛ إِنَّ هِيَ  
إِلَّا الْمُصَادَفَةُ الْعَمِيَاءِ، أَوْ غَيْرُهَا مِنْ تَخَيَّلَاتِهِمْ، وَتَصَوُّرَاتِهِمُ الشَّيْطَانِيَّةِ.  
بَلْ يَحْكُونَ رُؤُوسَهُمُ الْجَرْبَى مِنَ الْجَهْلِ - حَكَآ - فَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا حُكَاكَاتُهُمْ  
الْفِكْرِيَّةُ، وَقَادُورَاتُهُمُ الْمُعْدِيَّةُ.

بَلَى، أَتَرَاهُمْ اتَّخَذُوا قَوَانِينَ الْاِحْتِمَالِ إِلَيْهَا مُدْبِرًا، وَالْمُصَادَفَةَ الْعَمِيَاءِ خَالِقًا  
- مِنْ دُونِ اللَّهِ - الْخَلْقَ الْعَلِيمَ سُبْحَانَهُ؟ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ!



﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ  
الْمُهْدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الذاريات)، أَي:

فَلَمَّاذَا يَزْعُمُ أَوْلَيْكَ الْمُضِلُّونَ بِأَنَّ الْأَرْضَ تَابِعٌ ضَنْيِلٌ لِلشَّمْسِ، وَيَتَشَدَّقُونَ  
بِأَنَّهَا انْفَصَلَتْ عَنْهَا - فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَغَابِرِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ - وَذَلِكَ لِمَجْرَدِ  
دَوْرَانِهَا حَوْلَ الشَّمْسِ مَعَ أَقْرَانِهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ الْأُخْرَى، وَالَّتِي لَمْ تَكُنْ جَمِيعًا  
إِلَّا حِفْظًا لَهَا لِنَلَّاتِ تَقَعِ الْأَرْضُ عَلَى الشَّمْسِ!؟

لَا، بَلْ لِمَاذَا يُنْكِرُونَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْأَرْضَ - وَسَخَّرَ الشَّمْسَ،  
وَالْقَمَرَ، وَالنُّجُومَ بِأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ - لِتَكُونَ الْأَرْضُ هِيَ مَرْكَزُ الْكَوْنِ، فَيَدُورُ  
- ظَاهِرِيًّا - حَوْلَهَا كُلُّ جَرْمٍ سَمَاوِيٍّ: مِنْ شَمْسٍ، وَقَمَرٍ، وَنُجُومٍ وَغَيْرِهَا؛  
وَذَلِكَ كَمَا يَرَاهَا الْبَصَرُ - كُلِّ لَحْظَةٍ - لَيْلًا وَنَهَارًا!؟



﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ (الكهف)، أي:

فَمَا بَالُ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَتَشَدَّقُونَ بِأَنَّ عُمَرَ الْكَوْنِ كَذَا، وَعِظَمَ اتِّسَاعِهِ كَذَا، وَالْبُعْدَ بَيْنَ نُجُومِهِ وَمَجْرَاتِهِ كَذَا، وَعُمَرَ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ كَذَا، وَعُمَرَ الْحَيَاةِ عَلَى الْأَرْضِ كَذَا، وَعُمَرَ الْإِنْسَانِ كَذَا - عُذْرًا - بَلْ عُمُرُ جَدِّهِمُ الْأَوَّلِ كَذَا، أَيْ: عُمُرُ الْإِنْسَانِ الْقِرْدِ أَوْ الْقِرْدِ الْإِنْسَانِ، لَا فَرْقَ! فَالْكُلُّ قِرْدٌ مُسْتَقَرَّدٌ مِنْ بَعْضِهِ بَعْضًا!

فَلَا تَسْمَعُ مِنْهُمْ إِلَّا كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ كَيْفَ عِلْمَ أَوْلِيكَ مَا زَعَمُوا بِأَنَّهُ كَذَا وَكَذَا! الْأَسَاءَ مَا عَلِمُوا إِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ! فاعلم:

- أَنَّ الزَّمَانَ نَاشِئٌ عَنِ الْحَرَكَةِ.

- وَأَنَّ الْحَرَكَةَ هِيَ الدَّلِيلُ الْوَحِيدُ عَلَى حَيَاةِ الْكَوْنِ.

- وَأَنَّهُ بِتَوْقُفِ حَرَكَةِ دَوْرَانِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ فِي أَفْلَاكِهَا؛ سَوْفَ تَكُونُ - بِلَا رَيْبٍ - نِهَايَةَ الْكَوْنِ الْحَالِيِّ:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴿٥٢﴾ ﴾ (القصص) سُبْحَانَهُ

لِذَلِكَ، فَلَا زَمَانَ قَبْلَ إِذْ فَطَرَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ - وَمَا بَيْنَهُمَا - ثُمَّ جَعَلَ فِي الْأَرْضِ حَلِيفَةً؛ وَلَا زَمَانَ بَعْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا خُلُودٌ، حِينَ يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأعراف).

وَكَذَلِكَ، فَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ - أَبَدًا - أَنْ يُقَدِّرَ عُمْرَ الْكَوْنِ، أَوْ عُمْرَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ مَجَرَّاتٍ أَوْ أَجْرَامٍ سَمَاوِيَّةٍ - مُجْتَمَعَةً - وَذَلِكَ بِإِجْرَاءِ الْقِيَاسَاتِ الضَّوئِيَّةِ، أَوْ اسْتِخْدَامِ الْأَجْهَزَةِ الْبَصْرِيَّةِ، عَلَى اخْتِلَافِهَا!

ذَلِكَ بِأَنَّ الضَّوْعَ إِنَّمَا قَدْ انْتَشَرَ آتِيًّا فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْكَوْنِ، حِينَ خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، أَلَا ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة).

\* \* \*

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (٦٧) ﴿الزمر﴾، فَاسْتَعَارَ سُبْحَانَهُ فِي كَلَامِهِ (الْيَمِينَ)؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْأَخْذَ وَالْقَبْضَ إِنَّمَا يَكُونُ بِهَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) ﴿الشورى﴾ سُبْحَانَهُ.

وَكَذَلِكَ، فَإِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَرْتَبِطُ بِمَفْهُومِ الزَّمَنِ، أَبَدًا!

وَإِنَّمَا هُوَ كِنَايَةٌ عَمَّا يَتَّصِفُ بِهِ - ذَلِكَ الْيَوْمُ - مِنَ الْبِدَايَةِ وَالنَّهَائَةِ، أَي: كِنَايَةٌ عَنِ الْعُبُورِ - بَعْدَ الْحِسَابِ - إِلَى دَارِ الْخُلُودِ:  
- فَأَمَّا جَهَنَّمُ مَثْوًى لِلْفَجَّارِ.

- أَوْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ كَانَتْ نُزُلًا لِلْأَبْرَارِ.

● ● ●

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٢) ﴿الأعراف﴾ وَلَيْسَ بِمَوْسُوعَةٍ عِلْمِيَّةٍ، أَبَدًا!؛

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٦) ﴿ال عمران﴾ إِلَّا مَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ، أَي: قَلِيلًا!

أَلَا فَلْيَعْلَمْ أَوْلَنِكَ الْجَهَّالُ - وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ ذَوِي الْبَصِيرَةِ الْعَمِيَاءِ - بِأَنَّ  
كِتَابَ اللَّهِ لَيْسَ بِمَوْسُوعَةٍ عِلْمِيَّةٍ، أَبَدًا!

وَإِنَّمَا هُوَ - حَقًّا - هُدًى إِلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ، وَالْفَوْزِ بِرِضْوَانِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُجْزَوْنَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ  
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (البقرة).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ نَهْجَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي الْأُمُورِ الْكُونِيَّةِ إِنَّمَا يَحُضُّ - حَقًّا - عَلَى  
النَّظَرَةِ الْعَقْلِيَّةِ الشَّامِلَةِ الْكَامِلَةِ، وَالتَّثَبُّتِ فِي عَظْمَةِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ؛  
وَذَلِكَ لِيَزِدَادَ الْإِنْسَانَ إِيمَانًا وَوُجُودًا إِلَى عِلْمِ الْيَقِينِ، أَي:

بِالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - وَمَا بَثَّ سُبْحَانَهُ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ -  
وَفِي خَلْقِكُمْ، أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟!

اللَّهُمَّ ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿١٦١﴾ (ال عمران)

أَمْ حَسِبَ أَوْلَنِكَ الْمُؤْتَمِنُونَ عَلَى دِينِ اللَّهِ، أَنَّ الْغَيْرَةَ عَلَى أَمَانَتِهِمْ لَا تَكُونُ  
إِلَّا بَوْضِعَ كِتَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ - الَّذِي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ﴿٤٤﴾ (فصت) - مَوْضِعَ الْمَقَارَنَةِ مَعَ مُشَاهَدَاتٍ، وَتَجَارِبٍ،  
وَأَبْحَاثٍ، وَنَظَرِيَّاتٍ ذَوِي الْعِلْمِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمُ الْمُتَعَلِّمِينَ؟!

أَلَا إِنَّ ذَلِكَ ظَنَّهُمْ بِمَا ظَنُّوا! ذَلِكَ بِأَنَّ الْفُرْآنَ الْعَظِيمَ لَا وَلْنَ يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ  
الْهُرَاءِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي لَا نِظَامَ لَهُ! أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَبْحَاثِ التَّخِيلِيَّةِ،  
أَوْ الْجَهَالَاتِ الْفِكْرِيَّةِ ( وَاحِدَتُهَا جَهَالَةٌ فِكْرِيَّةٌ، وَهِيَ: ثَمَرَةٌ تَعَبَ أَحَدِهِمْ، إِذَا بَحَثَ  
ضَالًّا عَنِ الْحَقِيقَةِ، فَاسْتَفْصَى، فَجَاءَ بِالْحَمَاقَةِ الْكُبْرَى! )

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (البروج)



﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ (الصف)، أي:

فَأَمَّا مَنْ أَرَادَ اللَّحَاقَ بِرُكْبِ الْعَابِثِينَ مِنْ ذَوِي الْعَاهَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، فَلْيُنْحَقْ بِهِمْ  
قَبْلَ فَوَاتِ رُكْبِهِمْ! ذَلِكَ بِأَنَّ لَدَيْهِمُ الْكَثِيرَ الْكَثِيرَ مِنَ الضَّلَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ،  
الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَسْخًا حَيَوَانِيًّا، نَهَايَتُهُ الْحَتْمِيَّةُ إِلَى الْهَلَاكِ  
فِي الدُّنْيَا، وَأَشَدُّ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ  
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الصف).

وَخَتَامًا:

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ  
وَعَائِيَتِهِ يَوْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (الجنات)!؟





﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ (الأنبياء)

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ (يونس)، أي: إِنَّ نُورَ الْقَمَرِ الْفِضِيَّ الْخَافِتِ، مَا هُوَ إِلَّا اِنْعِكَاسًا لِضِيَاءِ الشَّمْسِ السَّاقِطِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مِنْ صُخُورٍ - عَاكِسَةٍ لِلضَّوْءِ - لَا تَتَجَاوَزُ مَسَاحَتَهَا (١ %) مِنْ سَطْحِ الْقَمَرِ.

وَالْقَمَرُ تَابِعٌ لِلْأَرْضِ يَدُورُ حَوْلَهَا - مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ - حَيْثُ يَبْدَأُ ذَلِكَ الدَّوْرَانَ حَوْلَ الْأَرْضِ مَعَ بَدَايَةِ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَغْرُبَ الْقَمَرُ الْوَالِدُ فِي الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ، بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ - بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْغُرُوبَيْنِ أَقَلَّ مِنْ سَاعَةٍ - وَمِنْ ثَمَّ يَغْرُبُ الْقَمَرُ مُتَأَخِّرًا بِمِقْدَارِ ( ٥١ دَقِيقَةً وَ ٢٥ ثَانِيَةً ) عَنِ الْيَوْمِ السَّابِقِ، أَي: يَتَرَجَّعُ الْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ - مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ - بِمِقْدَارِ ( ١٣ دَرَجَةً ) تَقْرِيْبًا، أَي: بِمِقْدَارِ ( مَنْزِلَةً ) كُلَّ يَوْمٍ، مَثَلًا:

- يَكُونُ الْقَمَرُ الْوَالِدُ مَوْجُودًا فِي الْغَرْبِ، وَقَتَّ غُرُوبِ الشَّمْسِ.
- وَأَمَّا الْقَمَرُ فِي رُبْعِهِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مَوْجُودًا فِي كِبِدِ السَّمَاءِ وَقَتَّ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَيَغْرُبُ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ.
- وَأَمَّا الْقَمَرُ الْمُكْتَمِلُ بَدْرًا، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ مِنَ الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ وَقَتَّ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَيَغْرُبُ وَقَتَّ شُرُوقِهَا.

- وَأَمَّا الْقَمَرُ فِي الرُّبْعِ الثَّلَاثِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مَوْجُودًا فِي السَّمَاءِ وَقَتَّ غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ يُشْرِقُ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، وَيَغْرُبُ وَقَتَّ الظَّهِيرَةِ.

﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴿٥﴾ ﴾ (يونس)، أي:

إِنَّ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ لِلْقَمَرِ عَلَى هَيْئَةِ مَنَازِلٍ مُتَعَابِقَةٍ:

مِنْ قَمَرٍ وُلِيدٍ إِلَى الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ - ٧ أَيَّامٍ - فَلِأَحَدِ الْمُنْتَزِإِدِ إِلَى بَدْرِ مُكْتَمَلٍ - ١٤ يَوْمًا -  
فَلِأَحَدِ الْمُنْتَاقِصِ إِلَى الرَّبِيعِ الْأَخِيرِ - ٢١ يَوْمًا - إِلَى الْهَلَالِ الْأَخِيرِ - ٢٨ يَوْمًا -  
إِلَى مُحَاقٍ، إِلَى الْإِهْلَالِ تَارَةً أُخْرَى، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَطْوَارٍ مُتَبَايِنَةٍ.

إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَيْفِيَّةِ دَوْرَانِ الْقَمَرِ حَوْلَ الْأَرْضِ، وَدَوْرَانِهِمَا كَجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ  
حَوْلَ الشَّمْسِ؛ وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ - الدَّوْرَانِ الْمُتْرَاكِبِ - مِنْ انْقِشَاعٍ تَدْرِيجِيٍّ،  
يَلِيهِ حَجَبٌ تَدْرِيجِيٌّ لِضَوْءِ الشَّمْسِ السَّاقِطِ عَلَيْهِ.

وَذَلِكَ ابْتِدَاءً بِانْقِشَاعِ جُزْئِيٍّ يُنَاسِبُ الْقَمَرَ الْوَالِدَ - أَوَّلَ الشَّهْرِ - إِلَى انْقِشَاعِ  
كُلِّيٍّ حِينَ اكْتِمَالِ الْبَدْرِ - فِي وَسْطِ الشَّهْرِ - وَبِالْعَكْسِ، مِنْ حَجَبِ جُزْئِيٍّ  
إِلَى حَجَبِ كُلِّيٍّ حِينَ الْمُحَاقِ، آخِرَ الشَّهْرِ:

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ وَتَقْدِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ (الفرقان)

فَتَتَعَابَقُ أَطْوَارُ الْقَمَرِ - عَلَى مَرِّ أَيَّامِ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ - مُنْتَقِلًا مِنْ مَنْزِلِ قَمَرِيٍّ  
إِلَى آخَرَ، كُلُّ لَيْلَةٍ: ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (يس)، أي: كَمَا بَدَأَ  
هَلَالًا دَقِيقًا أَوَّلَ الشَّهْرِ.

لَتَعُودَ تِلْكَ الدَّوْرَةُ الْقَمَرِيَّةُ مِنْ جَدِيدٍ - شَهْرًا فَشَهْرًا - إِلَى اكْتِمَالِ  
السَّنَةِ الْقَمَرِيَّةِ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ  
يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (التوبة) إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ:

﴿ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴿٥﴾ ﴾ (يونس)

وَيَمْتَدُّ طُولُ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ لِمُدَّةٍ ( ٢٩ يَوْمًا وَ ١٢ سَاعَةً وَ ٤٤ دَقِيقَةً وَ ٣ ثَانِيَةً ) ،  
أَي: ( ٢٩,٥ يَوْمًا ) تَقْرِيبًا - وَهُوَ الزَّمَنُ الْفَاصِلُ بَيْنَ طَوْرَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ مِنْ  
أَطْوَارِ الْقَمَرِ، مَثَلًا: بَيْنَ اكْتِمَالَيْنِ مِنْ بَدْرِ إِلَى بَدْرِ - وَبِذَلِكَ تَكُونُ عِدَّةُ أَيَّامِ  
الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ: ( ٢٩ يَوْمًا ) تَارَةً، وَ ( ٣٠ يَوْمًا ) تَارَةً أُخْرَى.

وَأَمَّا عِدَّةُ أَيَّامِ السَّنَةِ الْقَمَرِيَّةِ فَهِيَ ( ٣٥٤ يَوْمًا ) ، أَي: أَقَلُّ بِأَحَدِ عَشَرَ يَوْمًا  
- تَقْرِيبًا - مِنْ عِدَّةِ أَيَّامِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ، وَهِيَ ( ٣٦٥ يَوْمًا ) .

أَي: تَتَرَاوَعُ بَدَايَةُ السَّنَةِ الْهَجْرِيَّةِ ( ١١ يَوْمًا ) تَقْرِيبًا كُلَّ سَنَةٍ، إِلَى أَنْ تَتَطَابَقَ  
مَعَ الْيَوْمِ الْمُوَافِقِ لَهَا مِنَ التَّقْوِيمِ الْمِيلَادِيِّ قَبْلَ ( ٣٣ سَنَةً ) تَقْرِيبًا،  
وَالَّتِي تُسَمَّى عِدَّتُهَا ( الدَّوْرَةُ الْفَلَكيَّةُ ) :

﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس)



وَالْمَحَاقُ: هُوَ ذَهَابُ نُورِ الْقَمَرِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَقَعَ مَرَازِئُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
وَالْأَرْضِ عَلَى اسْتِقَامَةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَحِينَئِذٍ، يَكُونُ الْقَمَرُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْأَرْضِ  
- وَهُوَ مَا يُسَمَّى فَلَكيًا: ( الْاِفْتِرَانِ ) - فَيَصِيرُ الْوَجْهُ الْمُقَابِلُ لِلْأَرْضِ مُظْلَمًا.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ:

- أَنْ وَفَّتِ الْاِفْتِرَانِ ثَابِتٌ لَا يَتَغَيَّرُ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَحْتَلِفُ مِنْ مَوْضِعٍ  
إِلَى آخَرَ عَلَى سَطْحِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ - فَهُوَ الْاِهْلَالُ.

- وَأَنَّ الْقَمَرَ فِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ، قَدْ يَغِيبُ  
قَبْلَ الشَّمْسِ، أَوْ مَعَهَا، أَوْ بَعْدَ غِيَابِهَا بِأَقَلِّ مِنْ سَاعَةٍ.

لِذَلِكَ لَا تَكُونُ رُؤْيَةُ الْهَلَالِ إِلَّا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ بِقَلِيلٍ، وَذَلِكَ لضعفِ نُورِهِ.

فَإِذَا كَانَتْ رُؤْيُهُ الْهِلَالَ فِي الْفَتْرَةِ مَا بَيْنَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِ الْقَمَرِ،  
كَانَ الْيَوْمَ التَّالِيَهُ هُوَ أَوَّلُ أَيَّامِ الشَّهْرِ الْهَجْرِيِّ الْجَدِيدِ؛ وَإِلَّا فَهُوَ الثَّلَاثِينَ  
مِنَ الشَّهْرِ الْهَجْرِيِّ الْحَالِيِّ، أَي:

إِنَّ شُرُوطَ الْإِهْلَالِ هِيَ:

- أَنْ يَغْرُبَ الْقَمَرُ الْوَالِدُ بَعْدَ الشَّمْسِ.

- وَأَنْ يَكُونَ مَكْتُ الْهِلَالَ أَقَلَّ مِنْ سَاعَةٍ.

- وَأَنْ يَكُونَ الْاِقْتِرَانُ - أَي: نُحُوءُ الْقَمَرِ فِي طَوْرِ الْمُحَاقِ - قَدْ حَدَثَ  
قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، حَتْمًا.

---

مَكْتُ الْقَمَرِ: هُوَ الْفَرْقُ الزَّمَنِيُّ بَيْنَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِ الْقَمَرِ.

وَأَقَلُّ مَكْتُ هِلَالَ - قَدْ رُصِدَ بِالْعَيْنِ الْمُجَرَّدَةِ - كَانَ ( ٢٩ دَقِيقَةً )؛ وَقَدْ يَمْتَدُّ مَكْتُ الْقَمَرِ  
إِلَى ( ٧٥ دَقِيقَةً ) أَوْ أَكْثَرَ، وَذَلِكَ دُونَ أَنْ يُرَى الْهِلَالَ حَتَّى بِالْمِنْظَارِ الْفَلَكِيِّ.

عُمُرُ الْقَمَرِ: هُوَ الْفَتْرَةُ الزَّمَنِيَّةُ مَا بَيْنَ لَحْظَةِ الْمُحَاقِ إِلَى وَقْتِ رَصْدِ الْقَمَرِ؛  
وَبِذَلِكَ يَكُونُ عُمُرُ الْقَمَرِ وَقْتُ الْمُحَاقِ ( صِفْرًا ) وَحِينَمَا يَكْتَمِلُ بَدْرًا ( ١٤ يَوْمًا ).

وَمِنَ الْمَعْلُومِ:

أَنَّ أَصْغَرَ عُمُرِ هِلَالَ تَمَّتْ رُؤْيَتُهُ بِالْعَيْنِ الْمُجَرَّدَةِ هُوَ: ( ١٥ سَاعَةً وَ ٣٣ دَقِيقَةً )،  
وَبِالْمِنْظَارِ الْفَلَكِيِّ: ( ١٣ سَاعَةً وَ ١٤ دَقِيقَةً ).

وَقَدْ يَكُونُ عُمُرُ الْقَمَرِ: ( ٢٤ سَاعَةً ) أَوْ أَكْثَرَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْهِلَالَ لَا يُرَى  
حَتَّى بِالْمِنْظَارِ الْفَلَكِيِّ.



وَحِتَامًا، يَنْبَغِي عَدَمَ الرُّكُونِ فِي مَسْأَلَةِ تَحْرِي دُخُولِ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ إِلَى الْحِسَابِ الْفَلَكَيِّ - إِطْلَاقًا - وَذَلِكَ أَيًّا كَانَ مَصْدَرُهُ.

( وَتَحْرَى الْأَمْرَ أَي: تَوَخَّاهُ وَقَصَدَهُ، أَي: اجْتَهَدَ فِي طَلْبِهِ. )

أَي: مِنَ الْمُحَرَّمِ شَرْعًا، اتَّبَاعِ الْحِسَابِ الْفَلَكَيِّ، أَوْ اتَّبَاعِ الْهَيْئَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي إِقْلِيمٍ آخَرَ؛ وَذَلِكَ لِتَقْرِيرِ دُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ، أَوْ الْخُرُوجِ مِنَ الصِّيَامِ إِلَى الْإِفْطَارِ.

أَي: يَجِبُ أَنْ تَتَحَقَّقَ رُؤْيَاهُ الْقَمَرِ الْوَالِدِ - بَصْرِيًّا - وَذَلِكَ اسْتِنَادًا إِلَى الْهَيْئَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْإِقْلِيمِ الْمُعْتَبَرِ.

وَعَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه )، قَالَ: « ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَمَضَانَ، فَقَالَ: ﴿ صُومُوا لِرُؤْيَيْتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْتِهِ ﴾. الْحَدِيثُ « (مسلم: ١٠٨٠) »



بَحْثٌ فِي مَفْهُومِ الزَّمَنِ:

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد)، فَاعْلَمْ:

- أَنَّ الزَّمَانَ إِنَّمَا هُوَ نَاشِئٌ عَنِ الْحَرَكَةِ، وَلَهُمَا الْمَفْهُومُ نَفْسُهُ فِي الْكُونِ، أَي: فَلَا زَمَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْكُونِ، وَلَا زَمَانَ بَعْدَ زَوَالِهِ.

وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِانْعِدَامِ وُجُودِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ - أَي: انْعِدَامِ الزَّمَنِ لِاخْتِفَاءِ حَرَكَةِ تِلْكَ الْأَجْرَامِ مُجْتَمِعَةً - فَانْتَبِهْ! لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْأَوَّلِيَّةِ.

- وَأَنَّ حَرَكَةَ دَوْرَانِ الْقَمَرِ حَوْلَ الْأَرْضِ إِنَّمَا هِيَ نَاتِجَةٌ عَنِ التَّحْرِيكِ.

- وَأَنَّ التَّحْرِيكَ نَاشِئٌ عَنِ الْقُوَّةِ، وَهِيَ فِي حَالِ الْقَمَرِ: الْجَانِبِيَّةُ الْأَرْضِيَّةُ.

لِذَلِكَ فَإِنَّ أَيَّ خَطًا فِي الزَّمَنِ - مَهْمَا تَصَاعَرَ وَتَضَاعَلَ فِي مِقْدَارِهِ -  
سَوْفَ يُؤَدِّي - مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ - إِلَى سُقُوطِ الْقَمَرِ عَلَى الْأَرْضِ؛ وَابْتِلَاعِ  
الشَّمْسِ لِجَمِيعِ مَجْمُوعَتِهَا مِنْ كَوَاكِبِ، وَكُوكِبَاتِ، وَغَيْرِهَا.

وَسَوْفَ يَمْتَدُّ ذَلِكَ الْخَلْلُ لِيَشْمَلَ جَمِيعَ أَجْرَامِ الْكُونِ، وَبِالتَّالِي: سَوْفَ يُؤَدِّي

إِلَى دَمَارِ الْكُونِ الْحَالِيِّ بِلاِ اسْتِنَاءٍ، أَي: نِهَائِيَّةِ الْحَتْمِيَّةِ!

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ

فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (يس) بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَّةٍ، إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ،

طَوْعًا لِأَمْرِ خَالِقِهَا سُبْحَانَهُ.

﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ﴿٤٥﴾ (يونس)، أَي:

فَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - أَنَّما الْخَلْقُ الْحَقُّ مُحْكَمٌ - فَلَا خَلْلَ فِيهِ، وَلَا نُقْصَانَ -

وَإِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ فَلَا تَأْتِي لَهُ: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ (المؤمنون).

\*\*\*

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ

ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَعَاكَ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهْذًا الَّذِي يَذْكُرُ ءالِهَتِكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ

هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ ءآيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ (الأنبياء)

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنبياء)، أي:

إِنِّي وَرَبِّي اللَّهُ الْحَقُّ، مَا هُوَ إِلَّا سُؤَالُ الْجَاهِلِ الْغَافِلِ الْمُسْتَعْرِقِ فِي سُبَاتِ عَمِيقٍ، يَنْقَلِبُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ فِي الْمَلَادِّ وَالشَّهَوَاتِ: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الفرقان)!

فَلَا جَرَمَ أَنَّ ﴿ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ (المائدة)،  
وَذَلِكَ بِمَا فَعَلُوا، وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ؛ فَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ، وَ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا  
خِزْيٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (المائدة) وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٤﴾ (المائدة).

ذَلِكَ، فَلَمَّا اسْتَعْجَلَ أَوْلِيكَ الْغَافِلُونَ الْعَذَابَ، فَاسْتَبْطَؤُوا أَمْرَ السَّاعَةِ،  
أَخْبَرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنَّ الْعَذَابَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَقْرَبُ كَثِيرًا مِمَّا يَتَصَوَّرُونَ!  
﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴿١﴾ ﴾ (النحل)، أي:

قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَوْجَبَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ عِقَابًا لَهُمْ عَلَى  
كُفْرِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى الشَّرِّ، وَأَنْهَمَاكِهِمْ فِي الْعِيِّ وَتَمَادِيهِمْ فِي الضَّلَالِ؛  
فَحَقَّ وَعِيدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ، وَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الطور)

وَإِنَّ الْعَذَابَ بِالْكَافِرِينَ لَوَاقِعٌ، وَيَوْمَ يَبْغَتْهُمْ بَغْتًا: ﴿ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الطور).  
لَكِنْ فِي وَقْتِهِ الْمُسَمَّى - فَلَا يَسْتَأْخِرُ سَاعَةً، وَلَا يَسْتَقْدِمُ - ذَلِكَ بِأَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ  
فِيهِمْ إِنَّمَا تَمْضِي وَفَقَّ الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ الْإِلَهِيَّةَ؛ فَلَا يُقَدِّمُهَا اسْتِعْجَالًا، وَلَا  
يُؤَخِّرُهَا رَجَاءً: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأعراف).



﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٦﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الأنبياء)

## بَحْثٌ فِي الْحِفْظِ الْإِلَهِيِّ:

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ﴿١١﴾ (الرعد)،  
 أي: فالملائكة الحفظة - أي المعقبات - إنما يحفظون الإنسان:

- مِنْ سُنَنِ الْأَرْضِ: كَمَا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ حِينَ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ، فَلَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْوُقُوعُ بِالْأَدَى.

- مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ.

وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَبِأَمْرِ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿٨٠﴾ (الأنعام).

ذَلِكَ بِأَنَّ رَحْمَتَهُ سُبْحَانَهُ قَدْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.





﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَعَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذِرُونَ ﴿٤٥﴾ (الأنبياء) ﴾

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الأنبياء) ،  
 أي: إِنَّ الْكَلَامَ - فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - لَا يَدُلُّ عَلَى وَقُوعِ التَّقْصَانِ مِنْ أَطْرَافِ  
 الْأَرْضِ، وَقْتَ الْخَلْقِ!

وَإِنَّمَا فِي حَاضِرِ أَوْلَيْكَ الْمُخَاطَبِينَ، وَمَا سَوْفَ يَأْتِي مِنَ الزَّمَانِ، أَي:

﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ (الفتح) يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى جُنْدِ إِبْلِيسَ  
 - مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، وَكِبْرَائِهِمُ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ، أَجْمَعِينَ - لِيُظْهِرَ اللَّهُ  
 دِينَ الْحَقِّ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.



﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنبياء) ، أَي:

فَلَمَّا لَمْ يَنْفَعُهُمْ سَمْعُهُمْ - لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعُوا بِهِ مَا سَمِعُوا - كَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْأَصَمِّ  
 الَّذِي لَا يَسْمَعُ، وَذَلِكَ لِتَعْطُلِ آيَةِ السَّمْعِ عِنْدَهُ.

بَلْ، إِنَّ صَمَمَ أَوْلَيْكَ الدِّينِ قَدْ تَصَامُوا عَنِ الْحَقِّ: ﴿ إِذَا مَا يُنذِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنبياء) ؛  
 إِنَّمَا هُوَ صَمَمَ الْقَلْبِ لَا الْأُذُنِ، وَتَقَلَّ الْفَهْمُ لَا السَّمْعُ!



﴿ وَلَيْنَ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾  
 وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ  
 حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ (الأنبياء)

جاءَ في روايةِ أحمدَ بنِ حنبلٍ (٦٩٥٥):

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّالْقَانِيُّ (١)، حَدَّثَنَا ابْنُ مُبَارَكٍ (٢)، عَنْ لَيْثِ  
 بْنِ سَعْدٍ (٣)، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ يَحْيَى (٤)، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ (٥)، قَالَ:

سَمِعْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ  
 الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصْرِ،  
 ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمْتُكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟  
 قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَيْكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهِتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ،  
 فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ  
 فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ،  
 فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجَلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ،  
 فَتُوضَعُ السِّجَلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجَلَّاتُ وَتَقَلَّتْ الْبِطَاقَةُ،  
 وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦٣٩)، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَكَذَا ابْنُ مَاجَةَ (٣٠٠)، مِنْ حَدِيثِ  
 اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ يَحْيَى.

وَلَا نَعْرِفُهُ - فِي جَمِيعِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ - إِلَّا مِنْ طَرِيقِ عَامِرِ بْنِ يَحْيَى.

(١) إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى الْبُنَائِي، أَبُو إِسْحَاقَ الطَّالِقَانِي: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، يُخْطِئُ، وَيُخَالِفُ، وَيَقُولُ بِالْإِرْجَاءِ، وَرَوَى عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَحَادِيثَ غَرَابَ.

(٢) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ الْحَنْظَلِيُّ التَّمِيمِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَرْوَزِيُّ: أَحَدُ الْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ، وَحَفَاطِ الْإِسْلَامِ، شَيْخُ خُرَاسَانَ.

(٣) اللَّيْثُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْمِيُّ، أَبُو الْحَارِثِ الْمَصْرِيُّ: ثِقَةٌ، نَبَتْ، فَكِيهٌ، إِمَامٌ.

(٤) عَامِرُ بْنُ يَحْيَى بْنِ جَشِيبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَرِيحِ الْمَعَاظِرِيِّ الشَّرْعَبِيِّ، أَبُو خُنَيْسِ الْمَصْرِيِّ: ثِقَةٌ.

(٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمَعَاظِرِيِّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَبْلِيِّ الْمَصْرِيُّ: ثِقَةٌ.

وَجَاءَ - كَذَلِكَ - فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٧٠٢٦):

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ (١)، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْبَعَةَ (٢)، عَنْ عَامِرِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَبْلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَوَضَّعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوتَى بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ فَتَمَازِلُ بِهِ الْمِيزَانَ.

فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا أُدْبِرَ بِهِ إِذَا صَاحَّ يَصِيحُ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ، يَقُولُ: لَا تَعْجَلُوا، لَا تَعْجَلُوا، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ، فَيُوتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ.

وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ عَامِرِ بْنِ يَحْيَى.

(١) فُتِيْبَةُ بِنِّ سَعِيْدِ بِنِّ جَمِيْلِ بِنِّ طَرِيْفِ النَّقْفِيِّ، أَبُو رَجَاءِ الْبَلْخِيِّ الْبَغْلَانِيُّ: ثِقَّةٌ، ثَبَتَ.

(٢) عَبْدُ اللَّهِ بِنُّ لَهَيْعَةَ بِنُّ عُقْبَةَ الْحَضْرَمِيِّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَصْرِيُّ، قَاضِي مِصْرَ: وَكَانَ ضَعِيفًا لَا يُحْتَجُّ بِهِ، وَكَانَ يُدَلِّسُ - عَنِ الضُّعْفَاءِ الْمُتْرُوكِيْنَ - عَلَى الثَّقَاتِ، وَكَانَ لَا يُبَالِي، لِذَلِكَ كَثُرَتْ الْمَنَائِكُ فِي رِوَايَتِهِ لِنِسَائِهِ، وَاخْتَلَطَ عَقْلُهُ بَعْدَ اخْتِرَاقِ كُتْبِهِ، فِي آخِرِ عُمُرِهِ!



أَلَا فَلْيَعْلَمْ كُلُّ مَنْ اخْتَجَّ بِتِلْكَ الرَّوَايَتَيْنِ الْفَاسِدَتَيْنِ - فَدَسَّ رَأْسَهُ كَالنَّعَامِ بَيْنَ حُرُوفِهِمَا، عَسَى أَنْ يَنْقَلَتَ فِرَارًا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ عَظِيمٍ - بِأَنَّ مَا وَرَدَ فِي كِلْتَا الرَّوَايَتَيْنِ، إِنَّمَا هُوَ بُهْتَانٌ عَظِيمٌ افْتَرَاهُ - مَنْ أَبْلَسَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ - عَلَى الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ سُبْحَانَهُ وَرَسُولِهِ ﷺ:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (هود).

فَاسْأَلْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ - عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ - الْكَذِبَ، وَكُلُّ أَوْلِيكَ الضَّالِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ جَمِيعًا لَكَاذِبُونَ:

- أَيْنَ الْعَدْلُ الْإِلَهِيُّ - فِي تِلْكَ الرَّوَايَتَيْنِ السَّاقِطَتَيْنِ - وَإِنَّمَا ( الْعَدْلُ ) فِي صِفَةِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى؟! ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ ﴾ (١٧٢) (آل عمران)، هَلْ يَسْتَوِيَانِ جَزَاءً!؟

- وَأَيْنَ الْحِسَابُ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ؟! ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ (غافر).

وَعَنْ ( أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ) ، قَالَتْ :

« مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ :

﴿ اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أَضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ ﴾ . الْحَدِيثُ « ( أبو داود : ٥٠٩٤ ) .

\*\*\*

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾  
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾  
وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ  
رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ  
الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ  
أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾  
قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَٰلِكُمْ  
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾  
فَجَعَلَهُمْ جُنُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا  
إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وءِ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾  
قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا  
بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾  
فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ  
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَؤُا كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴿الأنبياء﴾

### بَعْضٌ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام خَلِيلِ الرَّحْمَنِ

كثيرٌ من الحكاية - وذلك في معظم ما قرأت من التفاسير، وكُتِبَ التاريخ - ليس إلا مجردَ تصوّراتٍ أو أضغاثٍ مُفسّرين، أو نقلًا عن العوامِّ من المتحدّثين، أو الضالّين من اليهود، أو غيرهم من الواضعيين.

وإن لي في اقتصارِ السّياقِ القصصيّ على بعضِ القِصّةِ لغُدرًا، إذ لا يجوزُ لأحدٍ - أبدًا - نقلُ تلكِ العباواتِ والخرافاتِ من الأخبارِ الموضوعيّة، أو الرواياتِ المُفتعّلة.

وإنّما القولُ الحقُّ في ذلك، هو: " الله أعلمُ بنبيِّه إبراهيمَ عليه السلام ".

كذلك، فإنّ جميعَ آياتِ الإيمانِ والتّوحيدِ - التي وردت في تلكِ القِصّةِ - ليست بالضرورةِ ممّا يخصُّ نبيَّ الله إبراهيمَ عليه السلام، وإنّما هي جزءٌ لا يتجزأٌ من السّياقِ القصصيّ.

هو النبيُّ الأُمّةُ إبراهيمُ عليه السلام بنُ آزر، وزوجته سارةُ ابنةُ عمّه، ولوطٌ عليه السلام ابنُ أخيه.

وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي سَمَّانا الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ الَّذِي وَصَفَهُ سُبْحَانَهُ فَاتَنَّى عَلَيْهِ حُسْنَ الثَّنَاءِ، وَأَمَرَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ - حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ - كَمَا يَتَّبِعُونَ جَلِيًّا فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الْإِتِيَّةِ:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النساء).

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٦﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٦﴾ وَعَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٧﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (النحل).

\* \* \*

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴿٥١﴾ ﴾ (الأنبياء): وَإِيتَاءُ الرُّشْدِ مِنَ اللَّهِ، إِنَّمَا هُوَ الْهَدَايَةُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

﴿ مِنْ قَبْلُ ﴿٥١﴾ ﴾ (الأنبياء)، أَي: مُنْذُ نَشَأَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ طِفْلًا صَغِيرًا.

﴿ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (الأنبياء)، أَي: وَكَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلِيمًا بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْلٌ لِحَمَلِ رِسَالَةِ التَّوْحِيدِ، وَالذَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَىٰ أَرْكَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الأنعام):

وَدَلِكْ هُوَ قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ السَّلِيمِ - مُنْذُ نَشَأَتِهِ ﷺ طِفْلاً صَغِيراً - إِذْ يَسْتَنْكِرُ عَلَىٰ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ ضَلَالَاتِهِمْ، مُتَسَانِلاً: كَيْفَ لِلجَمَادِ أَنْ يَخْلُقَ الْحَيَاةَ؟! أَمْ كَيْفَ لِذَلِكَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئاً، أَنْ يُدَبِّرَ أَمْرَ مَا زَعَمُوا لَهُ مِنَ الْخَلْقِ؟! حَقّاً، إِنَّهُ لَتَنَافُضٌ وَاضِحٌ، وَعِبَاءٌ مُطْبِقٌ عَلَى الْعُقُولِ، وَضَلَالٌ بَيْنَ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَحُمُقٌ مَاحِقٌ.

( وَالْحُمُقُ: هُوَ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَ الْعِلْمِ أَوْ الْجَهْلِ بِقُبْحِ ذَلِكَ، لَا فَرْقَ! فَالْحُمُقُ لَيْسَ إِلَّا مُمَارَسَةُ الْجَهْلِ، وَالتَّطَاوُلُ فِيهِ. )



﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأنعام):

وَبَدَأَتْ رِحْلَةَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ لِلْبَحْثِ عَنِ الْحَقِيقَةِ، وَالتَّغَلُّبِ عَلَىٰ مَا يَفْرِضُهُ مَنْطِقُ الْعَقْلِ مِنَ الشُّكُوكِ؛ وَبِذَلِكَ حَدَثَ الْإِنْتِقَالَ التَّدرِجِيَّ مِنَ الشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ إِلَى الْعِلْمِ الْيَقِينِ، ( فَالْعِلْمُ نَقِيضُ الْجَهْلِ، وَالْيَقِينُ نَقِيضُ الشَّكِّ. )

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ﴿٧٦﴾ ﴾ (الأنعام): فَلَمَّا اشْتَدَّتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ وَادْلَهَمَ الظَّلَامُ، لَاحَ نُورُ كَوْكَبٍ فِي الْأَفْقِ، يَتَصَارَعُ مَعَ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي ﴿٧٦﴾ ﴾ (الأنعام): فَهُوَ بِنُورِهِ الضَّنِيْلِ يُحَاوِلُ جَاهِداً أَنْ يُبَدِّدَ حَالِكَ ظَلَامَ اللَّيْلِ؛ ( ذَلِكَ بِأَنَّ النُّورَ كِنَايَةٌ عَنِ الْحَقِّ فِي الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، أَمَّا الظُّلْمَةُ فَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ. )



﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ ( الأنعام ) : فَكَيْفَ يَأْفُلُ، وَيَتَوَارَى  
سَاقِطًا فِي الْأَفْقِ؟!

﴿ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَارِزًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ  
مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ ( الأنعام ) :

وَتَلَأًا الْقَمْرُ، وَتَوَشَّحَتِ السَّمَاءُ بوشاحٍ مِنْ نُورِهِ الْفِضِيِّ الشَّاحِبِ.

فَلَمَّا جَرَى فِي فَلَكِهِ سَابِحًا، وَعَابَ وَرَاءَ الْأَفْقِ، وَانْتَصَرَ الظَّلَامُ عَلَيْهِ تَارَةً  
أُخْرَى - اشْتَدَّتْ بِهِ الْحَيْرَةُ، فَكَيْفَ لِلرَّبِّ أَنْ يَغِيبَ؟!

وَحِينِنْدِ، فَرَعَتِ الْفِطْرَةَ الْقَوِيمَةَ إِلَى بَارِيهَا سُبْحَانَهُ تَسْتَعِيثٌ بِهِ، مَخَافَةَ الْوُقُوعِ  
فِي بَرَاثِنِ الضَّلَالِ، وَظُلُمَاتِ الْكُفْرِ.

فَهُوَ اللَّهُ - رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ - وَهُوَ الْمَلْجَأُ لِمَنْ تَجَأَ إِلَيْهِ، فَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ.

﴿ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَارِزَةً ﴿٧٨﴾ ﴾ ( الأنعام ) : وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَأَضَاعَتْ بِنُورِهَا  
اللَّامِعِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَاخْتَفَى الظَّلَامُ كُلِّيًّا.

﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴿٧٩﴾ ﴾ ( الأنعام ) : حَقًّا، إِنَّهَا أَشَدُّ ضِيَاءً وَنُورًا  
مِنْ قَرِينِهَا الْقَمَرِ!

﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴿٨٠﴾ ﴾ ( الأنعام ) : وَلَكِنَّهَا بَدَأَتْ تَغِيبُ وَتَتَوَارَى فِي الْأَفْقِ، وَعَادَ ظِلَامُ  
اللَّيْلِ لِيُغْشِيَ نُورَ النَّهَارِ، تَارَةً أُخْرَى!

وَحِينِنْدِ، ضَاقَ قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دُرْعًا بِتِلْكَ الْأَرْبَابِ الَّتِي لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ!  
فَهِى تُشْرِقُ وَتَغِيبُ، بَلْ لَا بُدَّ لَهَا أَنْ تَغِيبَ!

فَكَيْفَ لِلرَّبِّ أَنْ يَتَعَيَّبَ عَنِ شُؤْنِ خَلْقِهِ لَحْظَةً، بَلْ حَتَّى أَقَلِّ - بِكَثِيرٍ كَثِيرٍ -  
مِنْ لَمَحٍ بِالْبَصْرِ!؟

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ (الأعراف) ، أي:

إِنَّمَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْقَيُّومُ الْقَانِمُ بِتَدْبِيرِ أَمْرِ خَلْقِهِ - الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، جَمِيعاً - فَلَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ، وَهُوَ اللَّهُ الصَّمَدُ الْمُتَعَالِي  
الْمُطَاعُ الَّذِي لَا يُقْضَى دُونَهُ أَمْرٌ.

﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ (الأنعام) ، أي:

يَا قَوْمِ، إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ تِلْكَ الْأَصْنَامِ آلِهَةً؛ فَاشْهَدُوا بِأَنِّي بَرِيءٌ  
مِمَّا أَشْرَكْتُمْ بِالَّذِي قَدْ أَوْجَدَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ عَنْ عَدَمٍ.

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿٧٨﴾ (الأنعام) ، أي: إِنِّي تَوَجَّهْتُ  
إِلَى اللَّهِ خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٨﴾ (الأنعام) ،  
أي: مُسْلِمًا سَالِمَ الْقَلْبِ مِنَ الضَّلَالِ وَالشَّرْكِ؛ وَمُتَقَرِّبًا بِعِبَادَتِي وَطَاعَتِي  
إِلَيْهِ وَحْدَهُ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ.



﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى  
وَلَكِن لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ  
ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا  
وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ (البقرة) .

ذَلِكَ، وَيَبْقَى سَوَالٌ يَفْرِضُهُ مَنْطِقُ الْعَقْلِ:

فَكَيْفَ إِذَا بَلَيْتِ الْعِظَامُ، فَكَاتَتْ رَمِيمًا، فَاخْتَلَطَتْ بِأَدِيمِ الْأَرْضِ؛ أَنْ يُبْعَثَ ذَلِكَ  
النَّشْرُ الْمُنتَزِرُ - تَارَةً أُخْرَى - خَلْقًا تَامًا سَوِيًّا؟

وَيُخَاطَبُهُ اللَّهُ - وَهُوَ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ بِحَالِ قَلْبِهِ - قَائِلًا: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنُ ۗ﴾ (البقرة)؟

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ﴾ (البقرة): فَمَا زَالَ قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بَانْتِظَارِ

الإيمان، وَذَلِكَ بَعْدَ إِسْلَامِ الْعَقْلِ بِحَوَاسِهِ! فَالْقَلْبُ مُسْتَوْدَعُ الإِيمَانِ.

فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ الأَمْرُ الإِلَهِيُّ اسْتِجَابَةً لَتَلْهُفِ قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام:

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا  
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۗ﴾ (البقرة).

وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِلَّا أَنْ سَارَعَ إِلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ:

فَاخْتَارَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ، فَقَطَّعَهُنَّ وَشَقَّقَهُنَّ - بَعْدَ أَنْ تَعَرَّفَ إِلَيْهِنَّ، وَأَفْرَدَهُنَّ  
عَنْ بَاقِي الطَّيْرِ - ثُمَّ فَرَّقَ أَجْزَاءَهُنَّ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ الْمُحِيطَةِ، وَنَادَاهُنَّ،  
فَجِئْنَ بِشَخْصِهِنَّ سَعْيًا إِلَيْهِ.

﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ﴾ (البقرة)، أَي:

وَاعْلَمْ - يَا إِبْرَاهِيمَ - أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْقَوِيُّ الْمَنِيعُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ،

وَهُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ بِالطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

---

وَلِذَلِكَ افْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الإِلَهِيَّةُ بِأَنْ يَرَى الْإِنْسَانُ بِنَظَرِيهِ تَعَاقُبَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ،  
وَأَنْ يَبْقَى أَصْلُهُمَا غَيْبًا لَا يَلْعَمُهُ إِلَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ سُبْحَانَهُ.

---



﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٤) ﴿ (مریم)، آی:

وَلَقَدْ صَدَّقَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِأَمْرِ اللَّهِ - كُلَّهُ - فَلَمْ يُنَازِعْهُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ شَكًّا،  
أَبْدًا: ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١٦) ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٧) ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا  
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٨) ﴿ (الصفات)؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ ﷺ إِنَّمَا هُوَ الْأُسْوَةُ فِي الْوَفَاءِ: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ  
الَّذِي وَفَّى ﴾ (٣٧) ﴿ (النجم)، آی:

﴿ وَفَى ﷺ تَمَامَ الْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ  
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٦١) ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا  
وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٧) ﴿ (الحج).

﴿ وَفَى ﷺ تَمَامَ الْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا امْتَحَنَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ الْمُبِينِ:

﴿ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ  
قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِرِينَ ﴾ (١٣٢) ﴿  
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ (١٣٣) ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ (١٣٤) ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّعْيَا  
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٥) ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ (١٣٦) ﴿ وَفَدَيْنَاهُ  
بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٣٧) ﴿ (الصفات).

وَكَذَلِكَ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ كَانَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ أُولِي الْعِزْمِ.

وَأُولُو الْعَرْمِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ - أَي: دُؤُو الْقُوَّةِ، وَالصَّبْرِ - هُمْ:

رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ (الأحزاب).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ (الأحزاب).



﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴿٤١﴾ ﴾ (مريم):

وَلَقَدْ ابْتَدَأَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام دَعْوَتَهُ بِأَبِيهِ آزَرَ - فَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ بِإِخْلَاصِ  
النَّصِيحَةِ - فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُتَوَدِّدًا:

﴿ يَأْتِبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤١﴾ ﴾ (مريم)، أَي:  
يَا أَبَتِ، مَنْ عَبْدٌ - مَنْ دُونِ اللَّهِ - إِلَهَا آخَرَ فَهُوَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

فَكَيْفَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؟

﴿ يَأْتِبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (مريم)، أَي: يَا أَبَتِ،  
لَقَدْ آتَانِي اللَّهُ الْهُدَى، وَاخْتَصَّنِي بِالْعِلْمِ مِنْ لَدُنْهِ سُبْحَانَهُ.

﴿ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ (مريم)، أَي: يَا أَبَتِ، اتَّبِعْنِي أَهْدِكَ الصِّرَاطَ  
الَّذِي دَعَا اللَّهُ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ السَّوِيِّ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ إِنَّمَا يُفْضِي  
إِلَى الضَّلَالَةِ: ﴿ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٣﴾ ﴾ (طه).

إِنَّ قَوَامَ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْإِرْشَادِ إِلَى صِحَّةِ الْإِيمَانِ فِي وَخْدَانِيَّةِ اللَّهِ،  
وَإِخْلَاصِ النَّيَّةِ فِي عِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿ وَالْعَصْرِ ١ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ ٢ ﴾ ( العصر ) إِلَى أَنْ يَنْقُضِي زَمَنَ الْأَعْمَالِ،  
وَيَصِيرَ ذَلِكَ الْغَافِلُ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ!

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ﴿ ٣ ﴾ ( العصر ):  
وَذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالانْقِطَاعِ عَنْ مَعَاصِيهِ.

وَيَتَّبِعِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّصِيحَ لِأَبِيهِ أَرْزَ، قَائِلًا:

﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۗ ﴿ ٤٤ ﴾ ﴾ (مریم)، أَي:

يَا أَبَتِ، مَنْ عَبَدَ الْأَصْنَامَ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ  
فِيمَا سَوَّلَ لَهُ مِنَ الضَّلَالَةِ وَاللَّجَاجَةِ فِي الْبَاطِلِ، أَي: فِي عِبَادَةِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ  
- مِنْ دُونِ اللَّهِ - سَوَاءً أَكَانَتْ مِنَ الْبَشَرِ أَمْ الْحَجَرِ، لَا فَرْقَ!

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿ ٤٤ ﴾ ﴾ (مریم)، أَي:

أَفَلَا تَرَى - يَا أَبَتِ - إِلَى الشَّيْطَانَ كَيْفَ صَارَ مَلْعُونًا مَرْجُومًا بِاللَّعْنَةِ، مُبْعَدًا  
مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ؟ ( ذَلِكَ بِمَا عَصَى أَمْرَ اللَّهِ، فَكَانَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. )  
فَكَيْفَ - يَا أَبَتِ - تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ بِاتِّبَاعِ خُطُوتِهِ إِلَى الْهَلَاكِ، وَبِنَسِ الْمَصِيرِ؟

﴿ يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ  
وَلِيًّا ﴿ ٤٥ ﴾ ﴾ (مریم)، أَي:

﴿ يَتَأَبَّتْ إِلَيَّ أَخَافُ ﴾ (٤٥) ﴿ (مريم) عَلَيْكَ إِذَا أَصْرَرْتَ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ  
أَنْ يَنْزِلَ بِكَ قَضَاؤُهُ؛ فَتَكُونُ تَابِعًا مُخْلِصًا لِلشَّيْطَانِ، تَتَخَبَّطُ حَيْرَانَ  
فِي الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ، ذَلِكَ ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢٣) ﴿ (الزمر).

وَالرَّحْمَنُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَفِي أَسْمَاءِهِ الْحُسْنَى:

اللَّهُمَّ ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً ﴾ (٧) ﴿ ( غافر ) ، فَأَنْظِرْ! إِلَىٰ ذَلِكَ الْمَطْرُودِ  
مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ.

وَاسْتَقْبَلِ الْقَلْبُ الْجَادُ رِقَّةَ الْأَلْفَافِ بِالِاسْتِنْكَارِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، قَائِلًا:

﴿ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِّي يَا إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٤٦) ﴿ (مريم) ، أَي:

أَزَاهِدٌ أَنْتَ فِي أَصْنَامِي وَكَارِهِ لِعِبَادَتِهَا - إِلَىٰ هَذَا الْحَدِّ - لِتُعْرِضَ عَنْهَا؟  
مَا هَذِهِ الْجُرْأَةُ؟ وَمَا هَذَا التَّحَدِّي يَا إِبْرَاهِيمَ؟

﴿ لَيْنٌ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمْتَنِي وَأَهْجَرْتَنِي مَلِيًّا ﴾ (٤٦) ﴿ (مريم) ، أَي:

كَفَاكَ يَا إِبْرَاهِيمَ! وَلَيْنٌ لَمْ تَنْتَهَ عَنِّي هَذَا الْأَمْرَ، لِأَقْتُلَنَّكَ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ!  
فَأْتْرُكُنِي وَأَطِلِ الْغِيَابَ عَنِّي وَجْهِي، ذَلِكَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ النَّجَاةَ بِحَيَاتِكَ!

وَكَذَلِكَ - أَي: بِتِلْكَ الْحَمَاقَةِ وَالْجَلَافَةِ وَالْقَسْوَةِ - كَانَ جَوَابُ الْأَبِ آزَرَ  
لِابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام.

فَمَا أَبْغَضَهَا مِنْ اسْتِجَابَةٍ لَا عَقْلَ فِيهَا، أَبَدًا! وَمَا أَقْسَاهُ مِنْ قَلْبٍ مُتَحَجِّرٍ،  
ثَابِتٍ عَلَىٰ ضَلَالِهِ، مُتَمَسِّكٍ بِجَهْلِهِ! فَلَا يَفْقَهُ قَوْلًا، وَلَا يَقْبَلُ هِدَايَةً!

وَلَا رَيْبَ أَنَّ ﴿ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ ﴿ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُهُمْ: ﴿ فَأَصَمَّهُمْ  
وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ (٢٣) ﴿ (مسد).

إِلَّا أَنْ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلَ لَمْ يَغْضَبَ مِنْ جَهَالَةِ أَبِيهِ آزَرَ، فَهَوَ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَفْقَدُ صَوَابَهُ، لِذَلِكَ ﴿ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ ۖ ﴾ (مريم)، أي:

سَلَامٌ عَلَيْكَ - يَا أَبَتِ - فَلَا يَخْتَلِجَنَّ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ مِنَ الرَّيْبَةِ وَالشَّكِّ، وَلَيْسَكُنْ قَلْبُكَ، وَلِيَطْمَئِنَّ، رُؤْيِدُكَ! ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ ﴾ (مريم)، أي:

سَوْفَ أَدْعُو لَكَ - يَا أَبَتِ - بِالْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ؛ وَبِأَنْ يُؤْتِيكَ سُبْحَانَهُ الْهُدَى، وَيُجَنِّبَكَ الضَّلَالَ عَنْ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ ﴾ (مريم)، أي: إِنَّهُ كَانَ سُبْحَانَهُ لَطِيفًا بِي، فَإِذَا مَا دَعَوْتُهُ فَلَنْ يَرُدَّنِي خَائِبًا، أَبَدًا.



﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۗ ﴾ (الأنعام): وَبَدَأَ جِدَالَ قَوْمِهِ بِالْبَاطِلِ!

فَكَيْفَ لِمَنْ قَدْ رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهَا، فَاتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَتَمَادَى فِي الغَيِّ وَالضَّلَالِ - أَنْ يَسْتَفِيقَ مِنْ بَلَاهَتِهِ وَرَعِيدَ عَيْشِهِ، فَيُجِيبَ دَاعِيَ اللَّهِ!؟

﴿ قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي ۗ ﴾ (الأنعام)، أي:

يَا قَوْمِ، أَجِدَالٌ فِي الْحَقِّ؟ ﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ ﴾ (يونس)؛ أَمَا لَكُمْ قُلُوبٌ تَعْقِلُونَ بِهَا!؟

يَا قَوْمِ، لَقَدْ عَرَفْنِي اللَّهُ طَرِيقَ مَعْرِفَتِهِ سُبْحَانَهُ وَبَيَّنَّ لِي سَبِيلَ الرَّشَادِ.

فَكَيْفَ تَظْلَمُونَ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّبَاعِكُمْ الْهَوَى، وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟  
إِلَّا سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ!



﴿ وَلَا أَحَافَ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾ (٨٠) ﴿ (الأنعام) ، أَي: مِنْ بَشَرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ  
مِمَّا أَشْرَكْتُمْ بِرَبِّكُمْ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا!

أَلَا وَكَيْفَ يَخَافُ مَنْ كَانَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا فِي حِرْزِ اللَّهِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ؟

فَاعْلَمْ: أَنَّ كُلَّ قُوَّةٍ غَيْرِ قُوَّةِ اللَّهِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ، إِنَّمَا قَدْ أضعَفَهَا افْتِقَارُهَا إِلَى الْقُوَّةِ!  
وَأَنَّ كُلَّ سُلْطَانٍ غَيْرِ سُلْطَانِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، إِنَّمَا هُوَ زَائِلٌ مُضْمَحِلٌّ لَا مَحَالَةَ!

فَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ، فَمَنْ ذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟!

﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ (٨٠) ﴿ (الأنعام) ، غَيْرِ ذَلِكَ، أَي: مِمَّا تَقْتَضِيهِ  
الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، ( مَثَلًا: كَالَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ إِقَانِهِ ﷺ فِي النَّارِ. )

فَلَا مَشِيئَةَ وَلَا إِرَادَةَ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ:

﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٠) ﴿ (الأنعام) ؟ أَي:

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يَا قَوْمَ؟! أَمْ أَنْكُمْ عَنِ الْحَقِّ سَاهُونَ وَفِي ضَلَالَاتِكُمْ نَعْمَهُونَ؟!!

﴿ يَا قَوْمِ، ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٦) ﴿ (العنكبوت) .

\* \* \*

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ (الأنبياء):

وَإِنَّمَا هُوَ اسْتِغَارٌ وَتَوْبِيخٌ لِأَوْلَادِكَ الْجُهَالِ الْحَمَقَى، وَاسْتِهْزَاءٌ بِهِمْ  
وَإِجَاعٌ بِاللُّومِ! أَي:

يَا قَوْمَ، مَا هَذِهِ الْخَيَالَاتُ وَالْأَوْهَامُ الَّتِي أَتَتْ بِهَا شَيَاطِينُ تَصَوُّرَاتِكُمْ؟

يَا قَوْمَ، إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْحَقَارَةِ وَالتَّفَاهَةِ بِمَا لَا تَسْتَحِقُّ أَيَّ تَقْدِيرٍ،  
أَوْ تَبَرُّكٍ بِهَا، أَبَدًا!

فَكَيْفَ تَعْكُفُونَ مِنْ أَجْلِهَا، وَتَجْتَهِدُونَ فِي عِبَادَتِهَا، وَتَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهَا مُوَاطِبِينَ  
- فَلَا تَصْرِفُونَ وَجُوهَكُمْ عَنْهَا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَا تَنْضُرُ، وَلَنْ تَنْفَعُ!؟

يَا قَوْمَ، ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ أَيَمَّا ءِالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٤٦﴾ (الصفات)، أَي:  
أَهَذِهِ الْأَبَاطِيلُ هِيَ آلِهَتِكُمْ!؟

يَا قَوْمَ، إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ وَتَنْصِبُونَ بِأَيْدِيكُمْ أَصْنَامًا - لَا حَوْلَ لَهَا وَلَا قُوَّةَ -  
فَتُعْظَمُونَهَا، وَتَعْبُدُونَهَا - مِنْ دُونِ اللَّهِ - أَلَا سَاءَ مَا تَعْبُدُونَ!  
ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ تَفْتَعِلُونَ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَتَعْدِلُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الضَّلَالِ،  
وَتَتَمَسَّكُونَ بِالْبَاطِلِ!

يَا قَوْمَ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ ﴿٧﴾ (العنكبوت)،

أَي: بِنَسِ الْمُسْتَرْزِقِ - مِنْ دُونِ اللَّهِ - أَلَا وَخَابَ الرَّجَاءُ، جَمِيعًا!

﴿ فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٧﴾ (العنكبوت)، أَي:

فَاطْلُبُوا رِزْقَكُمْ مِنْ خَيْرِ الرَّاغِبِينَ سُبْحَانَهُ وَاشْكُرُوا لَهُ، وَلَا تَكُونُوا جَاهِدِينَ

لَأَنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِعْتِكَافِ عَلَى هَذِهِ الْأَوْثَانِ!

يَا قَوْمِ، أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛  
فَلَا فِرَارَ - يَوْمئذٍ - مِنْ شَدِيدِ عِقَابِهِ، وَأَلِيمِ عَذَابِهِ؟ دَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ.

وَيَتَّبِعُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام النَّصْحَ لِقَوْمِهِ، قَانِلًا:

يَا قَوْمِ، ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ (الصفات)، أي:

فَمَا عَلِمُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟

وَكَيْفَ تُنْكِرُونَ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَتَجْعَلُونَ لَهُ شُرَكَاءَ أُنْدَادًا؟  
يَا قَوْمِ، دَلِكُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ - لَا شَرِيكَ لَهُ - وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبِيدِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ (الأنبياء)،  
وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ سَائِرُونَ مُسْتَبْصِرِينَ، فَلَا تُكْثِرْ يَا إِبْرَاهِيمُ جِدَالَنَا!

وَبِذَلِكَ أَقَامَ الْقَوْمَ الدَّلِيلَ الْقَاطِعَ، وَجَاؤُوا بِالْبُرْهَانِ الْعَظِيمِ!

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعِبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٥٤﴾ (الأنبياء)، أي:

لَا رَيْبَ، بِأَنَّهَا جَاهِلِيَّةٌ جَهْلَاءٌ مُتَأَصِّلَةٌ فِيكُمْ، بَلْ ضَارِبَةٌ فِي أَعْمَاقِ قُلُوبِكُمْ  
الْغَافِلَةِ؛ وَغَبَاءٌ قَدْ أَحَاطَ بِرُؤُوسِكُمُ الْبَلِيدَةِ، فَلَا أَنْفِكَاكَ مِنْهُ!

فَمَا لَبِثُوا أَنْ اسْتَفَافُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ حَيَارَى مُتَرَدِّدِينَ، وَ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا  
بِالْحَقِّ ﴾ ﴿٥٥﴾ (الأنبياء)، أي:

أَجِئْتَ - يَا إِبْرَاهِيمُ - بِالْحَقِّ الْوَاجِبِ اتِّبَاعَهُ، ﴿ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ (الأنبياء)  
الَّذِينَ يُضَيِّعُونَ وَقْتَهُمْ بِمَا لَا طَائِلَ فِيهِ، وَلَا يُجِدِي نَفْعًا؟

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِقَلْبٍ مُّطْمَئِنٍّ بِالْإِيمَانِ، ثَابِتٍ بِالْيَقِينِ: ﴿ بَلِ رَبُّكُمْ رَبُّ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ (٥٦) (الأنبياء)، أي:

لَا يَا قَوْمِ، مَا كُنْتُ أَنَا مِنَ الْهَازِلِينَ فِي الْقَوْلِ! ذَلِكُمْ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ الْحَقُّ  
- فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْخَالِقُ الْمُبْدِئُ لِلْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٦) (الأنبياء).

\* \* \*

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ (٥٧) (الأنبياء)، أي:  
وَكَذَلِكَ عَقَدَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام النِّيَّةَ، فَأَقْسَمَ عَلَى تَحْطِيمِ آلِهَتِهِمْ بَعْدَ ذَهَابِهِمْ  
فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ.

﴿ فَنظَرَ نَظْرَةً فِي التُّجُومِ ﴾ (٨٨) (الصفات)، أي: قَالَ لَهُمْ، عَلَى حَسَبِ مُعْتَقَدِهِمْ  
بِالتَّنَجِيمِ: إِنِّي سَوْفَ أَفْعُ مَرِيضاً فِي يَوْمِ عِيدِكُمْ.

فَلَمَّا جَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ، ﴿ قَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿ (٩٠) (الصفات)،  
وَتَرَكُوهُ مَعَ أَصْنَامِهِمْ، وَغَادَرُوا مَعْبَدَهُمْ مُّطْمَئِنِّينَ!

فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا فِي اسْتِخْفَاءٍ، بَيْنَا الْقَرَابِئِنُ مُلْقَاةً أَمَامَهَا عَلَى الْأَرْضِ: ﴿ فَقَالَ  
أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿ (٩٢) (الصفات)؟!)

وَأَنَّى لِلصَّنَمِ أَنْ يَأْكُلَ، أَوْ يُجِيبَ سَأَلًا؟!

لِلَّهِ دَرَكٌ يَأْتِيهِ اللَّهُ! وَأَعْظَمُ بِهِ اسْتِخْفَافًا بِعُقُولِ أَوْلِيكَ الضَّالِّينَ، وَتَحْقِيرًا  
لِشَأْنِ آلِهَتِهِمْ! الَّتِي لَا مُتَصَرِّفَ لَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍهَا، وَلَا حِيلَةَ؛ وَإِنَّمَا تَرَاهُمْ  
عَلَى عِبَادَتِهَا عَاكِفُونَ!

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ (الصفات) ، أي: فَمَالَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِفَأْسِهِ  
يَحْمِلُهُ بِيَمِينِهِ، وَذَلِكَ وَاحِدًا تَلَوَ الْآخِرَ.

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء) ، أي:

فَمَا زَالَ ضَرْبًا فِيهِمْ - ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ - وَهُمْ جَمِيعًا عَلَى حَالِهِمْ  
هَامِدُونَ؛ حَتَّى جَعَلَهُمْ حُطَامًا أَجْمَعِينَ إِلَّا كَبِيرَهُمْ، حَيْثُ وَضَعَ الْفَأْسَ  
عَلَى كَتِفِهِ، وَغَادَرَ الْمَعْبَدَ.

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْمَعْبَدِ أَفْزَعَهُمْ هَوْلُ الْمَشْهَدِ، فَقَالُوا مَذْهُولِينَ:

﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء) ، أي: إِنَّهُ لَمِنَ الْمُعْتَدِينَ  
الْمُتَجَرِّبِينَ عَلَى آلِهَتِنَا!

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُوَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (الأنبياء) ، أي:

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ الْفَتَى إِبْرَاهِيمَ هُوَ الَّذِي قَدْ فَعَلَ تِلْكَ الْفِعْلَةَ الشَّنْعَاءَ  
بِآلِهَتِكُمْ؛ فَمَا بَرِحَ يَعْيبُهَا، وَيَتَحَدَّثُ عَنْهَا بِالسُّوءِ.

﴿ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (الأنبياء) ، أي:

فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْمَلِكُ نُمْرُودُ مَعَ أَشْرَافِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَالْكَهَنَةَ، وَتَشَاوَرُوا  
- مَعَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا - فِي الْأَمْرِ، قَالُوا: ائْتُوا بِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ،  
وَلْيَشْهَدْ النَّاسُ - جَمِيعًا - مَصِيرَ كُلِّ مَنْ يَتَجَرَأُ فَيَعْتَدِي عَلَى آلِهَتِنَا!

﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴾ (الصفات) ، أي: فَجَاؤُوا إِلَيْهِ يُهْرَعُونَ مِنْ غَيْظِهِمْ،  
وَتَلَهَّفَ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِمْسَاكِ بِهِ.

فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى ضَلَالِهِمْ - فِي ذَلِكَ الْمَخْفَلِ الْعَظِيمِ - ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ (الأنبياء)؟

ذَلِكَ، وَبَعْدَ إِقْرَارِ قَوْمِهِ بِأَنَّهُمْ أَصْنَامُهُمْ: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الأنبياء)،  
أَجَابَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاخِرًا مِنْ عَظِيمِ جَهْلِهِمْ، وَبِقَلْبٍ ثَابِتٍ مُطْمَئِنٍّ  
إِلَى نَصْرِ اللَّهِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ، قَائِلًا: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَعَوْهُمْ  
إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (الأنبياء)؟

﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنبياء)، أَي: فَرَجَعَ  
الْقَوْمُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: بَلْ أَنْتُمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ اللّوْمَ عَلَى  
مَا فَرَطْتُمْ فِي حِرَاسَةِ آلِهَتِكُمْ، وَحِفْظِهَا مِنَ الْأَدَى وَالضَّرْرِ الَّذِي قَدْ لَحِقَ بِهَا!  
﴿ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ﴾ (الأنبياء)، أَي: وَكَذَلِكَ حَاقَتْ بِهِمْ خَيْبَتُهُمْ،  
فَمَالَتْ رُءُوسُهُمْ وَطَاطَأَتْ حَجَلًا إِلَى الْأَرْضِ مِنْ غَبَائِهِمْ، وَقَلَّةَ حِيلَتِهِمْ وَتَفَاقُمِ  
حَيْرَتِهِمْ؛ فَقَالُوا لَهُ: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (الأنبياء)؟!

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (الأنبياء)،  
أَي: يَا أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ، كَيْفَ تَعْبُدُونَ - مِنْ دُونِ اللَّهِ - إِفْكَآ آلِهَةً،  
لَا حَوْلَ لَهَا وَلَا قُوَّةَ، بَلْ لَا خَيْرَ مِنْ تِلْكَ الْآلِهَةِ يُرْتَجَى، وَلَا شَرَّ بِهَا يُدْفَعُ؟!  
﴿ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (الأنبياء)، أَي:

مَا رَاحَةَ النَّثْنِ وَالْعُقُونَةِ الْكَرِيهَةِ الَّتِي تَتَّبِعُ مِنْ فَسَادِ قُلُوبِكُمْ السُّودِ  
الْمُظْلَمَةِ؟ أَتُوثِرُونَ الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى؟ ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء)؟ أَي:

يَا قَوْمِ، ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾  
فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ (الشعراء).

فَلَا مُوَادَعَةَ وَلَا مُمَايَلَةَ وَلَا مُحَابَاةَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا فِرَاقُ عَدَاوَةٍ وَبَغْضَاءٍ  
لِكُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلِأَنَّمَا الْكُفْرُ الْمَقْبُوحِينَ، وَلِمَنْ كَانَ لَهُمْ تَبَعًا  
فِي ضَلَالَاتِهِمْ - أَجْمَعِينَ - وَلَوْ كَانَ مِنْ ذَوِي الْقُرْبَى الْأَقْرَبِينَ.  
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام:

١ - ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ (الشعراء) أَي: فَهُوَ اللَّهُ خَالِقِي سُبْحَانَهُ الَّذِي  
يَهْدِينِي إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَالِاسْتِقَامَةِ فِيهِ.

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴿٧٦﴾ (مريم)، أَي: فَيَزِيدُهُمُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا إِيمَانًا  
إِلَى مَرْتَبَةِ الْيَقِينِ.

فَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - أَنَّ الشَّرْكَ بِاللَّهِ إِنَّمَا هُوَ أَصْلُ كُلِّ ضَلَالَةٍ، وَأَنَّ الْهَدَايَةَ  
إِلَى اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ رَأْسُ كُلِّ أَمْرٍ، فَلَا يَسْتَقِيمُ مِنْ دُونِهَا شَأْنٌ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْحَرْزُ الْمَنِيعُ مِنْ شُرُورِ الشَّيْطَانِ، وَمِمَّا يُسَوَّلُ بِهِ مِنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ:  
﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣٧٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوِّءِ  
وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٧٩﴾ (البقرة).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْعُبُودِيَّةِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ:

١ - الْحِفْظُ الْإِلَهِيُّ مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا وَبِلَانِهَا: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ  
شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ ﴿١٦٧﴾ (النساء).

٢ - النَّجَاة مِنَ النَّارِ وَأَلِيمٌ عَذَابُهَا، وَالْفَوْزُ بِرِضْوَانِ اللَّهِ الْبَرُّ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ:  
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة).

٢ - ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ ( الشعراء ) ، أَي: فَهُوَ اللَّهُ رَبِّي  
خَيْرُ الرَّازِقِينَ الَّذِي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي مِنْ رِزْقِهِ سُبْحَانَهُ.

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ؛ لِدَلِكِ فَهُوَ وَحْدَهُ الْكَفِيلُ بِأَرْزَاقِ  
الْخَلْقِ - أَجْمَعِينَ - وَهُوَ الضَّامِنُ لَهَا سُبْحَانَهُ: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا  
اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ ( العنكبوت ).

وَبِمَا أَنَّ أَرْزَاقَ الْخَلْقِ جَمِيعاً مَكْتُوبَةٌ وَمُقَدَّرَةٌ لَهُمْ؛ فَهِيَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَاصِلَةٌ  
إِلَيْهِمْ، فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا  
مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ( النحل ).

﴿ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ ( المرسلات ) عَذْبًا لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ، لِدَلِكِ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ  
إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ ( الملك ) ، أَي:  
فَمَنْ ذَا عَيْرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ سُبْحَانَهُ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ يَجْرِي دَافِقًا، فَتَشْرَبُونَهُ - أَنْتُمْ -  
وَتَسْقُونَ بِهِ حَرَّتَكُمْ وَأَنْعَامَكُمْ؛ إِذَا غَارَتِ الْعَيُونُ فَذَهَبَ مَاؤُهَا فِي جَوْفِ الْأَرْضِ،  
فَلَا تَسْتَطِيعُونَ لَهُ طَلْبًا؟

٣ - ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ( الشعراء ) ، أَي: فَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الشَّافِي،  
وَلَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ سُبْحَانَهُ إِذَا أَصَابَ الدَّاءُ فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ.



وَعَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ) قَالَتْ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَرِيضَ يَدْعُو لَهُ: ﴿ أَذْهَبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ. وَاشْفِ، أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا ﴾. الحديث « (مسلم: ٢١٩١).

٤- ﴿ وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ ( الشعراء )، أي: وَالَّذِي لَهُ سُبْحَانَهُ كُلُّ الْمَحْيَا وَكُلُّ الْمَمَاتِ، وَإِلَيْهِ - وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ - النَّشُورُ: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ ﴿١٨﴾ ( الأنعام )، أي: إِنَّ اللَّهَ هُوَ - وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ - الَّذِي يَقْضِي بِالْمَوْتِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَا مَحِيصَ وَلَا فِرَارَ مِنَ الْمَوْتِ.

﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿١١﴾ ( العنكبوت )، أي:

وَكَمَا بَدَأَكُمْ سُبْحَانَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَكَذَلِكَ تُبْعَثُونَ: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٥﴾ ( العنكبوت ).

فَانظُرْ هُنَا وَهُنَاكَ - وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ - فَتَرَى حَيَاةً تَنْشَأُ، وَمَوْتًا يَطْوِي أُخْرَى، لِتَعُودَ وَتَبْدَأَ النَّشْأَةَ مِنْ جَدِيدٍ، حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ ( مريم ).

٥- ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ ﴿١١﴾ ( العنكبوت ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ الْقَائِمُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ ( الأنبياء )، فَلَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ ( الأعراف ).

٦- ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٢٢ ﴾ (العنكبوت)، أي:

وَلَيَعْلَمَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ - أَجْمَعُونَ - بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُعْجِزِينَ لِقُدْرَةِ اللَّهِ  
وَجَبْرُوتِهِ سُبْحَانَهُ، لَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

يَا قَوْمِ، ﴿ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٢٣ ﴾ (العنكبوت)، أي:

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَلِكُ الْحَقُّ - وَالْكُلُّ خَلْقٌ مِّنْ دُونِهِ سُبْحَانَهُ - فَأَيْنَ الْفِرَارُ مِنْ  
بَطْشِ جَبْرُوتِهِ سُبْحَانَهُ إِنْ اجْتَرَأَ مَخْلُوقٌ عَلَى عِصْيَانِهِ؟!

٧- ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي  
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٤ ﴾ (العنكبوت)، أي:

وَاعْلَمُوا - يَا قَوْمَ - أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا هُوَ يَوْمٌ عَقِيمٌ، فَلَا يَوْمَ بَعْدَهُ،  
أَبَدًا! ذَلِكَ بِأَنَّ الْأَعْمَالَ قَدْ انْقَضَى زَمَانُهَا، وَقَامَ الْحِسَابُ: ﴿ ثُمَّ نُوفِّي  
كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٥ ﴾ (البقرة).

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ  
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣ ﴾ (الأنعام).

\* \* \*

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء)، أي:

فَمَا كَانَ مِنْ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَنْ نَكَّصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَأَخَذَتْهُمُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، فَقَالُوا: ﴿ أَبْتُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ (الصفات).

وَكَذَلِكَ بَنَوْا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُنْيَانًا عَالِيًا، ثُمَّ جَمَعُوا لَهُ مِنَ الْحَطَبِ الْكَثِيرَ فِي حُفْرَةٍ عَظِيمَةٍ.

فَلَمَّا امْتَلَأَتْ حَطْبًا أَجْبُوا نَارَ الْجَحِيمِ فِيهَا، فَاسْتَوَقَدَتْ النَّارُ، وَاشْتَدَّتْ لَهَايَهَا فَارْتَفَعَتْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ! وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بُعْدِ مِنْهَا؛ حَتَّى لَا تَلْفَحَ وُجُوهُهُمْ تِلْكَ النَّارَ الْمُوقَدَةَ.

فَلَمَّا شَدُّوا وَتَنَّقَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْبَبَتْ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ؛ وَمَا لَبِثَ الْقَوْمُ أَنْ أَلْفَوْا بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْبُنْيَانِ فِي الْجَحِيمِ: ﴿ قُلْنَا يَبْنَؤُا كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأنبياء)، أي:

وَكَذَلِكَ صَارَتْ تِلْكَ النَّارُ الْعَظِيمَةُ - بِأَمْرِ خَالِقِهَا سُبْحَانَهُ - بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَهَمَدَتِ النَّارُ - فَسَكَنَ لَهَايَهَا، وَانطَفَأَ جَمْرُهَا - وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَالِمًا مِنْ حَرِيقِهَا لَمْ يَمْسَسْهُ سُوءٌ:

﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ (الأنبياء)، أي:

لَمَّا أَرَادَ الْقَوْمُ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُوءًا، أَجَابَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنْ حَاقَ بِهِمْ سُوءٌ مَكْرَهُمْ، وَمَا زَادَهُمْ كَيْدُهُمْ إِلَّا خَسَارًا!



﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (البقرة)، أي:

ثُمَّ أَنَّ الْمَلِكَ نُمْرُودَ تَصَدَّرَ فِي الْمَجْلِسِ، وَجَادَلَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي أَمْرِ رَبِّهِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ ﴿٢٥٨﴾ (البقرة).

فَأَجَابَ نُمْرُودُ - بِحِمَاقَةِ الْجَاهِلِينَ - ﴿ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ ﴿٢٥٨﴾ (البقرة)؛ إِذْ أَنَّ الْأَمْرَ - فِي نَظَرِ ذَلِكَ الْعُتْلُ الْجَبَّارِ فِي الْأَرْضِ - لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدُ حُكْمٍ بِالْمَوْتِ عَلَى ذَلِكَ وَعَفْوٍ عَنِ ذَلِكَ! أَلَا سَاءَتِ الْحِمَاقَةُ قَرِينًا!

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ ﴿٢٥٨﴾ (البقرة):

وَكَذَلِكَ غَلَبَهُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَاسْتَوَلَتْ عَلَى نُمْرُودَ الْحُجَّةُ فَسَكَتَ مُتَحَيِّرًا عَنْهَا، أَي: انْقَطَعَ عَنْ حِمَاقَتِهِ وَجِدَالِهِ بِالْبَاطِلِ:

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢٥٨﴾ (البقرة)



﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ ﴾ ﴿١١٤﴾ (التوبة):

ذَلِكَ، وَلَقَدْ اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لِأَبِيهِ آزَرَ، وَأَنْجَزَ وَعَدَهُ طَمَعًا بِهَدَايَتِهِ: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ ﴿١١٤﴾ (التوبة)، أَي:

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَنَّ أَبَاهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ قَطَعَ صِلَتَهُ بِهِ، وَغَادَرَ كُفْرَ أَبِيهِ آزَرَ - فَمَا ظَلَمَ - إِذْ لَا قَرَابَةَ وَلَا نَسَبَ مَعَ الْبَاطِلِ، أَبَدًا!

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة) - وَذَلِكَ تَنَاءٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ - أَي:

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَاءٌ بِالْخَيْرِ، كَثِيرُ الْبُكَاءِ شَفَقاً وَفِرْقاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ؛ وَهُوَ الْمُتَسَامِحُ الصَّبُورُ الْمُتَأَنِّي الَّذِي لَا يَفْقُدُ صَوَابَهُ، وَلَا يَسْتَفِرُّهُ غَضَبٌ.



﴿ وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (مريم)، أَي:

وَإِنِّي لَمُفَارِقُكُمْ يَا قَوْمَ - أَنْتُمْ - وَذَلِكَ الْبَاطِلُ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ،  
﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت)، أَي:

وَاعْلَمُوا - يَا قَوْمَ - أَنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، وَأَنَّ رَبِّي اللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء)، أَي: وَكَذَلِكَ  
نَجَّاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلُوطاً عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ كُفْرِ قَوْمِهِ وَأَبَاطِيلِهِمْ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ.  
وَلَقَدْ كَانَتْ هِجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ (كُوْتَى) مِنْ أَرْضِ بَابِلَ فِي  
العِرَاقِ، وَهِيَ الْبَلَدَةُ الَّتِي كَانَ بِهَا مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِهَا طَرَحَ فِي النَّارِ؛  
وَسَارَ إِلَيْهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ فَفَتَحَهَا فِي سَنَةِ (١٠ هـ).



﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ (الأنبياء):

وَالنَّافِلَةُ - فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - هِيَ: وَلَدُ الْوَالِدِ، أَي: وَهَبْنَا لَهُ تَفَضُّلاً  
يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - زِيَادَةً - ذَلِكَ بِأَنَّ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا وَهَبَ لَهُ بِدُعَائِهِ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (إبراهيم).

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴾ (٧٣) (الأنبياء) .



وَعَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) ، قَالَ :

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﷻ : قَوْلُهُ ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وَقَوْلُهُ ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ .

بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةٌ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ هَهُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ .

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : أُخْتِي .

فَأَتَى سَارَةَ ، قَالَ : يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي ، فَلَا تُكَذِّبِي .

فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ ، فَأَخَذَ - أَي : فَلَمَّا بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا قَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً ، وَلَجِمَ عَنْهَا - فَقَالَ : ادْعِي اللَّهَ لِي ، وَلَا أَضْرُكَ .

فَدَعَتِ اللَّهَ ، فَأَطْلِقْ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ ، فَأَخَذَ مِنْهَا ، أَوْ أَشَدَّ .

فَقَالَ : ادْعِي اللَّهَ لِي ، وَلَا أَضْرُكَ ؛ فَدَعَتْ ، فَأَطْلِقْ ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ ، فَأَخْدَمَهَا هَاجِرَ .

فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ : مَهْيَا؟ - أَوْ مَهَيْمٌ : وَهِيَ كَلِمَةٌ يَمَانِيَّةٌ ، مَعْنَاهَا مَا أَمْرُكَ؟ وَمَا هَذَا الَّذِي أَرَى بِكَ؟! - قَالَتْ : رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ ، وَأَخْدَمَ هَاجِرَ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : تِلْكَ أُمَّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ ( أَي : يَا بَنِي

مَاءِ زَمْزَمَ ) . الْحَدِيثُ « ( البخاري : ٣٣٥٨ ) .



﴿ وَلَوْ طَا ءَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ  
الْحَبَابِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوِيًّا فَسَيِّئِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ  
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأنبياء)

## بَحْثٌ فِي الْحِكْمَةِ:

إِنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ الْعِلْمُ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، أَي:  
اِقْتِرَانُ الْعِلْمِ بِالْفَهْمِ - وَهُوَ: ( الْفِقْهُ ) - ثُمَّ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أُعْنِي:  
إِصَابَةُ الْحَقِّ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.  
وَكَذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ - أَيْضًا - الْعَدْلُ فِي الْحُكْمِ، وَالْقَضَاءِ.

فَاعْلَمْ، أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ الَّذِي: ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥٠﴾ ﴾ (العلق).  
لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْعِلْمِ الْقَلِيلِ الَّذِي قَدْ عَلَّمَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ  
( حِينَ جَعَلَ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ - ابْتِدَاءً مِنْ طِينٍ - خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ )؛ فَهِيَ لَيْسَتْ  
مُشَبَّهَةً بِالْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، أَبَدًا!

ذَلِكَ بِأَنَّ الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ إِنَّمَا تَقْتَضِي:

- مَعْرِفَةَ الْأَشْيَاءِ، وَالْأُمُورِ كُلِّهَا: ﴿ وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء).

- إِيجَادَ كُلِّ شَيْءٍ - عَنْ عَدَمٍ أَوْ غَيْرِهِ - بِالْحَقِّ، وَذَلِكَ عَلَى غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالِاتِّقَانِ:  
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الحجر).

أَفَلَا يَرَوْنَ ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلُّ شَيْءٍ ﴿٨٨﴾ ﴾ (النمل)؟



وَلَقَدْ آتَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْحِكْمَةَ، وَمِثَالُ ذَلِكَ:

﴿ وَالْقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ (لقمان).

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (آل عمران): عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿ وَعَآتِلَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (البقرة): دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ  
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء): رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَتَنَقَّسِمُ تِلْكَ الْحِكْمَةُ - الَّتِي آتَاهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْبِيَآءَهُ وَرُسُلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -  
إِلَى قِسْمَيْنِ:

١ - الْحِكْمَةُ الْمَنْطُوقُ بِهَا، أَي: أَسْرَارُ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ.

٢ - الْحِكْمَةُ الْمَسْكُوتُ عَنْهَا، أَي: عِلْمُ أَسْرَارِ الْحَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَهِيَ عَلَى أَنْوَاعٍ ثَلَاثَةٍ:

١ - النَّبُوءَةُ، ٢ - الرَّسَالَةُ، ٣ - الْكُتُبُ وَالشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ.

\* \* \*



﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ (البقرة)، أي:

فَإِذَا آتَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ الْحِكْمَةَ، فَقَدْ آتَاهُ مَا يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ:

طَاعَةَ اللَّهِ وَاتِّبَاعَ مَنْهَجِهِ، الْخَشْيَةَ، الْوَرَعَ، التَّفَكُّرَ، الْفِقْهَ فِي الدِّينِ وَالْعَمَلَ بِهِ، تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَإِصَابَةَ الْقَوْلِ فِيهِ، الْفَهْمَ وَحُجَّةَ الْقَوْلِ، الْحِلْمَ وَالْأَنَاءَ وَالْتِمُتُّ فِي الْأُمُورِ، وَضَبْطَ النَّفْسِ وَالطَّبْعِ عَنِ هَيْجَانِ الْغَضَبِ.



﴿ وَتَجِيئُهُ مِنَ الْقَرْيَةِ ۗ ﴾ (الأنبياء) وَهِيَ سَدُومُ، أَي: الْقَرْيَةُ الَّتِي بُعِثَ إِلَيْهَا لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ إِحْدَى الْمُؤْتَفِكَاتِ.

﴿ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ ۗ ﴾ (الأنبياء):

أَلَا وَهِيَ: إِثْيَانُ الرَّجَالِ شَهْوَةً - مِنْ دُونِ النَّسَاءِ - وَكُلُّ مَا يَقَعُ فِي حُكْمِهَا - مِنْ فَوَاحِشِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَالَّتِي مَا سَبَقَهُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ: إِي وَرَبِّي، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ۗ ﴾ (الأنبياء).

---

وَالْمُؤْتَفِكَةُ: هِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي انْتَفَكَتْ بِأَهْلِهَا الْأَرْضُ، أَي:

ذَهَبَتْ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - دِيَارُهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَغَابُوا فِيهَا: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۗ ﴾ (الأعراف).

---



﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾  
 وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ  
 فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الأنبياء)

## هَلِ الْجَهْلُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ؟

لا، فالجهل بالله لا يعني - أبداً - أن الإنسان ليس بمؤمن؛ ذلك بأن الكفر إنما يعني الإصرار على العُدول عن الحق، إلى الضلال.

وأحد أبرز أسباب الجهل بالله هو - بلا ريب - الضعف الإنساني، وذلك كما يتبين - جلياً - في الآيات الكريمة الآتية:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (هود).

حيث يكون الإنسان - في تلك الحالة - ناقص الإيمان بالله، أو خارجاً عنه؛ وذلك حتى يتوب إلى رُشدِهِ: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الإسراء).



﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الانبیاء)

### بَعْضٌ مِنْ قِصَّةِ دَاوُدَ عليه السلام

كثِيرٌ مِنَ الْحِكَايَةِ - وَذَلِكَ فِي مُعْظَمِ مَا قَرَأْتُ مِنَ التَّفَاسِيرِ، وَكُتِبَ التَّارِيخُ - لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ تَصَوُّرَاتٍ أَوْ أَضْغَاثِ مُفَسِّرِينَ، أَوْ نَقْلًا عَنِ الْعَوَامِّ مِنَ الْمُتَحَدِّثِينَ، أَوْ الضَّالِّينَ مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْوَاضِعِينَ.

وَإِنَّ لِي فِي افْتِصَارِ السِّيَاقِ الْقِصَصِيِّ عَلَى بَعْضِ الْقِصَّةِ لَعُدْرًا، إِذْ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ - أَبَدًا - نَقْلُ تِلْكَ الْغَبَاوَاتِ وَالْخُرَافَاتِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمَوْضُوعَةِ، أَوْ الرِّوَايَاتِ الْمُفْتَعَلَةِ.

وَإِنَّمَا الْقَوْلُ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ، هُوَ: " اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَبِيِّهِ دَاوُدَ عليه السلام ".

كَذَلِكَ، فَإِنَّ جَمِيعَ آيَاتِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ - الَّتِي وَرَدَتْ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ - لَيْسَتْ بِالضَّرُورَةِ مِمَّا يَخُصُّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام، وَإِنَّمَا هِيَ جُزْءٌ لَا يَتَجَرَّأُ مِنَ السِّيَاقِ الْقِصَصِيِّ.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (البقرة).

وَمِمَّا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْأَخْبَارِ:

- أَنَّ النَّهْرَ هُوَ نَهْرُ الْأُرْدُنِّ.

- وَأَنَّ جَالُوتَ كَانَ رَأْسَ الْجَبَّارِينَ.

- وَأَنَّ الْمَلِكَ طَالُوتَ وَعَدَ مَنْ قَتَلَ جَالُوتَ أَنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَتَهُ، وَيُقَاسِمَهُ الْمُلْكَ.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْوَعْدِ، كَانَ أَنْ بَرَزَ دَاوُدَ عليه السلام - مِنْ بَيْنِ كُلِّ الْجُنْدِ - لِذَلِكَ

الْجَبَّارِ فِي الْأَرْضِ، ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (البقرة) - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَكَانَ ذَلِكَ

فِي ( بَيْسَانَ ) مِنْ أَرْضِ الْغُورِ فِي الْأُرْدُنِّ.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ طَالُوتَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْدِرْ بِدَاوُدَ عليه السلام، وَإِنَّمَا وَفَى بِوَعْدِهِ لَهُ

بِالْمُلْكِ وَالزَّوْاجِ، مَعًا.

وَمَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ، بَدَأَ يَعْظُمُ شَأْنُ دَاوُدَ عليه السلام - فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - حَتَّى صَارَ

نَافِذَ الْقَوْلِ وَالْأَمْرِ، فَأَحْبَبَهُ النَّاسُ وَمَالُوا عَنْ طَالُوتَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ انْخَلَعَ

طَالُوتُ عَنْ مُلْكِهِ، وَبِذَلِكَ كَمَلَ لِدَاوُدَ عليه السلام الْمُلْكَ.

﴿ وَعَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ (البقرة)، أي:

لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِذَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَي: بَيْنَ الْمُلْكِ وَالنُّبُوَّةِ، وَذَلِكَ بِخِلَافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذْ كَانَ الْمُلْكُ فِي سَبْطِ، وَالنُّبُوَّةُ فِي آخَرَ.



﴿ وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص)، أَي: كَانَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَا قُوَّةٍ فِي الْعِبَادَةِ، وَصَبْرٍ عَلَى الْقِيَامِ بِالطَّاعَةِ. ( وَالْأَيْدِ هُوَ: الْقُوَّةُ فِي الطَّاعَةِ. )

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرَ التَّسْبِيحِ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ. وَأَخْبَرَ ( عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ):

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

﴿ أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ. وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ؛ وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ١١٣١) .



﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴾ (سبا)، أَي: يَاجِبَالُ وَيَاطِيرُ عُودِي مَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّسْبِيحِ كُلَّمَا عَادَ فِيهِ، وَرَدَّ فِي مَعَهُ.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التغابن)، أي:

حَقًّا، إِنَّهَا قُدْرَةُ اللَّهِ هِيَ الَّتِي جَعَلَتْ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ تَتَجَاوَبْنَ مَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَسْبِيحِ خَالِقِهِنَّ سُبْحَانَهُ، وَتُرَدِّدْنَ مَعَهُ؛ فَيَفْهَمُ أَوْ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ كُلَّ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَلِكَ الْفَهْمُ أَوْ السَّمْعُ: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام).

فَكَانَتْ الْجِبَالُ تُجِيبُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَسْبِيحِهِ، وَذَلِكَ كُلَّمَا سَبَّحَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (ص).

وَإِذَا تَرَنَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقِرَاءَةِ الزَّبُورِ رَجَعَ الطَّيْرُ بِتَرْجِيْعِهِ، وَسَبَّحَ بِتَسْبِيحِهِ:

﴿ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهْوٍ أَوَّابٌ ﴾ (ص)، وَذَلِكَ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الصَّوْتِ الْحَسَنِ الشَّجِيِّ الطَّيِّبِ النَّعْمَةِ، مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

وَحَدَّثَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ قِرَاءَةَ أَبِي مُوسَى ( وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ )، فَقَالَ: ﴿ لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ ﴾. الْحَدِيثُ « (النسائي: ١٠١٩).

وَالْبُكْرَةُ: هِيَ الْغُدْوَةُ - أَي: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ - فَإِذَا زَالَتْ الشَّمْسُ دُعِيَ ذَلِكَ الْوَقْتُ: ( الْعِشِيُّ ) - فَتَحَوَّلَ الظِّلُّ شَرْقِيًّا، وَتَحَوَّلَتِ الشَّمْسُ غَرْبِيَّةً - فَإِذَا غَابَ الشَّفَقُ فَهُوَ: ( الْعِشَاءُ ).

وَتَرْجِيْعُ الصَّوْتِ: تَرْدِيْدُهُ، وَيُقَالُ رَجَعَ الرَّجُلُ: إِذَا رَدَّدَ صَوْتَهُ فِي قِرَاءَةٍ، أَوْ أَدَانَ، أَوْ غَنَاءً، أَوْ زَمْرًا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَرَنَّمُ بِهِ.

وَمِمَّا قِيلَ فِي الرِّوَايَاتِ - وَمَا أَكْثَرُهَا مِنْ قِيلٍ وَقَالَ - أَنَّهُ:

- كَانَ لَا يَسْمَعُ دَاوُدَ عليه السلام أَحَدًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا حَجَلَ كَهَيْئَةِ الرَّقْصِ.

وَالْحَجَلُ: أَنْ يَرْفَعَ أَدْهُمُ رِجْلًا وَيَقْفِرَ عَلَى الْأُخْرَى مِنَ الْفَرْحِ - وَقَدْ يَكُونُ قَفْرًا بِالرَّجْلَيْنِ جَمِيعًا - وَذَلِكَ هُوَ مَا يُسَمَّى رَقْصًا: (الدَّبْكَةُ الشَّعْبِيَّةُ).

- وَكَانَ يَقْرَأُ الزُّبُورَ بِصَوْتٍ لَمْ تَسْمَعْ الْإِدَانُ بِمِثْلِهِ؛ فَيَعْكُفُ عَلَى صَوْتِهِ الشَّجِي كُلُّ مَنْ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، وَالطَّيْرِ وَالذُّوَابِ؛ حَتَّى يَهْلِكَ بَعْضُهَا جُوعًا! (وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِمُضْرَبَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْقَوْلِ!)

﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿١١٣﴾﴾ (النساء): وَكَذَلِكَ كَانَ دَاوُدَ عليه السلام - مَعَ هَذَا الصَّوْتِ الرَّخِيمِ - سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ لِكِتَابِهِ الزُّبُورِ.

وَالزُّبُورُ، وَالْجَمْعُ زُبُرٌ: هُوَ الْكِتَابُ الْمَزْبُورُ، وَيُقَالُ زَبَرْتُ الْكِتَابَ: إِذَا أَنْقَنْتُ كِتَابَتَهُ. وَلَقَدْ غَلَبَ الزُّبُورُ عَلَى صُحُفِ دَاوُدَ عليه السلام، وَهُوَ كِتَابٌ مَشْهُورٌ لَيْسَ فِيهِ حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، وَلَا فَرَائِضٌ وَلَا حُدُودٌ؛ وَإِنَّمَا هُوَ دُعَاءٌ تَحْمِيدٌ وَتَمْجِيدٌ، زَاخِرٌ بِالْمَوَاعِظِ وَالْحِكْمِ.



﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ (الانبیاء)، أَي: وَعَلَّمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ دَاوُدَ عليه السلام صَنْعَ اللَّبُوسِ الَّتِي تَلْبَسُ فِي مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ، وَذَلِكَ لِتَمْنَعَ عَنِ الْمُقَاتِلِينَ بَأْسَ الْأَعْدَاءِ. وَلَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ بَأَنَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ كَيْفَ يُطَوِّعُ الْحَدِيدَ بِالنَّارِ: ﴿وَأَلَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ (سبا).

وَأَرْشَدَهُ - بَعْدَ ذَلِكَ - إِلَى كَيْفِيَّةِ صَنْعَتِهَا: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتِ ﴿١١﴾﴾ (سبا)، أَي:

اصْنَعْ يَا دَاوُدُ دُرُوعاً مَرِنَةً - أَي: مَسْرُودَةً مِنَ الْحَلْقِ - وَطَوِيلَةً إِلَى الْأَرْضِ.  
﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ١٧ ﴾ (ص١٠٠)، أَي:

- لَا تَجْعَلِ الْمِسْمَارَ غَلِيظًا، وَالثَّقَبَ دَقِيقًا؛ فَيَفْصِمَ الْحَلْقُ. ( وَالْفَصْمُ: الْكَسْرُ  
مِنْ غَيْرِ بَيْنُونَةٍ. )

- وَلَا تَجْعَلِ الْمِسْمَارَ دَقِيقًا، وَالثَّقَبَ وَاسِعًا؛ فَيَتَقَلَّبُ، أَوْ يَنْخَلَعُ،  
أَوْ يَنْقَصَفَ الْحَلْقُ.

لِذَلِكَ اجْعَلْهُ يَا دَاوُدُ عَلَى الْقَصْدِ، وَقَدِّرِ الْحَاجَةَ.

وَبِذَلِكَ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ - دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الدُّرُوعَ السَّابِغَاتِ  
مِنَ الزَّرْدِ، إِذْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الصَّفَاحِ.

اللبُّوسُ: الدَّرْعُ الْمَسْرُودَةُ السَّابِغَةُ، أَي: الدَّرْعُ الْمَرِنَةُ الَّتِي طَانَتْ إِلَى الْأَرْضِ.  
وَالْمَسْرُودَةُ: الدَّرْعُ الْمُثَقَّبَةُ، لِأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مِنْ زَرْدٍ.  
وَالزَّرْدُ، وَاحِدَتُهَا الزَّرْدَةُ: هِيَ حَلَقَاتُ الدَّرْعِ.

وَسَرْدُ الدَّرْعِ: نَسْجُهَا، وَهُوَ تَدَاخُلُ الْحَلْقِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ بِالسَّمْرِ بِالسَّامِيرِ.



﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ١٨ ﴾ (ص١٠٠)، أَي: قَوَيْنَا مُلْكَ دَاوُدَ بِأَنْ آتَيْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا،

وَحُكْمًا نَافِذًا، وَكَذَلِكَ ﴿ ءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ١٩ ﴾ (ص١٠٠)، أَي:

آتَيْنَاهُ النُّبُوَّةَ، وَالزُّبُورَ، ﴿ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ٢٠ ﴾ (ص١٠٠)، أَي: إِصَابَةَ الْقَضَاءِ

وَفَهْمَهُ، أَي: الْقَضَاءِ بِالْعَدْلِ.

ذَلِكَ بِأَنَّ الْعَدْلَ أَسَاسُ الْمُلْكِ، وَإِنَّ اقْتِرَانَ الْقُوَّةِ مَعَ الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ إِنَّمَا هُوَ  
جَمَاعُ الْكَمَالِ فِي السُّلْطَانِ الْإِنْسَانِيِّ.



وَعِمَادُ الْقَضَاءِ بِالْعَدْلِ - بِإِلَارِيْبِ - هُو:

١ - أَنْ يَحْكَمَ الْقَاضِي بِالْبَيِّنَةِ عَلَى مَنْ ادَّعَى وَالْيَمِينِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ.

٢ - أَنْ يَفْصَلَ الْقَاضِي بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

٣ - أَنْ يُمَيِّزَ الْقَاضِي بَيْنَ الْحُكْمِ وَضِدِّهِ، أَي: أَنْ يَقْطَعَ الْحُكْمَ وَيَجْزِمَ فِيهِ بِرَأْيِ سَدِيدٍ، لَا تَرَدُّدَ فِيهِ.

وَأَمَّا عَطْفُ ( فَضْلِ الْخِطَابِ ) عَلَى ( الْحِكْمَةِ ) - فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - فَهُوَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِلتَّفْضِيلِ.

وَهَا هُوَ ذَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَعَرَّضُ لِلْفِتْنَةِ وَالْإِبْتِلَاءِ، وَذَلِكَ لِتَتَكَشَّفَ لَهُ مَوَاطِنَ الضَّعْفِ الْإِنْسَانِيِّ؛ فَيَسْتَنْبِيحُ مَوَاضِعَ الْخَطَا، فَيَجْتَنِبُهَا، لِيَزْدَادَ فَهْمًا وَعِلْمًا. بَيِّنُ أَنْ صُحْبَةَ اللَّهِ كَانَتْ تَهْدِيهِ دَائِمًا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَتَقِيهِ مِنَ الزَّلَلِ.

وَمِمَّا يُرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ الْمَلِكَ - دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَدْ كَانَ يُخَصِّصُ بَعْضًا مِنْ وَقْتِهِ لِتَصْرِيفِ شُؤُونِ الْمُلْكِ، وَالْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ؛ وَبَعْضًا مِنْهُ لِلَاغْتِكَافِ فِي الْمِحْرَابِ حَيْثُ يُصَلِّي فِيهِ، وَيُرْتَلُ أَنَاشِيدَ الزَّبُورِ تَسْبِيحًا لِلَّهِ، فَإِذَا دَخَلَ الْمِحْرَابَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ حَتَّى يَخْرُجَ هُوَ إِلَى النَّاسِ.

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ ﴿١٢﴾ (ص)، أَي:

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ، فُوجِيَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَخْصَيْنِ وَقَدْ اعْتَلَيَا جِدَارَ الْمِحْرَابِ. فَأَوْجَسَ مِنْهُمَا خِيفَةً: إِذْ لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ أَنْ يَتَسَوَّرَ الْمِحْرَابَ، حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْمُتَسَوِّرُ مُؤْتَمِنًا أَوْ أَمِينًا!

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٢٢) (ص)، وَلَقَدْ أَتَيْنَاكَ لَتَقْضِي بَيْنَنَا: ﴿ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ (٢٢) (ص).

وَبَدَأَ أَحَدَ الْخَصْمَيْنِ بَعْرُضِ خُصُومَتِهِ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ (٢٣) (ص)، أَي: اجْعَلْ تِلْكَ النُّعْجَةَ لِي، وَفِي مُلْكِي وَكَفَالَتِي.

﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (٢٣) (ص)، أَي: شَدَّدَ عَلَيَّ فِي الْقَوْلِ، وَأَغْظَى فِي الْإِلْحَاحِ. وَفِيمَا يَظْهَرُ - بَدَأَ الرَّأْيِ - أَنَّ الْقَضِيَّةَ كَمَا عَرَضَهَا الْخَصْمُ الْأَوَّلُ إِنَّمَا تَحْمِلُ ظُلْمًا بَيْنًا، لَا رَيْبَ فِيهِ، أَبَدًا.

وَابْتَدَأَ دَاوُدَ عليه السلام - مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، وَقَبْلَ إِمْعَانِ النَّظَرِ فِي تِلْكَ الْمَظْلَمَةِ - بِالْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ، وَذَلِكَ دُونَ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْخَصْمِ الْآخَرَ حَدِيثًا، أَوْ يَطْلُبَ مِنْهُ بَيَانًا، أَوْ يَسْمَعَ لَهُ حُجَّةً.

فَقَالَ لِلْمُتَظَلِّمِ مِنْهُمَا: ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ ﴾ (٢٤) (ص) - أَي: الشُّرَكَاءِ - ﴿ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٢٤) (ص)، أَي: يَغْلُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَعْدِلُوا عَنِ الْحَقِّ، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (٢٤) (ص).

وَلَقَدْ أَخْطَأَ دَاوُدَ عليه السلام إِذْ تَعَجَّلَ بِالْحُكْمِ - بِلَا إِبْطَاءٍ، أَوْ تَبَصَّرَ فِي الْأَمْرِ - فَلَمْ يَبَيِّنِ الْحَقَّ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَسْتَمَعَ الطَّرْفَ الْآخَرَ؛ وَإِنَّمَا أَخَذَ بِظَاهِرِ قَوْلِ أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ، فَمَالَ إِلَى أَحَدِهِمَا - دُونَ صَاحِبِهِ - فَلَمْ يُصِبْ عَدْلًا.

وَمَا لَبِثَ أَنْ اخْتَفَى الرَّجُلَانِ عَنِ دَاوُدَ عليه السلام، إِذْ كَانَا مَلَكَيْنِ قَدْ أَرْسَلَهُمَا  
اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَبْلُوهُ فِيمَا آتَاهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالْحُكْمِ.

﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ (ص)، أي:

وَتَفَطَّنَ دَاوُدَ عليه السلام لِهَذَا الْأَمْرِ، فَعَرَفَ أَنَّهُ الْاِخْتِبَارُ مِنَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ،  
لِيَزِدَادَ فَهْمًا وَعِلْمًا.

وَحِينَئِذٍ، أَدْرَكْتَهُ طَبِيعَتُهُ، فَهُوَ الْعَبْدُ الْأَوَّابُ إِلَى اللَّهِ:

﴿ فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (ص)، أي: فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ لِانْصِرَافِهِ  
عَنْ وَجْهِ الْحَقِّ فِي أَمَانَةِ الْحُكْمِ.

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَكَابٍ ﴾ (ص)، أي:  
وَإِنَّ لِدَاوُدَ عليه السلام لِقُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ، وَحُسْنَ الْمَرْجِعِ وَالذَّرَجَةِ وَالْمَنْزِلَةِ؛ وَذَلِكَ:  
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ (المطففين).

(وَالزُّلْفَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْقُرْبَى؛ ﴿ وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الشعراء)، أي: قُرِبَتْ.)

﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ  
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (ص):

وَذَلِكَ لِيَعْلَمَ دَاوُدَ عليه السلام أَنَّ أَصْلَ الْحُكُومَةِ بَيْنَ النَّاسِ هُوَ رَدُّ الظَّالِمِ عَنْ ظُلْمِهِ،  
فَهُوَ النَّبِيُّ الْمَلِكُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلِيفَةً عَلَى النَّاسِ، لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ  
بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا  
يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (٦٦) (ص):

وَهُوَ حُكْمٌ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ ﴿ أَتَبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ (٦٨) (الكهف)، أي:

كَانَ أَمْرُهُ نَدْمًا وَحَسْرَاتٍ عَلَيْهِ فَكَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ  
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ  
مُّقِيمٍ ﴾ (٤٥) (الشورى)، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ.

وَعَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه )، قَالَ:

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

﴿ إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَن يَمِينِ الرَّحْمَنِ - وَكُنَّا يَدَيْهِ  
يَمِينٌ - الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا ﴾. الحديث « (مسلم: ١٨٢٧).

الْمُقْسِطُونَ: هُمُ الْعَادِلُونَ.

وَالْإِفْسَاطُ وَالْقِسْطُ هُوَ الْعَدْلُ: ﴿ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) (الحجرات).

الْمَنَابِرُ: جَمْعُ مَنْبَرٍ وَسُمِّيَ بِهِ لِارْتِفَاعِهِ، وَهُوَ - هَهُنَا - كِنَايَةٌ عَنِ الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ.

﴿ عَن يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﴾: لَهُ مَعْنَى يَلِيقُ بِاللَّهِ، أَي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (١١) (الشورى).

وَالْيَمِينُ هُوَ: الْجِهَةُ الْمَحْمُودَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَنْسُبُ الْفِعْلَ الْمَحْمُودَ  
وَالْإِحْسَانَ إِلَى الْيَمِينِ، وَضِدَّهُ إِلَى الْيَسَارِ. وَالْيَمِينُ مَأْخُودٌ مِنَ الْيَمْنِ، أَي: الْبَرَكَةِ.

وَعَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا )، قَالَتْ: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَنَ

مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ، فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ. الحديث « (البخاري: ٤٢٦).

﴿ وَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ﴾: تَشْدِيدٌ عَلَى أَنَّ الِیْمِینَ لَیْسَتْ بِالْجَارِحَةِ - لِأَنَّ ذَلِكَ یَمْتَنِعُ اِمْتِنَاعاً فِی حَقِّ اللّٰهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ غُلُوباً كَبِیْراً - وَإِنَّمَا هِیَ الْمَنْزِلَةُ الرَّفِیْعَةُ عِنْدَ اللّٰهِ وَجَوَارِحُ الْإِنْسَانِ: أَعْضَاؤُهُ وَعَوَامِلُ جَسَدِهِ - مِثْلُ: یَدَیْهِ وَرِجْلَیْهِ - وَوَاحِدَتُهَا جَارِحَةٌ، لِأَنَّهِنَّ یَجْرَحُنَّ الْخَیْرَ وَالشَّرَّ، أی: یُكْسِبْنَهُ.

﴿ وَمَا وُلُّوا ﴾، أی: كُلُّ مَا كَانَتْ لَهُمْ عَلَیْهِ وَلاِیْتَهُ، وَكُلُّ مَنْ وَلاَی أَمْرٌ قَوْمٍ فَهُوَ وَلاِیْتَهُمُ.



وَإِنَّ فِی قِصَّةِ دَاوُدَ عليه السلام لِحِكْمَةً یُنْبَغِی أَلَّا یَغْفَلَ عَنْهَا - أَبَدًا - كُلُّ ذِی فِطْنَةٍ، أَلَّا وَهِيَ أَنْ یَحْرِصَ - ذَلِكَ الْفِطْنُ - مِنْ السَّاعَاتِ عَلَى أَرْبَعٍ:

١ - سَاعَةٌ یُنَاجِی فِیْهَا رَبَّهُ سُبْحَانَهُ:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦١﴾ ﴾ (آل عمران).

٢ - سَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَمْ يَصِرْوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (آل عمران).

### ٣- سَاعَةٌ يَجْلِسُ فِيهَا إِلَى أَصْحَابِهِ:

وَذَلِكَ لِيَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ، وَيَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْإِنْقِطَاعِ  
عَنْ مَعَاصِيهِ، وَيَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ لِيَرْحَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا  
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي.

وَذَلِكَ هُوَ فِعْلُ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، كَمَا يُسَدُّ  
خَلْلَ الثُّوبِ بِالْخِيَاطَةِ.

### ٤- سَاعَةٌ لِنَفْسِهِ:

يَتَذَدُّ فِيهَا بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَيَمِيلُ فِيهَا إِلَى الْمَلَأِ الْحَلَالِ.

وَإِنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ هِيَ إِجْمَامٌ لِلْقُلُوبِ، وَعَوْنٌ عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ  
مِنَ السَّاعَاتِ.

وَعَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) :

« أَنْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ،  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ،  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصُومُ فَلَا أَفْطِرُ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ مَا بَالُ  
أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ  
النِّسَاءَ. فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ﴾. الحديث « (النسائي: ٣٢١٧).

وَاعْلَمْ أَنَّهُ حَقٌّ عَلَى الْمَرْءِ:

- ١ - أَنْ يَعْرِفَ زَمَانَهُ.
- ٢ - أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ.
- ٣ - أَنْ يَقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ، فَلَا يَتَدَخَّلَ فِيهَا لَا يُعْنِيهِ مِنْ شَأْنٍ غَيْرِهِ.
- ٤ - أَلَّا يَشُدَّ الرَّحَالَ لِسَفَرٍ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ:

- ١ - زَادَ لِمَعَادِهِ.
  - ٢ - أَوْ إِصْلَاحَ لِسَانِهِ.
  - ٣ - أَوْ لَذَّةً فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.
- وَكُلُّ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ - جَلِيًّا - فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الْآتِيَةِ:

﴿ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (البقرة) .

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (الملك) .

﴿ وَأَبْغِ فِيمَا عَاثَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (الفصص) .



## بَعْضٌ مِنْ قِصَّةِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

كَثِيرٌ مِنَ الْحِكَايَةِ - وَذَلِكَ فِي مُعْظَمِ مَا قَرَأْتُ مِنَ التَّفَاسِيرِ، وَكُتِبَ التَّارِيخُ -  
لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ تَصَوُّرَاتٍ أَوْ أَضْغَاثِ مُفَسِّرِينَ، أَوْ نَقْلًا عَنِ الْعَوَامِّ مِنَ الْمُتَحَدِّثِينَ،  
أَوْ الضَّالِّينَ مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْوَاضِعِينَ.

وَإِنَّ لِي فِي إِقْتِصَارِ السِّيَاقِ الْقِصَصِي عَلَى بَعْضِ الْقِصَّةِ لَعُدْرًا، إِذْ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ  
- أَبَدًا - نَقْلُ تِلْكَ الْعِبَاوَاتِ وَالْخَرَافَاتِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمَوْضُوعَةِ، أَوْ الرِّوَايَاتِ الْمُفْتَعَلَةِ.

وَإِنَّمَا الْقَوْلُ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ، هُوَ: " اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ عليه السلام ".

كَذَلِكَ، فَإِنَّ جَمِيعَ آيَاتِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ - الَّتِي وَرَدَتْ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ -  
لَيْسَتْ بِالصَّرُورَةِ مِمَّا يَخُصُّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عليه السلام، وَإِنَّمَا هِيَ جُزْءٌ لَا يَتَجَرَّأُ  
مِنَ السِّيَاقِ الْقِصَصِي.

وَهُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۗ ﴿٣٠﴾ ﴾ (ص) الَّذِي  
أَنْتَى اللَّهُ عَلَيْهِ، فَوَصَفَهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ: ﴿ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (ص)، أَي:  
مُطِيعٌ لِلَّهِ، وَكَثِيرُ التَّسْبِيحِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ.



﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ  
وَكَتَبْنَا لَهُمُ لِحْكَمِهِمْ شَهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الأنبياء)، أَي:

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي، نَفِثَتْ فِي حَرْثِ قَوْمٍ غَنَمٌ قَوْمٍ آخَرِينَ،  
فَأْتَلَفَتْ كُلَّ الْحَرْثِ؛ فَاحْتَكَمُوا إِلَى دَاوُدَ عليه السلام، فَالزَّمَ أَصْحَابَ الْغَنَمِ بِقِيَمَةِ  
مَا أَتَلَفَتْ أَغْنَامُهُمْ مِنَ الْمَرْزُوعَاتِ.



فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِيقَانِ مِنْ مَجْلِسِ دَاوُدَ، قَالَ لَهُمْ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: بِمِ حَكْمَ لَكُمْ نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالُوا: بِكَذَا وَكَذَا.  
فَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

أَمَا لَوْ كَانَ الْحَاكِمُ أَنَا، لَمَا حَكَمْتُ إِلَّا بِتَسْلِيمِ الْغَنَمِ لِيَسْتَعْلِفَهَا أَصْحَابُ الْكَرَمِ، وَذَلِكَ وَلَادَاءً، وَصُوفَاءً، وَدَرَأً؛ حَتَّى يَرْجِعَ الْحَرْثُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَيُسَلِّمَ أَصْحَابُ الْكَرَمِ الْغَنَمَ إِلَى أَصْحَابِهَا.

وَحِينَ عَلِمَ دَاوُدُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِذَلِكَ الْقَضَاءِ، قَضَى بِهِ.

وَالْحَرْثُ: هُوَ الْكَرْمُ؛ أَي: شَجَرَةُ الْعِنَبِ، أَوْ غَيْرُهَا مِنَ الْمَرْزُوعَاتِ.

وَأَمَّا النَّفْسُ: فَهُوَ أَنْ تَنْتَشِرَ الْبَهَائِمُ - لَيْلًا - فَتَرَعَى مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ رَاعِيَهَا.

وَمَعَ أَنَّ كِلَا الْحُكْمَيْنِ كَانَ جَائِزاً فِي شَرْعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَّا أَنَّ حُكْمَ سُلَيْمَانَ رَجَحَ عَلَى حُكْمِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَنَهُ قَدْ فَهَمَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِيَّاهُ: ﴿ فَهَمَّ مَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾  
وَكُلًّا عَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿٧٦﴾ (الأنبياء).

وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:

﴿ كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذَّنْبُ فَذَهَبَ بِأَبْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى. فَخَرَجْنَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَخْبَرْتَاهُ، فَقَالَ: أَيُّنِي بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا

تَفْعَلَنَّ يَرْحَمَكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى. » الحديث « (البخاري: ٣٤٢٧).



## بَحْثٌ فِي الْقِيَّاسِ ( الْاجْتِهَادُ بِالْفُرُوعِ ):

وَالْقِيَّاسُ هُوَ: الْحَاقُّ فَرْعٌ بِأَصْلِ فِي حُكْمٍ - وَذَلِكَ لِجَامِعٍ بَيْنَهُمَا - مِثْلُ:

إِلْحَاقُ النَّبِيدِ - أَي: الْفَرْعِ - بِالْخَمْرِ - أَي: الْأَصْلِ، وَالَّتِي ثَبَّتَ لَهَا التَّحْرِيمُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ( المائدة ) .

وَذَلِكَ لِجَامِعٍ بَيْنَهُمَا - أَي: الْعِلَّةُ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ - وَهُوَ الْإِسْكَارُ الَّذِي اسْتَدْعَى إِلْحَاقَ النَّبِيدِ بِالْخَمْرِ، فِي حُكْمِ التَّحْرِيمِ.



## بَحْثٌ فِي الْحُكْمِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ:

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

﴿ جُرْحُ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ ﴾. الْحَدِيثُ « (النسائي: ٢٤٩٧) ← ( وَهُوَ حُكْمٌ عَامٌّ ).

وَعَنْ ( الْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) قَالَ: « كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ ضَارِيَةٌ - أَي: اعْتَادَتْ الرِّعْيَ فِي زُرُوعِ النَّاسِ - فَدَخَلَتْ حَائِطًا - أَي: بُسْتَانًا - فَأَفْسَدَتْ فِيهِ.

فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا؛ فَقَضَى:

- أَنْ حِفْظَ الْحَوَائِطِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَهْلِهَا.

- وَأَنْ حِفْظَ الْمَاشِيَةِ بِاللَّيْلِ عَلَى أَهْلِهَا.

- وَأَنْ عَلَى أَهْلِ الْمَاشِيَةِ مَا أَصَابَتْ مَاشِيَتَهُمْ بِاللَّيْلِ.

. الْحَدِيثُ « ( أبو داود: ٣٥٧٠ ) ← ( وَهُوَ حُكْمٌ خَاصٌّ ).

وَلَمَّا كَانَ الْخَاصُّ يُقَدِّمُ عَلَى الْعَامِّ - مُطْلَقًا - فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْضِي الْآتِي:

- إِذَا انْفَلَتَتْ بِهِيمَةً مِنْ صَاحِبِهَا نَهَارًا - فِي بُسْتَانٍ لَا حَارِسَ يَحْرُسُهُ،  
أَوْ غَيْرَ مُحَوِّطٍ - فَمَا أَصَابَتْ فِي انْفِلَاتِهَا فَذَلِكَ هَدْرٌ، إِذْ أَنْ حَفِظَ الْحَوَائِطِ  
بِالنَّهَارِ عَلَى أَهْلِهَا.

- لَكِنْ يَجِبُ التَّعْوِيزُ عَمَّا أَصَابَتْ فِي انْفِلَاتِهَا لَيْلًا، إِذْ أَنْ حَفِظَ الْمَاشِيَةَ  
بِاللَّيْلِ عَلَى أَهْلِهَا.

وَأَمَّا الْعَامُّ الَّذِي دَخَلَهُ التَّخْصِيفُ، فَيَجِبُ الْعَمَلُ بِمَا بَقِيَ مِنْ عُمُومِهِ، أَي:  
إِذَا انْفَلَتَتْ بِهِيمَةً، فَمَا اسْتَطَاعَ صَاحِبُهَا مَنَعَهَا، فَكُلُّ مَا أَصَابَتْ فِي انْفِلَاتِهَا  
إِنَّمَا هُوَ هَدْرٌ.



### بَحْثٌ فِي أَمَانَةِ الْقَضَاءِ:

إِنَّ تَأْدِيَةَ أَمَانَةِ الْقَضَاءِ تَسْتَوْجِبُ عَلَى الْقَاضِي مَا يَأْتِي:

- أَنْ يَتَحَرَّى الْحَقَّ، مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

- أَنْ يَقْضِيَ بِالْحَقِّ، فَلَا يَخَافُ فِي الْحَقِّ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

- الْأَيْتَعَجَّلَ بِالْحُكْمِ؛ لِأَنَّ وِزْرَ الْخِيَانَةِ بَاقٍ فِي عُنُقِهِ - إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ -  
إِنْ حَكَمَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، أَوْ إِنْ لَمْ يَجْتَهِدْ فِي حُكْمِهِ. ( لَمَّا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ  
مِنَ الْإِهْلَاكِ لِحُقُوقِ النَّاسِ! )

وَبِذَلِكَ كُلِّهِ يَكُونُ الْقَاضِي الْعَدْلُ قَدْ أَدَّى أَمَانَةَ الْقَضَاءِ، حَقًّا.

وَالْإِنِّ الْقَاضِي - بِلَا رَيْبٍ - قَدْ ضَيَّعَ الْأَمَانَةَ - أَوْ بَعْضًا مِنْهَا - فَحَقَّ عَلَيْهِ  
الْعِقَابُ مِنَ اللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ، ذَلِكَ بِمَا عَصَى اللَّهُ مَا أَمَرَهُ بِهِ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ  
أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (٥٨) ﴿ (النساء) .



﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ (١٦) ﴿ (النمل) ، أَي: وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ  
فِي النَّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ، وَلَيْسَ فِي الْمَالِ.

وَقَالَ: ( عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ) « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ لَا نُورَثُ،  
مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً ﴾ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٧٣٠٥) .

فَأَمْوَالُ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُورَثُ، وَلَا يَخْصُونَ بِهَا أَقْرَبَاءَهُمْ؛ وَإِنَّمَا تَكُونُ صَدَقَةً  
مَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ الْمُقْلِينَ.



﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيْنَتُ الْجِيَادُ ﴾ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ  
عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (٣٢) ﴿ (ص) :

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ، انْشَغَلَ سُلَيْمَانُ عليه السلام بِاسْتِعْرَاضِ آلَةِ حَرْبِهِ مِنَ الْجِيَادِ  
الصَّافِنَاتِ؛ فَعُلبَ عَلَى أَمْرِ الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَتَنَبَّهُ لَهَا إِلَّا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

فَلَمَّا ذَكَرَهَا عليه السلام قَامَ فَصَلَّاهَا، وَأَمَرَ جُنُودَهُ قَائِلًا لَهُمْ: ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ <sup>ط</sup>  
فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ (٣٣) ﴿ (ص) .

وَمِمَّا قِيلَ:

إِنَّ سُلَيْمَانَ عليه السلام - حِينِيذٍ - لَمْ يُمَهِّلْ تِلْكَ الْجِيَادَ، وَإِنَّمَا قَطَعَ عَرَاقِيهَا وَأَعْنَاقَهَا - مِنْ قَوْرِهِ - بِالسَّيْفِ، قَانِلًا: اللَّهُ أَكْبَرُ! وَذَلِكَ تَكْفِيرًا عَنِ اسْتِعْغَالِهِ عليه السلام بِعَرَضِ تِلْكَ الْجِيَادِ الصَّافِنَاتِ حَتَّى خَرَجَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ.

( حَقًّا، مَا هُوَ إِلَّا تَأْوِيلٌ فَاسِدٌ، إِنَّمَا جَاءَ بِهِ أَحَدُ الْجَزَائِرِيِّينَ الْمُحْتَرِفِينَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ! )

وَالتَّأْوِيلُ الصَّحِيحُ إِنَّمَا هُوَ:

إِنَّ سُلَيْمَانَ عليه السلام قَدْ صَلَّى تِلْكَ الصَّلَاةَ الْفَائِتَةَ قِضَاءً - أَي: بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ - وَحِينَ رُدَّتِ تِلْكَ الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ إِلَيْهِ، جَعَلَ يَمْسُحُ بِسُوقِهَا وَأَعْنَاقِهَا مَسْحًا بِنَفْسِهِ؛ إِذْ يَتَبَيَّنُ جَلِيًّا فِعْلُ ذَلِكَ الْأَمْرِ، لَا غَيْرَهُ - مِمَّا يُنْكَرُ فِعْلُهُ مِنَ الظُّلْمِ - فِيمَا يَأْتِي مِنَ الْمُوجِبَاتِ:

١ - الْجِيَادُ لَا ذَنْبَ لَهَا لَتُعَذَّبَ بِالْعَرَقَبَةِ.

٢ - أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا يَظْلُمُونَ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى: وَإِنَّ ﴿ ذَلِكُمْ هُدَى اللَّهِ ﴾ (الأنعام) لَهُمْ، وَلِلنَّاسِ كَافَّةً.

٣ - نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عليه السلام قَانِدٌ حَكِيمٌ، وَالْخَيْلُ مِنْ قُوَّةِ الْحَرْبِ وَعِدَّتِهَا: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ - عَدُّوا لِلَّهِ وَعَدُّوكُمْ ﴾ (الأنفال).

لِذَلِكَ فَقَدْ أَخَّرَ الصَّلَاةَ سَهْوًا - أَي عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ - لِاسْتِعْغَالِهِ عليه السلام بِعَرَضِ تِلْكَ ﴿ الصَّفِنَاتِ الْجِيَادُ ﴾ (ص)، وَذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْجِهَادِ.

نَاهِيكَ مِنْ شِدَّةِ حُبِّهِ عليه السلام لِتِلْكَ الْجِيَادِ الصَّافِنَاتِ!

العشي: اسم للوقت، يمتد من لذن زوال الشمس - أي وقت الظهيرة - إلى العصر.  
والعصر: من العشي إلى احمرار الشمس.

الصافات من الجياد: التي تقف على ثلاث، وطرف حافر الرابعة.  
والجياد: الخيل المضمرة، السراع، كثيرة العدو.

وأما تضمير الخيل: فهو أن تغلف بالعلف لمدة أربعين يوماً حتى تسمن - وتكتمل مدة  
المضمار - ثم لا تغلف إلا قوتاً. والقوت: ما يمسك الرمق من قليل العلف.  
وركبتا كل ذي أربع في يديه، وعرفوباه في رجليه: وهما المفصلان الناتان من خلف.  
والرباط من الخيل: الخمسة فما فوقها.



### سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحِكَايَةُ الْمَلِكِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ!

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي  
وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ص)، أي:

ابتداءً، بما أن الله سبحانه لم يبين كيف فتن سليمان عليه السلام، وما هو الجسد  
الذي ألقاه على كرسيه؛ فإن تأويل الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ  
وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (ص) غير جائز، أبداً.

لكن، لما فطن عليه السلام لأمر الفتنة، رجع إلى الله العفور الرحيم سبحانه - بالتوبة  
والاستغفار - قائلاً:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ  
أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ص).

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ، فَاتَاهُ ذَلِكَ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ: الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ،  
وَلَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ بَعْدِهِ، أَبَدًا.

وَمِمَّا رُوِيَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- أَنَّهُ غَابَ عَنْ كُرْسِيِّ مُلْكِهِ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ.

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ، أَمَرَ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْهَيْكَلِ، فَجَدَّدَهُ، وَبَنَاهُ بِنَاءً مُحْكَمًا.

- وَأَنَّ سُؤَالَ الْمَلِكِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ إِكْمَالِهِ  
لِبِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

---

وَالْهَيْكَلُ: بَيْتُ عِبَادَةِ الْيَهُودِ. وَكَانَ إِسْرَائِيلُ - وَهُوَ: يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -  
أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ هَيْكَلًا لِلْيَهُودِ فِي الْقُدْسِ.

---

وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) «عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ﴿إِنَّ عَفْرِيثًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتْ  
الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ. فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ  
عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ؛ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُتُكُمُ. فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي  
سُلَيْمَانَ رَبِّ: ﴿هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ط﴾، فَارْدَدْتُهُ خَاسِنًا»

. الْحَدِيثُ «(البخاري: ٣٤٢٣)».

الْعَفْرِيثُ: مَا كَانَ شَدِيدَ الْخُبْثِ وَالشَّيْطَنَةِ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جَانٍّ.

وَالْعَفْرِيثُ مِنَ الرَّجَالِ: النَّافِذُ فِي الْأَمْرِ - الْمُبَالِغُ فِيهِ - مَعَ خُبْثٍ وَدَهَاءٍ.

﴿فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ﴾، أَي: لَوْلَا أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ دَعَا بِهَا قَبْلِي  
- فَوَهَبَهُ سُبْحَانَهُ السُّطُورَةَ عَلَيْهِمْ - لَرَبَطْتُ ذَلِكَ الْعَفْرِيثَ إِلَى السَّارِيَةِ؛ لِكِنِّي رَدَدْتُهُ  
صَاحِرًا مَطْرُودًا، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اخْتَصَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ.

\* \* \*

ذَلِكَ، وَلَقَدْ كَانَتْ الرِّيحُ إِحْدَى آيَاتِ مُكِّ سُلَيْمَانَ عليه السلام الْعَظِيمِ.

إِذْ سَخَّرَ الخَلْقُ العَلِيمُ سُبْحَانَهُ لِسُلَيْمَانَ عليه السلام:

١- الرِّيحُ اللَّيْنَةُ - أَي: نَسِيمَ الهَوَاءِ - لِتَحْمِلَهُ وَرَكْبَهُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ مِنَ البِلَادِ:

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٣٦) ﴿ (ص).

٢- ﴿ وَلسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ (٨١) ﴿ (الأنبياء)، أَي: سَرِيعَةً إِذَا اشْتَدَّ هُبُوبُهَا،

﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ﴾ (٨١) ﴿ (الأنبياء)، أَي: إِلَى الشَّامِ.

٣- ﴿ وَلسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ ﴾ (١٢) ﴿ (سبا):

إِذْ كَانَتْ الرِّيحُ تَحْمِلُ مَوَكِبَ سُلَيْمَانَ عليه السلام لِلرَّيْنَةِ وَالتَّنَزُّهِ، وَتَنْقُلُ كُلَّ مَا يَشَاءُ مِنَ الجُنْدِ وَآلَةِ الحَرْبِ فِي الحُرُوبِ؛ وَذَلِكَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي الغُدُوَّةِ، وَمِثْلُهَا فِي الرِّوَاحِ.

---

وَالغُدُوَّةُ: البُكْرَةُ - وَهِيَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ - وَالعُدُوَّةُ: السَّيْرُ فِي الغُدُوَّةِ، أَي: فِي أَوَّلِ النَّهَارِ.

وَأَمَّا الرِّوَاحُ، فَهُوَ اسْمٌ لِلوَقْتِ - أَيْضاً - وَهُوَ نَقِيضُ الصُّبْحِ أَوْ السَّيْرِ بَعْدَ الزَّوَالِ.

---

\* \* \*



وَأَمَّا آيَةٌ مِنْكَ سُلَيْمَانَ العليه السلام الْعَظِيمَ الْأُخْرَى فَقَدْ كَانَتْ تَسْخِيرَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ  
يَعْمَلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا يَشَاءُ، وَيُرِيدُ.

وَكَذَلِكَ أَعَانَهُ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ عَلَى بِنَاءِ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ، بِكُلِّ مَا يَأْتِي:

١- ﴿ وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾ (٣٧) (ص)، أَي: سَخَّرَ لَهُ سُبْحَانَهُ قَوْمًا مِنْ

الشَّيَاطِينِ يَبْنُونَ لَهُ الْقُصُورَ، وَالْحُصُونِ، وَالْهَيْكَلِ، وَغَيْرَهَا مِنْ  
طَرَائِفِ وَغَرَائِبِ الْبُنْيَانِ؛ بَيْنَا ذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي الْأَعْمَاقِ طَلَبًا  
لِلْجَوَاهِرِ وَاللَّالِي، وَغَيْرَهَا مِنْ نَفَائِسِ الْبَحَارِ.

وَأَمَّا مَنْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ إِلَى الْعِصْيَانِ، فَالْعِقَابُ أَنْ يُشَدَّ وَيُوثَقَ  
بِالْأَغْلَالِ وَالْحَدِيدِ: ﴿ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (٣٨) (ص).

٢- ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُرَ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ (١٣) (سبا) - وَالْقِطْرُ: هُوَ النَّحَاسُ - أَي: أُرْسِدَ  
الْخَلْقُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ سُلَيْمَانَ العليه السلام إِلَى اسْتِخْلَاصِ النَّحَاسِ؛ وَذَلِكَ بِإِسَالَةِ  
فِلْزَاتِهِ بِالنَّارِ، وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهُ.

٣- ﴿ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (١٢) (سبا)، أَي:

وَكَذَلِكَ سَخَّرَ سُبْحَانَهُ لِسُلَيْمَانَ العليه السلام عَمَلًا مِنَ الْجِنِّ، يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ  
مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ (١٤) (سبا)، فَلَا يَفْتُرُونَ.

وَمَنْ يَعْدِلُ مِنْهُمْ عَنِ أَمْرِ اللَّهِ بِطَاعَةِ سُلَيْمَانَ العليه السلام يُعَاجِلُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
بَذَنْبِهِ - مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ - فَيَذِيقُهُ مِنْ عَذَابِ الْحَرِيقِ: ﴿ وَمَنْ يَزِغْ  
مِنْهُمْ عَنِ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٢) (سبا).

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (سبا):

١- ﴿ مِنْ مَّحْرِبٍ ﴾ (سبا)، وَالْمَحْرِبُ: جَمْعُ مِحْرَابٍ.

وَالْمِحْرَابُ: صَدْرُ الْمَسْكَنِ وَأَكْرَمُ مَوْضِعٍ فِيهِ، وَأَكْرَمُ مَجَالِسِ الْمُلُوكِ.  
وَأَمَّا مِحْرَابُ الْمَسْجِدِ، فَهُوَ: صَدْرُهُ، وَأَشْرَفُ مَوْضِعٍ فِيهِ.

٢- ﴿ وَتَمَثِيلَ ﴾ (سبا)، أَي:

يَعْمَلُونَ - أَي: الْجَنُّ - لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صُوراً مَرْسُومَةً عَلَى جُدْرَانِ  
الْقُصُورِ وَالْمَعَابِدِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَوَاضِعِ؛ أَوْ مَنْحُوتَةً فِيهَا، أَي:  
يَعْمَلُونَ لَهُ لُوحَاتٍ مَجْسَمَةً مِنْ مَحَاسِنِ الطَّبِيعَةِ: كَأَنَّهُ الْغُرُوبُ - مَثَلًا -  
أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ مِنَ التَّمَاثِيلِ. ( وَالتَّمَثُّلُ، وَالْجَمْعُ تَمَثِيلٌ: الصُّورَةُ. وَمَثَلٌ لَهُ  
الشَّيْءُ: صُورُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ. )

وَلَقَدْ نَسَخَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا كَانَ مُبَاحًا مِنَ التَّمَاثِيلِ فِي شَرَائِعِ الْأُمَمِ، الَّتِي  
قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَأَوْعَدَ صَانِعِي التَّمَاثِيلِ - كُلِّهَا - بِأَشَدِّ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى  
لَا يَتَدَّرَعُ بَعْضُهُمْ بِذَلِكَ؛ فَيَصْنَعُ تَمَاتِيلَ لِأَشْيَاءٍ أُخْرَى - كَالْبَشْرِ مَثَلًا -  
وَيَتَّخِذُونَهَا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَعَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا )، قَالَتْ:

« دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مُتَسَتِّرَةٌ بِقِرَامٍ فِيهِ صُورَةٌ فَتَلَوْنَ  
وَجْهَهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ ﴾. الْحَدِيثُ « (مسلم: ٢١٠٧).

( وَالْقِرَامُ: السُّتْرُ الرَّقِيقُ. وَهَتَكَ بِيَدِهِ، أَي: جَدَبَهُ، وَشَقَّ مِنْهُ جُزْءًا. )

٣- ﴿ وَحِفَانٍ كَأَلْجَوَابِ ﴾ (سبا)، أَي:

وَكَذَلِكَ، كَانَ الْجِنُّ يَعْمَلُونَ لِسُلَيْمَانَ عليه السلام آيَةً لِلطَّعَامِ: كَأَنَّهَا الْجَوَابُ مِنْ ضَخَامَتِهَا، وَعَظُمَ اتِّسَاعُهَا.

وَالْحِفَانُ، جَمْعُ جَفْنَةٍ: أَعْظَمُ مَا يَكُونُ مِنَ الْقِصَاعِ، وَالْقِصَاعَةُ: آيَةٌ لِلطَّعَامِ تُشْبِعُ الْعَشْرَةَ؛ وَأَمَّا الْجَوَابُ فَهِيَ جَمْعُ جَوْبَةٍ، أَي: الْحُفْرَةُ الْمُسْتَدِيرَةُ الْوَاسِعَةُ.

٤- ﴿ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴾ (سبا)، أَي: قُدُورٍ ثَوَابِتٍ - أَتَأْفِيهَا مِنْهَا - فَلَا يُزَلْنَ عَنْ أَمَاكِنِهِنَّ. ( وَالْأَتَافِي، وَاحِدُهَا أَتْفِيَةٌ: الْحِجَارَةُ الَّتِي تُنْصَبُ، فَتُجْعَلُ الْقَدْرُ عَلَيْهَا. )

﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (سبا)



حِكَايَةُ مَا كَانَ مِنْ سُلَيْمَانَ عليه السلام وَبَلْقَيْسَ مَلِكَةِ سَبَأَ:

﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ ﴾ (النمل)، أَي: وَقَالَ سُلَيْمَانَ عليه السلام لِقَوْمِهِ مِنَ الْإِنْسِ: لَقَدْ آتَانِي اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْفِطْنَةَ وَالْفَهْمَ - وَكَذَلِكَ - عَلَّمَنِي سُبْحَانَ كَلَامِ الطَّيْرِ، وَغَيْرَهَا مِمَّا شَاءَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَوَهَبَنِي سُبْحَانَ الْفُدْرَةِ عَلَى التَّخَاطُبِ مَعَ النَّاطِقَاتِ مِنْهَا، وَفَهْمِ الصَّامِتَاتِ.

﴿ وَأوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ١٦ ﴾ (النمل)، أي:

وَكَذَلِكَ آتَانَا سُبْحَانَهُ الْجِيُوشَ الْجَرَّارَةَ، وَالْعِدَّةَ، وَالآلَاتِ مِنَ السَّلَاحِ؛  
وَالجَمَاعَاتِ مِنَ الطَّيْرِ، وَالجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ؛ وَالخُنُوزَ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَفَاتِحِ  
خَزَائِنِ الْمَلِكِ: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ١٦ ﴾ (النمل) مِنْ مَالِكِ الْمَلِكِ سُبْحَانَهُ.

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ١٧ ﴾ (النمل)، أي:

وَدَاتِ يَوْمٍ، رَكِبَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُقَدِّمَةِ جِيُوشِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَمِنْ فَوْقِهِ  
جَمَاعَاتُ الطَّيْرِ: كَأَنَّهَا سَحَابَةٌ تُرَخِي عَلَيْهِ بِظِلَالِهَا.

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٧ ﴾ (النمل)، أي:

وَكَانَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِنْ هَذِهِ الْجِيُوشِ الثَّلَاثَةِ، وَزَعَةً.

وَالْوَزَعَةُ، جَمْعُ وَازِعٍ: وَهُوَ مِنَ الْأَعْوَانِ الْمُوَكَّلِينَ بِالصُّفُوفِ، أَي: أَوْلِيكَ الَّذِينَ  
يَحْبِسُونَ أَوَّلَ الْجَيْشِ عَلَى آخِرِهِ.

وَذَلِكَ بَأَنَّ يُرْتَبُوا الْجُنْدَ، وَيُسَوُّوهُمْ، وَيَصْفُوهُمْ، وَيَكْفُوهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِانْتِشَارِ؛  
فَلَا يَتَقَدَّمُ أَحَدٌ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي يَسِيرُ فِيهِ، وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ.

وَإِنَّمَا يُسَمَّوْنَ - الْيَوْمَ - بِالشَّرْطَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ.

﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ١٨ ﴾ (النمل)، أي:

فَلَمَّا رَأَتْ تِلْكَ النَّمْلَةَ جِيُوشَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَرَّارَةَ - وَهِيَ تَرْحَفُ مُتَنَاقِلَةً  
مِنْ كَثْرَتِهَا، نَحْوَ وَادِيهَا - سَارَعَتْ تُحَدِّرُ أُمَّتَهَا مِنَ النَّمْلِ، قَائِلَةً: ﴿ يَا أَيُّهَا

النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ١٨ ﴾ (النمل).

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل ١٨) ، أي: وَبَادَرْتُ - تِلْكَ النَّمْلَةُ الْفِطْنَةُ - بِالْإِعْتِدَارِ  
عَنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجُنُودِهِ، مِنْ خَطَا تَحْطِيمِ مَسَاكِنِ قَوْمِهَا عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ.  
وَفَهُمَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خِطَابَهَا: ﴿ فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ ﴾ (النمل ١٩) :

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ ﴾ (النمل ١٩) ، أي: أَلْهَمْنِي يَا رَبِّي  
وَأَوْلِعْنِي بِشُكْرِ نِعْمَتِكَ، وَعَظِيمِ فَضْلِكَ: ﴿ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴾ (النمل ١٩) .  
﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ (النمل ١٩) ، أي: وَكُفَّنِي عَمَّا يُبَاعِدُنِي عَنْكَ  
يَا إِلَهِي، ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل ١٩) .

\* \* \*

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾ (النمل ٢٠) ، أي:

وَإِفْتَقَدَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْهُدُودَ - يَوْمًا - لِيَذَلَّهُمْ عَلَى الْمَاءِ تَحْتَ الْأَرْضِ.  
﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل ٢٠) ، أي:

فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ، قَالَ غَاضِبًا: أَيْنَ الْهُدُودُ، مَا لِيَ لَا أَرَاهُ حَاضِرًا فِي الطَّيْرِ؟  
بَلْ كَيْفَ يَجْرُونَ - ذَلِكَ الطَّائِرُ - أَنْ يَتَغَيَّبَ عَنِّي، فَلَا يَكُونُ بِمَشْهَدٍ مِنِّي؟

﴿ لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴾ (النمل ٢١) ، أي:

وَكَذَلِكَ أَوْعَدَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْهُدُودَ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ، أَوْ لِيَذْبَحَنَّهُ - حِينَ رُجُوعِهِ  
مِنْ غَيْبَتِهِ - ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ دُنْبِهِ بِإِظْهَارِ الْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ.

﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ (النمل)، أي:

وَلَمْ يَطَّلْ غِيَابَ الْهُدُودِ، وَرَجَعَ إِلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَائِلًا: أَحَطْتُ عِلْمًا بِأَمْرِ لَمْ تَعْلَمْهُ أَنْتَ مِنْ قَبْلِ! ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل)، غَيْرِ مَظْنُونٍ.

وَبَدَأَ الْهُدُودُ يَصِفُ الْمَشْهَدَ الَّذِي قَدْ أَحَاطَ بِهِ عِلْمًا، فَقَالَ لِمَلِكِهِ سُلَيْمَانَ: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُكُمْ وَأُوتِيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النمل)، أي:

لَقَدْ أُوتِيْتُ تِلْكَ الْمَلِكَةَ مَفَاتِحَ خَزَائِنِ الْمَلِكِ ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (النمل)، أي: فَلَمَّا نَظَرْتُ - يَا مَلِكِي - إِلَى سَرِيرِ مَلِكَةِ سَبَأٍ، رَأَيْتُ عَرْشًا ضَخْمًا مُزْخَرَفًا بِالذَّهَبِ؛ وَمُرْصَعًا بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ، وَاللَّالِيِّ، وَالْحَلِيِّ الْفَاخِرَةِ.

وَكَانَ مُلْكُ الْيَمَنِ - فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ - قَدْ آلَ إِلَى ابْنَةِ مَلِكٍ مِنَ التَّبَاعَةِ الْمُتَوَجِّعِينَ، هِيَ: (بَلْقِيسُ). وَالتَّبَاعَةُ، وَاحِدُهُمْ (تَبَعٌ): وَهُمْ مُلُوكُ الْيَمَنِ؛ وَإِنَّمَا سُمُّوا بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَي: كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، قَامَ مَقَامَهُ آخَرٌ تَابِعًا لَهُ عَلَى مِثْلِ سِيرَتِهِ.

وَتَابَعَ ذَلِكَ الطَّائِرُ الصَّغِيرُ حَدِيثَهُ مُتَعَجِّبًا مِنْ انْحِطَاطِ قَدْرِ أَوْلَادِكَ الْقَوْمِ، وَسُوءِ حَالِهِمْ، فَقَالَ:

﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (النمل)، أي:

كَيْفَ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ - مِنْ دُونِ اللَّهِ - وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا؟! ذَلِكَ، ﴿ وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (النمل)، أَي: وَأَتَى يَكُونُ لَهُمُ الْهُدَى وَقَدْ اتَّبَعُوا أَمْرَ الشَّيْطَانِ؟! فَرَيْنَ لَهُمُ أَعْمَالَهُمْ فَضَلُّوا سِوَاءَ السَّبِيلِ،

فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ۝﴾ (النمل)؟! وَكَذَلِكَ، اسْتَحْمَقَ  
الْهُدْهُدُ الصَّغِيرُ فِعَالَهُمْ!

إِذْ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ - أَبَدًا - أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝﴾ (النمل)، أي:  
أَلَا يَعْلَمُ أَوْلِيكَ الْجَاهِلُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ:

- هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

- وَهُوَ الْعَلِيمُ بِسَرَائِرِ الصُّدُورِ.

- وَهُوَ الْبَصِيرُ بِمَا تَعْمَلُونَ.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝﴾ (النمل)، أي: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ!  
أَلَا يَعْلَمُ أَوْلِيكَ الْقَوْمَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُهُ؟

---

وَإِنَّمَا الْحَبُّ فِي حِكَايَةِ اللَّهِ عَنِ ذَلِكَ الْهُدْهُدِ، هُوَ: كِنَايَةٌ عَنِ الْغَيْبِ.

وَالْحَبُّ: مَا كَانَ مَخْبُوءًا فِي الْأَرْضِ مِنَ الطَّعَامِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْهُدْهُدَ إِنَّمَا يَنْبُشُ الْأَرْضَ  
لِاسْتِخْرَاجِهِ. وَأَمَّا السَّرَائِرُ فَهِيَ جَمْعُ السَّرِيرَةِ، أَي: مَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

---

وَأَجَابَ سُلَيْمَانُ الْمَلِكُ عليه السلام، قَائِلًا:

﴿سَدَنْظُرُ أَصْدَقَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذِبِينَ ۝﴾ (النمل)؟!!

﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا  
يَرْجِعُونَ ۝﴾ (النمل)، أي:

وَكَذَلِكَ أَرْسَلَ عليه السلام مَعَ الْهُدْهُدِ كِتَابًا إِلَى الْمَلِكَةِ بَلْقَيْسَ، وَأَمْرَهُ بِأَنْ يَنْتَظِرَ  
فِي الْخَفَاءِ رَجْعَ الْخِطَابِ.

وَحَمَلَ ذَلِكَ الطَّائِرُ الْمُطِيعُ الْفَطْنُ كِتَابَ سُلَيْمَانَ عليه السلام، فَأَلْقَاهُ خُفِيَةً إِلَى بَلْقَيْسَ،  
وَوَقَّفَ مُخْتَفِيًا عَنِ الْأَنْظَارِ، يُرَاقِبُ، بِانْتِظَارِ جَوَابِهَا.

فاجتمع أكابر الدولة وأشرف القوم ووجوههم إلى مشورة الملكة بلقيس،  
فقالت لهم: ﴿يَأَيُّهَا الْمَلَأُوا إِلَيَّ أَلْفِي إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾﴾ (النمل)، أي:

يَا عَلِيَّةُ الْقَوْمِ وَأَشْرَافَهُمْ: لَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ مَلِكٍ عَظِيمٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ،  
يَقُولُ فِيهِ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا  
عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (النمل)، أي: فَلَا تَتَجَبَّرُوا، فَتَسْتَكْبِرُوا عَنْ طَاعَتِي،  
وَأَتُونِي مُسَالِمِينَ، خَاضِعِينَ.

﴿قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلَأُوا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى  
تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (النمل)، أي: وَطَلَبْتُ بَلْقَيْسُ مِنَ الْمَلَأِ الْمَشُورَةَ فِي الْأَمْرِ.

---

لِذَلِكَ، فَإِنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ الْأَيُّوفِ الْحَاكِمِ بِرَأْيِهِ - وَخَاصَّةً - فِي الشَّدَائِدِ مِنَ الْأُمُورِ، فَيَقْطَعُ  
أَمْرًا دُونَ مُشَاوَرَةِ الْمَلَأِ - مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ - وَاتِّفَاقِهِمْ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْحَزْمَ  
فِي الْأَمْرِ إِنَّمَا يَقْضِي أَنْ يَسْتَشِيرَ وَلِيَّ الْأَمْرِ أَهْلَ الرَّأْيِ، وَيُطِيعَهُمْ.

---

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ ﴿٣٣﴾﴾ (النمل)، أي:

فَمَا كَانَ جَوَابُ الْمَلَأِ مِنْ قَوْمِهَا إِلَّا أَنْ آمَنُوا رَوْعَتَهَا، قَائِلِينَ:  
نَحْنُ أَوْلُوا صَبْرٍ وَخُشُونَةٍ فِي شَدَائِدِ الْحَرْبِ.

وَنَحْنُ الْكَرَّارُونَ إِلَى الْحَرْبِ - إِذَا اشْتَدَّ قِرَاعُ السُّيُوفِ وَحَمِي الْوَطِيسُ -  
لَا الْفَرَّارُونَ مِنْهَا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (النمل).



وَعَلِمَتْ الْمَلِكَةَ بِنُقَيْسٍ - بِحِدَّةِ فُؤَادِهَا، وَسُرْعَةِ فِطْنَتِهَا - أَنَّ صَاحِبَ ذَلِكَ الْكِتَابِ هُوَ مَلِكُ جَبْرَئِيلَ ذُو بَطْشٍ شَدِيدٍ لَا يُقَاوَمُ.

فَأَجَابَتْ بِحَدْسِهَا الصَّادِقِ: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا آذِنَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل) .

لِذَلِكَ شَاءَتْ أَنْ تُحَصِّنَ نَفْسَهَا وَقَوْمَهَا - مِنَ الْقَتْلِ وَالذَّمَارِ - بِإِرْسَالِ نُقَيْسِ الْأَمْوَالِ وَالْهَدَايَا إِلَى سُلَيْمَانَ عليه السلام.

فَقَالَتْ لِلْمَلَأِ الْمُجْتَمِعِينَ - مِنْ حَوْلِهَا - يَرْقُبُونَ قَوْلَهَا: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل) .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ ﴾ (النمل) رَسُولُ الْمَلِكَةِ بِنُقَيْسٍ بِالْهَدَايَا الْفَاخِرَةِ، وَالتَّحْفِ النَّادِرَةِ إِلَى ﴿ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتْمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيهِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (النمل) .

﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ (النمل) ، أَي: بِكُلِّ الَّذِي تَتَبَاهُونَ، وَتَفْخَرُونَ بِهِ مِنَ الْهَدَايَا! - فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا - وَبَلَغَ مِنْ أَرْسَالِكَ بِهَا أَنْ يَأْتُونِي طَائِعِينَ لِأَمْرِي.

وَإِلَّا ﴿ فَلَتَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (النمل) ، أَي: وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَهُمْ رَاضِينَ بِمَا سَوْفَ يَنَالُهُمْ مِنَ الذَّلِّ وَالْهَوَانِ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ إِلَيْهِمْ بِالْوَعِيدِ!

وَزُلْزَلَ الْقَوْمَ، وَوَقَعَ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفُ وَالْحَدَرُ مِنْ وَعِيدِ سُلَيْمَانَ عليه السلام. فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يُسْرِعُونَ - تَقَدَّمَهُمْ مَلَكَتُهُمْ - وَهُمْ خَاضِعِينَ لِمَشِيئَتِهِ أَجْمَعِينَ.

فَلَمَّا عَلِمَ سُلَيْمَانُ ﷺ بِوُفُودِهِمْ عَلَيْهِ، ﴿قَالَ ٣٨﴾ (النمل)، أَي: لِمَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْجِنِّ، بِإِذْنِ اللَّهِ: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَكُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ (النمل)، أَي:

قَالَ جِنِّي شَدِيدُ الْخُبْتِ وَالشَّيْطَنَةِ: إِنِّي لِقَادِرٌ عَلَى إِحْضَارِ عَرْشِ بَلْقَيْسَ أَمَامِكَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَفْرَعَ مِنْ مَجْلِسِ حُكْمِكَ هَذَا! وَإِنِّي لَهُ لِمِنَ الْحَافِظِينَ.

وَمِمَّا يُرَوَى عَنْ سُلَيْمَانَ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ حُقُوقَ الرَّعِيَّةِ - مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - وَيُدَبِّرُ شُؤُونَهُمْ، مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى قَرِيبِ زَوَالِ الشَّمْسِ. ( وَهُوَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ، أَي: عِنْدَ بُلُوغِ الشَّمْسِ عَايَةَ ارْتِفَاعِهَا، قَبْلَ ذَهَابِهَا عَنْ كِبِدِ السَّمَاءِ. )

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴿٤٠﴾﴾ (النمل)، أَي:

فَأَنْبَرَى ذُو عِلْمٍ مِنَ الْجِنِّ الْمُؤْمِنِ لِذَلِكَ الْعِفْرِيْتُ، وَقَالَ لِسُلَيْمَانَ ﷺ: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٤٠﴾﴾ (النمل)، أَي: أَسْرَعُ مِنْ طَرْفَةِ الْعَيْنِ.

( وَطَرْفَةُ الْعَيْنِ: هِيَ زَمَنُ تَحْرِيكِ الْجَفُونِ فِي النَّظْرِ. )

﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴿٤١﴾﴾ (النمل)، أَي:

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ عَرْشُ الْمَلِكَةِ بَلْقَيْسَ أَمَامَ نَاطِرِي سُلَيْمَانَ ﷺ - فِي أَقْلٍ مِنْ طَرْفَةِ الْعَيْنِ - ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْبُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴿٤١﴾﴾ (النمل)،

أَي: فَشَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عَظِيمِ الْفَضْلِ بِأَنِ آتَاهُ نِعْمَةَ الْمُلْكِ - الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ - وَقَالَ: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي

عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ (النمل)، أَي:

مَا زَالَ مِنِّي شُكْرُكَ يَا إِلَهِي عَلَى ذِكْرٍ لَنْ يُنْسَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا  
تَعَمَّةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال) .

ثُمَّ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ أَنْ تُغَيَّرَ حُلِي عَرْشِهَا، وَيُنَكَّرَ لَهَا - مِنْ قَبْلِ وَفُودِهَا  
وَقَوْمِهَا عَلَيْهِ - وَذَلِكَ لِيَعْلَمَ سُرْعَةَ فِطْنَتِهَا، وَدِقَّةَ مَلاحَظَتِهَا: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا  
عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل) .

( وَنَكَرَ الشَّيْءَ: غَيَّرَ صُورَتَهُ وَهَيْئَتَهُ إِلَى خِلَافِ مَا يُعْرَفُ عَلَيْهِ. )

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ (النمل) ، أَي: فَاسْتَبَعَدَتْ أَوَّلَ وَهْلَةٍ  
أَنْ يَكُونَ هُوَ عَرْشُهَا - إِذْ خَلَفْتَهُ وَرَاءَهَا بِأَرْضِ الْيَمَنِ - وَلَمَّا اشْتَبَهَ عَلَيْهَا  
﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ (النمل) .

فَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (النمل) لِلَّهِ .

﴿وَصَدَّهَا﴾ (النمل) ، عَنِ الْإِيمَانِ وَعَنْ تَصَدِيقِ الْأَمْرِ ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ﴾ (النمل) ، أَي: لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ قَدْ أُوتِيَ الْعِلْمَ بِاللَّهِ، بَلْ ﴿إِنَّهَا كَانَتْ  
مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (النمل) .

وَكَانَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَمَرَ - قَبْلَ وَفُودِهِمْ عَلَيْهِ، جَمِيعاً - بِأَنْ يُبْنَى لَهُ صَرْحٌ  
مِنْ قَوَارِيرَ مِنْ رُجَاجٍ، وَأَنْ يُمَرَّدُوا أَرْضَهُ - أَي: يُمَلِّسُوهَا تَمَلِّيساً - حَتَّى  
صَارَتْ كَأَنَّهَا الْمَاءَ فِي صَفَانِهِ، إِذَا عَلَاهُ مَوْجٌ رَفِيقٌ .

وَبَيْنَا كَانَ سُلَيْمَانُ عليه السلام جَالِساً عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ - عَلَى أَرْضٍ مُمَرَّدَةٍ، فِي ذَلِكَ الصَّرْحِ الْعَظِيمِ - ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ( التملذ . ) ( وَالصَّرْحُ: الْبِنَاءُ الْمُنْفَرِدُ الضَّخْمُ الْمُتَمْتِدُّ عَالِيًا فِي السَّمَاءِ . )

وَلَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ عليه السلام يُطِيقُ مِنَ التَّمَتُّعِ بِالنِّسَاءِ الشَّيْءَ الْعَظِيمِ.

وَعَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿ قَالَ سُلَيْمَانُ: لِأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: فُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. »

فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ. وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ. ﴿ الْحَدِيثُ « ( الْبُخَارِيُّ: ٦٦٣٩ ) . »

\* \* \*

﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ ( ص ) ، أَي:

فَأَعْطِ مَا شِئْتَ لِمَنْ شِئْتَ، أَوْ امْنَعْ مَنْ شِئْتَ أَنْي شِئْتَ.

﴿ وَإِنَّ لَهُوَ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنِ مَّعَابٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ ( ص ) ، أَي: وَإِنَّ لِسُلَيْمَانَ عليه السلام عِنْدَ الْبَرِّ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ لِقُرْبَىٰ، وَحُسْنُ الرَّجْعَىٰ فِي الْآخِرَةِ.

● ● ●

وَكَانَ سُلَيْمَانُ عليه السلام يُجِدُّ فِي الْقِيَامِ بِالْعِبَادَةِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأِذَا مَا دَخَلَ  
الْمِحْرَابَ أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُوَظِبًا لَا يَصْرِفُ عَنْهَا وَجْهَهُ.  
﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ (سبا)، أي:

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، دَخَلَ الْمِحْرَابَ مُنْقَطِعًا لِلْعِبَادَةِ فِيهِ.

وَبَيْنَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي - وَقَدْ اتَّكَأَ عَلَى عَصَاهُ - إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ عليه السلام  
فَقَبَضَ رُوحَهُ.

وَكَانَتْ الْجِنُّ - وَفَتْهَا - تَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ - يَحْسَبُونَ أَنَّهُ حَيٌّ -  
بَيِّنًا أَنَّهُ ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ (سبا)، أي:  
فَبَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَرْضَةَ إِلَى مَنْسَأَتِهِ تَأْكُلُهَا؛ حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ جَوْفَ الْعَصَا،  
ضَعِفَتْ وَثَقُلَ عَلَيْهَا سُلَيْمَانُ عليه السلام، فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ:

﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا  
فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سبا)، أي: فَلَمَّا رَأَتْ الْجِنُّ ذَلِكَ، انْفَضُّوا وَذَهَبُوا عَنْهُ.

---

وَالْأَرْضَةُ: دُوْدَةٌ بِيضَاءُ - شِبْهُ النَّمْلَةِ - تَظْهَرُ فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ، وَهِيَ آفَةٌ الْخَشَبِ.

وَأَمَّا الْمِنْسَأَةُ: فَهِيَ الْعَصَا، بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ.

---

لِذَلِكَ، إِلَّا فَلْيَعْلَمْ كُلُّ مَنْ صَدَّقَهُمْ، بَأَنَّ الْجِنَّ لَنْ يَصْدُقُوا بِأُمُورِ الْغَيْبِ - أَبَدًا -  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ، وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ!  
إِذْ ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ﴾ (سبا) لَعَلِمُوا بِمَوْتِ مَلِكِهِمْ - سُلَيْمَانَ عليه السلام -  
وَ﴿ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سبا).



﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَأًى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحْمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَعَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأنبياء )

### بَعْضُ مِنْ قِصَّةِ أَيُّوبَ عليه السلام

كثِيرٌ مِنَ الْحِكَايَةِ - وَذَلِكَ فِي مُعْظَمِ مَا قَرَأْتُ مِنَ التَّفَاسِيرِ، وَكُتِبَ التَّارِيخُ - لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ تَصَوُّرَاتٍ أَوْ أَضْعَافٍ مُفَسِّرِينَ، أَوْ نَقْلًا عَنِ الْعَوَامِّ مِنَ الْمُتَحَدِّثِينَ، أَوْ الضَّالِّينَ مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْوَاضِعِينَ.

وَإِنَّ لِي فِي افْتِصَارِ السِّيَاقِ الْقِصَصِي عَلَى بَعْضِ الْقِصَّةِ لَعُدْرًا، إِذْ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ - أَبَدًا - نَقْلُ تِلْكَ الْغَبَاوَاتِ وَالْخَرَافَاتِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمَوْضُوعَةِ، أَوْ الرِّوَايَاتِ الْمُفْتَعَلَةِ.

وَإِنَّمَا الْقَوْلُ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ، هُوَ: " اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَبِيِّهِ أَيُّوبَ عليه السلام ".

كَذَلِكَ، فَإِنَّ جَمِيعَ آيَاتِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ - الَّتِي وَرَدَتْ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ - لَيْسَتْ بِالضَّرُورَةِ مِمَّا يَخْصُ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ عليه السلام، وَإِنَّمَا هِيَ جُزْءٌ لَا يَتَجَرَّأُ مِنَ السِّيَاقِ الْقِصَصِي.

وَهُوَ أَيُّوبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأنعام) .

وَهُوَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (النساء) .

مِنَ الْمَعْلُومِ:

- أَنْ كُلَّ رَسُولٍ هُوَ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ هُوَ رَسُولٌ.

- وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ الْمُخْلِصُونَ، أَي: الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

- وَأَنَّ الْوَحْيَ الْإِلَهِيَّ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِنَّمَا يَكُونُ بِثَلَاثٍ: إمَّا بِالرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ فِي النَّوْمِ، أَوْ بِالْإِلْهَامِ، أَوْ بِكَلِمَتَيْهِمَا.

وَالْإِلْهَامُ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ يَخُصُّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِهِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إِذْ يُلْقَى سُبْحَانَهُ كَلِمَاتِهِ فِي قُلُوبِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْمُوْحَى إِلَيْهِمْ، وَيُخْفِيهَا عَنْ غَيْرِهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْبَلَاغِ عَنْهُ؛ فَتَفْهَمُ قُلُوبُهُمُ الَّذِي قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهَا مِنْ رَبِّهَا سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ ذُونَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ عليه السلام.

وَكَذَلِكَ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لَأَيُّوبَ عليه السلام، بَأَن آتَاهُ سُبْحَانَهُ الْحِظَّ الْعَظِيمَ مِنَ الْمَالِ، وَالْبَنِينَ، وَالْأَتْبَاعَ، وَالْعَبِيدَ، وَالْخَدَمَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا. ثُمَّ ابْتَلَاهُ سُبْحَانَهُ بِذَهَابِ ذَلِكَ جَمِيعاً.

ثُمَّ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ فَأَصَابَتْهُ كُلُّ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا وَالْأَمْرَاضِ: فَذَهَبَتْ عَافِيَتُهُ، وَضَعُفَ جَسَدُهُ، وَأَشْفَى عَلَى الْهَلَاكِ؛ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ عَضْوٌ سَلِيمٌ إِلَّا الْقَلْبُ وَلِسَانٌ ذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً، فَلَا يَفْتُرَانِ - فِي كُلِّ وَقْتٍ - لَيْلاً وَنَهَاراً.

وَمَا زَادَ الْإِبْتِلَاءَ أَيُّوبَ عليه السلام إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً وَصَبْرًا عَلَيْهِ:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۝ ﴾ (ص)، أَي: كَانَ أَيُّوبَ عليه السلام مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى اشْتِدَادِ الْبَلَاءِ مِنَ اللَّهِ، فَكَانَ صَبْرُهُ خَيْرًا لَهُ، لِأَنَّهُ اسْتَوْجَبَ حُسْنَ الثَّنَاءِ مِنَ اللَّهِ؛

إِذْ وَصَفَهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ: ﴿ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص)، أي: بِالتَّسْبِيحِ،  
 وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالتَّضَرُّعِ فِي الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ.  
 وَبِذَلِكَ كَانَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ قَرِيبَةً مِنْهُ: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ  
 وَعَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء)  
 - مِنْ بَعْدِهِ ﷺ - فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.



فَلَمَّا أَرخَى الْفَقْرُ عَلَى أَيُّوبَ ﷺ بِأَثْقَالِهِ كُلِّهَا، وَاشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ،  
 انْقَطَعَ النَّاسُ عَنْهُ - كَعَادَتِهِمْ فِي الْمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ - حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَعْطِفُ  
 وَيُشْفِقُ عَلَيْهِ إِلَّا زَوْجَتُهُ، الَّتِي كَانَتْ تُلَازِمُهُ رِعَايَةً لَهُ، وَإِصْلَاحًا لِشَأْنِهِ،  
 وَتُعِينُهُ عَلَى قَضَاءِ حَاجَتِهِ؛ فَلَا تُفَارِقُهُ إِلَّا فِي حَاجَةٍ لَهَا، أَوْ لِيَطْلُبَ  
 الْقَوَامَ مِنَ الْعَيْشِ، أَي:

كَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَرَعَى الْأَمَانَةَ رِعَايَةً مَوَدَّةٍ وَرَحْمَةٍ، وَهِيَ صَابِرَةٌ  
 عَلَى الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا  
 لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ ﴾ (الروم).

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ، خَرَجَ أَيُّوبُ ﷺ إِلَى حَاجَتِهِ يَقْضِيهَا وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ لِشِدَّةِ  
 الْمَرَضِ وَالْعَذَابِ، فَلَمَّا ابْتَدَعَتْ عَنْهُ امْرَأَتُهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي مَكَانِهِ:  
 أَنْ ﴿ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ (ص)، أَي: اضْرِبْ بِرِجْلِكَ الْأَرْضَ، ﴿ هَذَا مُغْتَسَلٌ  
 بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (ص). (وَالْمُغْتَسَلُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُغْتَسَلُ فِيهِ.)

وَكَذَلِكَ امْتَثَلَ أَيُّوبُ ﷺ لِأَمْرِ اللَّهِ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ سُبْحَانَهُ، فَإِذَا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ  
 يَنْبُعُ دَافِقًا مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ؛ فَأَغْتَسَلَ فِيهِ، وَشَرِبَ مِنْهُ.



فَاسْتَبْطَأَتْهُ امْرَأَتُهُ..

فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْهَا لَمْ تَعْرِفْهُ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ كَشَفَ مَا بِهِ مِنَ الضَّرِّ جَمِيعاً؛ فَأَذْهَبَ عَنْ جَسَدِهِ الْمَرَضَ وَالْأَذَى، ظَاهِراً وَبَاطِئاً.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمُ رِجَالَهُم بِمِثْلِهِمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (ص):

وَحَمِلاً عَلَى ظَاهِرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَحْيَا لِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبْنَاءَهُ أَنْفُسَهُمْ؛ وَأَمَّا امْرَأَتُهُ فَاِمْتَلَأَتْ شَبَاباً، فَوَلَدَتْ لَهُ مِثْلَهُمْ عَدَدًا.

\* \* \*

وَعَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

﴿ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بِلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَحْصِ إِخْوَانِهِ بِهِ، كَانَا يَغْدُونَ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعَلَّمْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَلِكَ؟

قَالَ: مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحْمَهُ اللَّهُ فَيَكْشِفَ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَذْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمْرٌ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَارَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي فَأَكْفُرْ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةً أَنْ يُذَكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّ.

وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَاهَا أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا.

وَأَوْحِيَ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنْ ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ .  
فَاسْتَبْطَأَتْهُ، فَتَلَقَّتْهُ نَذْرُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ،  
وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ.

فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَي بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى،  
فَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَاحِبًا؟  
قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ.

وَكَانَ لَهُ أُنْدَرَانِ: أُنْدَرٌ لِلْقَمْحِ، وَأُنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ - وَالْأُنْدَرُ: الْبَيْدَرُ، أَي الْمَوْضِعُ الَّذِي  
تُجْمَعُ فِيهِ سَنَابِلُ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ - فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى  
أُنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَعَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَعَتْ الْأُخْرَى فِي أُنْدَرِ الشَّعِيرِ  
الْوَرَقَ - أَي: الْمَالَ مِنْ دَرَاهِمٍ وَغَيْرِهَا - حَتَّى فَاضَ ﴿

. الحديث « (جامع البيان في تفسير القرآن ابن جرير الطبري - سورة ص: ٨٧٢٢) »



وَكَانَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ عَقَدَ الْعَزْمَ وَالنِّيَّةَ - إِنْ بَرِئَ مِنْ مَرَضِهِ - لِيَضْرِبَنَّ امْرَأَتَهُ  
مِئَةَ سَوْطٍ؛ وَجَاوُوا - فِي سَبَبِ تِلْكَ الْيَمِينِ - بِأَقْوَالٍ شَتَى.

وَأَيُّهَا كَانَ سَبَبًا فِي حَلْفِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تِلْكَ الْيَمِينِ الْمُغْظَّةِ، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ  
كَانَتْ قَرِيبَةً مِنَ الْعَبْدِ الصَّابِرِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَامْرَأَتِهِ الْوَدُودِ الْبَارَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَجَاءَ الْفَرْجُ الْإِلَهِيُّ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرِبْ بِهِ  
وَلَا تَحْنُطْ ۗ ﴾ (ص)، أَي: خُذْ يَا أَيُّوبُ ضِغْثًا، وَاصْرِبْهَا بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً:  
تَقَوْمُ مَقَامِ مِئَةِ سَوْطٍ، فَلَا تَأْتُمْ فِي يَمِينِكَ.

وَالضُّغْتُ: قَبْضَةٌ مِنْ فُضْبَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، يَجْمَعُهَا أَصْلٌ وَاحِدٌ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ حُرْمَةً مِنْ أَسَلٍ، وَوَاحِدُهُ أَسَلَةٌ: وَهُوَ نَبَاتٌ يُخْرِجُ قُضْبَانًا دِقَاقًا - لَيْسَ لَهَا وَرَقٌ، وَلَا شَوْكٌ، وَلَا خَشَبٌ - وَلَا يَكَادُ يَنْبُتُ إِلَّا فِي مَوْضِعِ مَاءٍ، أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ.

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ بَعْضُهُمْ تِلْكَ الرُّخْصَةَ الإِلَهِيَّةَ لِأَيُّوبَ عليه السلام. وَتَوَسَّعَ آخَرُونَ، فَجَاؤُوا بِالْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ مِنَ الْحِيلِ لِلتَّمَلُّصِ وَالْإِنْفِلَاتِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالنُّدُورِ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ.

وَعَنْ ( أُمِّ سَلَمَةَ - هِنْدِ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ - أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا )، قَالَتْ: « مَا خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ:

﴿ اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أَضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ ﴾. الْحَدِيثُ « (أبو داود: ٥٠٩٤) .



﴿وَاسْمَعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ (الأنبياء)

### بَعْضُ مِنْ قِصَّةِ يُونُسَ عليه السلام

كثير من الحكاية - وذلك في معظم ما قرأت من التفاسير، وكثب التاريخ - ليس إلا مجرد تصورات أو أضغاث مفسرين، أو نقلاً عن العوام من المتحدثين، أو الضالين من اليهود، أو غيرهم من الواضعين.

وإن لي في اقتصار السياق القصصي على بعض القصة لغزاً، إذ لا يجوز لأحد - أبداً - نقل تلك العباوات والخرافات من الأخبار الموضوعية، أو الروايات المفتعلة.

وإنما القول الحق في ذلك، هو: " الله أعلم بنبيه يونس عليه السلام."

كذلك، فإن جميع آيات الإيمان والتوحيد - التي وردت في تلك القصة - ليست بالضرورة مما يخص نبي الله يونس عليه السلام، وإنما هي جزء لا يتجزأ من السياق القصصي.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ (الصفات)، أي:

ولقد أرسل الله سبحانه يونس عليه السلام إلى أهل نينوى - من أرض الموصل في العراق - ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، لا شريك له سبحانه.

لكن قوم يونس عليه السلام كانوا من الذين يتحيزون بالباطل، فلا يهتدون إلى الحق! فكذبوه، وركبوا طغواهم وضلالهم، وما كانوا من المهتدين.

فَلَمَّا طَالَ غَضَبُهُ مِنْ طُغْيَانِ قَوْمِهِ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ - مُعَانَدَةً وَتَكْبَرًا - خَرَجَ مِنْ قَرْيَتِهِمْ ﴿مُغْضِبًا﴾ (الأنبياء) لَهُمْ، فَتَرَكَهُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، بَعْدَ أَنْ أَوْعَدَهُمْ بِقُرْبِ وَقُوعِهِ فِيهِمْ بَلْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ!

وَيَوْمَئِذٍ، أَيْقَنَ الْقَوْمُ بِأَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَدْ صَدَقَهُمُ الْوَعِيدَ بِوُقُوعِ الْعَذَابِ - فِي حِينِهِ - كَمَا تَهَدَّدَهُمْ قَبْلًا، أَي: إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ مَا هُوَ مِنْهُمْ بِبَعِيدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ - لَا بُدَّ - آتٍ وَوَاقِعٌ بِهِمْ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ.

فَظَهَرُوا النَّدَامَةَ الْحَقَّةَ عَلَى طُولِ الْمَعْصِيَةِ؛ وَعَلَى الظُّلْمِ لَأَنْفُسِهِمْ بِكُفْرِهِمْ، وَبِاتِّخَاذِهِمْ نَبِيَّ اللَّهِ - يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - هُزُوًّا.

ثُمَّ تَابُوا - مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ - وَأَصْلَحُوا حَالَهُمْ، فَارْتَدَّوْا الْمُسُوحَ رَافِعِينَ أَصْوَاتَهُمْ بِالذُّعَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ خِيَفَةً مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ.

وَكَذَلِكَ، جَارَتْ الْبَهَائِمُ وَالطَّيْرُ - فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا تَسْتَعِيثُ بِخَالِقِهَا سُبْحَانَهُ - فَمَنْ يُجِيرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ - إِنْ بَغَتْهُمْ جَمِيعًا - إِلَّا اللَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ؟

وَيَا لَهَا مِنْ سَاعَةٍ تَجْعَلُ الْوُلْدَانَ شِيبًا، إِذْ أَحَاطَتْ بِقَوْمِ يُونُسَ - أَجْمَعِينَ - بَيْنَا هُمْ يَتَرَقَّبُونَ غَضَبَ اللَّهِ وَسَخَطَهُ عَلَيْهِمْ!

---

الْمُسُوحُ، جَمْعُ مِسْحٍ: وَهُوَ الْكِسَاءُ مِنَ الشَّعْرِ دَلَالَةً عَلَى خُسُونَتِهِ؛ وَإِنَّمَا كَانَ ارْتِدَاؤُهَا - يَوْمَئِذٍ - تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ.

---

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (يونس)، أَي:

لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْتَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ سُبْحَانَكَ لَكَانُوا مِنَ الْهَالِكِينَ! إِذْ كَشَفَ عَنْ قَوْمِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُوءَ الْعَذَابِ لَمَّا آمَنُوا - بَعْدَ أَنْ طَافَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ - وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَخْرَجَ لَهُمْ مِنْهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ.



﴿ إِذْ أَتَىٰ إِلَىٰ الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (الصفات)، أي:

وَكَذَلِكَ خَرَجَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَالْعَبْدِ الْهَارِبِ - تَارِكًا تَبْلِيغَ قَوْمِهِ بِرِسَالَاتِ رَبِّهِمْ.

﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء)، أي:

وَعَلَبَ عَلَيْهِ الظَّنُّ أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ لَنْ يُوجِبَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَكَ بِهِ الْعِقَابَ؛ فَانصَرَفَ عَنْ قَوْمِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ بِالْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيهِمْ.

فَلَمَّا بَلَغَ شَاطِئَ بَحْرِ الرُّومِ - أي: الْبَحْرُ الْمُتَوَسِّطُ - وَجَدَ سَفِينَةً جَاهِزَةً لِلإِبْحَارِ، فَرَكِبَ فِيهَا، وَخَاضَتْ بِهِمْ فِي عَرْضِ الْبَحْرِ.

وَلَمْ تَلْبَثِ السَّمَاءُ أَنْ اكْفَهَرَتْ غَضَبًا، وَهَاجَتْ بِهِمُ الْأَمْوَاجُ.

فثَقَلَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ، وَكَادَتْ تَغْرُقُ بَمَنْ فِيهَا.

﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (الصفات)، أي:

فَتَقَارَعُوا، فَأَصَابَتْهُ الْفُرْعَةُ ثَلَاثًا.

فَأَصْبَحَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْيَمِّ خَائِفًا، يَتَرَقَّبُ هَوْلَ الْعِقَابِ الإِلَهِيِّ.

﴿ فَالْتَمَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (الصفات)، أي: وَإِذَا بِهِ قَدْ اسْتَقَرَّ - عَلَى حِينِ

غَفْلَةٍ مِنْهُ - فِي بَطْنِ حُوتٍ عَظِيمٍ.

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾،  
أي: فَنَادَى الْعَلِيمَ الْقَدِيرَ - مُسْتَعِينًا بِرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ - وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ  
يَشْقُ قَرَارَ الْبَحَارِ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي بِذَهَابِي  
عَنْ قَوْمِي آثِمًا، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتَنَ لِي رَبِّي.

وَكَذَلِكَ اسْتَغْفَرَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَنْبِهِ، وَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ تَائِبًا مَتَابًا.  
﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (الصفات) ، أي:

فَلَوْلَا أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَدْ اتَّبَعَ ذَنْبَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالاسْتِغْفَارِ - مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرٍ -  
﴿ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الصفات) ، أي:

لَهَلَّكَ فِي بَطْنِ ذَلِكَ الْحُوتِ الْعَظِيمِ فَاخْتَلَطَ بِهِ: كَمَا تَفَنَّى الْأَجْسَادُ،  
وَتَحْتَلَطُ بِأَدِيمِ الْأَرْضِ. وَلَكَانَ ذَلِكَ الْحُوتُ هُوَ جَدُّهُ الَّذِي يَنْسِلُ مِنْهُ إِلَى رَبِّهِ،  
يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ.

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (الأنبياء)



﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (الصفات) ، أي:

فَأَلْقَاهُ الْحُوتُ بِأَمْرِ اللَّهِ طَرِيحًا عَلَى أَرْضٍ لَا ظِلَّ فِيهَا؛ وَهُوَ ضَعِيفُ الْبَدَنِ،  
لَا يُوَارِيهِ شَيْءٌ: كَمَا الْفَرْخُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْضَتِهِ.

﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (الصفات) ، أي:

وَرُوي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ سَخَّرَ لَهُ أَرْوِيَّةً - وَهِيَ: الْمَاعِزَةُ الْجَبَلِيَّةُ - فَكَانَتْ تَلِكُ  
الْمَاعِزَةُ تَرَعَى فِي الْبَرِّيَّةِ، وَتُرْضِعُهُ لِبَنَاتِهَا بُحْرَةً وَعَشِيَّةً.

وَالْيَقِطِينَ: كُلُّ شَجَرٍ لَا يَقُومُ عَلَى سَاقٍ، مِثْلُ: الدَّبَّاءِ، وَالقَرَعِ، وَالْبَطِيخِ؛ وَالْأَرْجَحُ أَنَّ القَرَعِ هُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

ذَلِكَ بِأَنَّ وَرَقَهُ فِي عَايَةِ النُّعُومَةِ، وَكَثِيرٌ، وَظَلِيلٌ، وَلَا يَقْرُبُهُ دَبَابٌ؛ كَمَا يُؤْكَلُ ثَمَرُهُ - مِنْ أَوَّلِ طُلُوعِهِ إِلَى آخِرِهِ - نَيْئًا، وَمَطْبُوحًا، وَبَقْشِرِهِ وَبِبِزْرِهِ - أَيْضًا - وَفِيهِ مَنَافِعُ أُخْرَى.



﴿ فَأَجْتَبَهُ رَبُّهُ وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القمه)، أي:

وَكَذَلِكَ اخْتَارَهُ اللهُ، فَاصْطَفَاهُ سُبْحَانَهُ لِيَكُونَ يُونسُ ﷺ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُقَرَّبِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَجْمَعِينَ.

وَعَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ) « عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونسَ بْنِ مَتَّى ﴾. الحديث « (البخاري: ٣٤١٦) .

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ١٤٧ ﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ ١٤٨ ﴿ (الصفات)  
أي: فَمَتَّعْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴾ ١٤٩ ﴿ (آل عمران) .



إِي وَرَبِّي، إِذَا طَلَعَ نُورٌ وَجْهَكَ يَا رَسُولَ اللهِ

فَلَنْ يُغْمِضَ الْعَيْنَ إِلَّا مَنْ قَدْ أَفْسَدَ عَيْنَيْهِ عَوَارُ الْقَدَى!

لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ - عَمُّ مُحَمَّدٍ ﷺ - آدَتْ قَرِيشُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَوْصَلَتْ إِلَى قَلْبِهِ الشَّرِيفِ الْأَدَى - بِامْتِنَاعِهَا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ - فَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَتَجَبَّرُوا، وَبَالَغُوا فِي جَهَالَتِهِمْ عَلَيْهِ ﷺ.



فَلَمَّا اشْتَدَّ كُفْرُهُمْ وَهَاجَتْ طَعْوَاهُمْ، حَرَجَ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ دَاعِيًا إِلَى تَوْحِيدِ  
وَطَاعَةِ اللَّهِ، وَمُلْتَمِسًا مِنْ ثَقِيفِ الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَالْمَنْعَةَ بِهِمْ لِدَفْعِ أَدَى  
قَوْمِهِ وَشُرُورِهِمْ عَنْهُ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ ثَقِيفٍ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ جَاهِلِينَ.

فَأَجَابُوا دَاعِيَ اللَّهِ بِأَنْ أُغْرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَفَهَاءَ قَوْمِهِمْ، وَصَبِيتَهُمْ،  
وَعَبِيدَهُمْ، يَسْبُونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ؛ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، فَأَلْجَاوُوهُ إِلَى  
حَائِطِ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنِي رَبِيعَةَ، وَكَانَا فِيهِ. ( وَالْحَائِطُ: الْحَدِيقَةُ أَوْ الْبُسْتَانُ. )

وَحِينَ تَفَرَّقَ عَنْهُ الصَّبِيَّةُ، وَالْعَبِيدُ، وَسَفَهَاءُ ثَقِيفٍ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ  
يَتَّبِعُهُ مِنَ الْجُهَّالِ، عَمَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ - وَهِيَ شَجَرَةُ الْعِنَبِ -  
فَجَلَسَ فِيهِ؛ لِيَنْفُضَ عَنْ نَفْسِهِ عُبَارَ الْقَوْمِ وَأَدَاهُمْ.

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

﴿ اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ.

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي.

إِلَى مَنْ تَكَلَّمِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى عَدُوِّ مَلَكَتُهُ أَمْرِي؟ - وَتَجَهَّمُ فَلَانٌ  
فُلَانًا: اسْتَقْبَلَهُ بِوَجْهِ كَرِيهِ - إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتُكَ  
هِيَ أَوْسَعُ لِي.

أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
مِنْ أَنْ تُنْزَلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى،  
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ. ﴿

وَكَانَ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَرِيَانِ مَا لَقِيَ  
مَنْ تَجَبَّرَ الْقَوْمُ، وَسُوءِ لُقْيَاهُمْ، وَمَا لَحِقَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ أَدَاهُمْ.

فَقَالَ لِعُلَامٍ لَّهُمَا نَصْرَانِيًّا، يُقَالُ لَهُ عَدَّاسٌ: خُذْ قِطْفًا مِنْ هَذَا الْعِنْبِ،  
فَصَعَهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ، ثُمَّ أَذْهَبَ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ فَقُلْنَا لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ.

فَأَقْبَلَ عَدَّاسٌ بِطَبَقِ الْعِنْبِ، حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشَّرِيفَيْنِ،  
ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُلْ.

فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَهُ، قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ثُمَّ أَكَلَ؛ فَنَظَرَ عَدَّاسٌ  
فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ أَيْ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ، وَمَا دِينُكَ؟﴾  
قَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿مَنْ قَرِيْبَةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُؤْنَسُ بِنِ مَتَى﴾.

فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُؤْنَسُ بِنِ مَتَى؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ذَلِكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ﴾.

فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُقْبَلُ رَأْسَهُ، وَيَدِيهِ، وَقَدَمِيهِ.

فَلَمَّا رَجَعَ عَدَّاسٌ إِلَى ابْنِي رَبِيعَةَ، قَالَ لَهُ: وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ! مَا لَكَ تُقْبَلُ رَأْسَ  
هَذَا الرَّجُلِ، وَيَدِيهِ، وَقَدَمِيهِ؟ قَالَ: يَا سَيِّدِي، مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ  
مِنْ هَذَا! لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ.

فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ! لَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ، فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ.



﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٦﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَرَوْجَهُۥ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٨٧﴾ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرَجَهَا فَتَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأنبياء)

## بَعْضُ مِنْ قِصَّةِ زَكَرِيَّا عليه السلام وَعِيسَى عليه السلام ابْنِ الصَّديقَةِ مَرْيَمَ

كَثِيرٌ مِنَ الْحِكَايَةِ - وَذَلِكَ فِي مُعْظَمِ مَا قَرَأْتُ مِنَ التَّفَاسِيرِ، وَكُتِبَ التَّارِيخُ - لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ تَصَوُّرَاتٍ أَوْ أَضْغَاتٍ مُفَسِّرِينَ، أَوْ نَقْلًا عَنِ الْعَوَامِّ مِنَ الْمُتَحَدِّثِينَ، أَوْ الضَّالِّينَ مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْوَاضِعِينَ.

وَإِنَّ لِي فِي افْتِصَارِ السِّيَاقِ الْقِصَصِي عَلَى بَعْضِ الْقِصَّةِ لَعُدْرًا، إِذْ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ - أَبَدًا - نَقْلُ تِلْكَ الْعِبَاوَاتِ وَالْخَرَافَاتِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمَوْضُوعَةِ، أَوْ الرِّوَايَاتِ الْمُفْتَعَلَةِ.

وَإِنَّمَا الْقَوْلُ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ، هُوَ:

" اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَبِيِّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عليه السلام وَعِيسَى عليه السلام ابْنِ الصَّديقَةِ مَرْيَمَ."

كَذَلِكَ، فَإِنَّ جَمِيعَ آيَاتِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ - الَّتِي وَرَدَتْ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ - لَيْسَتْ بِالضَّرُورَةِ مِمَّا يَخُصُّ نَبِيَّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عليه السلام وَعِيسَى عليه السلام ابْنِ الصَّديقَةِ مَرْيَمَ، وَإِنَّمَا هِيَ جُزْءٌ لَا يَتَجَرَّأُ مِنَ السِّيَاقِ الْقِصَصِي.

## حِكَايَةُ مَرِيَمَ الصَّديقَةِ الطَّاهِرَةِ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ صُطْفَى ﴾ (آل عمران)، أي:

إِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ وَفَضَّلَ سُبْحَانَهُ كُلًّا مِنْ:

﴿ عَادَمَ وَنُوحًا ﴾ (آل عمران) عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

﴿ وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (آل عمران)، أي: وَالْمُخْلِصِينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجْمَعِينَ.

﴿ وَعَالَ عِمْرَانَ ﴾ (آل عمران)، أي: وَمِنْهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ الْبَيْتِ الطَّيِّبِ الطَّاهِرِ.

﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران)، أي: سَلَالَةَ مِنَ الصَّفْوَةِ الْمُخْتَارِينَ.

﴿ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران)، أي: صُعوداً إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الْمُخْلِصُونَ (بِفَتْحِ اللَّامِ): الْمُخْتَارُونَ، وَهُمْ الْخَالِصُونَ مِنَ الدَّنَسِ.

وَأَمَّا الْمُخْلِصُونَ (بِالْكَسْرِ): فَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَا يُشْرِكُونَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَحَدًا.

وَعِمْرَانُ هُوَ أَبُو الصَّديقَةِ مَرِيَمَ - مِنْ ذُرِّيَّةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهِيَ سَلَالَةُ مِنَ الصَّفْوَةِ الَّذِينَ اصْطَفَى سُبْحَانَهُ، وَكَانَ إِمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي صَلَاتِهِمْ.

وَأَمَّا أُمُّهَا (حِنَّةٌ) فَكَانَتْ مِنَ الْعَابِدَاتِ، وَرُوِيَ بِأَنَّهَا كَانَتْ لَا تَحْبَلُ.

وَأَمَّا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَ نَبِيَّ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَزَوْجَ خَالَتِهَا (أَشْيَاعَ).

﴿ إِذْ قَالَتْ أُمْرَأْتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (آل عمران)، أي:

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ، رَأَتْ طَائِرًا يَزُقُّ فَرْخًا لَهُ؛ فَاسْتَهَتْ الْوَلَدَ، وَنَذَرَتْ عَلَى نَفْسِهَا نَذْرًا لِلَّهِ: إِنْ حَمَلْتُ لَتَجْعَلَنَّ وَلَدَهَا ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ ﴿٣٥﴾ (آل عمران)، أي: نَذِيرَةً.

فَحَمَلَتْ - مِنْ فَوْرِهَا - بِالصِّدِّيقَةِ مَرْيَمَ. ( وَزُقَّ الطَّائِرُ الْفَرْخَ: أَطْعَمَهُ بِفِيهِ. )

وَلَقَدْ كَانُوا - فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ - يَنْذِرُونَ لَبَيْتِ الْمَقْدِسِ النَّذَائِرَ.

وَالنَّذِيرَةُ: كُلُّ وَالدٍ - مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى - قَدْ جَعَلَهُ أَبَوَاهُ خَادِمًا يَخْدُمُ الْهَيْكَلِ، وَالْعِبَادَ فِيهِ.

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ ﴾ ﴿٣٦﴾ (آل عمران)، أي: فِي الْقِيَامِ بِالْخِدْمَةِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آل عمران): فَاسْتَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهَا بِأَنْ أَعَادَ الصِّدِّيقَةَ مَرْيَمَ

وَابْنَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

وَقَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:

﴿ مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٣٤٣١) .

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ (آل عمران)، أي:

فَلَمَّا دَفَعَتْ امْرَأَةً عِمْرَانَ بِمَرْيَمَ إِلَى الْعِبَادِ - فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ - نَشِبَتْ الْخُصُومَةَ فِيهِمْ، وَاخْتَدَمَ الْجَدَلُ فِي أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا.

وَأَرَادَ زَكَرِيَّا عليه السلام أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِمَرْيَمَ دُونَهُمْ؛ فَهُوَ نَبِيَّهُمْ، وَامْرَأَتُهُ خَالَتُهَا - وَالْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ، وَهِيَ الْأَحَقُّ شَرْعاً بِالْكَفَالَةِ مِنْ بَعْدِ الْجَدَّةِ - فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ. فَتَقَارَعُوا - بِأَنْ أَلْقُوا أَقْلَامَهُمْ فِي الْيَمِّ - فَكَانَ أَنْ خَرَجَ قَلَمُ زَكَرِيَّا عليه السلام، ثَلَاثًا؛ وَكَذَلِكَ كَفَّلَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ زَكَرِيَّا عليه السلام.

وَمِمَّا يُرَوَى: أَنَّهُ حِينَ وَضَعَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ مَرْيَمَ خَرَجَتْ بِهَا تَسْعَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَسَلَّمَتْهَا إِلَى الْعِبَادِ - وَذَلِكَ وَفَاءً بِالْتَّنُرِ - وَالْأَرْجَحُ، أَنَّهَا سَلَّمَتْهَا إِلَيْهِمْ بَعْدَ إِرْضَاعِهَا، وَفِطَامِهَا، وَحِضَانَتِهَا فِي صِغَرِهَا، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ (٣٧) (آل عمران)، أَي:

وَكَذَلِكَ تَقَبَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَذِيرَةَ امْرَأَةِ عِمْرَانَ قَبُولًا حَسَنًا.

﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ (٣٧) (آل عمران)، أَي: أَنْشَأَهَا رَبُّهَا سُبْحَانَهُ نَشَاءً حَسَنًا.

﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا <sup>ط</sup> ﴾ (٣٧) (آل عمران)، أَي: جَعَلَ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ زَكَرِيَّا عليه السلام ضَامِنًا الْقِيَامَ

بِأَمْرِهَا وَمَرْبِيًّا لَهَا، إِذْ اتَّخَذَ عليه السلام لِمَرْيَمَ مَكَانًا شَرِيفًا - شَرْقِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - فَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا فِي مَحْرَابِهَا أَحَدٌ سِوَاهُ؛ حَيْثُ كَانَتْ الصَّدِيقَةُ مَرْيَمُ تَتَعَبَّدُ فِيهِ، فَلَا تَفْتُرُ - لَيْلًا وَلَا نَهَارًا - عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ.

وَصَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَضْرِبُونَ بِهَا الْمَثَلَ فِي الْقِيَامِ بِجَمِيعِ أَمْرِ اللَّهِ، بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ سِدَانَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِذَا جَاءَتْ نَوْبَتُهَا.

(وَالسِّدَانَةُ هِيَ الْحِجَابَةُ، أَي: خِدْمَةُ وَتَوَلَّى أَمْرَ بَيْتِ الْعِبَادَةِ، وَفُتِحَ بَابُهُ وَإِعْلَاقُهُ.)

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ وَانْطَوَتْ السَّنُونَ، وَبَدَأَ يَظْهَرُ عَلَى الصَّدِيقَةِ مَرْيَمَ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمُعْجَزَاتِ مَا اشْتَهَرَهَا النَّاسُ - وَغَبَطَهَا زَكَرِيَّا عليه السلام - بِهَا.

وَالْحَسَدُ: أَنْ يَتَمَنَّى الْحَاسِدُ نِعْمَةَ الْمَحْسُودِ عَلَى أَنْ تَتَحَوَّلَ عَنْهُ، أَلَا عَلَيْهِ دَائِرَةُ السَّوِّ بِظُلْمِهِ. وَأَمَّا الْغِبْطَةُ: فَهِيَ لَيْسَتْ بِحَسَدٍ، أَبَدًا؛ وَإِنَّمَا: أَنْ يَتَمَنَّى الرَّجُلُ مِثْلَ حَالِ الْمَغْبُوطِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرِيدَ زَوَالَ النِّعْمَةِ أَوْ تَحَوُّلَهَا عَنْهُ.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ط﴾ ﴿٣٧﴾ (آل عمران)، أَي:

وَجَدَ عِنْدَ الصَّدِيقَةِ مَرِيَمَ رِزْقًا وَافِرًا لَا يَنْقُصُ، وَفِي غَيْرِ أَوَانِهِ: إِذْ كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةً الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ.

﴿قَالَ يَمْرِيءُ أَتَى لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ط﴾ ﴿٣٧﴾ (آل عمران) .



﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ط﴾ ﴿٨١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجَهُهُمُ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ط وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ط﴾ ﴿٩٠﴾ (الأنبياء) .

حِكَايَةُ زَكَرِيَّا وَبِشَارَةِ اللَّهِ لَهُ بِيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ط﴾ ﴿٣٨﴾ (آل عمران)، أَي:

فَلَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا ﷺ مَا رَأَى مِنْ حَالِ الصَّدِيقَةِ مَرِيَمَ فِي مِحْرَابِهَا مَعَ رَبِّهَا سُبْحَانَهُ - هُنَالِكَ - طَمَعَ ﷺ فِي فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ مِنْ صُلْبِهِ.

فَقَامَ - مِنْ فَوْرِهِ، وَبِلَا مُهْلَةٍ - يُصَلِّي فِي ذَلِكَ الْمِحْرَابِ خَاشِعًا لِقُدْرَةِ اللَّهِ، وَمُنَاجِيًا رَبَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ط﴾ ﴿٨١﴾ (الأنبياء) .

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا  
بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ - أي: مُصَدِّقًا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ الْعَلِيَّةِ - ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا  
وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣٦) (آل عمران).

وَكَذَلِكَ غَلَبَتْ عَلَى زَكَرِيَّا الْعَلِيَّةِ الْبُشْرَى، فَنَسِيَ - مِنْ عَظِيمِ الْمَسْرَةِ -  
أَنَّ مُسَبَّبَ الْأَسْبَابِ كُلِّهَا إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ قَالَ رَبِّ أِنِّي يَكُونُ لِي  
عَلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأُمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾ (٤١) (آل عمران)، أي:

فَدَهَشَ مُتَسَائِلًا: رَبِّ، كَيْفَ الْوَالِدُ وَقَدْ أَخَذَ كِبَرُ سِنِّي وَعَقُرُ امْرَأَتِي مَا أَخَذَ؟  
﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٤١) (آل عمران)، أي: وَكَانَ الْجَوَابُ قَاطِعًا  
بِأَنَّهَا الْإِرَادَةُ الْإِلَهِيَّةُ، لِذَلِكَ فاعْلَمَ:  
- أَنْ كُلَّ أَمْرٍ مَا كَانَ وَلَنْ يَكُونَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ.

- وَأَنَّ رَبَّكَ ﴿ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴾ (١٦) (البروج).  
﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ (٤١) (آل عمران)، أي:

وَتَابَ الْعَلِيَّةِ مِنَ الدَّهْشِ وَالْحَيْرَةِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ: أَنْ يَجْعَلَ لَهُ آيَةً يَعْرِفُ بِهَا وَفُوعَ  
مَا بُشِّرَ بِهِ مِنَ الْوَالِدِ.

﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا أَنْ تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴾ (٤١) (آل عمران)، أي:  
يَا زَكَرِيَّا، إِنَّمَا الْعَلَامَةُ أَنْ تُنْمَعَ مِنَ الْكَلَامِ لِأَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ - وَأَنْتَ سَوِيٌّ لَا أُخْرَسُ -  
فَلَا تُخَاطَبِ النَّاسَ إِلَّا بِالْإِشَارَةِ.



﴿ وَادُّرُّر رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ (آل عمران) ، أَي: وَأَكْثَرُ مِنْ  
 إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لِذِكْرِ رَبِّكَ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا.  
 ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (١١)  
 يَيْحَيِّ حُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَعَاتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَرَكُوعًا وَكَانَ  
 تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ  
 وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ (مريم).



### وِلَادَةُ الْمَسِيحِ - عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنِ مَرْيَمَ - كَلِمَةُ اللَّهِ:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ ﴾ (آل عمران) :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ (آل عمران) ، أَي: لَقَدْ اخْتَارَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ  
 نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، ﴿ وَظَهَّرَكِ ﴾ (آل عمران) مِنْ الرَّدَائِلِ وَالذَّنَسِ نَفْسًا وَجَسَدًا،  
 فَأَنْشَأَكَ النِّشَاءَ الْحَسَنَةَ عَلَى الْفَضَائِلِ وَالْعِفَّةِ.

﴿ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران) ، أَي: لِنُفِي إِلَيْكَ كَلِمَتُهُ وَيَنْفُخُ  
 فِيكَ مِنْ رُوحِهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّكَ - يَا مَرْيَمُ - لَصَدِيقَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿ يَمْرَيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (آل عمران) مِنْ الْعِبَادِ  
 فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وَالْقَائِنَةُ: هُوَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ كُلِّهِ، وَالْمُمْسِكُ عَنِ الْكَلَامِ فِي قُنُوتِهِ، وَالذَّاكِرُ اللَّهَ كَثِيرًا،  
 وَالسَّاجِدُ الْقَائِمُ الَّذِي ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (الزمر) سُبْحَانَهُ.

وَكَذَلِكَ كَانَ ابْتِدَاءَ أَمْرِ اللَّهِ ( كَلِمَةً ) أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الطَّاهِرَةِ؛ فَكَانَتْ الْكَلِمَةُ  
بَشَرًا بِأَنَّ نَفْخَ اللَّهِ فِي الصَّدِيقَةِ مَرْيَمَ مِنْ رُوحِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَنِّي يَكُونُ لَهُ  
وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأنعام).

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ، بَيْنَا كَانَتْ مَرْيَمُ فِي خَلْوَتِهَا تَتَعَبَّدُ قَائِتَةً لِلَّهِ،  
﴿ إِذْ قَالَتْ أَلْمَلِكَةُ يَمْرَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ  
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (آل عمران)، أَي:

يَا مَرْيَمُ، إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ ( الْمَسِيحُ )، أَي:

مَسَحَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالسَّلَامِ، وَالْبَرَكَاتِ، وَالْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ عَلَى الْإِثْنَيْنِ بِمَا ظَهَرَ  
عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ الْمُعْجَزَةِ، بِإِذْنِ اللَّهِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ سُبْحَانَهُ.

﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ  
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ  
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿٤٦﴾ ﴾ (آل عمران).

وَالْأَكْمَةُ: هُوَ الَّذِي يُولَدُ أَعْمَى؛ وَأَمَّا الْبَرَصُ فَهُوَ دَاءٌ، أَي: بِيَاضٌ يَقَعُ فِي الْجَسَدِ.

﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (آل عمران)، أَي: جَعَلْنَاهُ عَلِيًّا فِي الْمَكَارِمِ،  
وَالشَّرَفِ، وَالرَّفْعَةِ، وَالْقَدْرِ، ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (آل عمران)، أَي:

وَإِنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ سُبْحَانَهُ الْقُرْبَةَ، وَالدَّرَجَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الْعُلْيَا، وَذَلِكَ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ (آل عمران)، أي:

يُكَلِّمُهُمُ الطِّفْلَةَ طِفْلاً صَغِيراً - فِي مَهْدِهِ - لِيَهْدِيَهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛  
إِذْ ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ (مريم)، أي: فَدَعَا النَّاسَ - فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ -  
إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ.

﴿ وَكَهَلًا ﴾ (آل عمران)، أي:

إِذْ رَفَعَ الْمَسِيحُ عِيسَى الطِّفْلَةَ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ سُبْحَانَهُ، فَلَمْ يَبْلُغْ بَعْدُ  
الشَّيْخُوخَةَ: ﴿ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا كُنَّ تِلْكَ الْيَهُودُ بِغِبَابٍ وَآيَاتٍ وَمَا يَنْبَغُ لَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَاعِلِينَ ﴾ (آل عمران).

وَالكَهْلُ مِنَ الرِّجَالِ: هُوَ الَّذِي جَاوَزَ الثَّلَاثِينَ، وَوَحَطَهُ الشَّيْبُ.

وَإِنَّمَا هُوَ شَيْخٌ: مِنْ خَمْسِينَ إِلَى آخِرِ العُمُرِ.

﴿ وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران)، أي:

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيُطَهِّرُهَا مِنْ رِجْسِ شَيَاطِينِ  
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؛ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الَّذِينَ: ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عِتَابًا لِيَلْتَمِذًا  
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأَوْلَيْكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران).

\* \* \*

﴿ قَالَتْ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾ (آل عمران)، أي:

رَبِّ، وَكَيْفَ الْوَلَدُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ، وَأَنْتَ سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ أَنِّي نَذِيرَةٌ مِنْ نَذَائِرِ  
بَيْتِ الْمُقَدَّسِ؛ فَلَا زَوْجَ لِي، وَلَسْتُ مِنَ اللَّائِي يَنْزَوِجْنَ!؟

﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾ (آل عمران)، أي:

أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَا مَرْيَمُ؟! وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ  
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف)؛ فَأَعْلَمِي - يَا مَرْيَمُ - بَأَنَّهَا الْأَمْرُ  
الْإِلَهِيِّ ( كُنْ ) يَقْضِي بِأَنَّ الْعَدَمَ قَدْ صَارَ مَوْجُودًا، سُبْحَانَهُ ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا  
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران).

وَكَذَلِكَ صَدَقَتْ مَرْيَمُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا، وَفَوَّضَتْ أَمْرَهَا - جَمِيعًا - إِلَى اللَّهِ  
الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ بِمَا سَوْفَ يَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُهَا، إِذَا أَنْتَ قَوْمَهَا تَحْمِلِ  
وَلِيدَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا! ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ  
الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ  
ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾ (المائدة)!

\* \* \*

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ (١٧) فَاتَّخَذَتْ مِنْ  
دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (مريم)، أي:  
وَاخْتَلَتْ الصَّدِيقَةَ مَرْيَمَ بِنَفْسِهَا، فَابْتَعَدَتْ عَنْ قَوْمِهَا لِتَعْبُدَ اللَّهَ قَانِتَةً  
فِي مِحْرَابِهَا - شَرْقِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - فَلَا يَدْخُلُ مِحْرَابَهَا أَحَدٌ غَيْرُهَا،  
إِلَّا نَبِيُّ اللَّهِ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

حَيْثُ كَانَتْ لَا تَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا فِي حَاجَةٍ لَهَا، أَوْ لِلصَّلَاةِ مَعَ عَبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَوْ لِسِدَانَتِهِ؛ وَذَلِكَ امْتِنَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ: ﴿ يَمْرَمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكَ  
وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (آل عمران).

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ، بَيْنَا الصَّدِيقَةُ مَرِيْمٌ فِي خَلْوَتِهَا، تَتَعَبَّدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ قَانِتَةً  
فِي مَحْرَابِهَا، فَإِذَا بِالرُّوحِ الْأَمِينِ جِبْرِيلَ عليه السلام وَقَدْ تَمَثَّلَ لَهَا شَابًا تَامَ الْخَلْقِ،  
يَتَلَأُّ وَجْهَهُ بِهَاءٍ وَنُورًا.

فَلَمَّا أَبْصَرَتْهُ أَمَامَهَا: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾ (مريم)،  
أَي: كَيْفَ تَدْخُلُ فِيمَا مَنَعَكَ اللَّهُ مِنْهُ، وَحَرَمَهُ عَلَيْكَ؟! فَهَلْ أَنْتَ مِنْتَهُ  
عَنْ ذَلِكَ، أَمْ أَنْكَ لَسْتَ مِنَ الْمُتَّقِينَ لِعِقَابِ اللَّهِ؟!  
﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ۝١٩﴾ (مريم)، أَي:

فَأَذْهَبَ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلَ عليه السلام عَنِ الصَّدِيقَةِ مَرِيْمَ الرُّوعِ، قَائِلًا:  
مَا أَنَا إِلَّا مَلَكٌ أَرْسَلَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْكَ ﴿لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ۝٢٠﴾ (مريم)، أَي:  
غُلَامًا طَاهِرًا مُبَارَكًا.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ۝٢١﴾ (مريم)، أَي:

فَأَجَابَتْهُ مَرِيْمٌ مُتَحِيرَةً:

وَكَيْفَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ۝٢٢﴾ (مريم) بِالْحَلَالِ أَوْ الْحَرَامِ!؟

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٣﴾ (مريم)، أَي: وَلَسْتُ مِنَ اللَّائِي اعْتَدَنَ عَلَى إِيْتَانِ الْفَاحِشَةِ!

فَأَزَالَ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلَ عليه السلام عَنِ الصَّدِيقَةِ مَرِيْمَ الْحَيْرَةِ، قَائِلًا: ﴿كَذَلِكَ  
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْبٍ ۝٢٤﴾ (مريم)، أَي: قَضَى رَبُّكَ أَنْ يَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا.

﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۝٢٥﴾ (مريم): ذَلِكَ بِأَنَّ الْهَدَايَةَ إِلَى  
صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ إِنَّمَا هِيَ تَمَامُ الرَّحْمَةِ.

﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ (١٦) (مريم)، أي:

وَكذلك تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ سُبْحَانَهُ بِخَلْقِ عِيسَى الطَّلِيلِ: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ <sup>ط</sup> لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١٣٢) (الانعام).

\* \* \*

﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ (٢٢) (مريم)، أي:

وَكَانَ أَنْ حَمَلَتْ مَرْيَمُ الصَّديقَةَ الطَّاهِرَةَ بِعِيسَى الطَّلِيلِ.  
فَلَمَّا بَانَ حَمْلُهَا - وَظَهَرَتْ عَلَامَاتُهُ - ضَافَتْ بِهِ دُرْعًا!

إِذْ سَوْفَ تَصِيرُ - عَمَّا قَرِيبٍ - عُرْضَةً لِكَلَامِ الثَّرثارينَ الَّذِينَ سَوْفَ يَخُوضُونَ  
- وَيَتَشَدَّقُونَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ - فِي قِصَّةِ حَمْلِهَا مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ؛ وَبِذَلِكَ يَكْثُرُ  
الْقِيلُ وَالْقَالَ فِي حَقِّهَا.

﴿ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ (٢٣) (مريم)، أي: فَانْتَبَذَتْ بِحَمْلِهَا إِلَى مَكَانٍ قَصِيٍّ  
عَنْ عَشِيرَتِهَا، هُوَ بَيْتُ لَحْمٍ. ( وَهُوَ قَرْيَةٌ عَلَى أَمْيَالٍ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ. )

وَرُوي أَنَّ زَكْرِيَّا الطَّلِيلِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ فَطِنَ لِذَلِكَ الْحَمْلِ؛ فَأَخَذَتْهُ الْحَيْرَةُ فِي أَمْرِهَا، وَذَلِكَ  
لِمَا يَعْرِفُ مِنْ طَهَارَتِهَا وَتَقْوَاهَا.

وَمَا لَبِثَ أَنْ طَارَ خَبْرُ حَمْلِهَا مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ، فَاشْتَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَمَا دَخَلَ عَلَى  
أَهْلِ بَيْتٍ - فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ - مَا دَخَلَ عَلَى آلِ بَيْتِ زَكْرِيَّا الطَّلِيلِ مِنَ الْأَدَى.

حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الزَّنَادِقَةِ الْفُجَّارِ مِنْهُمْ أَتَاهُمَا بِيُوسُفَ النَّجَّارِ، الَّذِي كَانَ يَتَعَبَّدُ مَعَهَا  
فِي بَيْتِ الْمُقَدِّسِ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْإِنْجِيلِ:

أَنَّ يُوسُفَ النَّجَّارَ كَانَ قَدْ خَطَبَ مَرْيَمَ، فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا وَصَارَتْ إِلَيْهِ، وَجَدَهَا حُبْلَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبَاشِرَهَا.

وَكَانَ يُوسُفُ رَجُلًا صَالِحًا، فَكَّرَهُ أَنْ يَفْشِيَ عَلَيْهَا سِرَّهَا، وَانْتَمَرَ أَنْ يُسَرِّحَهَا - أَي: أَنْ يُرْسِلَهَا إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا - خَفِيَةً.

فَتَرَاى لهُ مَلَكٌ فِي النَّوْمِ، فَقَالَ: يَا يُوسُفُ، إِنَّ امْرَأَتَكَ - مَرْيَمَ - سَوْفَ تَلِدُ ابْنًا، يُسَمَّى: عِيسَى، وَهُوَ يُنْجِي أُمَّتَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ.

وَلَقَدْ اجْتَهَدَ مَنْ اجْتَهَدَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ - مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ - كَثِيرًا، وَغَيْرَ مَشْكُورِينَ، فِي تَأْوِيلِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ:

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١١) ﴿ (الأنبياء) .

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَلْبَيْنِ ﴾ (١٢) ﴿ (التحريم) .

فَجَاؤُوا بِمَا لَا يَنْبَغِي مِنَ الْقَوْلِ فِي حَقِّ الدَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ - مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا دِرَايَةٍ - بَلْ وَشَطَّ بِهِمْ خَيَالُهُمُ الْوَاسِعُ أَوْ الْمَرِيضُ - لَا فَرْقَ - عَنْ جَادَةِ الصَّوَابِ؛ وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي أَمْرِ لَا، وَلَنْ يَعْلَمَهُ - حِينِنْدِ - إِلَّا اللَّهُ، وَمَا شَاءَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَيْهِ عِلْمُ الرُّوحِ الْأَمِينِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّديقَةُ مَرْيَمَ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ سُبْحَانَهُ النَّاسَ - كُلَّهُمْ أَجْمَعِينَ - فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (آل عمران)، فاعلم، يَا أَيُّهَا السَّائِلُ الْحَائِرُ: أَنْ فِي قِصَّتِي آدَمَ وَالْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الْمَفْهُومَ نَفْسَهُ، أَلَا وَهُوَ الْخَلْقُ وَنَفْخُ الرُّوحِ فِيهِمَا، وَلَمْ يَكُونَا مِنْ قَبْلِ شَيْئًا:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر) .  
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١٩﴾ (الانباء) .

﴿ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرَجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَأَبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الانباء) .

أي: إِنَّ الْعِبْرَةَ مِنْ قِصَّةِ عِيسَى عليه السلام لَيْسَتْ فِي كَيْفِيَّةِ تَكْوِينِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ - الصَّدِيقَةِ مَرْيَمَ - أَبَدًا! وَإِنَّمَا لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة)، أي:

إِنَّ اللَّهَ الْخَالِقَ الْبَارِئَ الْمُصَوِّرَ سُبْحَانَهُ:

- فَذْ خَلَقَ آدَمَ عليه السلام مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى.

- وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى.

- وَخَلَقَ عِيسَى عليه السلام مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ.

- وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الْخَلْقِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ <sup>ط</sup> خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥١﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ



وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهْلِ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ  
عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصُّ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ  
لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ (آل عمران).

\* \* \*

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴿٦٣﴾ ﴾ (مريم)، أي:

وَاقْتَرَبَتْ سَاعَهُ وَلِدَاتِهَا، وَأَخَذَهَا وَجَعِ الْوَضْعِ وَالْأَمِهِ، فَأَلْجَأَهَا الطَّلُقُ  
إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ فِي بَيْتِ لَحْمٍ.

﴿ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ (مريم)، أي:

وَأَخَذَ الْحُزْنَ وَالْغَمَّ بِنَفْسِهَا مَا أَخَذَ، فَصَاقَتْ عَلَيْهَا الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ؛ حَتَّى  
أَنَّهَا تَمَنَّتْ لَوْ عَاجَلَهَا الْمَوْتُ، فَكَانَتْ ﴿ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ (مريم)، أي:

لَمْ تَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً!

وَإِنَّمَا ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ قَوْمَهَا بِغُلَامٍ تَحْمِلُهُ عَلَى يَدَيْهَا، وَهِيَ: الطَّاهِرَةُ،  
الْعَابِدَةُ، الْقَانِتَةُ، نَذِيرَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَسَلِيلَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

﴿ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ (مريم)، أي:

وَلِمَ الْحُزْنَ وَالْغَمَّ - يَا أُمِّي - وَأَنْتِ الَّتِي قَدْ اصْطَفَاكَ اللَّهُ ﴿ وَظَهَرَكَ وَأَصْطَفَاكَ ﴾  
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ (آل عمران) كَلَّهْنَ؟

يَا أُمِّي، انظري! أَلَا تَرَيْنَ أَنَّ خَيْرَ الرَّازِقِينَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَجْرَى مِنْ تَحْتِكَ جَدُولَ  
مَاءٍ يَذْفِقُ صَافِيًّا رَفْرَاقًا؟

﴿ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجُدْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ (مريم)، أي:

يَا أُمِّي، هَزِي جُدْعَ النَّخْلَةِ هَزَاءً، فَتُسْقِطُ عَلَيْكَ - مِنْ فَوْقِكَ - تَمْرًا غَضًّا طَرِيًّا.

وَمَا كَانَتْ تِلْكَ النَّخْلَةُ فِي وَفْتِ خُرُوجِ نَمْرِهَا؛ لِأَنَّ مِيلَادَهُ الطَّيِّبِ كَانَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ. وَرُوِيَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ، لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً قَدْ حَلَّتْ مِنْ كَانُونَ الْأَوَّلِ.

﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي ﴿٤٦﴾ ﴾ (مريم)، أي:

كُلِي وَاشْرَبِي - يَا أُمِّي - مِنْ رِزْقِ اللَّهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ سُبْحَانَهُ.

﴿ وَقَرِّي عَيْنًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (مريم)، أي:

طَبِيبِي نَفْسًا - يَا أُمِّي - وَاسْتَرِيحِي مِنْ غَمِّ الْقَلْبِ وَكَرْبِ النَّفْسِ، وَفَوِّضِي أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ.

﴿ فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (مريم)، أي: فَأِذَا مَا اعْتَرَضَكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِكَ،

﴿ فَقُولِي ﴿٤٩﴾ ﴾ (مريم) لَهُ إِيْمَاءً بِالْيَدِ وَالرَّأْسِ:

﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (مريم)، أي: صَمْتًا عَنِ الْكَلَامِ، ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ

الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ (مريم).



﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴿٥٢﴾ ﴾ (مريم)، أي:

وَبُهِتَ الْقَوْمُ لَمَّا رَأَوْا: الطَّاهِرَةَ، الْعَذْرَاءَ، الْقَائِمَةَ لِلَّهِ - آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ - وَقَدْ جَاءَتْ تَحْمِلُ طِفْلًا بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا! فَتَحَيَّرُوا فِي أَمْرِهَا وَ﴿ قَالُوا

يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ (مريم)، أي: يَا مَرْيَمُ، لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا نُكْرًا!

وَأْتَيْتِ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ!

﴿يَأْخُذُ هَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (مريم)، أي:

وَحِينُنْدِ، نَسَبَهَا قَوْمَهَا - عَلَى الْأَرْجَحِ - إِلَى عَابِدٍ مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،  
كَانَتْ تَجْهَدُ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ - فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ - اسْمُهُ: ( هَارُونَ ).

وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، هُوَ: تَفْرِيعُهَا وَتَوْبِيخُهَا عَلَى فَعْلَتِهَا الَّتِي فَعَلَتْهَا!

﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ (مريم)، أي:

يَا أَيُّهَا الطَّاهِرَةُ التَّقِيَّةُ، أَمَا اسْتَحْيَيْتِ؟ أَمَا اتَّقَيْتِ اللَّهَ؟

يَا مَرْيَمُ، مَا هَذِهِ الْمَفَارِقَةُ بَيْنَ طَهَارَةِ النَّفْسِ، وَدَنَسِ الرَّذِيلَةِ؟

يَا مَرْيَمُ، مَا كَانَ أَبُوكَ فَاجِرًا يَأْتِي الْمُنْكَرَ، وَيَرْكَبُ الْفَاحِشَةَ! وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ  
فَاجِرَةً زَانِيَةً!

وَالْأَدَهَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ! أَنَّهُمْ اتَّهَمُوا بِهَا يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ النَّجَّارَ،  
فَرَمَوْهَا - قَاتَلَهُمُ اللَّهُ - بِالْفَاحِشَةِ الْعُظْمَى، وَظَنُّوا بِهَا الظُّنُونَ!

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ (مريم)، أي:

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ بِيَدِهَا، وَكَأَنَّمَا لِسَانُ حَالِهَا يَقُولُ لَهُمْ: خَاطِبُوا هَذَا الرَّضِيعَ  
وَاسْأَلُوهُ، فَإِنَّ لَدَيْهِ مَا سَأَلْتُمْ مِنَ الْجَوَابِ!

فَاخْتَدَّ الْقَوْمُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُمْ، وَقَالُوا لَهَا - وَالِدَهُشَّةُ تَعْلُو وَجُوهَهُمْ -  
كَيْفَ يَكُونُ الْجَوَابُ لَدَى رَضِيعٍ لَا يَعْقِلُ الْخَطَابِ؟ هَلْ تَعْبَثِينَ بِنَا؟!

يَا مَرْيَمُ، قُولِي شَيْئًا، وَكَفَّاكَ عَبَثًا! فَلَمْ تَتَحَرَّكَ شَفَقَاكَ بِشَيْءٍ، وَمَا نَبَسَتْ  
بِكَلِمَةٍ! وَالْأَدَهَى، أَنَّكَ تُحِيلِينَ الْجَوَابَ إِلَى مَنْ قَدْ كَانَ فِي الْأَمْتِ صَبِيًّا!

فَوَرَبِّكَ، وَرَبِّ آبَائِكَ - يَا مَرْيَمُ - إِنَّ ذَلِكَ التَّصَرُّفَ الْغَرِيبَ مِنْكَ لَيْسَ إِلَّا  
اسْتَهْزَاءً بِنَا، بَلْ ائْتِقَاصاً وَازْدِرَاءً لَنَا!

\* \* \*

وَجَاءَ الْجَوَابُ - كَمَا لَمْ يَكُ مُتَوَقَّعاً - مِنْ ذَلِكَ الصَّبِيِّ فِي الْمَهْدِ!  
وَكَذَلِكَ أَنْطَقَهُ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ، فَأَبْتَدَأَ - ذَلِكَ الرَّضِيعُ - الْكَلَامَ، قَائِلاً:

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴿٣٠﴾﴾ (مريم)، وَذَلِكَ إِقْرَارًا بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ؛  
ثُمَّ بَرَأَ أُمَّهُ - مِمَّا نَسَبَهُ الْجَاهِلُونَ إِلَيْهَا، وَرَمَوْهَا بِهِ - فَقَالَ: ﴿ءَاتَنِي الْكِتَابَ  
وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣١﴾﴾ (مريم)، أَي:

لَا يُمَكِّنُ - أَبَدًا - أَنْ يَخْتَصُّ اللَّهُ بِالنَّبُوءَةِ مَنْ كَانَ ابْنُ زَانِيَةٍ! وَذَلِكَ كَمَا زَعَمَتْ  
طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ الْفَجْرَةِ - وَمَنْ جَارَاهُمْ فِي عَيْهِمْ - أَلَا لَعْنَهُمُ اللَّهُ:  
﴿يَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ (النساء).

---

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴿٧٥﴾﴾ (المائدة)،  
أَي: كَذَلِكَ بَرَأَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ افْتِرَائِ الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهَا، بَأَنْ اتَّخَذَ ابْنُهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًّا  
مُرْسَلًا مِنْ أُولِي الْعِزْمِ الْخَمْسَةِ أَوْلَى، وَوَصَفَهَا سُبْحَانَهُ ثَانِيًا بِأَنَّهَا كَانَتْ صِدِّيقَةً.

---

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴿٣١﴾﴾ (مريم)، أَي وَضَعَ اللَّهُ فِي الْبَرَكَةِ، وَهِيَ:  
الكَثْرَةُ فِي كُلِّ خَيْرٍ.

﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ (مريم)، أَي: وَأَوْصَانِي اللَّهُ بِإِقَامِ  
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ مُدَّةَ حَيَاتِي عَلَى الْأَرْضِ.

فَالصَّلَاةُ هِيَ أَوَّلُ وَأَهَمُّ عَوَامِلِ تَرْوِيضِ جِمَاحِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِهَا، لَتَعْرَجَ فِي مَعَارِجِ النُّورِ الْإِلَهِيِّ إِلَى اللَّهِ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (العنكبوت)، أي:

إِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي يَسْجُدُ لِلَّهِ - حَقًّا - وَيَتَّصِلُ بِخَالِقِهِ سُبْحَانَهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِنَّمَا يَتَسَامَى عَنِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ - مِنْ بَشَرٍ أَوْ حَجَرٍ - وَيَجِدُ لِحَيَاتِهِ غَايَةً أَسْمَى مِنَ الْإِنْعِمَاسِ فِي مَلَذَّاتِ الْجَسَدِ، وَحَاجَاتِ الْحَيَوَانَ!

وَأَمَّا الزَّكَاةُ فَهِيَ دِعَامَةٌ مِنْ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ، وَإِخْدَى شَطْرِي الْإِنْفَاقِ - فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ - تَقَرُّبًا مِنَ اللَّهِ.

ذَلِكَ بَأَنَّ الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - مِنْ زَكَاةٍ أَوْ صَدَقَةٍ - إِنَّمَا هُوَ:

- تَضَامُنٌ وَتَكَافُلٌ بَيْنَ عِيَالِ اللَّهِ.

- تَطْهِيرٌ لِلنَّفْسِ مِنَ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ.

- اعْتِرَافٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ عَلَى أَوْلِي النِّعْمَةِ: ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ

اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (القصص).

فَالْمَالُ رِزْقٌ مِنَ اللَّهِ خَيْرِ الرَّاغِبِينَ سُبْحَانَهُ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْإِنْفَاقَ ابْتِعَاءً مَرْضَاتِهِ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾

أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (المؤمنون).

وَيَتَابِعُ ذَلِكَ الرَّضِيعُ، قَائِلًا: ﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ (٣٢) ( مريم )، إِذْ أَنْ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ  
إِنَّمَا هُوَ اعْتِرَافٌ بِالْجَمِيلِ وَشُكْرُ الْإِحْسَانِ:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (٣٦) ( الرحمن )؟

إي وَرَبِّي - يَا ابْنَ أَبِيكَ - فَمَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِمَا شَيْئًا مَذْكُورًا:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ  
أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٣٧)  
وَأخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (٤٤) ( الإسراء )، أَي:

فَلَا تُظْهِرْ لَهُمَا غِلْظَةَ طَبَعِ، وَقَطْعَ صَلَةِ، وَقِلَّةَ بَرٍّ، وَلَا تُبْدِ مَا خَفِيَ مِنْكَ  
إِنْ غَضِبْتَ مِنْهُمَا.

وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا فَلَا تُخَاطِبُهُمَا إِلَّا حُسْنًا، أَي: كَمَا يُحِبُّانِ  
أَنْ يَسْمَعَا هُمَا، وَلَيْسَ كَمَا تَفْهَمُ أَنْتَ! وَلَا تُؤْذِمُهُمَا - عَلَى عَمْدٍ، أَوْ عَلَى  
غَيْرِ عَمْدٍ - بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبِّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٤٤) ( الإسراء ) .

وَيَتَابِعُ ذَلِكَ الرَّضِيعُ مُعْتَرِفًا بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٣٢) ( مريم )، أَي: لَمْ يَجْعَلْنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَمَرِّدًا،  
عَاتِيًا، مُتَكَبِّرًا، وَلَا شَقِيًّا مَحْرُومًا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ  
اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨) ( بونس ) .

فَمَا الشَّقِيُّ المَحْرُومُ إِلَّا ذَلِكَ المَطْرُودُ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَنَهُ فِي هَذِهِ  
الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (الشعراء) ﴿٨٨﴾ فِي الآخِرَةِ.

وَلَيْسَ - أَبَدًا - بِذَلِكَ الَّذِي قَدْ ضَاقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَوْ ضَعَفَ جَاهُهُ، أَوْ قَلَّ مِقْدَارُهُ؛  
كَمَا يَزَعَمُ أَوْلَئِكَ الجَاهِلُونَ!

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة).

وَأَتَمَّ نَبِيُّ اللّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَاتِهِ فِي مَهْدِهِ: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ  
وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم)، أَي:

السَّلَامَةُ وَالنَّجَاةُ لِي مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَآفَةٍ وَمَكْرُوهٍ - فِي دِينِي وَنَفْسِي -  
وَذَلِكَ يَوْمَ وُلِدْتُ، وَيَوْمَ أَمُوتُ، وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا آمِنًا مُطْمَئِنًّا، بِإِذْنِ اللّهِ.

وَإِنَّمَا ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ (الانبیاء)، أَي: فَلَا بُدَّ لِكُلِّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ مِنْ أَنْ تَمُوتَ.  
وَكَذَلِكَ، فَإِنَّ نَبِيَّ اللّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَوْفَ يَمُوتُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَيُبْعَثُ حَيًّا: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ  
النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾ (المطففين).

وَيُسَدِّلُ السَّتَارَ عَلَى ذَلِكَ المَشْهَدِ الجَلِيلِ، أَلَا وَهُوَ مِیلَادُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (مريم)

وَبِذَلِكَ لَنْ يَبْقَى بَعْدَ قَوْلِ اللّهِ الحَقِّ مَكَانٌ لِلخُرَافَاتِ وَالْأَسَاطِيرِ وَالْأَوْهَامِ!  
وَإِنَّمَا قَطَعَ لِلسَّكِّ بِالْيَقِينِ:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللّهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ (العنكبوت)

فَلَا مُمَارَاةَ وَلَا رِيْبَةً وَلَا مُجَادَلَةً فِي الْبَاطِلِ: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (مريم)، أي:

إِنَّ الْإِفْرَارَ بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِنَّمَا هُوَ طَرِيقُ الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي لَا عَوَجَ فِيهِ.

( فَالْحَقُّ وَاحِدٌ، وَالْبَاطِلُ كَثِيرٌ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ! )

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الحج)

\*\*\*

﴿ إِنَّ هُدْيَةَ أُمَّتِكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١٦﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأنبياء)

أي: إِنَّ الرَّحْمَةَ فِي اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى الْحَقِّ، لَا التَّفَافِيهَا حَوْلَ الْبَاطِلِ.

ذَلِكَ بِأَنَّ اخْتِلَافَهَا، وَتَقَطَّعَهَا إِلَى فِرْقٍ وَمَذَاهِبٍ شَتَى، إِنَّمَا هُوَ نِعْمَةٌ وَنَذِيرٌ هَلَاكٍ لَا يُبْقِي وَلَا يَذُرُّ! ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الأنفال).

لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَلَّا يُدْفَنَ دِينُ اللَّهِ الْحَقِّ: فِي اجْتِهَادِ الْمُجْتَهِدِينَ، أَوْ قِيَاسِ الْقَائِسِينَ، أَوْ التَّشْبِيحِ إِلَى مَذْهَبِ ( كَالْمَذَاهِبِ الْفِقْهِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ مَثَلًا )، أَوْ طَرِيقَةِ دُونَ غَيْرِهَا!



فَتَفْتَرِقُ أُمَّةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَمَاعَاتٍ تَحْسِبُهَا جَمِيعًا؛ وَإِنَّمَا هِيَ تَعْصَبَاتٌ  
شَتَى! وَمَا أَكْثَرَهُمْ مِنْ مُسْلِمِينَ - الْيَوْمَ - كَزَبَدِ السَّيْلِ أَوْ أَشَدَّ زَبْدًا!

فَانظُرْ إِلَيْهِمْ، لَتَرَى الْحَقَّ!

إِذْ كُلَّمَا جَاءَتْ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا! ﴿ حَتَّى إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا  
قَالَتْ أَخْرَبُهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتِبِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ  
قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ (الأعراف).

فَوَرَبِّكَ - رَبِّ الْعِزَّةِ جَمِيعًا - لَا حَلَ إِلَّا الْإِسْلَامُ الْحَقُّ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ  
دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾ (المائدة).

وَلَيْسَ - أَبَدًا - ذَلِكَ الْإِسْلَامُ إِسْلَامًا لِأَمْرِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَكِبْرَائِهِمْ مِنْ أَدْعِيَاءِ  
الدِّينِ، أَوْ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ،  
أَوْ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿٦٧﴾ (آل عمران)!!



﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ (النساء)، أي:

إِنَّ دِينَ اللَّهِ حَيٌّ، خَصِرٌ، غَضٌّ، يُؤْتِي أَكْلَهُ كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ اللَّهِ.

لِذَلِكَ فَإِنَّ أَدِلَّةَ الشَّرْعِ - إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ - هُمَا اثْنَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا:

١ - كِتَابُ اللَّهِ.

٢ - هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَلَا وَهُوَ:

كُلُّ مَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْقَوْلِ، أَوْ الْفِعْلِ، أَوْ التَّفْرِيرِ - صِرَاحَةً أَوْ حُكْمًا - ثُبُوتًا قَطْعِيًّا، لَا شُبْهَةً فِيهِ.

وَإِنَّمَا أَعْنِي أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُمَا لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ اجْتِهَادَاتٍ وَآرَاءٍ فِيهَا نَظْرًا! وَذَلِكَ إِمَّا لِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، أَوْ تَعَارُضِ الآرَاءِ أَحْيَانًا.

إِذْ أَنَّ الْأَصْلَ - فِي ذَلِكَ كُلِّهِ - إِنَّمَا هُوَ الْمُوَازَنَةُ بَيْنَ أَقْوَالِ الْمَذَاهِبِ وَآرَاءِ الْفُقَهَاءِ - جَمِيعًا - وَاسْتِخْلَاصِ الرَّأْيِ الصَّحِيحِ فِي الْمَسْأَلَةِ الْمُعْتَبَرَةِ؛ فَالْأَدِلَّةُ الْحَقَّةُ لَا تَتَنَاقَضُ، وَإِنَّمَا يُصَدِّقُ الصَّوَابَ بَعْضُهُ بَعْضًا.

فَإِذَا مَا تَبَيَّنَ لَكَ الْحَقُّ، فَقَدْ وَجَبَ اتِّبَاعُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ، وَذَلِكَ دُونَ اعْتِبَارِ الْمَذْهَبِ، أَوْ الْإِمَامِ، أَوْ الشَّيْخِ:

**فَلَا نَتَّخِذُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ!**

\* \* \*

وَكَذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُجْتَهِدَ لَيْسَ بِذَلِكَ الْمَعْصُومِ - أَبَدًا - كَمَا يَرَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ.

فَهُوَ - بِلَا رَيْبٍ - قَدْ يُخْطِئُ أَحْيَانًا فِي الْحُكْمِ لِسَبَبَيْنِ اثْنَيْنِ:

١ - أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَدَلَّ بِحَدِيثٍ لَمْ يَصِحَّ.

٢ - أَنْ يَكُونَ قَدْ فَهَمَ مِنْ كَلِمَةٍ صَحِيحَةٍ، مَفْهُومًا خَاطِئًا!

وَأَنَّ الْأُمَّةَ جَمَاعَةٌ أَفْرَادٍ، فَإِذَا صَلَحَ الْفَرْدُ صَلَحَتِ الْأُمَّةُ؛ فَكَانَ إِجْمَاعُهَا حَقًّا.  
وَالْأَفْهَمُ بَاطِلٌ، وَمَجْرَدُ أَهْوَاءِ شَيْطَانِيَّةِ جَمَاعِهَا الضَّلَالَةُ، فَالْهَلَاكُ فِي هَذِهِ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمِيعَادُهَا النَّارُ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ!!

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
يَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٣٠) (المائدة).

\* \* \*

وَأخيراً:

فَإِنَّ الْفِقْهَ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ شَطْرَانِ:

- ١- مَعْرِفَةُ أَصْلِهَا، أَي: الْفِقْهُ فِي الدِّينِ، أَلَا وَهُوَ: الْعِلْمُ بِكِتَابِ اللَّهِ  
وَهَدْيِ رَسُولِهِ ﷺ، وَفَهْمُ تَأْوِيلِهِمَا.
- ٢- اسْتِنْبَاطُ فُرُوعِهَا بِالاجْتِهَادِ الْهَيِّنِ اللَّيِّنِ الْعَضِّ، لَا الْمْتَحَجَّرِ الْيَاسِ.  
ذَلِكَ، وَإِنَّ دَعَائِمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ ثَلَاثٌ، وَلَنْ يَقُومَ إِلَّا بِهَا جَمِيعاً:
  - ١- الْعِلْمُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَلَا وَهُوَ:
    - ١- الْعِلْمُ بِمَعَانِي الْأَلْفَاظِ وَدَلَالَاتِهَا، وَخَاصَّةً الشَّرْعِيَّةِ مِنْهَا.
    - ٢- الْإِلْمَامُ فِي عُلُومِ النَّحْوِ، وَالتَّصْرِيفِ، وَالبَلَاغَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ  
الْعُلُومِ اللُّغَوِيَّةِ.
    - ٢- الْقُدْرَةُ عَلَى تَصَوُّرِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ: إِثْبَاتُهَا،  
أَوْ نَفْيُهَا، أَوْ اسْتِنْبَاطُ فُرُوعِهَا.
    - ٣- جَوْدَةُ النَّظَرِ فِي الْمَسْأَلَةِ الْمُعْتَبَرَةِ.

لَذَلِكَ يَنْبَغِي أَلَّا يَأْمُرَ أَحَدُهُمْ إِلَّا بِعِلْمٍ، وَأَلَّا يُنْكِرَ إِلَّا بِعِلْمٍ:

إِذْ أَنَّ الْجَاهِلَ إِنْ أَخْطَأَ لَمْ يَعْرِفْ، وَإِنْ أَصَابَ لَمْ يَعْرِفْ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!  
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ  
كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣٦) (الإسراء) .

وَخِتَامًا:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ  
الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣) (المائدة)، أي:

إِنَّ الَّذِي قَدْ أَكْمَلَهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ سُبْحَانَهُ إِكْمَالًا لَا نَقْصَ فِيهِ - أَبَدًا - لَنْ يَحْتَاجَ  
إِلَى آرَاءِ الْخَائِضِينَ، أَوْ زِيَادَةِ الزَّائِدِينَ.

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٥) (الأنعام)

\*\*\*

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ  
وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ (٩٤) (الأنبياء)

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾ (٩٤) (الأنبياء):  
ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ الَّتِي انْتَمَنَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهَا.

﴿ وَإِنَّا لَهُو كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الأنبياء)، أي:

وَإِنَّ لَهُمْ - جَمِيعًا - عِنْدَ الْبِرِّ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ: ﴿ جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٩٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الردء).

بَلَىٰ وَرَبِّي، إِنَّمَا ذَلِكَ هُوَ وَعْدُ اللَّهِ الْحَقُّ لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا، أَي:  
١ - أَخْلَصَ فِي طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ.

٢ - كَانَ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْانْقِطَاعِ عَنِ مَعَاصِيهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ بِاجْتِنَابِ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ، إِلَّا اللَّمَمَ وَصَغَائِرَ الذُّنُوبِ.  
مَا اسْتَطَاعَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا، ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الأنبياء)، أَي: عَارِفًا وَمُصَدِّقًا قَلْبُهُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَرَسُولِهِ ﷺ.

لذَلِكَ، فَإِنَّ شَطْرِي الْإِيمَانَ الْحَقِّ، هُمَا:

١- أَنْ يُصَدِّقَ الْقَلْبُ مَا أَظْهَرَهُ اللِّسَانُ مِنَ الْقَوْلِ، وَمَا أَظْهَرَتْهُ الْجَوَارِحُ مِنَ الْعَمَلِ.  
٢- أَلَا يُشْرِكُ الْمَرْءُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ أَحَدًا.

وَأَمَّا الْإِيمَانُ فَهُوَ: ﴿ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ﴾ (البخاري: ٥٠).

وَخِتَامًا، لَا بُدَّ مِنَ اقْتِرَانِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِالْإِيمَانِ الْحَقِّ.  
ذَلِكَ بَأَنَّ إِيْمَانَ الْقَلْبِ لَنْ يُصَدِّقَهُ إِلَّا الصَّالِحَاتُ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ بِدُونِ تِلْكَ الصَّالِحَاتِ إِيْمَانٌ عَقِيمٌ، لَا فَايْدَةَ فِيهِ.

وَكَذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ بِلاَ إِيمَانٍ إِنَّمَا هُوَ نِفَاقٌ لَنْ يَخْلُوَ مِنْ شَانِبَةِ  
الرِّيَاءِ، أَي: عَمَلٌ أَبْتَرُ لَا خَيْرَ فِيهِ، أَبَدًا!

وَالْكَفْرَانُ: هُوَ الْحِرْمَانُ مِنَ التَّوَابِ.

وَأَمَّا الشُّكْرُ مِنَ اللَّهِ الشُّكُورِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ فَهُوَ: النَّثَاءُ الْجَمِيلُ، وَالقُرْبَى عِنْدَ اللَّهِ،  
وَحُسْنُ الْمَأَبِ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ  
سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٦﴾ (الإسراء).

\*\*\*

﴿ وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ  
وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٦﴾ (الأنبياء)

وَلَقَدْ جَاءَتْ ( حَتَّى ) - فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - حَرْفَ غَايَةٍ وَابْتِدَاءٍ، أَي:

إِنَّ إِهْلَاكَ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلِهَا - وَبِأَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ -  
سَوْفَ يَبْقَى سُنَّةَ اللَّهِ فِي كُلِّ الَّذِينَ قَدْ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ، أَي:

وَقَدْ يُفَاجَأُ النَّاسُ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ بَعَثَ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ: ﴿ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ  
حَدْبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٦﴾ (الأنبياء) ، وَذَلِكَ الْأَمْرُ - بِلاَ رَيْبٍ - مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ.

وَعَنِ ( النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه ) قَالَ: « ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ  
عَدَاةٍ - الْغَدَاةُ: كَالغُدُوءِ، أَي: الْبُكْرَةِ، وَهِيَ: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ -  
فَحَقَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ - أَي: حَقَّرَ شَأْنَهُ وَعَظَّمَهُ - حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ  
فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: ﴿ مَا شَأْنُكُمْ؟ ﴾

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ عَدَاةً فَحَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ - أَي: جَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ: ﴿غَيْرُ الدَّجَالِ أَحْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ - أَي: مُحَاجِبُهُ وَمُعَالِبُهُ بِإِظْهَارِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَالحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالبُزْهَانُ - وَإِنْ يَخْرُجُ وَاسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُوا حَاجِبِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ - أَي: شَدِيدُ جُعُودَةِ الشَّعْرِ - عَيْنُهُ طَائِفَةٌ ( كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ العَزَى بْنِ قَطَنِ ) فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ - أَي: يَخْرُجُ فِي طَرِيقِ بَيْنَ البَلَدَيْنِ - فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا - العَيْثُ: الإِسْرَاعُ فِي أَشَدِّ الفَسَادِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْتَبُؤُوا. ﴿

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبِئْتُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: ﴿أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمًا كَسَنَةِ وَيَوْمٍ كَشَهْرٍ وَيَوْمٍ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَامِهِ كَأَيَّامِكُمْ﴾، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَسَنَةِ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: ﴿لَا، افْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ.﴾

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟

قَالَ: ﴿كَالْعَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى القَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ - أَي: تَرْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ - سَارِحَتْهُمْ - أَي: النُّوقُ، وَهِيَ مِنَ المَاشِيَةِ الَّتِي تَسْرَحُ، أَي: تَذْهَبُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى المَرْعَى - أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا - أَي: أَسْنَمَةً - وَأَسْبَعَهُ ضُرُوعًا - أَي: أَطْوَلَهُ لِكثْرَةِ اللَّبَنِ - وَأَمَدَهُ حَوَاصِرَ - لِكثْرَةِ امْتِلَانِهَا مِنَ الشَّبَعِ - ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيُنْصِرُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

وَيَمُرُّ بِالْخَرْبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرَجِي كُنُوزَكَ فَتَتَّبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ  
- أي: ذُكُورِ النَّحْلِ خَلْفَ مَلِكْتِهِمْ - ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلَأًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ  
فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ - أي: يَكُونُ بَعْدَ مَا بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ بِقَدْرِ رَمِيَّةِ السَّهْمِ  
إِلَى الْهَدَفِ - ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ  
شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ - أي: مُرْتَدِيًا مَهْرُودَتَيْنِ، وَالْمَهْرُودَةُ: الْإِزَارُ،  
وَهُوَ كُلُّ مَا وَاوَاكَ وَسَتَرَكَ - وَاضِعًا كَفْيِهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ  
وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّوْلُؤِ - الْجُمَانُ: حَبَّاتٌ مِنَ الْفِضَّةِ، تُصْنَعُ عَلَى هَيْئَةِ  
حَبَّاتِ اللُّوْلُؤِ الْكَبِيرَةِ، أي: يَتَحَدَّرُ مِنْهُ الْمَاءُ كَاللُّوْلُؤِ فِي لَوْوِيَّتِهِ - فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ  
رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ - أي: يَقَعُ أَرْضًا فِي مَكَانِهِ  
مَيْتًا - فَيَطْلُبُهُ - أي: يَسْعَى عِيسَى الصلوات مُجِدًّا فِي طَلَبِ الدَّجَالِ - حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ  
- أي: عَلَى مَشَارِفِ اللُدِّ، وَهِيَ بَلَدَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - فَيَقْتُلُهُ.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ - أي: وَقَاهُمْ سَبْحَانَهُ فَلَمْ تَنْلُهُمْ  
فِتْنَةُ الدَّجَالِ - فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ - أي: فَيَكْشِفُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْخَوْفِ -  
وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ  
لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ - أي: لَا قُدْرَةَ وَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَكَانَ يَدِيهِ مَشْتُلُوتَانِ لِعَجْزِهِ  
عَنْ دَفْعِ شَرِّهِمْ - فَحَرَّرَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ - أي: ضَمَّهُمْ إِلَيْهِ، وَاجْعَلْهُ لَهُمْ حِزْرًا  
وَوَقَايَةً مِنْ عَدُوِّهِمْ؛ وَالطُّورُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْجَبَلُ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَرَادُ: ذَلِكَ الْجَبَلُ  
بِمَدْيَنَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مُوسَى الصلوات عَلَيْهِ.



وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَآجُوجَ ﴿ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ ﴿ فَيَمُرُّ آوَائِلَهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرَهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ - أَي: تُمَحِّلُ الْأَرْضَ، وَتَهْلِكُ الْمَاشِيَةَ - حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّورِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ.

فَيَرْعَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ - أَي: يَبْتَهِلُونَ إِلَى اللَّهِ، فَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالدُّعَاءِ، تَضَرُّعًا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ - فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ - وَالنَّعْفُ، وَاحِدَتُهُ نَعْفَةٌ: دِيدَانٌ تُوَلَّدُ فِي أَجْوَابِ الْحَيَوَانَ وَالنَّاسِ، وَفِي الْجُيُوبِ الْأَنْفِيَّةِ - فَيُصْبِحُونَ فَرَسِي كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ - أَي: يُصْبِحُونَ قَتْلَى. وَفَرَسِي، جَمْعُ فَرَسٍ: مِنْ فَرَسِ الذَّنْبِ الشَّاةِ وَأَفْتَرَسَهَا، أَي: إِذَا قَتَلَهَا - ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ - أَي: تَتَنُّنُ الْأَرْضُ مِنْ جِيفِهِمْ، وَرَائِحَتِهِمُ الْكَرِيهَةَ - فَيَرْعَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ - وَالْبُخْتُ: جَمَالٌ خُرَّاسَانِيَّةٌ طَوَالَ الْأَعْنَاقِ - فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطْرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ - أَي: لَا يَبْقَى بَيْتٌ إِلَّا أَنهَدَمَ، سِوَاءَ أَكَانَ بَيْتٌ مَدْرٍ أَمْ شَعْرٍ. وَالْمَدْرُ، وَاحِدَتُهُ مَدْرَةٌ: قِطْعُ الطَّيْنِ الْيَابِسِ أَوْ الطَّيْنِ الَّذِي لَا رَمْلَ فِيهِ - فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَبْرُكَهَا كَالرِّلْفَةِ - أَي: كَالْمِرَاةِ، وَشَبَّهَهَا بِهَا لِاسْتَوَائِهَا وَنِظَافَتِهَا - ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبَتِي ثَمْرَتِكَ وَرَدِّي بَرَكَتِكَ، فَيَوْمِنْدٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرَّمَانَةِ وَيَسْتَنْظِلُونَ بِقِحْفِهَا - أَي: مُقَعَّرٌ قَشْرُهَا. وَشَبَّهَهَا بِقِحْفِ الرَّأْسِ، وَهُوَ الَّذِي فَوْقَ الدَّمَاعِ.

وَيُبَارِكُ فِي الرَّسْلِ - أَي: اللَّبَنِ. وَعَادَةً مَا يَكْثُرُ اللَّبَنُ فِي حَالِ الرَّخَاءِ وَالْخِصْبِ -  
 حَتَّى إِنَّ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ - اللَّفْحَةُ مِنَ الْإِبِلِ: النَّاقَةُ الْحَلُوبُ الْغَرِيرَةُ اللَّبَنُ، وَهِيَ:  
 النَّاقَةُ مِنْ حِينِ يَسْمَنُ سَنَامٌ وَلَدَهَا، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى يَمْضِيَ لَهَا سَبْعَةُ أَشْهُرٍ،  
 وَيُفْصَلُ وَلَدُهَا - لَتَكْفِي الْفِنَامَ مِنَ النَّاسِ - الْفِنَامُ: الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ مِنَ النَّاسِ -  
 وَاللَّفْحَةُ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةُ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ  
 مِنَ النَّاسِ - الْفَخْدُ، وَالْجَمْعُ أَفْخَادٍ: وَهُوَ أَقْلٌ مِنَ الْبَطْنِ. وَأَوَّلُ الْجَمَاعَاتِ مِنَ النَّاسِ  
 هِيَ: الشَّعْبُ، ثُمَّ الْقَبِيلَةُ، ثُمَّ الْفَصِيلَةُ، ثُمَّ الْعِمَارَةُ، ثُمَّ الْبَطْنُ، ثُمَّ الْفَخْدُ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاتِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ  
 كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ  
 - الْهَرَجُ: كَثْرَةُ النَّكَاحِ فِي الْعَلَنِ، أَي: بَحْضَرَةِ النَّاسِ. مِثْلُ: فَعِلَ الْحَمِيرِ، فَلَا يَكْثُرُ ثَوْنٌ  
 لِذَلِكَ - فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴿. الْحَدِيثُ « (مُتْلَم: ٢٩٣٧) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

\*\*\*

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُيَوَّلْنَا  
 قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ (الأنبياء)

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴿١٧﴾ (الأنبياء)، أَي: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَوْشَكَتْ - فَهِيَ قَابَ  
 قَوْسَيْنِ مِنْهُمْ، أَوْ أَدْنَى - وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ مَا كَانَ يَحْبِسُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ  
 عَنِ التَّصَرُّفِ، فَصَارَ أَرْضًا تَدُوسُهَا أَقْدَامُهُمْ.

فَارْذَحَمَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ لِكَثْرَتِهِمْ ﴿ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٦﴾ (الأنبياء)،  
 وَمَا جِ النَّاسُ - يَوْمَئِذٍ - فَدَخَلَ بَعْضُهُمْ فِي فِتْنَةٍ بَعْضٍ!

فَإِذَا وَقَعَ أَمْرٌ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَنَذِيرٌ بِوُقُوعِهَا،  
وَلَيْسَ بِنَشْرِ وَلَا حَشْرِ!

﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ﴿٧٧﴾ (الأنبياء) إِذْ جَاءَتْهُمْ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ  
بَغْتَةً وَهُمْ عَنْ لِقَائِهَا مِنَ الْمُكْذِبِينَ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ  
إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ  
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ  
عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ (الحج). ( وَشَخَّصَ بَصْرُ أَحَدِهِمْ: إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ، فَلَمْ يَطْرِفْ. )

وَكَذَلِكَ لِكُلِّ غَافِلٍ سَاعَةٌ تَصْعَقُهُ حِينَ مَوْتِهِ! ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ  
قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا  
وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾ (المؤمنون).

﴿ يَوْمَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ ﴿٧٧﴾ (الأنبياء) ، أَي: يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ  
لَمَّا رَأَوْا الْوَعْدَ الْحَقَّ! وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ عَلَىٰ غَفْلَتِهِمْ، وَانْغَمَسِيهِمْ فِي مَلذَّاتِ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَقَالُوا: ﴿ بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿٧٧﴾ (الأنبياء) لِأَنْفُسِنَا،  
وَكَانَ أَمْرُهُمْ فُرْطًا، أَي: نَدَمًا وَحَسْرَاتٍ عَلَىٰ خِيَانَتِهِمُ الْعَهْدِ، وَوَضَعِهِمُ  
الْأَمَانَةَ الَّتِي انْتَمَنَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا! ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتْنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا  
فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ (الأنعام) !؟



﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿١٨﴾  
 لَوْ كَانَ هَتُولَاءِ ٱللَّهَ مَا وَرَدُوهَا ۗ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ  
 وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ  
 عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الأنبياء)

## بَحْثٌ فِي وُرُودِ نَارِ جَهَنَّمَ ( ١ ) :

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ ٱلَّذِينَ وَرَدُوهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ (مريم)

فَاعْلَمْ، يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ: أَنَّ وُرُودَ النَّارِ لَا يَقْتَضِي بِٱلضَّرُورَةِ دُخُولَهَا، لِأَنَّ  
 ٱلْعَرَبَ تَقُولُ: وَرَدَ بِلَدٍ كَذَا، وَمَاءٌ كَذَا، وَرُودًا، أَي: أَشْرَفَ عَلَيْهِ، سِوَاءَ دَخَلَهُ  
 أَوْ لَمْ يَدْخُلْهُ: ﴿ كِتَابٌ فَصَّلَتْ ٱيَّتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (فصلت).

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم)، أَي: إِنَّ ٱلْقَصْدَ فِي  
 ٱلتَّنَجِيَةِ مِنْ عَذَابِ ٱلنَّارِ إِنَّمَا هُوَ ٱلْمُبَاعَدَةُ عَنْهَا، ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ وَعَدَ  
 أَهْلَ ٱلْحُسْنَىٰ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَدْخُلُوا ٱلنَّارَ، أَبَدًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَىٰ  
 أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الأنبياء).

وَلَقَدْ حَكَى كَثِيرٌ مِنْ ٱلسَّلْفِ وَٱلْخَلْفِ:

أَنَّ ٱلنَّاسَ يَرُدُّونَ جَهَنَّمَ، فَيَدْخُلُونَ فِيهَا - جَمِيعًا - فَلَا يُخْرَجُ مِنْهَا - بَعْدَ ذَلِكَ -  
 إِلَّا مَنْ كَانَ تَقِيًّا، وَيُتْرَكُ ٱلظَّٰلِمُ لِنَفْسِهِ لِابْتِثَابِ فِيهَا أَحْقَابًا؛ وَذَلِكَ ظُنُّ ٱلَّذِينَ  
 لَا يَعْلَمُونَ! ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَلَامٌ يَدْحَضُهُ مَا جَاءَ فِي ٱلآيَةِ ٱلْكَرِيمَةِ ٱلْآتِيَةِ:

﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (آل عمران)

إِذْ أَنْ « زُحْرَحَ » ﴿ ١٨٥ ﴾ ( آل عمران ) مِنْ التَّرْخُوحِ ، أَي : التَّبَاعِدِ وَالتَّنَحِّيِ .

وَيُقَالُ : زَحَّ الشَّيْءُ وَزَحْرَحَهُ ، أَي :

- دَفَعَهُ وَنَحَّاهُ عَنْ مَوْضِعِهِ .

- أَوْ جَذَبَهُ فِي عَجَلَةٍ .

وَإِنَّمَا الْمَعْنَى فِيهِمَا وَاحِدٌ ، أَي :

« زُحْرَحَ عَنِ النَّارِ » ﴿ ١٨٥ ﴾ ( آل عمران ) يَعْنِي : أَبْعَدَ الْمَرْءُ عَنِ كَلَالِيْبِ جَهَنَّمَ حِينَ

مُرُورِهِ عَلَى الصِّرَاطِ ، فَلَمْ تَخْطُفْهُ فَتَهْوِي بِهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ! - فِي قَرَارِهَا .

وَإِنَّ ذَلِكَ لَهُو الدَّلِيلُ الأوَّلُ القاطِعُ عِنْدِي ، أَي :

إِنَّ وُرُودَ جَهَنَّمَ إِنَّمَا هُوَ الإِشْرَافُ عَلَيْهَا - مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ - دُونَ دُخُولِهَا ،

وَذَلِكَ لِمَنْ « زُحْرَحَ عَنِ النَّارِ » ﴿ ١٨٥ ﴾ ( آل عمران ) ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

\* \* \*

« فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا » ﴿ ١١٢ ﴾ ( هود )

وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ إلهِيٌّ فِيهِ النَّجَاةُ - كُلُّ النَّجَاةِ - مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ :

« إِنَّهُرِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » ﴿ ١١٢ ﴾ ( هود ) .

فَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ « قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً » ﴿ ٨٧ ﴾ ( البقرة ) ،

فَاجَابَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ :

« أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ » ﴿ ٨٧ ﴾ ( البقرة ) ؟ !

إِي وَرَبِّي، إِنَّ أَطْبَقْتُ جَهَنَّمَ - عَلَى الظَّالِمِينَ لِأَنفُسِهِمْ - أَبْوَابَهَا، فَيَوْمَئِذٍ، مَا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ، وَمَا كَانُوا مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ.



﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۗ وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء)

بَحْثٌ فِي وُرُودِ نَارِ جَهَنَّمَ ( ٢ ) :

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۗ ﴾ (الأنبياء)، أي:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ (الأنبياء) لَا يَسْمَعُونَ حَسَّ النَّارِ وَحَرَكَةَ تَلَهَّبِهَا، ذَلِكَ لِأَنَّ ﴿ أَوْلِيَّكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء) فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ مُّقِيمٍ.

تَقُولُ الْعَرَبُ: لَا يُحَسُّ لَهُ حَسِيسٌ، أَي: لَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ؛ وَالْحَسُّ وَالْحَسِيسُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ الَّذِي تَسْمَعُهُ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي يَمُرُّ، أَوْ يَكُونُ قَرِيبًا مِنْكَ وَلَا تَرَاهُ.

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أَوْلِيَّكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (يونس):

وَالْحُسْنَى - فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرَفَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ - وَالصَّالِحُ مِنَ الْعِبَادِ: هُوَ كُلُّ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا، وَهُوَ مُؤْمِنٌ - وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَهِيَ - بِلَا رَيْبٍ - النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّكَ، ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ (القيامة) .

إِنَّ، فَالْعِبْرَةُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ (الأنبياء)؛ إِنَّمَا هِيَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ، لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، كَمَا أَوْلَاهَا بَعْضُهُمْ!

وَإِنَّ ذَلِكَ - وَاللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ - لهُوَ الدَّلِيلُ الثَّانِي القَاتِعُ عِنْدِي، أَي:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ (غافر)، أَي:

إِنَّ كُلَّ مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ الَّتِي انْتَمَنَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،

أَي: إِنَّ عَامَّةَ الصَّالِحِينَ مِنَ النَّاسِ لَا يَدْخُلُونَ النَّارَ - حِينَ وُرُودِهِمْ إِلَيْهَا - ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْهَا: ﴿ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة).

وَكَذَلِكَ، فَإِنَّ عَامَّةَ الصَّالِحِينَ مِنَ النَّاسِ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ (الأنبياء):

وَذَلِكَ بَعْدَ مُرُورِهِمْ عَلَى الصِّرَاطِ، فَلَمْ تَخْطِفْهُمْ كَلَالِبُ جَهَنَّمَ فَتَهْوِيَ بِهِمْ فِي هَاوِيَةِ النَّارِ، أَلَا بِنَسِ الْقَرَارِ لِمَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ فَلَمْ يَنْجُ، وَسَاءَ مَصِيرًا. ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء):

وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَ قُلُوبِنَا.. وَلَا تَجْعَلْنَا يَا رَبَّنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنَ النَّارِ.. وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ

اللَّهُمَّ آمِينَ



﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة)، أي:

فَاعْلَمْ - يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ - أَنْ اتَّبَاعَ هُدَى اللَّهِ إِنَّمَا يَقْتَضِي حُصُولَ  
الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ  
لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ (مجاد)، أي:

إِنَّ الْوَلَاءَ وَالْإِخْلَاصَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ، إِنَّمَا هُوَ - بِلَا رَيْبٍ -  
أَصْلُ الْعِنَايَةِ وَالْوَلَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ.

كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ الْوَلِيُّ النَّاصِرُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.  
لَكِنْ، مَا النَّصْرُ الْأَكْبَرُ إِلَّا: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ( الشعراء )،  
بِدَلِيلِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ( يونس ) - أي: يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ - ﴿ وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ  
أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ ( الأنبياء ) .

\*\*\*

﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ  
تُوعَدُونَ ﴾ (١٣) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ  
نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ( الأنبياء )

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ( الزمر )، أي:



إِنَّ الْأَرْضَ بِكُلِّ مَا فِيهَا ﴿ جَمِيعًا قَبَضْتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ  
مَطْوِيَّتًا ﴿٦٧﴾ (الزمر) عَلَى الْأَرْضِ، بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ.

وَلَقَدْ اسْتَعَارَ سُبْحَانَهُ فِي كَلَامِهِ ( الْيَمِينِ ) لِأَنَّ الْأَخْذَ وَالْقَبْضَ إِنَّمَا يَكُونُ بِهَا: ﴿ لَيْسَ  
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿١١﴾ (الشورى) سُبْحَانَهُ.

بَلَىٰ وَرَبِّي، إِنَّ ذَلِكَ لَكَايِنٌ كَمَا يُطَوَى السَّجِّلُ - أَي: السَّمَاءُ - عَلَى أَوْرَاقِهِ  
وَمَا كُتِبَ عَلَيْهَا - أَي: الْأَرْضِ - حِينَ امْتِلَاءِ صَفْحَاتِهِ.  
وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ حَفِظَ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ عَلَى مَا شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ خَلْقِهِ،  
كُلَّ مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِلَى قِيَامِ الْحِسَابِ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ  
الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ (ابراهيم)، وَاللَّهُ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ (الاعراف).



وَقَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ ): « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ  
وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٧٤١٣).

ﷺ

وَعَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ؓ ) قَالَ: « خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:  
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا - أَي: غَيْرَ  
مَخْتُونِينَ - ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا  
إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴾ أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ،  
أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ  
أَصِحَابِي - وَالتَّصْغِيرُ إِشَارَةٌ إِلَى قِلَّةِ مَنْ وَقَعَ لَهُمْ ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ - فَيَقَالُ:

إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾، فيقال: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ - وَإِنَّمَا فِيهِ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ، لِكُلِّ مَنْ خَرَجَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَهَدَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ - ﴿ الحديث ﴾ (البخاري: ٤٦٢٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

\*\*\*

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (١٢٥) ﴿ (الأنبياء)

بَحْثٌ فِي الْقَدْرِ وَالْقَضَاءِ:

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (٧٨) ﴿ (الأحزاب)، أي:

إِنَّ الْقَدَرَ وَالْقَضَاءَ أَمْرَانِ مُتَلَازِمَانِ - لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ - ذَلِكَ بِأَنَّ الْقَدَرَ إِنَّمَا هُوَ الْمَكْتُوبُ، وَالْقَضَاءُ إِمْضَاءُ الْقَدْرِ وَإِنْفَاذُهُ.

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (٨٥) ﴿ (الزخرف):

لِذَلِكَ فَإِنَّ الطَّمَانِينَةَ إِلَى تَقْدِيرِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ وَمَا يَقْضِيهِ وَيَحْكُمُ بِهِ سُبْحَانَهُ، إِنَّمَا فِيهِ صَلَاحٌ حَالِ الْقُلُوبِ - مِنْ حَبَائِثِ الشَّيْطَانِ - وَالْفَوْزُ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، أَلَا وَإِنَّ ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٦) ﴿ (التوبة).

\*\*\*

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ (البقرة) ، أي:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ قَدَّرَ - أَي: كَتَبَ - عَلَى الْإِنْسَانِ - أَي: خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ - الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ عَلَى كُلِّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ وَالْأَيُّ يَفْعَلُ.

فَكَانَ، مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ التَّفْذِيرِ - عَلَى الْإِنْسَانِ - هُدًى أَنْزَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - أَجْمَعِينَ - فَصَارَ كُتُبًا مَكْتُوبَةً بَيْنَ أَيْدِيكُمْ:

﴿فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۗ﴾ (طه).



﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۗ﴾ (الانبیاء) ، أَي: فَلَا يَرِثُ الْأَرْضَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الصَّالِحُونَ لِخِلَافَةِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ فِيهَا، وَذَلِكَ مِنَ النَّاسِ - كَافَّةً - وَبِلَا اسْتِثْنَاءٍ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ (البقرة) .

وَإِنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ - بِلَا رَيْبٍ - هُوَ قَضَاءٌ نَاشِئٌ عَنِ تَفْذِيرِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَذَلِكَ حِينَ شَاءَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً.

كَذَلِكَ، فَإِنَّ وِرَاثَةَ الْأَرْضِ - مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا - كَمَا ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ﴾ (النور) ؛ إِنَّمَا تَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ أَنْ يُؤْتِيَهَا - جَمِيعًا - مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ:

١- ﴿لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٥٥﴾﴾ (النور).

٢- ﴿وَلَيْمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴿٥٥﴾﴾ (النور).

٣- ﴿وَلْيَبَدِّلَتْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٥٥﴾﴾ (النور).

لِكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اشْتَرَطَ فِي ذَلِكَ عَهْدًا - لَا انْفِلَاتَ مِنْهُ - أَلَا وَهُوَ:

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿٥٥﴾﴾ (النور)

فَأَمَّا مَنْ أَخْلَفَ عَهْدَ اللَّهِ - فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ عَلَى غَيْرِ هُدَى - فَإِنَّهُ ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (البقرة) لَأَنْفُسِهِمْ، ذَلِكَ بِمَا خَانُوا الْعَهْدَ وَفَرَّطُوا بِالْأَمَانَةِ.

وَيَفْتَرِقُ أَوْلِيكَ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ إِلَى فَرِيقَيْنِ اثْنَيْنِ، وَلِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَا يُسْتَوْجِبُ مِنَ الْعِقَابِ الْمَخْصُوصِ، لَأَنْفِلَاتِهِمْ مِنْ عَهْدِ اللَّهِ:

١- ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥١﴾﴾ (مريم)، أَي: فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ مُجَازَاةَ ضَلَالِهِمْ وَخَيْبَتِهِمْ بِأَنْ تَفْسُدَ عَلَيْهِمْ مَعِيشَتُهُمْ، كَمَا وَعَدَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١١٤﴾﴾ (طه).

٢- ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا نُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ نُحْلِقُ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ (الرعد).

وَالْقَارِعَةُ: هِيَ النَّازِلَةُ الشَّدِيدَةُ الَّتِي تَنْزِلُ - عَلَى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٣٦) (الرعد)  
مِنْهُمْ - بِأَمْرِ عَظِيمٍ جَلَلٍ مِنْ كَوَارِثِ الطَّبِيعَةِ، أَوْ الْحُرُوبِ، أَوْ الْأَمْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ  
أَوْ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمُسْتَعْصِي شِفَاؤُهَا؛ وَغَيْرِهَا مِنْ قَوَارِعِ الدَّهْرِ وَشَدَائِدِ الْعِظَامِ،  
وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ!



﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (١٦٦) (الأنبياء)

فَلَا يُقَالُ: عَبْدٌ يَعْبُدُ عِبَادَةً، فَهُوَ عَابِدٌ - مِنْ عِبَادِ اللَّهِ - إِلَّا لِمَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ،  
فَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ أَحَدًا.

وَمَنْ عَبْدَ إِلَهًا آخَرَ أَوْ اتَّخَذَ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَوْلِيَاءَ - مِنْ دُونِ اللَّهِ -  
فَهُوَ مِنْ عَبْدَةِ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، بَلْ هُوَ مِنْ الْخَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَمَّا ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ فَهُمْ أَوْلَانِكَ ﴿الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا  
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٦٦) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٦﴾  
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾  
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا  
وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ  
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾  
يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ  
وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا  
 ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ  
 رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾  
 أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا  
 حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴿الفرقان﴾.

\*\*\*

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ (الأنبياء)

﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي ﴿٥٢﴾﴾ (الشورى) - يَا رَسُولَ اللَّهِ - ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾  
 صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ  
 الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ (الشورى)، أي:

بَلَىٰ وَرَبِّكَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - فَمَا كَانَتْ الرَّحْمَةُ لِلْعَالَمِينَ - كَافَّةً - وَتَمَامَ النِّعْمَةِ  
 عَلَىٰ أُمَّتِكَ - مِنْ بَعْدِكَ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ - إِلَّا فِيمَا ارْتَضَاهُ اللَّهُ ۗ سُبْحَانَهُ  
 مِنَ الْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ  
 الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ (المائدة).

وَإِنْ كُنَّا مِنْ دُونِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَفِي خُسْرَانٍ مُبِينٍ..

اللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلِّمْ

إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.. اللَّهُمَّ آمِينَ

\*\*\*

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٧٨) (الأنبياء)

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (البينة)، أي إن:

١- الدَّعْوَةُ إِلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْخَلْقِ أَوْ الْمَلِكِ.

٢- الْبِرَاءَةُ مِنَ الْإِشْرَاقِ وَالْكَفْرِ، أَي: الْإِخْلَاصَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

٣- الْإِفْرَارَ بِالرَّبُّوبِيَّةِ الْمَطْلَقَةِ لِلَّهِ ﴿ سُبْحَانَهُ وَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (النساء).

﴿ (النساء) ﴾

إِنَّمَا هِيَ - مُجْتَمِعَةٌ - أَصْلُ كُلِّ رِسَالَاتِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿ وَذَلِكَ

دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة)، أي: دِينَ الْحَقِّ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا لَا عِوَجَ فِيهِ:

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر)

\*\*\*

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴾ (١٣٦)

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿ ١٣٧ ﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ

وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿ ١٣٨ ﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ

عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿ ١٣٩ ﴾ (الأنبياء).

\*\*\*

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

رِسَالَةٌ فِي عِلْمِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ  
زَكْوَانِ حَصْرِيَّةِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَتَبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَقُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت)

كَانَتْ قُرَيْشٌ مِنْ أَعْظَمِ الْعَرَبِ شَأْنًا، وَمِنْ أَكْثَرِهِمْ حِكْمَةً وَتَمَسُّكَ بِالْفَضَائِلِ دُونَ الرَّدَائِلِ. لِذَلِكَ كَانَتْ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ حُجَّاجِهَا وَغَيْرِهِمْ، يَفْدُونَ إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ وَالتَّجَارَةِ مَعَهَا، وَيَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُمْ.

فَالْقُرَشِيُّونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَلِذَلِكَ اصْطَفَى اللَّهُ قُرَيْشًا مِنْ جَمِيعِ الْعَرَبِ؛ فَجَعَلَهُمْ سَبْحَانَهُ: سُكَّانَ حَرَمِهِ، وَوَلَاةَ بَيْتِهِ، وَسَدَنَتِهِ.

فَإِذَا أَتَتِ الْوُفُودُ - مِنَ الْعَرَبِ - قُرَيْشًا، كَانَتْ قُرَيْشٌ - مَعَ فَصَاحَتِهَا، وَحُسْنِ لُغَتِهَا، وَرِقَّةِ لِسَانِهَا - تَتَخَيَّرُ مِنْ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ أَحْسَنَ لُغَاتِهِمْ، وَأَصْفَى كَلَامِهِمْ. فَاجْتَمَعَ مَا تَخَيَّرَ الْقُرَشِيُّونَ مِنْ تِلْكَ اللُّغَاتِ إِلَى سَلَانِقِهِمُ الَّتِي طَبِعُوا عَلَيْهَا، فَصَارُوا أَفْصَحَ الْعَرَبِ بَيَانًا، وَذَلِكَ: لِبَلَاغَةِ كَلَامِهِمْ، وَلِطَلَاقَةِ لِسَانِهِمْ.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِينًا وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم)، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ سَبْحَانَهُ، فَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَلَمَّا وَضَعَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مَوْضِعَ الْبَلَاغِ مِنْ وَحْيِهِ، وَنَصَبَهُ مَنْصِبَ الْبَيَانِ لِدِينِهِ؛ اخْتَارَ لَهُ مِنَ اللُّغَاتِ أَعْرَبِيَّهَا، وَمِنْ الْأَلْسُنِ أَفْصَحَهَا وَأَبْيَنَهَا - أَي: لُغَةَ قُرَيْشٍ، وَلِسَانَهَا - ثُمَّ أَمَدَّهُ سَبْحَانَهُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ.

---

لَمَّا سُنِلَ سُويْدُ بْنُ الحَارِثِ الأَزْدِيُّ عَن خُلُقِ قَوْمِهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، أَجَابَ قَائِلًا:  
" أَمَا الحَمْسُ الَّتِي تَخَلَقْنَا بِهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَهِيَ: الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّحَاءِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ  
البَلَاءِ، وَالصَّبْرُ فِي مَوَاطِنِ اللِّقَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ، وَالصَّبْرُ عَلَى شِمَاتَةِ الأَعْدَاءِ."  
وَمِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِ العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ: الكَرَمُ وَمِنهُ إِكْرَامُ الصَّيْفِ، إِعَاثَةُ المَلْهُوفِ،  
الوَفَاءُ بِالعَهْدِ، النُّبْلُ، الشُّجَاعَةُ، الأَنْفَةُ وَعِزَّةُ النَفْسِ، التَّفَاخُرُ وَالرَّهْوُ، الحِلْمُ وَالأَنَاءُ،  
احْتِرَامُ الكَبِيرِ وَالعَطْفُ عَلَى الصَّغِيرِ، الإِسْتِنْدَانُ عِنْدَ دُخُولِ بُيُوتِ غَيْرِ بُيُوتِهِمْ...  
وَأَمَّا رَدِيءُ طِبَاعِهِمْ وَرَدَائِلُ أَخْلَاقِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ، فَهِيَ: التَّحَاسُدُ وَالتَّبَاعُضُ، السُّنْبُ  
وَالنَّهْبُ، السَّبَابُ وَالتَّنَابُذُ بِالأَلْقَابِ وَالهَجَاءُ، القَسْوَةُ، الأَخْذُ بِالنَّارِ، دَسُّ البَنَاتِ فِي  
الثَّرَابِ أَحْيَاءَ مَخَافَةَ العَارِ مُسْتَقْبَلًا، تَوَارُثُ الزَّوْجَاتِ، شُرْبُ الخَمْرِ، لَعِبُ القِمَارِ...

---



## عِلْمُ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ

### تَمْهِيدٌ

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَنفَى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران)، أي:

لَمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ﴿١٦٤﴾ (الفتح)، أَنْزَلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ:

- فَالْكِتَابُ هُوَ: الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ﴿٤٢﴾ (فصلت).

- وَالْحِكْمَةُ هِيَ: هُدَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أي: السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ ثُبُوتًا قَطْعِيًّا بِإِلَّا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيثِ:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (النحل).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ وَهُدَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِإِلَّا رَيْبٍ - هُمَا:

١- الدِّينُ الْقَيِّمُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ (آل عمران).

٢- الأَصْلَانِ اللَّذَانِ يَبْنِي عَلَيْهِمَا: الْإِيمَانُ، وَأُمُورُ الْعِبَادَةِ - مَثَلًا: كَيْفِيَّةُ أَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ - وَالْأَحْكَامُ التَّكْلِيفِيَّةُ (١)، وَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ - مَثَلًا: أَحْكَامُ الزَّوْجِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

### (١) الْأَحْكَامُ التَّكْلِيفِيَّةُ:

- ١ - الْفَرْضُ أَوْ الْوَاجِبُ: كُلُّ فِعْلٍ يُثَابُ فَاعِلُهُ امْتِثَالًا، وَيَسْتَحِقُّ تَارِكُهُ الْعِقَابَ.
- ٢ - الْمَنْدُوبُ أَوْ السَّنَةُ أَوْ الْمُسْتَحَبُّ: كُلُّ فِعْلٍ يُثَابُ فَاعِلُهُ، وَلَا يُعَاقَبُ تَارِكُهُ.
- ٣ - الْحَرَامُ أَوْ الْمَحْظُورُ: كُلُّ فِعْلٍ يُثَابُ تَارِكُهُ امْتِثَالًا، وَيَسْتَحِقُّ فَاعِلُهُ الْعِقَابَ.
- ٤ - الْمَكْرُوهُ: كُلُّ فِعْلٍ يَقْتَضِي الثَّوَابَ عَلَى تَرْكِهِ امْتِثَالًا، لَا الْعِقَابَ عَلَى فِعْلِهِ.
- ٥ - الْمُبَاحُ: كُلُّ فِعْلٍ لَا يُثَابُ فَاعِلُهُ، وَلَا يُعَاقَبُ تَارِكُهُ.

فَأَمَّا الْاِسْتِدْلَالُ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي دَلَالَةِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ عَلَى الْحُكْمِ، دُونَ النَّظَرِ فِي مُسْنَدِهِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ إِنَّمَا هُوَ ثَابِتٌ ثُبُوتًا قَطْعِيًّا - بِالنَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ لَفْظًا وَمَعْنَى - ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر).

وَأَمَّا الْاِسْتِدْلَالُ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَهُوَ يَحْتَاجُ - قَطْعًا - إِلَى أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:

١- النَّظَرُ فِي ثُبُوتِهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ ﷺ صَاحِحًا؛ وَإِنَّمَا فِي بَعْضِ ذَلِكَ مِنَ الْبِدْعِ، وَالشَّوَادِ، وَالْمَنَاقِيرِ، وَالْعَجَائِبِ: مَا يَشْهَدُ الْقَلْبُ السَّلِيمُ بِبُطْلَانِهَا.

٢- النَّظَرُ فِي دَلَالَةِ نَصِّ الْحَدِيثِ - أَي: الْمَثْنِ - عَلَى الْحُكْمِ.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، وَضَعَ الْعُلَمَاءُ قَوَاعِدَ وَأُصُولًا لِتَمْيِيزِ الْمَقْبُولِ مِنَ الْمَرْدُودِ - فِيمَا يُنْسَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَسَمَّوْهُ: (عِلْمٌ مُصْطَلَحُ الْحَدِيثِ).

وَلَقَدْ كَانَ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ تَدْوِينَ الْحَدِيثِ هُوَ الزُّهْرِيُّ ( ١ ) ، بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ  
عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - ثَامِنِ الْخُلَفَاءِ الْأَمْوِيِّينَ ( ٩٩ - ١٠١ هـ ) - وَالَّذِي بَعَثَ  
بِتِلْكَ النَّسَخِ مِنْ كِتَابِ الزُّهْرِيِّ إِلَى كُلِّ أَرْضٍ مِنَ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

( ١ ) الزُّهْرِيُّ: نَسَبَهُ إِلَى زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ، وَبَنِي زُهْرَةَ هُمْ بَطْنٌ مِنْ قَبِيلَةِ مِنْ قُرَيْشٍ،  
وَمِنْهُمْ السَّيِّدَةُ أَمْنَةُ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ - مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابِ التَّائِبِيِّ الْمَدَنِيِّ -  
أَحَدُ الْأَعْلَامِ، وَفَقِيهٌ حَافِظٌ، مُتَّفَقٌ عَلَى جَلَالَتِهِ وَإِتْقَانِهِ.  
سَكَنَ الشَّامَ وَتُوفِيَ سَنَةَ ( ١٢٤ هـ ).

وَقَالَ ابْنُ مَنْجُوبِيهٍ عَلَيْهِ: " رَأَى عَشْرَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ مِنْ أَحْفَظِ  
أَهْلِ زَمَانِهِ، وَأَحْسَنِهِمْ سِياقًا لِمُتُونِ الْأَخْبَارِ، وَكَانَ فَقِيهًا فَاضِلًا."

وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الصَّحِيحَ مِنَ الْحَدِيثِ فَهُوَ: الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ.  
وَتَلَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ الَّذِي أَخَذَ عَنِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ، وَاسْتَفَادَ مِنْهُ، وَشَارَكَهُ  
فِي الْكَثِيرِ مِنْ مَشَائِخِهِ.



### الْأُمَّهَاتُ السِّتُّ، وَأَصْحَابُهَا: الْجَمَاعَةُ

وَيُطْلَقُ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى الْأَصُولِ التَّالِيَةِ:

#### ١- صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، ( الْجَامِعُ الصَّحِيحُ ):

وَالْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفِيُّ  
الْبُخَارِيُّ. وُلِدَ فِي بُخَارَى سَنَةَ ( ١٩٤ هـ )، وَتُوفِيَ فِي خَرْتَنَكْ - مِنْ قُرَى  
سَمَرْقَنْدَ - سَنَةَ ( ٢٥٦ هـ ).

## ٢- صَحِيحُ مُسْلِمٍ:

وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ هُوَ: أَبُو الْحُسَيْنِ - مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْفُشَيْرِيُّ  
النَّيْسَابُورِيُّ. وُلِدَ فِي نَيْسَابُورَ سَنَةَ ( ٢٠٤ هـ )، وَتُوفِّيَ فِيهَا  
سَنَةَ ( ٢٦١ هـ ).

## ٣- سُنَنُ النَّسَائِيِّ:

وَالنَّسَائِيُّ هُوَ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ - أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ عَلِيِّ النَّسَائِيِّ.  
وُلِدَ فِي نَسَاءَ - وَهِيَ بَلَدَةٌ مَشْهُورَةٌ بِخُرَاسَانَ - سَنَةَ ( ٢١٥ هـ )، وَتُوفِّيَ فِي  
الرَّمْلَةَ فِي فِلَسْطِينَ سَنَةَ ( ٣٠٣ هـ ). وَتَأْتِي مَرْتَبَةً كِتَابِهِ:  
( السُّنَنُ الصُّغْرَى، أَوْ الْمُجْتَبَى ) بَعْدَ الصَّحِيحَيْنِ مُبَاشَرَةً.

## ٤- سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ:

وَأَبُو دَاوُدَ هُوَ: سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ إِسْحَاقِ الْأَزْدِيِّ السَّجِسْتَانِيِّ.  
وُلِدَ فِي سَجِسْتَانَ سَنَةَ ( ٢٠٢ هـ )، وَتُوفِّيَ فِي الْبَصْرَةِ سَنَةَ ( ٢٧٥ هـ ).

## ٥- جَامِعُ التِّرْمِذِيِّ:

وَالتِّرْمِذِيُّ هُوَ: أَبُو عَيْسَى - مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ سَوْرَةَ السُّلَمِيِّ  
التِّرْمِذِيِّ. وُلِدَ فِي تِرْمِذَ سَنَةَ ( ٢٠٩ هـ )، وَتُوفِّيَ فِيهَا سَنَةَ ( ٢٧٩ هـ ).

---

وَإِنَّمَا انْحَطَّتْ رُتْبَةُ جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ - عَنِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيِّ - لِإِخْرَاجِهِ  
عَنِ الْمَصْلُوبِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الشَّامِيِّ، ( وَهُوَ الْمَصْلُوبُ فِي الزُّنْدَقَةِ، وَالَّذِي  
قَتَلَهُ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ إِذْ رَوَى عَنْ حَمِيدٍ عَنْ أَنَسٍ، مَرْفُوعًا: " أَنَا خَاتَمُ  
النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ. " وَإِنَّمَا وَضَعَ الْاسْتِثْنَاءَ بِالْأَلَمَا كَانَ يَدْعُو  
إِلَيْهِ مِنَ الْإِلْحَادِ وَالزُّنْدَقَةِ، وَالذَّعْوَةَ إِلَى التَّنْبِيِ ).

كَمَا رَوَى عَنِ الْكَلْبِيِّ ( وَهُوَ أَبُو جَنَابٍ - يَحْيَى بْنُ أَبِي حَيَّةَ الْكَلْبِيِّ - وَكَانَ يُحَدِّثُ  
بِمَا لَمْ يَسْمَعْ )، وَعَنْ أَمْثَالِهِمَا مِنَ الْوَضَاعِيِّنَ وَالْمُدَلِّسِينَ.

---

## ٦- سُنُّنُ ابْنِ مَاجَةَ:

وَابْنُ مَاجَةَ هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَاجَةَ  
الرَّبْعِيُّ الْقُرَوِينِيُّ. وُلِدَ فِي قُرُوَيْنَ سَنَةَ ( ٢٠٩ هـ )، وَتُوفِيَ  
سَنَةَ ( ٢٧٣ هـ ).



## مُوطَأُ مَالِكٍ

وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْأَصْبَحِيُّ  
الْمَدِينِيُّ - ( نِسْبَةً إِلَى ذِي أَصْبَحٍ مِنْ حَمِيرٍ. )  
إِمَامُ دَارِ الْهَجْرَةِ - أَي: الْمَدِينَةِ - وَرَأْسُ الْمُتَّقِنِينَ، وَكَبِيرُ الْمُتَنَبِّتِينَ.  
وُلِدَ فِي سَنَةِ ( ٩٣ هـ ) وَأَقَامَ فِي الْمَدِينَةِ، وَتُوفِيَ فِيهَا سَنَةَ ( ١٧٩ هـ )،  
وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

---

الْمُوطَأُ مِنْ وَطَأَ الشَّيْءَ، أَي: سَهَّلَهُ.

وَلَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي كِتَابِهِ الْمُوطَأِ ( ١٨٢٣ حَدِيثًا ) مَرْتَبَةً عَلَى الْكُتُبِ وَالْأَبْوَابِ،  
غَالِبُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَالْقَلِيلُ مِنْهَا: جَاءَ مُرْسَلًا، أَوْ مُعَلَّقًا، أَوْ فِي إِسْنَادِهِ  
شَيْءٌ مِنْ ضَعْفٍ. وَيَشْتَمِلُ الْمُوطَأُ عَلَى اجْتِهَادَاتِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَمَا ارْتَضَاهُ مِنْ آرَاءِ  
سَابِقِيهِ، أَي: الْمَذْهَبِ الْفِقْهِيِّ الْمَالِكِيِّ.

---

وَكَانَ الْإِمَامُ مَالِكٌ، يَقُولُ:

لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ:

١ - سَفِيهَةٌ يُعْلِنُ السَّفَهَ، وَإِنْ كَانَ أَرَوَى النَّاسِ.

وَالسَّفِيهَةُ: الْخَفِيفُ الْحِلْمِ، أَي: مَنْ كَانَ رَأْيُهُ مُضْطَرِبًا لَا اسْتِقَامَةَ لَهُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَلِيلُ الْأَنَاءِ وَالتَّتَبُّتِ فِي الْأُمُورِ، جَاهِلٌ لِلْحَقِّ.

٢ - صَاحِبُ بِدْعَةٍ يَدْعُو إِلَى هَوَاهُ.

٣ - مَنْ يَكْذِبُ فِي حَدِيثِ النَّاسِ، وَإِنْ كُنْتَ لَا أَتَّهَمُهُ فِي الْحَدِيثِ.

٤ - صَالِحٌ، عَابِدٌ، فَاضِلٌ، إِذَا كَانَ لَا يَحْفَظُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ.



### كُتُبُ الْمَسَانِيدِ

وَإِنَّمَا هِيَ كُتُبٌ غَيْرُ مُتَلَحِّقَةٍ بِالْأُمَّهَاتِ السَّتِّ فِي الْاِحْتِجَاجِ بِهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ عَادَةِ مُؤَلِّفِيهَا أَنْ يُخْرِجُوا فِي مُسْنَدِ كُلِّ صَحَابِيٍّ مَا رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِهِ ( غَيْرَ مُتَقَيِّدِينَ بِأَنْ يَكُونَ حَدِيثًا مُحْتَجًّا بِهِ، أَي: مِنْ غَيْرِ دِرَايَةٍ، وَإِنَّمَا لِمُجَرَّدِ الرَّوَايَةِ! حَيْثُ يُمَكِّنُ - غَالِبًا - أَنْ يَجِدَ كُلُّ امْرِئٍ - فِي تِلْكَ الْمَسَانِيدِ - مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُ مِنْ الْفَتَاوَى عَلَى هَيْئَةِ رِوَايَةٍ جَاهِزَةٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَعَلَى قِيَاسِ مَسْأَلَتِهِ تَمَامًا - وَذَلِكَ لِلتَّمَلُّصِ وَالْانْفِلَاتِ مِنَ الْحُكْمِ الْحَقِّ فِيهَا. جَزَاهُمْ اللَّهُ - جَمِيعًا - عَنِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى.. اللَّهُمَّ آمِينَ )، وَأَشْهَرُهَا:



## ١- مُسْنَدُ أَحْمَدَ:

وَأَحْمَدُ هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلِ الشَّيْبَانِيِّ الْمَرْوَزِيِّ. وُلِدَ فِي مَرَوْ سَنَةَ ( ١٦٤ هـ )، ثُمَّ حُمِلَ مِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ وَهُوَ رَضِيْعٌ، وَتُوُفِّيَ فِيهَا سَنَةَ ( ٢٤١ هـ ).

## ٢- مُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ:

وَإِنَّمَا هُوَ لَيْسَ بِمُسْنَدٍ، بَلْ هُوَ مُرْتَّبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ. وَالدَّارِمِيُّ هُوَ: أَبُو مُحَمَّدٍ - عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَضْلِ ابْنِ بَهْرَامِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ التَّمِيمِيِّ الدَّارِمِيِّ - ( نِسْبَةٌ إِلَى دَارِمِ بْنِ مَالِكٍ، مِنْ بَنِي تَمِيمٍ. ) وَيُقَالُ: إِنَّهُ وُلِدَ فِي سَمَرْقَنْدَ سَنَةَ ( ١٨٠ هـ )، وَأَقَامَ وَتُوُفِّيَ فِيهَا سَنَةَ ( ٢٥٥ هـ ).



## تَعْرِيفَاتٌ أَوْلِيَّةٌ

• **الْحَدِيثُ:** مَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ: قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَفْصِيحٍ؛ أَوْ وَصْفٍ لَخُلُقَتِهِ الشَّرِيفَةِ، أَوْ لِفَضَائِلِهِ، أَوْ لِأَخْلَاقِهِ، أَوْ لِحَرَكَاتِهِ الْجَسَدِيَّةِ - حَتَّى الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ فِي الْيَقِظَةِ وَالْمَنَامِ.

وَإِنَّمَا الْمُسْنَدُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، هُوَ: مَا اتَّصَلَ إِسْنَادُهُ فَلَمْ يَنْقَطِعْ حَتَّى يُسْنَدَ إِلَيْهِ ﷺ. وَأَمَّا الْمُرْسَلُ وَالْمُنْقَطِعُ مِنَ الْأَخْبَارِ فَهُوَ: مَا لَمْ يَتَّصِلْ وَالْإِسْنَادُ فِي الْحَدِيثِ: رَفْعُهُ إِلَى قَائِلِهِ.

• **الْمُحَدَّثُ:** مَنْ كَانَ يَشْتَغَلُ بِالسُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ، فَيُحَدِّثُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

• **السُّنَّةُ:** وَأَصْلُ السُّنَّةِ فِي اللُّغَةِ هُوَ: الطَّرِيقَةُ وَالسَّيْرَةُ.

وَيُرَادُ بِهَا شَرْعًا: السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ، أَي:

كُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَوْ نَهَى عَنْهُ، أَوْ نَدَبَ إِلَيْهِ - قَوْلًا أَوْ فِعْلًا  
أَوْ تَقْرِيرًا، وَذَلِكَ صِرَاحَةً أَوْ حُكْمًا - مِمَّا لَمْ يَنْطِقْ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ،  
(وَقَوْلٌ: يَنْطِقُ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ إِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ سُبْحَانَهُ):

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١) (ال عمران) •

وَالسُّنَّةُ وَالْحَدِيثُ هُمَا لَفْظَانِ مُتَرَادِفَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ هَدْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا هُوَ كُلُّ مَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ مِنَ السُّنَّةِ  
الْقَوْلِيَّةِ أَوْ الْفِعْلِيَّةِ أَوْ التَّقْرِيرِيَّةِ - صِرَاحَةً أَوْ حُكْمًا - ثُبُوتًا قَطْعِيًّا،  
لَا شُبُهَةَ فِيهِ - أَي: لَا مَجَالَ لِلشَّكِّ أَوْ الرَّيْبَةِ فِيهِ، إِطْلَاقًا - إِذْ لَيْسَ كُلُّ  
مَا نُسِبَ إِلَيْهِ ﷺ صَحِيحًا!

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ (النجم)، أَي: إِنَّ السُّنَّةَ  
النَّبَوِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ أَحَدُ قِسْمَي الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، وَهِيَ: كَلَامٌ، أَوْ فِعْلٌ،  
أَوْ تَقْرِيرٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ فَهُوَ: الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي هُوَ كَلَامُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ:  
﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۗ

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٥٣﴾ (الشورى) .

وَبِالتَّالِي، فَإِنَّ أَدِلَّةَ الشَّرْع - قَطْعاً - هُمَا:

١ - كِتَابُ اللَّهِ.

٢ - هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَلَا تَالِثَ لَهُمَا - أَبَداً - وَاعْلَم:

أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُمَا هُوَ اجْتِهَادٌ أَوْ قِيَاسٌ فِيهِمَا نَظْرٌ! أَوْ غُلُوءٌ فِي الدِّينِ  
وَاسْتِحْدَاثٌ فِيهِ هَلَاكٌ لِلأُمَّةِ مُنْتَظَرٌ! إِلَّا مَا كَانَ امْتِدَاداً وَاتِّبَاعاً لَهُمَا.

وَعَنْ ( جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ )، قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

﴿ مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِنْ أَجْرِ  
مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً  
سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِنْ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ  
مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ﴾. الحديث « (مسلم: ١٠١٧).

• **البِدْعَةُ:** كُلُّ مَا ابْتَدِعَ مِنَ الدِّينِ بَعْدَ الإِكْمَالِ الإِلَهِيِّ:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ  
الإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة)، أي:

أَمَا عَلِمَ ذَلِكَ الْمُتَبَدِّعُ التَّقِيُّ الْوَرِعُ! أَنَّ الكَمَالَ المُطْلَقَ إِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ العَزِيزِ  
الحَكِيمِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ؟! وَأَنَّ الفَقِيهَةَ مَنْ فِقَهُ مَدَاخِلَ الشَّيْطَانِ!؟

فَمَادَا بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ وَهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ  
الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ﷺ، إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ!؟

فَمَنْ هُوَ ذَلِكَ الْمُتَّبِعُ الضَّلَالِ الْمُضِلُّ!؟

وَلَقَدْ كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: " إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانظُرُوا عَنْ مَنْ  
تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ."

فَاعْلَمْ: أَنَّ النَّشَابَةَ كَبِيرٌ بَيْنَ مُبْتَدِعِي الْبِدَعِ وَأَوْلِيكَ الَّذِينَ « يَكْتُبُونَ  
الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ » (البقرة ٧١)، أَلَا وَهُوَ:  
الْانْحِرَافُ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالشُّرُودُ وَالضِّيَاعُ عَنِ الْمَنْهَجِ  
الْإِلَهِيِّ فِي قِفَارِ الْبَاطِلِ!

لِذَلِكَ، فَإِنَّ أَيًّا مَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ بِهِ،  
أَوْ فِي خِلَافِ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَهُوَ بِدْعَةٌ. وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ  
عَنِ الْقَصْدِ، وَاتِّبَاعُ الْبَاطِلِ، وَوُقُوعٌ فِي هَاوِيَةٍ لَا قَرَارَ لَهَا:

« فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ » (النور). اللَّهُمَّ رَبَّنَا: « أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » (الفاتحة).

• **الْخَبْرُ ( وَالْجَمْعُ أَخْبَارٌ )**: وَهُوَ كُلُّ مَا يُرْوَى - فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ - عَنْ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَوْ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَإِنَّ الْخَبَرَ أضعف من الحديث - مِنْ حَيْثُ الْقَبُولُ وَالرَّدُّ - لِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:

١ - لَا يُشْتَرَطُ فِي قَبُولِ الْخَبْرِ عَدَدُ الرَّجَالِ فِي سِلْسِلَةِ الرُّوَاةِ؛ ذَلِكَ بَأَن رِوَايَةَ الْخَبْرِ تَثْبُتُ بِرَأْيِ وَاحِدٍ.

٢ - لَا يُشْتَرَطُ فِي قَبُولِ الْخَبْرِ أَحْوَالُ الرُّوَاةِ مِنْ حَيْثُ الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ.

• **الإخباري:** مَنْ كَانَ يَشْتَغَلُ بِالتَّوَارِيخِ وَمَا شَاكَهَا.

• **الأثر:** هُوَ الْخَبْرُ الْمَنْقُولُ عَنِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أَوْ التَّابِعِينَ، أَيْ:

كُلُّ مَا يُرَوَى عَنِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أَوْ التَّابِعِينَ مِنْ: الْأَقْوَالِ، أَوْ الْأَفْعَالِ، أَوْ نَحْوَهَا؛ فَيُوقَفُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُرْفَعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

• **علم الحديث رواية:** هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَخْتَصُّ بِنَقْلِ أَقْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَفْعَالِهِ، وَصِفَاتِهِ، أَوْ نَحْوَهَا؛ وَرِوَايَتِهَا، وَضَبْطِهَا، وَتَحْرِيرِهَا.

• **علم الحديث دراية ( علم مصطلح الحديث ):** هُوَ الْقَوَاعِدُ وَالْأَصُولُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهَا - بَيْنَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ - وَالتِّي يُعْرَفُ بِهَا: حَقِيقَةُ الرِّوَايَةِ، وَشُرُوطُهَا، وَأَنْوَاعُهَا، وَأَحْكَامُهَا، وَحَالَ الرُّوَاةِ وَشُرُوطُهُمْ، وَأَصْنَافُ الْمَرْوِيَّاتِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

• **الجامع ( والجمع جوامع ):** وَهُوَ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى ( كِتَابِ الْحَدِيثِ ) الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الْأَحَادِيثُ مُرْتَبَةً عَلَى الْأَبْوَابِ. وَيَشْمَلُ كُلَّ الْأَبْوَابِ - غَيْرَ مُقْتَصِرٍ عَلَى بَعْضِهَا - وَمِثَالُهُ: صَحِيحَا الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ.

• **كتاب السنن:** وَهُوَ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى ( كِتَابِ الْحَدِيثِ ) الَّذِي يُفْتَصِّرُ فِيهِ عَلَى أَحَادِيثِ الْأَحْكَامِ - عَالِبًا - وَمِثَالُهُ: سُنَنِ النَّسَائِيِّ.



## مُكَوِّنَاتُ الْحَدِيثِ

- **السَّنَدُ ( الإِسْنَادُ )**: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْحَدِيثَ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ، وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ. وَإِنَّمَا السَّنَدُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ ( طَرِيقِ ) الْمَثْنِ، أَي: سِلْسِلَةِ الرُّوَاةِ النَّاقِلِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ عَنْ غَيْرِهِ. وَسُمُّوا ( طَرِيقًا ) عَلَى الْمَجَازِ، لِأَنَّهُمْ يُوصِلُونَ إِلَى الْمَثْنِ: كَمَا يُوصِلُ الطَّرِيقُ إِلَى الْمَكَانِ الْمَقْصُودِ.
- **الْمَثْنُ**: وَهُوَ نَصُّ الْحَدِيثِ، أَي: كُلُّ مَا رَفَعَهُ الرَّاوي مِنْ الْأَلْفَافِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ غَيْرِهِ. لِذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَدَمُ تَعَمُّدِ تَغْيِيرِ صُورَةِ الْمَثْنِ، أَوْ إِبْدَالِ اللَّفْظِ، إِلَّا لِعَالِمٍ بِمَدْلُولاتِ الْأَلْفَافِ - شَرِيطةً أَلَّا يَخْتَلَّ الْمَعْنَى فَيَخْرُجَ عَنِ الْمَقْصُودِ، وَأَنْ يُشَارَ إِلَى ذَلِكَ بِعِبَارَةٍ، مِثْلُ: " بِمَا مَعْنَاهُ " أَوْ نَحْوِهَا. وَأَمَّا اخْتِصَارُ الْمَثْنِ فَهُوَ جَائِزٌ - بِشَرَطِ أَلَّا تَخْتَلِفَ الدَّلَالَةُ أَوْ يَخْتَلَّ الْبَيَانُ. مِثَالُ بَيَانِيٍّ: « حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ: عَنْ هِشَامِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
- « لَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَلَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا، وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لَتُكْتَفَى صَخْفَتَهَا وَلِتُنْكَحَ فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهَا ». الْحَدِيثُ « (مسلم: ١٤٠٨).
- وَنَرَى هَهُنَا أَنَّ رُوَاةَ الْحَدِيثِ هُمْ سِلْسِلَةُ الرَّجَالِ الَّذِينَ رَوَوْا الْحَدِيثَ وَاحِدًا عَنِ الْآخِرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَيُطْلَقُ عَلَى هَذِهِ السِّلْسِلَةِ مِنَ الرُّوَاةِ لَفْظُ: ( السَّنَدِ أَوْ الإِسْنَادِ ).

وَأَمَّا الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ السَّنَدُ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَفْرِيرٍ، أَوْ صِفَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ: ( الْمَثْنُ )، أَي: تِلْكَ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تُنْسَبُ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

• **الطَّرْفُ ( وَالْجَمْعُ أَطْرَافٌ ):** هُوَ جُمْلَةٌ مُفِيدَةٌ مِنَ الْمَثْنِ، يَقَعُ بِهَا التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمُثْنِ. وَغَالِبًا مَا تَدُلُّ تِلْكَ الْجُمْلَةُ عَلَى: قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَفْرِيرٍ، أَوْ صِفَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَدْ يَبْدَأُ ( الطَّرْفُ ) مِنْ أَوَّلِ الْمَثْنِ، أَوْ قَدْ يَكُونُ جُمْلَةً مِنْهُ.  
وَمِثَالُ ذَلِكَ:

• عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ )، قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ لَا تُنْكَحِ الْمَرْأَةَ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا ﴾. الْحَدِيثُ « (مسلم: ١٤٠٨).

• عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ): « عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ لَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خُطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَلَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا، وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا: لِتَكْتَفِيَ صَحْفَتَهَا، وَلِتُنْكَحَ؛ فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهَا ﴾. الْحَدِيثُ « (مسلم: ١٤٠٨).

• عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) قَالَ: « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا، أَوْ أَنْ تَسْأَلَ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا: لِتَكْتَفِيَ مَا فِي صَحْفَتِهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ رَازِقُهَا. الْحَدِيثُ « (مسلم: ١٤٠٨).



## عِلْمُ الْإِسْنَادِ

إِنَّ ( عِلْمَ الْإِسْنَادِ ( ١ ) ) إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي افْتُضِحَ - بِسَبَبِ الْجَهْلِ بِأَصُولِهِ - غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ، وَالْمُحَدِّثِينَ، وَغَيْرِهِمْ. وَيُبْحَثُ فِيهِ عَنْ صِحَّةِ أَوْ ضَعْفِ الْحَدِيثِ - لِيَعْمَلَ بِهِ أَوْ يُتْرَكَ - مِنْ حَيْثُ: صِفَاتُ الرَّجَالِ، وَطُرُقُ التَّحْمُلِ ( ٢ )، وَصِيَغُ الْأَدَاءِ ( ٣ ).

وَلَقَدْ رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ ( ٤ ) قَوْلُهُ: " الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ."

( ١ ) الْإِسْنَادُ: رَفَعُ الْحَدِيثِ إِلَى قَائِلِهِ.

( ٢ ) طُرُقُ التَّحْمُلِ: الطَّرِيقُ الَّتِي أَخَذَ الرَّاوي بِهَا الْحَدِيثَ، وَتَلَقَّاهُ عَنْ شَيْوْخِهِ؛ وَإِنَّمَا يُعْرَفُ بِهَا الْإِتِّصَالُ فِي السَّنَدِ، مِنْ عَدَمِهِ.

( ٣ ) صِيَغُ الْأَدَاءِ:

صِيَغُ التَّحْدِيثِ الَّتِي يَسْتَعْدِمُهَا الْمُحَدِّثُونَ لِأَدَاءِ مَا تَحْمَلُوهُ عَنْ شَيْوْخِهِمْ، وَأَقْوَى تِلْكَ الصِّيغُ: ( سَمِعْتُ )، تَلِيهَا مَرْتَبَةً: ( حَدَّثَنَا ثَنَا، وَحَدَّثَنِي ثَنِي. )

( ٤ ) عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ الْحَنْظَلِيُّ النَّمِيمِيُّ، وَهُوَ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَرْزُوقِيُّ.

أَخَذَ الْأَنْمَةَ الْأَعْلَامَ، وَحَفَظَ الْإِسْلَامَ، شَيْخُ خُرَاسَانَ، تُوفِّيَ سَنَةَ ( ١٨١ هـ ).



## صِفَاتُ الرَّجَالِ

إِنَّ صِفَاتَ الرَّجَالِ هِيَ: أَحْوَالُ الرُّوَاةِ مِنْ حَيْثُ دَرَجَاتِ الثَّقَّةِ أَوْ عَدَمِهَا، أَيْ: مَرَاتِبَ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ.



## مَرَاتِبُ الْجَرَحِ: وَالْجَرْحُ عَلَى سِتِّ مَرَاتِبٍ.

وَفِيمَا يَأْتِي، سَرْدٌ لِمَرَاتِبِ الْجَرَحِ - مَرْتَبَةٌ مِنَ الْأَسْهَلِ إِلَى الْأَسْوَأِ:

### • الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى:

الْوَصْفُ: لَيْنُ الْحَدِيثِ، أَوْ فِيهِ مَقَالٌ، أَوْ فِيهِ ضَعْفٌ، أَوْ لَيْسَ بِذَلِكَ الْقَوِيَّ،  
أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

### • الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْوَصْفُ: لَا يُحْتَجُّ بِهِ، أَوْ مُضْطَرَبُ الْحَدِيثِ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

### • الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ:

الْوَصْفُ: رَدٌّ حَدِيثُهُ، أَوْ ضَعِيفٌ جِدًّا، أَوْ وَاهٍ بِمَرَّةٍ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

### • الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ:

الْوَصْفُ: يَسْرِقُ الْحَدِيثَ، أَوْ مُتَّهَمٌ بِالْكَذِبِ أَوْ الْوَضْعِ، أَوْ سَاقِطٌ،  
أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

### • الْمَرْتَبَةُ الْخَامِسَةُ:

الْوَصْفُ: دَجَالٌ، أَوْ كَذَابٌ أَوْ يَكْذِبُ، أَوْ وَضَاعٌ أَوْ يَضَعُ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

### • الْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ:

الْوَصْفُ: كُلُّ مَا دَلَّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ، مِثْلُ: أَكْذَبِ النَّاسِ، أَوْ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى  
فِي الْكَذِبِ، أَوْ رُكْنِ الْكَذِبِ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

وَحُكْمُ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ السِّتِّ أَنَّهُ لَا يُحْتَجُّ بِأَصْحَابِهَا؛ وَإِنَّمَا يُكْتَبُ حَدِيثُ أَصْحَابِ  
الْمَرْتَبَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، وَذَلِكَ لِاعْتِبَارِ حَدِيثِ الرَّاوي.

فَإِذَا لَمْ يَتَّفَرَّدْ ذَلِكَ الرَّاوي بِالْحَدِيثِ، يُنْظَرُ إِلَى كَثْرَةِ الْمُوَافَقَةِ أَوْ الْمُخَالَفَةِ فِي الْمَثُونِ.

الاعتبار: طَلَبَ النَّوَابِعِ وَالشَّوَاهِدِ لِلْحَدِيثِ الْمُعْتَبَرِ - وَالَّذِي يُظَنَّ أَنَّهُ فَرَّدَ مِنَ الْأَفْرَادِ - لِمَعْرِفَةِ فِيمَا إِذَا كَانَ لِذَلِكَ الْحَدِيثِ مُتَابِعاً - أَي: أصلاً - أَمْ لَا؟  
أَي: النَّظَرُ فِيمَا إِذَا كَانَ الرَّاوي قَدْ تَفَرَّدَ بِالْحَدِيثِ، أَمْ لَا؟

فَإِذَا تَفَرَّدَ الرَّاوي بِذَلِكَ الْحَدِيثِ فَهُوَ لِيَنَّ لَا يُحْتَجُّ بِهِ، وَإِلَّا تَرَفَّى بِالِاعْتِبَارِ مِنْ مَرْتَبَةِ الضَّعِيفِ إِلَى الْحَسَنِ، وَذَلِكَ بَعْدَ النَّظَرِ إِلَى كَثْرَةِ الْمُوَافَقَةِ أَوْ الْمُخَالَفَةِ فِي الْمَثُونِ.  
كَذَلِكَ، إِنْ وُجِدَ مَثْنٌ لِحَدِيثٍ - رَوَاهُ صَحَابِيُّ آخَرُ - يُشْبِهُ مَثْنِ الْحَدِيثِ الْمُعْتَبَرِ - فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، أَوْ فِي الْمَعْنَى فَقَطْ - فَهُوَ: (الشَّاهِدُ).

**مَرَاتِبُ التَّعْدِيلِ:** وَالتَّعْدِيلُ عَلَى سِتِّ مَرَاتِبَ.

وَفِيمَا يَأْتِي، سَرَّدَ لِمَرَاتِبِ التَّعْدِيلِ - مَرْتَبَةً مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى:

• الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى:

وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّعْدِيلِ وَالتَّوَثُّيقِ، وَأَعْظَمُهَا شَأْنًا؛ ذَلِكَ بِأَنَّهَا مَرْتَبَةُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ ﷺ. وَكَفَى الصَّحَابِيُّ بِصُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَرَفًا.

كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْجَهْلَ بِمَعْرِفَةِ الصَّحَابِيِّ غَيْرِ قَادِحٍ؛ فَالصَّحَابَةُ ﷺ كُلُّهُمْ عُدُولٌ، وَيُحْتَجُّ بِحَدِيثِهِمْ جَمِيعاً - بِلَا اسْتِثْنَاءٍ - إِلَّا مَنْ ارْتَدَّ مِنْهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ.

الْوَصْفُ: مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ ﷺ، وَهُمْ الْأَعْلَى فِي رُتْبَةِ الْعَدَالَةِ وَشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ.

## • المرتبة الثانية:

وهي مرتبة الأئمة الثقات، ويكون التعديل فيها على طريقتين:

١ - التعديل بالمبالغة: وهي الطريقة التي أضافها ابن حجر.

### الوصف:

- إِمَّا بِإِحْدَى أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ، وَأَصْرَحُ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ ( أَفْعَل )، مِثْلُ: أَوْثِقِ النَّاسِ، أَوْ أَثْبِتِ النَّاسِ.

- أَوْ بِقَوْلِهِمْ: إِلَيْهِ الْمُنتَهَى فِي التَّثْبُتِ، أَوْ مُتَّفَقٌ عَلَى جَلَالَتِهِ وَإِتْقَانِهِ، أَوْ رَأْسُ الْمُتَّقِينَ وَكَبِيرُ الْمُتَثَبِّتِينَ، أَوْ لَا أَحَدَ أَثْبَتَ مِنْهُ، أَوْ مَنْ مِثْلُ فُلَانٍ، أَوْ فُلَانٌ لَا يُسْأَلُ عَنْهُ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

---

التثبُّت: الحجة والبيّنة، وأثبت حجته: أقامها وأوضحها.

ويقال: رَجُلٌ ثَبِتٌ، أَي: ثَابِتُ الْقَلْبِ، قَوِيُّ الْحُجَّةِ وَالْبَيِّنَةِ.

---

٢ - توكيد التعديل بصفة أو صفتين أو أكثر: وإنما التوكيد - ههنا - لإخراج الشك، وهي الطريقة التي أضافها الذهبي والعراقي.

الوصف: ثِقَّةٌ ثِقَّةٌ، أَوْ ثِقَّةٌ ثَبِتٌ، أَوْ ثِقَّةٌ مَأْمُونٌ، أَوْ ثِقَّةٌ حَافِظٌ، أَوْ ثِقَّةٌ مُتَّقِنٌ، أَوْ ثِقَّةٌ حَافِظٌ مُتَّقِنٌ، أَوْ ثِقَّةٌ حَافِظٌ حُجَّةٌ، أَوْ ثِقَّةٌ إِمَامٌ حَافِظٌ، أَوْ عَدْلٌ صَابِغٌ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

هل يُحتجُّ بأصحابها؟ نعم، وبلا قيد أو شرط.

## • المرتبة الثالثة:

وهي مرتبة الثقات، أي: من وصف بألفاظ التوثيق وإنما دون توكيد.

الوصف: ثقة، أو ثبت، أو حجة، أو ضابط، أو نحو ذلك.

هل يحتاج بأصحابها؟ نعم، وبلا قيد أو شرط.

## • المرتبة الرابعة:

وهي مرتبة الصدوق، أي: من كان دون المرتبة الثالثة قليلاً.

الوصف: صدوق، أو محله الصدق، أو لا بأس به، أو ليس به بأس.

هل يحتاج بأصحابها؟ نعم، وإنما بعد التتبع لأحاديثهم، والنظر فيها،

ومقارنتها بأحاديث الثقات؛ وذلك للتأكد من ضبطهم.

## • المرتبة الخامسة:

وهي مرتبة الصدوق الذي قد خالط صدق حديثه شيء من الشذوذ،

أو رمي بنوع من البدع والعلو، مثل: التشيع، والرفض، والقدر،

والنصب، والإرجاء، والتجهم، والتجسيم.

الوصف: صدوق ربما أخطأ، أو صدوق كثير الخطأ، أو صدوق وله

أوهام، أو صدوق يخطئ، أو صدوق يهيم، أو صدوق تغير حفظه بآخره،

أو صدوق يخطئ قليلاً، أو صدوق سيء الحفظ، أو صدوق رمي باتِّباع

أحد المذاهب الأخرى، أو نحو ذلك.

حكمه: يكتب حديث الراوي لا اعتبار حديثه؛ فإذا لم يتفرّد ذلك الراوي

بالحديث، ينظر إلى كثرة الموافقة أو المخالفة في المتن.

## • المرتبَةُ السادسةُ:

وَهِيَ مَرْتَبَةُ الْمَقْبُولِ الَّذِي لَمْ يَرَوْ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا الْقَلِيلَ.  
فَهُوَ رَجُلٌ صَدُوقٌ، لَمْ يُعْلَمْ فِيهِ مِنَ الْجَرَحِ مَا يُثْرِكُ حَدِيثَهُ مِنْ أَجْلِهِ،  
إِلَّا أَنْ فِي حَدِيثِهِ ضَعْفًا.

الوصف: مقبولٌ، أو صالح الحديث.

حكمه: يُكْتَبُ حَدِيثُ ذَلِكَ الرَّاوي لاعتبار حديثه، ولا يُحتجُّ به إلا إذا توبع  
على حديثه؛ فإذا انفرد بالحديث فهو حديثٌ ليِّنٌ، لا يُحتجُّ به.

---

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ  
ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام) ، وَذَلِكَ هُوَ مَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ ﷺ .

أي: إِنَّ حُكْمَ الشَّيْعَةِ ( وَهُمْ قَوْمٌ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، وَيَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ رَأْيَ بَعْضٍ ) إِنَّمَا هُوَ مِثْلُ  
حُكْمِ أَوْلَادِكَ ﴿ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ (الأنعام) .

وَمِثَالُ تِلْكَ الْمَذَاهِبِ - الَّتِي افْتَرَقَ إِلَيْهَا بَعْضُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - مَا يَأْتِي:

• التَّشْيِيعُ: هُوَ الْإِنْتِصَارُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَتَفْضِيلُهُ عَلَى  
عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ﷺ، مَعَ الْإِفْرَارِ بِفَضْلِ الْجَمِيعِ.

• الرَّفْضُ: هُوَ الْغُلُوُّ فِي التَّشْيِيعِ.

وَلَهُ صُورٌ عِدَّةٌ مِنْهَا: تَقْدِيمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَلَى الْخُلَفَاءِ  
الثَّلَاثَةِ قَبْلَهُ، وَقَدْ يَقْتَرِنُ بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ وَسَبُّهُمْ.

• النَّصَبُ: ضِدُّ التَّشْيِيعِ.

وَهُوَ مُنَاصَبَةُ الْعِدَاوَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَكُلٌّ مِنْ وَافِقِهِ.

- الْقَدْرُ: هُوَ الْاِعْتِقَادُ بِأَنَّ الشَّرَّ لَيْسَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ صُنْعِ الْإِنْسَانِ. وَذَلِكَ مُخَالَفٌ لِصَرِيحِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ (الشمس).
- الْإِرْجَاءُ: هُوَ الْاِعْتِقَادُ بِأَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ فِي شَيْءٍ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ.
- التَّجَهُمُ: هُوَ مُوَافَقَةُ الْجَهْمِيَّةِ فِي بَعْضِ اِعْتِقَادَاتِهِمْ. وَالْجَهْمِيَّةُ: طَائِفَةٌ تَنْفِي صِفَاتِ اللَّهِ، وَتَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.
- التَّجْسِيمُ: هُوَ الْعُلُوفُ فِي التَّشْبِيهِ. وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مِنْ جَهَالَاتٍ وَضَلَالَاتٍ أَوْلَيْكَ الضَّالِّينَ مِنَ الْيَهُودِ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. فَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ عُلوًّا كَبِيرًا - هُوَ شَخْصٌ ذُو جَوَارِحٍ؛ وَإِنَّمَا يَسْتَنْدُ أَوْلَيْكَ الضَّالُّونَ - فِي ضَلَالَاتِهِمْ - إِلَى سُوءِ الْفَهْمِ، وَالتَّأْوِيلِ الْخَاطِئِ لِبَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَمِثَالُهَا:
- ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزمر)، إِذِ اسْتَعَارَ سُبْحَانَهُ - فِي كَلَامِهِ - الْيَمِينَ؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ وَالْقَبْضَ إِنَّمَا يَكُونُ بِهَا.
- فَاعْلَمْ، أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مُنْزَعٌ عَنِ التَّشْبِيهِ، وَالتَّجْسِيمِ؛ لِذَلِكَ، فَإِنَّ كُلَّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ مِنْ إِضَافَةِ الْجَوَارِحِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ - إِنَّمَا هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ وَالِاسْتِعَارَةِ: وَ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى) أَبْدَأُ أَبْدَأُ.

وَلَقَدْ اتَّفَقَ أئِمَّةُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ عَلَى أَنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّعْدِيلِ.

وَكذلك، اشْتَرَطَ أَهْلُ الْحَدِيثِ لِقَبُولِ الْحَدِيثِ، وَالِاحْتِجَاجَ بِرِوَايَةِ الرَّاويِ لَهُ،  
أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّاوي: عَدْلًا، ضَابِطًا - مَوْثُوقًا بِإِتِّقَانِهِ وَضَبْطِهِ - لِمَا يَرُويهِ  
عَنْ مِثْلِهِ مِنَ الْعُدُولِ الضَّابِطِينَ، إِلَى مُنْتَهَاهَا.

أي: أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ الَّذِي يَرُويهِ - ذَلِكَ الرَّاوي - مُتَّصِلَ الْإِسْنَادِ،  
وَسَالِمًا مِنْ أَيِّ شُدُودٍ أَوْ عِلَّةٍ.

أي: أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ سِلْسِلَةِ الرِّوَاةِ النَّاقِلِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
- خَاصَّةً - أَوْ عَنْ غَيْرِهِ، عَامَّةً:

١ - مُسْلِمًا، بِالْغَا، عَاقِلًا، سَالِمًا مِنْ أَسْبَابِ الْفِسْقِ وَخَوَارِمِ الْمُرُوعَةِ.

٢ - مُتَيَقِّظًا، فِيهِ مَعْرِفَةٌ وَفِطْنَةٌ، غَيْرَ مُغْفَلٍ.

٣ - حَافِظًا، مُتَّقِنًا: إِنْ حَدَّثَ مِنْ حِفْظِهِ.

٤ - ضَابِطًا لِكِتَابِهِ: إِنْ حَدَّثَ مِنْ كِتَابِهِ.

٥ - عَالِمًا بِمَا يُحِيلُ - أَي: يُغَيِّرُ - مَعَانِيَ الْأَلْفَازِ: إِنْ حَدَّثَ بِالْمَعْنَى.

---

الرَّجُلُ الْعَدْلُ: كُلُّ رَجُلٍ ذِي عَدْلِ، أَي: الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ تَطْهَرْ مِنْهُ رِيْبَةٌ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ لَهُ مَلَكَةً  
تَحْمِلُهُ عَلَى مِلَازِمَةِ التَّقْوَى وَالْمُرُوعَةِ، أَي: الْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ.

الْعَدْلُ: هُوَ مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ، لَا عَوْجَ فِيهِ؛ وَهُوَ ضِدُّ الْجَوْرِ، أَي: الظُّلْمِ.

التَّقْوَى: اجْتِنَابُ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ مِنْ شِرْكَ، أَوْ فِسْقٍ، أَوْ بِدْعَةٍ.

الْمُرُوعَةُ: الْعِفَّةُ، وَكَمَالُ الرَّجُولَةِ، وَالْإِنْسَانِيَّةِ؛ وَكَذَلِكَ، أَلَّا يَفْعَلَ الْمَرْءُ - فِي السِّرِّ -  
أَمْرًا، يَسْتَحْبِي أَنْ يَفْعَلَهُ جَهَارًا.

---



## رُتِبَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ

- **أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ:** هُوَ الَّذِي قَدْ أَحَاطَ - عِلْمًا وَدِرَايَةً - بِأَغْلَبِ الْأَحَادِيثِ، فَلَا يَفُوتُهُ مِنْهَا إِلَّا الْيَسِيرُ، مِثْلُ: الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ.
- **الْحَافِظُ:** هُوَ الَّذِي يَشْتَغِلُ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ - رِوَايَةً وَدِرَايَةً - وَيَعْرِفُ مِنْ رِوَايَاتِ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ الرُّوَاةِ، أَكْثَرَ مِمَّا يَجْهَلُهُ.
- **الْمُحَدِّثُ:** هُوَ الَّذِي يَشْتَغِلُ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ - رِوَايَةً وَدِرَايَةً - وَيَطَّلِعُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الرُّوَايَاتِ، وَأَحْوَالِ رِوَاتِهَا.
- **الْمُسْنِدُ:** هُوَ ذَلِكَ الَّذِي يَرْوِي الْخَبَرَ بِسَنَدِهِ كَمَا تَلَقَّاهُ، ( غَيْرَ مُتَقَيِّدٍ بِأَنْ يَكُونَ مَا يَرْوِيهِ حَدِيثًا مُحْتَجًّا بِهِ، أَمْ لَا! أَي: مِنْ غَيْرِ دِرَايَةٍ، وَإِنَّمَا لِمُجَرَّدِ الرِّوَايَةِ! )



## مَعْيَارُ مَعْرِفَةِ مَرَاتِبِ الرُّوَاةِ

- ١- الصَّحَابَةُ.
- ٢- الْأَئِمَّةُ النَّقَاتُ.
- ٣- النَّقَاتُ.
- ٤- الصَّدُوقُ، أَوْ الَّذِي لَا بَأْسَ بِهِ.
- ٥- الصَّدُوقُ، الَّذِي خَالَطَ صِدْقَ حَدِيثِهِ شَيْءٌ مِنَ الرِّيْبَةِ وَالشَّكِّ.
- ٦- مَقْبُولٌ.



٧- مَجْهُولُ الْحَالِ، أَوْ مَسْتَوْرٌ.

٨- ضَعِيفٌ.

٩- ضَعِيفٌ جَدًّا.

١٠- اتُّهِمَ بِالْكَذِبِ، أَوْ الْوَضْعِ.

١١- كَذَّابٌ.

١٢- أَكْذَبُ النَّاسِ.



### طَبَقَاتِ الرُّوَاةِ

إِنَّ لِمَعْرِفَةِ طَبَقَاتِ الرُّوَاةِ - عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ - فَائِدَةً كُبْرَى، هِيَ:

١- تَبْيِينُ الْمَشْكِْلِ مِنْ تَدَاخُلِ الْمُشْتَبِهَيْنِ، لِيُفْرَقَ بَيْنَهُمْ حَسَبَ طَبَقَاتِهِمْ.

٢- تَبْيِينُ تَدْلِيسِ الْمُدَلِّسِينَ.

٣- تَبْيِينُ الْمَشْكِْلِ مِنْ حَقِيقَةِ الْعَنْعَنَةِ.

فَإِذَا كَانَتْ عَنْعَنَةٌ رَاوٍ - مُعَاصِرٍ لِمَنْ يَرُوِي عَنْهُ - فَحُكْمُهَا الْإِتِّصَالُ،

مَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الرَّاوِي مُدَلِّسًا.

( وَطَبَقَةُ الرُّوَاةِ: جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّوَاةِ اشْتَرَكُوا فِي السَّنِّ - وَلَوْ تَقْرِيْبًا - وَفِي

لِقَاءِ الْمَشَايخِ. )

وَأَمَّا تَفْسِيْمُ طَبَقَاتِ الرُّوَاةِ فَهُوَ أَمْرٌ اصْطِلَاحِيٌّ.

وَفِيْمَا يَأْتِي، سَرَّدُ لَطَبَقَاتِ الرُّوَاةِ - مُرْتَبَةً حَسَبَ التَّسْلُسْلِ الزَّمْنِيِّ:

## طَبَقَاتِ الصَّحَابَةِ:

إِنَّ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ ﷺ عُدُولٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا سَوَاءً فِي التَّحْدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَمِنْهُمْ الْمُكْتَرِ، وَمِنْهُمْ الْمُقَلِّ:

• مِنَ الْمُكْتَرِينَ: أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ.

• وَمِنَ الْمُقَلِّينَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، وَعَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ ﷺ، وَذَلِكَ لِأَنْشَغَالِهِمَا بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ.

وَلَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ - فِي عَدَدِ طَبَقَاتِ الصَّحَابَةِ ﷺ - عَلَى وَجْهَيْنِ:

١- قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ:

إِنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ، وَالتَّابِعِينَ، وَالتَّبَاعَ التَّابِعِينَ - جَمِيعًا - طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:

قَالَ (عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ﷺ): « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٣٦٥٠).

٢- قَسَمَ بَعْضُهُمُ الْآخِرُ الصَّحَابَةَ ﷺ إِلَى طَبَقَاتٍ عِدَّةٍ، كَمَا فَعَلَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ النَّيْسَابُورِيُّ فِي كِتَابِهِ: (مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ)؛ حَيْثُ قَسَمَ الصَّحَابَةَ ﷺ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ طَبَقَةً:

١ - الصَّحَابَةُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بِمَكَّةَ ﷺ، مِنْ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعَثْمَانَ، وَعَلِيٍّ ﷺ.

٢ - أَصْحَابُ دَارِ النَّدْوَةِ ﷺ.

٣ - الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْحَبَشَةِ ﷺ.

٤ - أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى ﷺ.

٥ - أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ ﷺ.

٦ - أَوْلُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقُبَاءَ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْمَدِينَةَ ﷺ.

٧ - أَهْلُ بَدْرِ ﷺ.

٨ - الصَّحَابَةُ ﷺ الَّذِينَ هَاجَرُوا بَيْنَ بَدْرِ وَالْحُدَيْبِيَّةِ ( وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، سُمِّيَتْ بِبَدْرِ فِيهَا. )

٩ - أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ﷺ.

١٠ - الْمُهَاجِرُونَ بَيْنَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَالْفَتْحِ ﷺ.

١١ - الصَّحَابَةُ ﷺ الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَمَا بَعْدَهُ.

١٢ - صِبْيَانٌ وَأَطْفَالٌ لَقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ وَفِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ ﷺ.

وَقَالَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيُّ:

" وَمَنْ تَبَحَّرَ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَهُوَ حَافِظٌ كَامِلٌ الْحِفْظِ.

فَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ مَشَايخِنَا يَرَوْنَ الْحَدِيثَ الْمُرْسَلَ عَنْ تَابِعِيٍّ،  
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَتَوَهَّمُونَهُ صَحَابِيًّا.

وَرُبَّمَا رَوَوْا الْمُسْنَدَ عَنْ صَحَابِيٍّ، فَيَتَوَهَّمُونَهُ تَابِعِيًّا."

الصَّحَابِيُّ، وَالْجَمْعُ صَحَابَةٌ وَأَصْحَابٌ: هُوَ مَنْ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُؤْمِنًا بِهِ،  
وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ.

### طَبَقَاتُ التَّابِعِينَ:

وَلَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ - فِي عَدَدِ طَبَقَاتِ التَّابِعِينَ - فَقَالَ بَعْضُهُمْ:  
إِنَّهُمْ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ، بَيْنَمَا قَسَمَهُمْ آخَرُونَ إِلَى طَبَقَاتٍ ثَلَاثٍ:

١ - طَبَقَةُ كِبَارِ التَّابِعِينَ: وَهِيَ طَبَقَةُ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَكْثَرُوا فِي الرَّوَايَةِ  
عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَلَقَدْ كَانَ آخِرُهُمْ - مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ - مَنْ لَقِيَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
تُوْفِّي سَنَةَ ( ٩١ هـ )؛ وَأَمَّا آخِرُهُمْ - مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ - فَقَدْ كَانَ مَنْ لَقِيَ  
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تُوْفِّي سَنَةَ ( ٨٧ هـ ).

وَهُمْ عَلَى طَبَقَاتٍ:

١ - كِبَارُ التَّابِعِينَ الَّذِينَ لَحِقُوا بِالْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢ - كِبَارُ التَّابِعِينَ - مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - الَّذِينَ وُلِدُوا فِي  
حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَلْقَوْهُ.

٣ - الْمُخَضَّرُمُونَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ - فَاسْتَلَمُوا - وَلَمْ يَرَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

الْخَضْرَمَةُ أَنْ يُجْعَلَ الشَّيْءُ بَيْنَ بَيْنٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِكُلِّ مَنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ: مُخَضَّرَمٌ؛ إِذْ قَضَى بَعْضًا مِنْ عُمْرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا تَبَقِيَ مِنْهُ فِي الْإِسْلَامِ.

٤ - عُلَمَاءُ الْحِجَازِ، أَي: الْفُقَهَاءُ السَّبْعَةُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ:

١ - سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، تُوفِّيَ سَنَةَ (٩١ هـ).

٢ - عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، تُوفِّيَ سَنَةَ (٩٤ هـ).

٣ - أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، تُوفِّيَ سَنَةَ (٩٤ هـ).

٤ - خَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ، تُوفِّيَ سَنَةَ (١٠٠ هـ).

٥ - الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، تُوفِّيَ سَنَةَ (١٠١ هـ).

٦ - عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُنْبَةَ، تُوفِّيَ سَنَةَ (١٠٢ هـ).

٧ - سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، تُوفِّيَ سَنَةَ (١٠٧ هـ).

٢- الطَّبَقَةُ الْوَسْطَى مِنَ التَّابِعِينَ: وَهِيَ طَبَقَةُ التَّابِعِينَ الَّذِينَ رَوَوْا عَنِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَعَنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، مِثْلُ:

الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكرَمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ، وَعَطَاءٌ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَسَالِمُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وَكَذَلِكَ، فَإِنَّ سَيِّدَتِي النَّسَاءِ مِنَ التَّابِعِينَ هُمَا مِنَ الطَّبَقَةِ الْوُسْطَى، وَهُمَا:

- عَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِي الْمَدِينَةِ.

- وَحَفْصَةُ بِنْتُ سِيرِينَ، فِي الْبَصْرَةِ.

٣- الطَّبَقَةُ الصُّغْرَى مِنَ التَّابِعِينَ: وَهِيَ طَبَقَةُ التَّابِعِينَ الَّذِينَ كَانَتْ  
أَعْلَبُ رَوَايَاتِهِمْ عَنِ التَّابِعِينَ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا إِلَّا الْعَدَدَ الْقَلِيلَ  
مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، مَثَلُ: إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَأَبِي الزِّنَادِ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ.

التَّابِعِيُّ: هُوَ مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ أَوْ سَمِعَ مِنْهُ - أَوْ الْجَمَاعَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم -  
وَإِنْ لَمْ تَوْجِدِ الصُّحْبَةَ الْعُرْفِيَّةَ، إِذْ لَا يُشْتَرَطُ فِي التَّابِعِيِّ طَوْلُ الْمَلَاذِمَةِ.  
شَرِيطَةٌ أَنْ يَكُونَ - ذَلِكَ الصَّحَابِيُّ - مُؤْمِنًا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ.

### طَبَقَاتُ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ:

وَلَقَدْ قَسَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ - أَتْبَاعَ التَّابِعِينَ - إِلَى طَبَقَاتٍ أَرْبَعٍ:

١- الطَّبَقَةُ الَّتِي عَاصَرَتْ الطَّبَقَةَ الصُّغْرَى مِنَ التَّابِعِينَ، وَلَمْ تَلْقَ  
الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم.

٢- طَبَقَةُ كِبَارِ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ.

٣- الطَّبَقَةُ الْوُسْطَى مِنَ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ.

٤- الطَّبَقَةُ الصُّغْرَى مِنَ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ.

تَبَعَ الْأَتْبَاعُ: وَهُوَ الرَّاوي الَّذِي لَمْ يَتَّبِعْ لَهُ لِقَاءَ الصَّحَابَةِ - أَبَدًا - إِلَّا أَنَّهُ لَقِيَ  
تَابِعِيًّا فَأَكْتَرُ، وَأَخَذَ عَنْهُ.

## طَبَقَاتُ الْآخِذِينَ عَنِ تَبَعِ الْأَتْبَاعِ:

وَلَقَدْ قَسَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ - الْآخِذِينَ عَنِ تَبَعِ الْأَتْبَاعِ - إِلَى طَبَقَاتٍ ثَلَاثٍ:

١ - طَبَقَةُ كِبَارِ الْآخِذِينَ عَنِ تَبَعِ الْأَتْبَاعِ.

٢ - الطَّبَقَةُ الْوَسْطَى مِنَ الْآخِذِينَ عَنِ تَبَعِ الْأَتْبَاعِ.

٣ - طَبَقَةُ صِغَارِ الْآخِذِينَ عَنِ تَبَعِ الْأَتْبَاعِ.

( الْآخِذُ عَنِ تَبَعِ الْأَتْبَاعِ: هُوَ الرَّاوي الَّذِي لَقِيَ وَاحِدًا فَأَكْثَرَ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَأَخَذَ عَنْهُ. )



## صِيغُ وَالْفَاطِ الْأَدَاءِ

جَرَى الْاِتِّفَاقُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى تَخْصِيصِ بَعْضِ الصِّيغِ وَالْأَلْفَاطِ، وَذَلِكَ لِيُوصَفِ طَرِيقَةَ اَدَاءِ مَا تَلَقَّاهُ - أَي: تَحَمَّلَهُ - الرَّاوي مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ عَنِ مَشَايخِهِ.

وَمِنْ أَشْهَرِ صِيغِ التَّحْدِيثِ الَّتِي يَسْتُخْدِمُهَا الْمُحَدِّثُونَ:

### ١ - سَمِعْتُ:

أَفْوَى اَلْفَاطِ اَلْاَدَاءِ، وَذَلِكَ لِصَرَاحَتِهِ فِي السَّمَاعِ.

حَيْثُ لَا يَكَادُ يَقُولُ أَحَدٌ مِنَ الرُّوَاةِ: ( سَمِعْتُ ) - إِلَّا نَادِرًا - وَذَلِكَ فِي أَيِّ مِنْ أَحَادِيثِ اَلْاِجَازَةِ بِأَنْوَاعِهَا، وَلَا حَتَّى فِي تَدْلِيْسِ مَا لَمْ يَسْمَعْهُ.

( وَاَلْاِجَازَةُ: اَلْاِذْنُ بِالرُّوَايَةِ لَفْظًا، أَوْ كِتَابَةً. )

## ٢- حَدَّثَنَا ( نَنَا ) وَحَدَّثَنِي ( نَنِي ):

لَا يُسْتَعْمَلَانِ إِلَّا فِي السَّمَاعِ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ فَقَطْ.

وَمِمَّا يُرَوَى عَنِ الْحَسَنِ رضي الله عنه قَوْلُهُ: " حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ. " وَيَأْوُلُ ذَلِكَ الْقَوْلُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

- أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يُحَدِّثُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ الْحَسَنُ رضي الله عنه إِذْ ذَاكَ فِيهَا؛ إِذْ لَمْ يَثْبُتْ - إِطْلَاقًا - أَنَّ الْحَسَنَ رضي الله عنه كَانَ قَدْ سَمِعَ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه شَيْئًا.

- أَوْ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الْقَوْلُ مِنْ غَطِّ الرِّوَاةِ عَلَيْهِ.

## ٣- أَخْبَرَنَا:

وَهُوَ لَفْظٌ كَثِيرُ الاسْتِعْمَالِ فِيمَا سَمِعَ مِنَ الشَّيْخِ - مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدِ بِاللَّفْظِ - حَيْثُ مِنَ الْجَائِزِ إِبْدَالُ اللَّفْظِ مَكَانَ اللَّفْظِ، شَرِيطَةً أَلَّا يَخْتَلَّ الْمَعْنَى.

٤- أَنْبَأْنَا وَنَبَّأْنَا: وَهُمَا لَفْظَانِ يُسْتَعْمَلَانِ قَلِيلًا فِي آدَاءِ مَا سَمِعَ مِنَ الشَّيْخِ.

٥- قَالَ لَنَا فُلَانٌ، أَوْ ذَكَرَ لَنَا فُلَانٌ:

وَهَاتَانِ الصَّيغَتَانِ مَحْمُولَتَانِ عَلَى السَّمَاعِ، إِذَا ثَبَتَ أَنَّ الرَّاويَ قَدْ تَقَى الْمَرْوِيَّ عَنْهُ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْهُ؛ وَلَا سِيَّمَا إِذَا عَلِمَ مِنْ حَالِ الرَّاويِ أَنَّهُ لَا يَقُولُ: ( قَالَ فُلَانٌ ) إِلَّا فِيمَا سَمِعَهُ مُبَاشَرَةً مِنَ الْمَرْوِيَّ عَنْهُ.



## ٦- فُلَانٌ عَنِ فُلَانٍ ( الْعَنْتَةُ ) ، أَوْ أَنَّ فُلَانًا ( الْأَنَانَةُ ) :

وَيُعَدُّ إِسْنَادُهُمَا مَوْصُولًا - لَا مُنْقَطِعًا - بِشَرْطَيْنِ :

١ - أَلَّا يَكُونَ الرَّاوي مُدَلِّسًا .

٢ - إِمَّا ثُبُوتُ اللَّقَاءِ ، وَهُوَ : شَرَطُ الْبُخَارِيِّ ؛ أَوْ الْمُعَاصِرَةَ ، وَهُوَ : شَرَطُ مُسْلِمٍ .



## شُرُوطُ صِحَّةِ الْحَدِيثِ

١- اتِّصَالُ السَّنَدِ : وَذَلِكَ بِأَلَّا يَكُونَ بَيْنَ الْمُتَحَمِّلِ وَالْمُؤَدِّي فَجْوَةً زَمَنِيَّةً أَوْ مَكَانِيَّةً ، لَا يُمَكِّنُ التَّحَمُّلُ مَعَهَا لَتَعَدُّرِ اللَّقَاءِ بَيْنَهُمَا .

٢- الْعَدَالَةُ : وَذَلِكَ بِأَنَّ يَكُونَ الْحَدِيثُ مُتَّصِلَ الْإِسْنَادِ - بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَالرَّاوي الْعَدْلُ : هُوَ الرَّاوي الَّذِي قَدْ تَحَقَّقَتْ فِيهِ كُلُّ الشَّرُوطِ الْآتِيَةِ :

١ - الْإِسْلَامُ : فَلَا تُقْبَلُ رِوَايَةٌ غَيْرِ الْمُسْلِمِ وَلَوْ كَانَ كِتَابِيًّا .

٢ - الْبُلُوغُ : فَلَا تُقْبَلُ رِوَايَةٌ الصَّبِيِّ مِنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم .

٣ - الْعَقْلُ : فَلَا تُقْبَلُ رِوَايَةُ الْمَجْنُونِ .

٤ - عَدَمُ الْفِسْقِ : وَالْفِسْقُ هُوَ ارْتِكَابُ الْكَبَائِرِ ، أَوْ الْإِصْرَارُ عَلَى الصَّغَائِرِ

مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالذُّنُوبِ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَلَمْ يُصِرُّوا

عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ( آل عمران ) .

٥ - المُرُوءَةُ: وَهِيَ أَلَّا يَتَصَرَّفَ الرَّاوي بِمَا لَا يَلِيْقُ بِأَمْتَالِهِ، فَيَمِيلُ عَنِ الْعَدْلِ وَالِاسْتِقَامَةِ؛ لِذَلِكَ يُشَدَّدُ الْمُحَدِّثُونَ عَلَى أَنْ يَكُونَ الرَّاوي مَشْمُولَ الْخَلِيقِ، طَيِّبَهَا، وَمَعَايٍ مِنْ كُلِّ مَا يَتَنَافَى مَعَ مَقَامِ الرَّوَايَةِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الَّذِي يَرُوهُ هُوَ دِينَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٣- الضَّبْطُ: وَهُوَ سَلَامَةُ الْحَدِيثِ مِنَ الْخَطَا، أَوْ الْوَهْمِ، أَوْ الزِّيَادَةِ، أَوْ النَّسْيَانِ؛ وَلَا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ كُلُّ رَاوٍ مِنْ سِلْسِلَةِ الرَّوَاةِ:

١ - مُتَقِنًا لِحِفْظِ الْحَدِيثِ مِنْ شَيْخِهِ الَّذِي هُوَ فَوْقَهُ فِي السَّنَدِ.

٢ - مُمَيِّزًا بَيْنَ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ، وَمُتَثَبِّتًا فِي حِفْظِهِ.

التَّثَبُّتُ فِي الْحِفْظِ: هُوَ أَلَّا يُحَدِّثَ الرَّاوي وَاهِمًا بِمَا عَلِقَ بِذِهْنِهِ، وَإِنَّمَا:

- بِمَا وَعَى فِي قَلْبِهِ حِفْظًا وَفَهْمًا - أَي: ضَبْطَ الصَّدْرِ.

- أَوْ بِمَا حَفِظَ فِي كِتَابِهِ - الَّذِي لَمْ يَقَعْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْعَبَثِ، أَوْ التَّحْرِيفِ - أَي: ضَبْطَ الْكِتَابِ.

٤- السَّلَامَةُ مِنَ الشُّذُودِ:

وَالشُّذُودُ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ إِنَّمَا هُوَ مُخَالَفَةُ الثَّقَّةِ لِمَنْ هُوَ أَوْثَقُ مِنْهُ لَفْظًا، أَوْ مَعْنَى.

٥- السَّلَامَةُ مِنَ الْعِلَلِ:

وَالْعِلَّةُ فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا هِيَ كُلُّ سَبَبٍ غَامِضٍ يَقْدَحُ فِيهِ، أَي: يَعِيبُ صِحَّتَهُ.

وَقَدْ تَكُونُ الْعِلَّةُ فِي الْإِسْنَادِ - وَهُوَ الْأَعْلَبُ - مِثْلُ: وَصَلَ الْمُرْسَلِ،  
أَوْ رَفَعَ الْمَوْقُوفِ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

أَوْ قَدْ تَقَعُ الْعِلَّةُ فِي الْمَتْنِ، مِثْلُ: مُفَارَقَةُ الْمَعْنَى - الَّذِي ظَنَّهُ الرَّاوي  
خَطَأً فِي رِوَايَتِهِ - عَنِ ذَلِكَ الْمُرَادِ بِلَفْظِ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَمِنْ دَلَائِلِ الْعِلَّةِ - دُونَ الْجَزْمِ بِوُجُودِهَا - مَثَلًا: تَفَرَّدُ الرَّاوي - مِنْ غَيْرِ  
طَبَقَةِ الصَّحَابَةِ - بِالْحَدِيثِ، فَلَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ.



### مَرَاتِبُ الْحَدِيثِ

١- الْحَدِيثُ الْمُتَوَاتِرُ: وَأَصْلُ التَّوَاتُرِ فِي الْحَدِيثِ هُوَ الْكَثْرَةُ فِي عَدَدِ رُوَاتِهِ  
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَي: أَكْثَرُ مِنْ ٩ رِوَاةٍ - وَحَصْرًا مِنْ  
طَبَقَةِ الصَّحَابَةِ ﷺ.

### مُلاحَظَةٌ:

إِنَّ الْمُرَادَ بِالْكَثْرَةِ - هَهُنَا - لَيْسَ أَبَدًا كَثْرَةُ عَدَدِ الْمُرَدِّدِينَ لِذَلِكَ الْحَدِيثِ  
مِنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ، أَوْ الْمُتَحَدِّثِينَ، أَوْ الْعَوَامِّ!

وَالْمُتَوَاتِرُ مِنَ الْحَدِيثِ عَلَى نَوْعَيْنِ أَتَيْنِ:

١- الْحَدِيثُ الْمُتَوَاتِرُ لَفْظًا: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ  
رُوَاتِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَمِثَالُ ذَلِكَ:

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) أَنَّهُ قَالَ: « إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ﴾. الحديث « (مسلم: ٢).

٢ - الحديث المتواتر معنى: وهو الحديث الذي اتفقت عليه جماعة رواته من الصحابة رضي الله عنهم معنى لا لفظاً، أي: اتفقوا جميعاً على معنى كلي، وانفردت كل رواية من رواياتهم له باللفظ الخاص بها، ومثال ذلك:

• عَنْ ( أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ) قَالَتْ:

« قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظَرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَنِي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٦٥٩٣ ). ( وَالرُّجُوعُ عَلَى الْعَقَبِ: هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى. )

• قَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ): « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

﴿ لَأَدُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُدَادُ الْغَرِيبَةَ مِنَ الْإِبِلِ ﴾

. الحديث « (مسلم: ٢٣٠٢).

وَإِنَّمَا يَقْتَضِي الْعِلْمُ بِالْحَدِيثِ الْمُتَوَاتِرِ:

- وَجُوبُ التَّصَدِيقِ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِيهِ إِنْ كَانَ حَبْرًا.

- طَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنْ كَانَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ أَمْرًا، أَوْ نَهْيًا.

٢- **الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ**: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ اثْنَيْنِ - أي: مِنْ ٣ إِلَى ٩ رُؤَاةٍ - مِنْ طَبَقَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم لَفْظًا أَوْ مَعْنَى، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَدَّ التَّوَاتُرِ.

### **مُلاحَظَةٌ:**

إِنَّ الْحَدِيثَ الْمَشْهُورَ لَيْسَ - أَبَدًا - بِذَلِكَ الَّذِي قَدْ اشْتَهَرَ عَلَى أَسْنَةِ النَّاسِ مِنَ الرَّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، أَوْ الْمَكْذُوبَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

٣- **الْحَدِيثُ الْعَرِيزُ**: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ رَاوِيَانِ اثْنَانِ مِنْ طَبَقَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم لَفْظًا أَوْ مَعْنَى، بِشَرْطِ الْأَيْقَلِّ عَدَدُ رُؤَاةِهِ عَنِ اثْنَيْنِ مِنْ طَبَقَةِ التَّابِعِينَ.

وَأَمَّا سَمِيَّ عَرِيزًا لِأَنَّهُ قَوِيٌّ بِمَجِيئِهِ مِنْ طَرِيقَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا تَحَقَّقَتْ شُرُوطُ الصَّحَةِ فِي كِلَا الْإِسْنَادَيْنِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ:

• عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ الْمُقَلَّبِ بِالْأَعْرَجِ - عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه )  
« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ﴿ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ

حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ﴾. الحديث « ( البخاري: ١٤ ) .

• عَنْ قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ - عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) ، قَالَ:

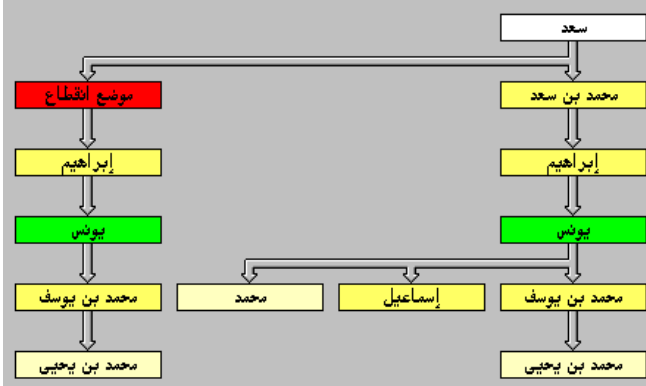
« قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ

وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾. الحديث « ( البخاري: ١٥ ) .

---

إِنَّ كُلَّ الرَّوَايَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - مَا عَدَا الْمُتَوَاتِرَ، وَالْمَشْهُورَ، وَالْعَرِيزَ مِنْهَا -  
إِنَّمَا تَفَرَّدَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رضي الله عنهم بِرِوَايَتِهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَوْ نُسِبَتْ إِلَى أَحَدِهِمْ  
رُؤْرًا وَبُهْتَانًا.

كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْغَرِيبَ مِنَ الْحَدِيثِ إِنَّمَا هُوَ الَّذِي تَفَرَّدَ بِرِوَايَتِهِ رَاوٍ وَاحِدٌ - أَي: لَا نَعْرِفُ ذَلِكَ الْحَدِيثَ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فِي كُلِّ رِوَايَاتِهِ - وَذَلِكَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْإِسْنَادِ وَقَعَ التَّفَرُّدُ بِهِ، وَحَصْرًا دُونَ طَبَقَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.



مِثَالُ الْحَدِيثِ الْغَرِيبِ، وَالرَّاوي هُوَ يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَقَ ( صَدُوقٌ يَهُمُ قَلِيلاً )

#### ٤- الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ اثْنَيْنِ:

##### ١- الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ لِدَاتِهِ:

وَهُوَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الَّذِي يَتَّصِلُ إِسْنَادُهُ - بِنَقْلِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ عَنِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ - إِلَى الصَّحَابِيِّ الرَّاوي عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَالِمًا مِنْ أَيِّ شُدُودٍ أَوْ عِلَّةٍ.

أَي: وَجَدَ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ شَرَائِطَ الصَّحَّةِ كُلِّهَا.

##### أَحْكَامُهُ:

١- يَنْبَغِي الْعَمَلُ بِكُلِّ مَا صَحَّ مِنَ الْحَدِيثِ، سِوَاءَ أَخْرَجَهُ أَمْ لَمْ يُخْرَجْهُ الشَّيْخَانِ - أَي: الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ - فِي صَحِيحَيْهِمَا.

٢ - يَنْبَغِي الْعَمَلُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ بَعْدَ حُصُولِ الْعِلْمِ بِهِ،  
إِلَّا أَنْ يَظْهَرَ شَيْءٌ مِنَ الْمَوَانِعِ، مِثْلُ: أَنْ يُنْسَخَ أَوْ يُعَارَضَ  
بِمَا هُوَ أَرْجَحُ مِنْهُ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

٣ - لَا يُعْتَبَرُ مِنَ الْعِلَلِ تَفَرُّدُ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْحَدِيثِ.

٤ - لَيْسَ كُلُّ حَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا إِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ  
صَحِيحٌ يُحْتَجُّ بِهِ - كَمَا يَزْعَمُ بَعْضُ مِنَ الْعَوَامِّ - وَالِدَلِيلُ عَلَى  
ذَلِكَ، مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - الْمَلْقَبُ بِإِبْنِ رَاهُويَةَ - قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ  
ابْنِ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ:

أَنَّ النَّبِيَّ وَمُعَاذَ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ،  
قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ  
إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْبِرُ بِهِ  
النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إِذَنْ يَتَّكِلُوا، وَأَخْبِرَ بِهَا مُعَاذٌ  
عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٨)، وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٢)، مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ  
ابْنِ مَنْصُورِ بْنِ بَهْرَامٍ. وَيَلَاحِظُ أَنَّهُ فِي كِلَا الْإِسْنَادَيْنِ رَاوٍ  
- صَدُوقٌ رَبَّمَا وَهَمَ - هُوَ مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، فَلَا يُحْتَجُّ بِالْحَدِيثِ.

وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ هُوَ:

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْنَرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ  
أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ:

« نَكَرَ لِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ:

﴿ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾ قَالَ: أَلَا أُبَشِّرُ  
النَّاسَ؟ قَالَ: ﴿ لَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَكَلَّبُوا - أَي: أَنْ يَسْتَكْفُوا  
بِمَا فَهَمُوا! وَأَكْتَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي قَلَّةِ الْفِطْنَةِ إِلَى الْمُرَادِ  
بِلَفْظِ الْحَدِيثِ - ﴾. الحديث « (البخاري: ١٢٩).

فَاعْلَمْ أَنَّ نُطْقَ الشَّهَادَتَيْنِ - فِي الرَّوَايَةِ الْأُولَى - لَيْسَ إِلَّا قَوْلًا  
لَنْ يُصَدَّقَ إِلَّا بَبَيِّنَةِ الْعَمَلِ، أَي: هُوَ قَوْلٌ مُسْتَدْرِكٌ حِينَ الْمَوْتِ،  
لَا حَاجَةَ لِجَاهِلٍ بِهِ؛ إِذْ أَنَّ الْأَعْمَالَ قَدْ انْقَضَى زَمَانُهَا.

وَأَمَّا لِقَاءُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا  
- كَمَا جَاءَ فِي الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ - فَهُوَ فِعْلٌ وَمَنْهَجٌ حَيَاةً،  
لَا تَمْتَمَةٌ كَلَامٍ وَفَتْ الْفِرَاقِ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْفَرْقَ - بِلَا رَيْبٍ - عَظِيمٌ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ: كَمَا الْفَرْقُ  
بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ!

﴿ وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ  
الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْعَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ  
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء).



## ٢ - الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ لغيره:

وَهُوَ الْحَدِيثُ الْحَسَنُ لِدَاتِهِ إِذَا تَعَدَّدَتْ طُرُقُ رِوَايَتِهِ، أَيْ:  
إِذَا اجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْ إِسْنَادٍ لِلْحَدِيثِ الْحَسَنِ لِدَاتِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَدْرِكُ  
مَا فَاتَهُ مِنْ تَمَامِ الضَّبْطِ؛ وَبِذَلِكَ يَرْتَقِي إِلَى مَرْتَبَةِ الصَّحِيحِ لغيره.

أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُحْتَجُّ إِلَّا بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي يَرُويهَا الرَّاوي الْعَدْلُ الضَّابِطُ - الْمَوْثُوقُ  
بِإِتْقَانِهِ، وَضَبْطُهُ - عَنْ مِثْلِهِ مِنَ الْعُدُولِ الضَّابِطِينَ، إِلَى الصَّحَابِيِّ الرَّاوي  
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

شَرِيطَةٌ أَنْ تُوَافِقَ رِوَايَةَ ذَلِكَ الرَّاوي صَرِيحَ كِتَابِ اللَّهِ وَهَدْيِ رَسُولِهِ ﷺ،  
وَأَلَّا يَأْخُذَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ. كَذَلِكَ، لَا يُحْتَجُّ بِأَيِّ خَبَرٍ افْتَرَاهُ  
أَوْ دَلَّسَهُ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ.

## ٥ - الْحَدِيثُ الْحَسَنُ: وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ اثْنَيْنِ:

### ١ - الْحَدِيثُ الْحَسَنُ لِدَاتِهِ:

وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي اتَّصَلَ إِسْنَادُهُ - مِنْ غَيْرِ شُدُودٍ، وَلَا عِلَّةٍ - لَكِنْ  
مِنْ طَرِيقِ رَاوٍ عَدْلٍ خَفِيفِ الضَّبْطِ، أَيْ: لَمْ يَنْبَغِ دَرَجَةُ أَهْلِ الْحِفْظِ  
وَإِلْتِقَانِ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

### ٢ - الْحَدِيثُ الْحَسَنُ لغيره:

وَهُوَ الْحَدِيثُ الضَّعِيفُ إِذَا تَعَدَّدَتْ طُرُقُ رِوَايَتِهِ - بِحَيْثُ يَجْبُرُ  
بَعْضُهَا بَعْضًا - فَيُقَوِّي ذَلِكَ التَّعَدُّدُ الْحَدِيثَ، وَيَشْهَدُ لَهُ.

وَيَرْتَقِي الضَّعِيفُ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْحَسَنِ لغيره كُلِّ حَدِيثٍ:

١ - كَانَ أَحَدُ رِجَالِ إِسْنَادِهِ مَسْتَوْرًا، كَثِيرَ الْخَطَا، غَيْرَ مُعَقَّلٍ.

( وَالْمَسْتَوْرُ مِنَ الرَّجَالِ: هُوَ مَنْ عُرِفَتْ عَدَالَتُهُ ظَاهِرًا، لَا بَاطِنًا. )

٢ - كَانَ أَحَدُ رِجَالِ إِسْنَادِهِ يَتَّصِفُ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، إِلَّا أَنَّهُ سَيِّءُ الْحِفْظِ، أَوْ يَهْمُ، أَوْ يُخْطِئُ، أَوْ يَخْتَلِطُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

٣ - كَانَ إِسْنَادُهُ مُنْقَطِعًا، أَوْ مُرْسَلًا.

٤ - كَانَ أَحَدُ رِجَالِ إِسْنَادِهِ مُدَلِّسًا لَكِنْ رَوَى بِالْعِنْعَنَةِ.

٥ - لَيْسَ فِي رِجَالِ إِسْنَادِهِ مُتَّهَمٌ بِالْكَذِبِ أَوْ كَذَابٍ.

وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

١ - عَدَمُ الشُّذُوزِ فِي الْحَدِيثِ.

٢ - تَعَدُّدُ الْأَسَانِيدِ، أَي طُرُقِ رِوَايَةِ مَثْنِ الْحَدِيثِ.

---

الْحَدِيثُ الْحَسَنُ الصَّحِيحُ: هُوَ كُلُّ حَدِيثٍ لَهُ إِسْنَادَانِ، حَيْثُ يَكُونُ حَسَنًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَحَدِهِمَا، وَصَحِيحًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ.

---

## ٦ - الْحَدِيثُ الضَّعِيفُ:

وَيُسَمَّى حَدِيثًا - عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ - ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْخَبَرِ الْمَوْضُوعِ مِنْهُ إِلَى مَرْتَبَةِ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَالضَّعِيفُ مِنَ الْحَدِيثِ - عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ - هُوَ:

كُلُّ خَبَرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ اخْتَلَّ فِيهِ شَرْطٌ فَأَكْثَرَ مِنْ شُرُوطِ الصَّحَّةِ، وَلَمْ تَتَّعَدَّ طُرُقَ رِوَايَتِهِ.

## مَطَانُ الْحَدِيثِ الضَّعِيفِ:

وَعَالِباً مَا يُظَنُّ الضَّعْفُ فِي كُلِّ حَدِيثٍ انْفَرَدَ بِهِ:

العُقَيْلِيُّ. ابْنُ عَدِيٍّ. الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ. ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ.  
الدَّيْلَمِيُّ - نِسْبَةٌ إِلَى الدَّيْلَمِ: وَهُوَ الدَّاهِيَةُ النُّكْرُ - فِي ( مَسْنَدِ الفِرْدَوْسِ ).  
التِّرْمِذِيُّ الحَكِيمُ فِي ( نَوَادِرِ الْأُصُولِ )، وَإِنَّمَا هُوَ غَيْرُ التِّرْمِذِيِّ  
صَاحِبِ ( كِتَابِ السُّنَنِ ). الحَاكِمُ وَابْنُ الجَارُودِ فِي تَارِيخِيهِمَا.

المَطَانُ: وَاحِدَتُهَا مَطْنَةٌ - وَهِيَ مَفْعَلَةٌ مِنَ الظَّنِّ - أَي: المَوْضِعُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ  
الشَّيْءُ، وَهَهُنَا: ضَعْفُ الْحَدِيثِ.

وَيَنْقَسِمُ الْحَدِيثُ الضَّعِيفُ - عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ - مِنْ حَيْثُ فَقَدَ - أَي: غِيَابَ -  
شُرُوطِ الصَّحَّةِ، إِلَى أَقْسَامٍ عِدَّةٍ:

### ١ - فَقَدَ اتِّصَالَ السَّنَدِ:

١ - الْحَدِيثُ الْمُعَلَّقُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي حُدِفَ مِنْ ابْتِدَاءِ إِسْنَادِهِ  
وَاحِدٌ - أَوْ أَكْثَرُ - مِنْ رِجَالِهِ.

٢ - الْحَدِيثُ الْمُنْقَطِعُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي سَقَطَ مِنْ إِسْنَادِهِ وَاحِدٌ  
- أَوْ أَكْثَرُ - مِنْ رِجَالِهِ، شَرِيحَةٌ عَدَمِ التَّوَالِي.

٣ - الْحَدِيثُ الْمُعْضِلُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي سَقَطَ مِنْ وَسَطِ إِسْنَادِهِ  
اِثْنَانٌ - أَوْ أَكْثَرُ - عَلَى التَّوَالِي.

٤ - الْحَدِيثُ الْمُرْسَلُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي سَقَطَ مِنْ آخِرِ إِسْنَادِهِ ذِكْرُ  
مَنْ بَعْدَ التَّابِعِيِّ، أَي: مِنْ طَرَفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

مُلاحَظَةٌ: لَا يُحْتَجُّ بِالْمُرْسَلِ مِنَ الْحَدِيثِ، أَبَدًا.

٥ - الْحَدِيثُ الْمُدَّلَسُ: وَالتَّدْلِيسُ هُوَ الْعِشُّ وَالْخَدِيعَةُ.

وَأَنْوَاعُ تَدْلِيسِ الْحَدِيثِ ثَلَاثَةٌ:

١ - تَدْلِيسُ الشُّيُوخِ:

وَهُوَ أَنْ يُعْرَفَ الْمُدَّلَسُ شَيْخَهُ - الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ -  
بِمَا لَا يُعْرَفُ بِهِ مِنْ اسْمٍ، أَوْ كُنْيَةٍ، أَوْ نَسَبٍ، أَوْ بَلَدٍ،  
أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

٢ - تَدْلِيسُ الْإِسْنَادِ:

وَهُوَ مَكْرُوهٌ جِدًّا، وَذَمَّةُ الْكَثِيرِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ.

حَيْثُ يُدَّلَسُ الْمُدَّلَسُ فِيهِ عَلَى مَنْ عَاصَرَهُ وَلَقِيَهُ  
مِنَ الشُّيُوخِ، فَيُحَدِّثُ عَنْهُمْ بِمَا لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْهُمْ.

وَيَكُونُ ذَلِكَ بَأَنْ يَأْتِيَ الْمُدَّلَسُ بِلَفْظٍ لَا يَفْتَضِي تَصْرِيحًا  
بِالسَّمَاعِ، مِثْلُ: عَنْ فُلَانٍ، أَوْ أَنَّ فُلَانًا قَالَ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ،  
أَي: الْعَنْعَنَةَ أَوْ الْأَنَانَةَ.

فَإِذَا لَمْ يُصَرِّحِ الْمُدَّلَسُ بِالسَّمَاعِ فَإِنَّ حُكْمَ مَا رَوَاهُ مِنْ  
الْحَدِيثِ، مِثْلُ: حُكْمِ الْمُرْسَلِ، أَي: مَرْدُودٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ.

لِذَلِكَ، مَنْ كَانَ يَحْتَجُّ بِالْمُرْسَلِ مِنَ الْحَدِيثِ، فَهُوَ  
- بِلَا رَيْبٍ - مِنَ الَّذِينَ يَقْبَلُونَ بِالتَّدْلِيسِ.

الْحَدِيثُ الْمَعْنَعُنُ: وَالْعَنْعَنَةُ مَاخُودَةٌ مِنْ كَلِمَةِ (عَنْ).

وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي رُوِيَ بِصِيغَةِ (عَنْ)، كَأَنَّ يَقُولُ الرَّاوي:

- عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عَمَرَ رضي الله عنه.

- حَدَّثَنِي فُلَانٌ، عَنْ فُلَانٍ، عَنْ فُلَانٍ.

الْحَدِيثُ الْمُؤَنَّنُ: وَهُوَ مَا رُوِيَ مِنَ الْحَدِيثِ بِصِيغَةِ (أَنَّ)،

كَأَنَّ يَقُولُ الرَّاوي: حَدَّثَنِي فُلَانٌ أَنَّ فُلَانًا قَالَ، إِنَّ فُلَانًا قَالَ،..إلخ.

مُلاحَظَةٌ: إِنَّ حُكْمَ الْحَدِيثِ الْمَعْنَعُنِ أَوْ الْمُؤَنَّنِ إِنَّمَا هُوَ الْاِتِّصَالُ،

إِلَّا إِذَا كَانَ الرَّاوي - لِدَلِّكَ الْحَدِيثِ - مُدَلِّسًا.

### ٣ - تَدْلِيسُ التَّسْوِيَةِ:

وَإِنَّمَا هُوَ شَرُّ أَنْوَاعِ التَّدْلِيسِ، عَلَى الْإِطْلَاقِ.

حَيْثُ يُسْقِطُ الْمُدَلِّسُ - مِنْ سِلْسِلَةِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ -

كُلَّ مَنْ كَانَ ضَعِيفًا مِنْ رِجَالِ إِسْنَادِهِ، أَي: يُسَوِّي الْإِسْنَادَ

كُلَّهُ مِنَ الثَّقَاتِ.

### ٢ - الْجَرْحُ وَفَقْدُ الْعَدَالَةِ:

١ - الْحَدِيثُ الْمَثْرُوكُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي اتَّهَمَ رَجُلٌ وَاحِدًا

- أَوْ أَكْثَرَ - مِنْ رِجَالِ إِسْنَادِهِ بِالْكَذِبِ، أَوْ كَانَ مِنْ

الْمَجْرُوحِينَ فِي دِينِهِ.

٢ - الْحَدِيثُ الْمُنْكَرُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي تَقَرَّدَ بِهِ رَاوٍ ضَعِيفٌ

- فَلَا يُعْرَفُ مَتْنُ الْحَدِيثِ عَنْ غَيْرِهِ - أَوْ كَانَ ذَلِكَ الْمَتْنُ مُخَالَفًا

لِمَا رَوَاهُ الثَّقَاتُ.

٣ - الْحَدِيثُ الْمَطْرُوحُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي طُرِحَ بَعْدَ أَنْ غَلَبَ عَلَى الظَّنِّ كَذِبُ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا حَاجَةَ لِأَحَدٍ فِيهِ.

٤ - الْحَدِيثُ الْمُضَعَّفُ: وَمِمَّا يُضَعَّفُ رِوَايَةَ الشَّيْخِ لِلْحَدِيثِ - غَالِبًا - أَنْ يَرَوِي ذَلِكَ الشَّيْخُ شَيْئًا حِينَ اخْتِلَاطِهِ.

فَيَلْتَبِسُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، فَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَنْ رَوَى عَنْهُ قَبْلَ الْاِخْتِلَاطِ وَبَيْنَ مَنْ رَوَى عَنْهُ بَعْدَهُ.

---

الِاخْتِلَاطُ: حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ تَطْرَأُ عَلَى الْمَرْءِ - لِأَسْبَابٍ وَعَوَارِضَ عَصَبِيَّةٍ - فَتَوَثَّرَ فِي عَقْلِهِ، وَحَفِظَهُ.

---

٥ - الْحَدِيثُ الْمُبْهَمُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي لَا يُسَمَّى الرَّاوي فِيهِ، وَذَلِكَ اخْتِصَارًا مِنَ الرَّاوي عَنْهُ.

كَأَن يَقُولُ الشَّيْخُ مَثَلًا: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ، أَوْ فَلَانٌ، أَوْ ابْنُ فَلَانٍ، أَوْ شَيْخٌ، أَوْ بَعْضُهُمْ.

وَعَالِبًا، مَا يُسْتَدَلُّ عَلَى اسْمِ ذَلِكَ الْمُبْهَمِ - فِي إِسْنَادٍ مُعَيَّنٍ - بِوُرُودِهِ مُسَمًّى مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى.

٣ - فَقْدُ الضَّبْطِ:

١ - الْحَدِيثُ الْمُدْرَجُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الْمَشْتُوبُ، الَّذِي:

- إِمَّا خَالَطَهُ نَفْصٌ أَوْ عَيْبٌ فِي سِيَاقِ اللَّفْظِ، مِمَّا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَبَدًا.

- أَوْ وَقَعَ فِي سِيَاقِ إِسْنَادِهِ تَغْيِيرٌ، فَصَارَ ذَلِكَ الْإِسْنَادُ ضَعِيفًا.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ كَشْفَ الْإِدْرَاجِ إِنَّمَا يُنْقِي حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
مِنْ أَغَالِيطِ الرُّوَاةِ.

وَالْمُدْرَجُ مِنَ الْحَدِيثِ عَلَى نَوْعَيْنِ:

## ١ - الْحَدِيثُ مُدْرَجٌ الْمَتْنِ:

وَيَكُونُ إِدْرَاجُ الْمَتْنِ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ:

١ - أَنْ يُدْخَلَ الرَّاوي فِي مَتْنِ أَحَدِ الْأَحَادِيثِ مَا لَا يُمَكِّنُ  
إِضَافَتَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أِبْدَاءً.

٢ - أَنْ يُدْرَجَ كَلَاماً مِنْ عِنْدِهِ: إِمَّا تَفْسِيْراً لِقَوْلِ،  
أَوْ اسْتِنْبَاطاً لِحُكْمٍ، أَوْ نَحْوَهُ، دُونَ أَنْ يُبَيِّنَ ذَلِكَ.

٣ - أَنْ يَدْمِجَ مَوْفُوقاً مِنْ كَلَامِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - أَوْ مَنْ  
بَعْدَهُمْ - بِمَرْفُوعٍ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
وَهُوَ أَسْوَأُ الْإِدْرَاجِ سُوءاً.

## ٢ - الْحَدِيثُ مُدْرَجٌ الْإِسْنَادِ:

وَيَكُونُ إِدْرَاجُ الْإِسْنَادِ عَلَى طَرِيقَتَيْنِ:

١ - أَنْ يَرْوِيَ الرَّاوي حَدِيثاً تَعَدَّدَتْ طُرُقُ رِوَايَتِهِ،  
فِيَجْمَعُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى إِسْنَادٍ وَاحِدٍ، دُونَ أَنْ  
يُبَيِّنَ الْاِخْتِلَافَ فِيْمَا بَيْنَهَا.

٢ - أَنْ يُدْخَلَ الرَّاوي فِي مَتْنِ أَحَدِ الْأَحَادِيثِ طَرَفاً  
- أَي: جُمْلَةً - أَوْ بَعْضاً مِنْ مَتْنِ حَدِيثٍ آخَرَ مَرْوِيٍّ  
بِإِسْنَادٍ مَخْتَلَفٍ.

## ٢ - الْحَدِيثُ الْمَقْلُوبُ:

وَيَكُونُ الْقَلْبُ فِي الْحَدِيثِ:

- إِمَّا عَمْدًا مِنْ فِعْلِ الْوَضَاعِينِ.

- أَوْ سَهْوًا مِنْ غَلَطِ الرُّوَاةِ.

وَهُوَ عَلَى وُجُوهِ أَرْبَعَةٍ:

١ - أَنْ تُقَلَّبَ أَسْمَاءُ رِجَالِ الْإِسْنَادِ، مِثْلُ: مَرَّةً بِنِ كَعْبِ، وَكَعْبِ بِنِ مَرَّةً.

٢ - أَنْ يُجْعَلَ رَاوٍ مَكَانَ رَاوٍ آخَرَ مِنْ طَبَقَةِ الرُّوَاةِ نَفْسِهَا، مِثْلُ: سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَنَافِعِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي الْأَخْبَارِ الْمَوْضُوعَةِ.

٣ - أَنْ يُؤْخَذَ إِسْنَادٌ مَتْنٍ فَيُجْعَلَ عَلَى مَتْنٍ آخَرَ، أَوْ يُؤْخَذَ مَتْنٌ ذَاكَ فَيُجْعَلَ بِإِسْنَادٍ ذَلِكِ.

٤ - أَنْ يَقَعَ الْقَلْبُ فِي الْمَتْنِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ:

مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه - عِنْدَ مُسْلِمٍ - فِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظَلِّهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي ظِلِّهِ:

" وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ

مَا تَنْفِقُ شِمَالُهُ." (مسلم: ١٠٣١). وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ، هُوَ: ﴿ حَتَّى

لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تَنْفِقُ يَمِينُهُ ﴾ (البخاري: ١٤٢٣).



عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) « عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

﴿ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ،  
وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ،  
وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ  
امْرَأَةٌ دَاتٌ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ  
بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ  
خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ﴾. الحديث ( البخاري: ١٤٢٣ ).

### ٣ - الْحَدِيثُ الْمُضْطَرَبُ:

وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الرَّاوي نَفْسُهُ، أَوْ رَاوِيَانِ فَأَكْثَرُ،  
- وَحَصْرًا دُونَ طَبَقَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم - عَلَى وُجُوهِ مُخْتَلِفَةٍ.

وَقَدْ يَقَعُ الاختِلَافُ تَارَةً فِي أَلْفَاظِ الْمَتْنِ، وَتَارَةً فِي الإِسْنَادِ.  
وَالاضْطِرَابُ فِي الإِسْنَادِ لَهُ أَنْوَاعٌ عِدَّةٌ:

١ - أَنْ يَكُونَ السَّنَدُ مُتَّصِلًا فِي إِحْدَى الرُّوَايَاتِ، وَمُرْسَلًا  
فِي الأُخْرَى.

٢ - أَنْ يَكُونَ السَّنَدُ مَوْقُوفًا فِي إِحْدَاهَا، وَمَرْفُوعًا فِي أُخْرَى.

٣ - أَنْ يَكُونَ السَّنَدُ مُتَّصِلًا فِي إِحْدَاهَا، وَمُنْقَطِعًا فِي أُخْرَى.

٤ - أَنْ يَرْوِيَ أَحَدُ رِجَالِ الإِسْنَادِ - مِنْ الطَّبَقَاتِ الْمُتَأَخَّرَةِ -  
حَدِيثًا عَنِ الصَّحَابِيِّ نَفْسِهِ وَمِنْ طَرِيقِ تَابِعِيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ.

٥ - أَنْ يَقَعَ الاختِلافُ بزيادةِ رَجُلٍ فِي أَحَدِ الأسانيدِ.

٦ - أَنْ يَقَعَ الاختِلافُ فِي اسمِ الرَّاويِ، وَنَسَبِهِ؛ أَوْ أَنْ يَجِيءَ وَصْفُ ذَلِكَ الرَّاويِ تارةً بالثِّقَةِ، وَأخرى بالضعيفِ.

٤ - الحديثُ المصحَّفُ:

وَهُوَ الحديثُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ تَغْيِيرٌ لَتَنْقِيطِ الحُرُوفِ، مَعَ بقاءِ صُورَةِ الحَظِّ فِي السِّيَاقِ، مِثْلُ: اللِّينِ وَاللَّبَنِ.

٥ - الحديثُ المُحرَّفُ:

وَهُوَ الحديثُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ تَغْيِيرٌ لِحَرْفٍ - أَوْ أَكْثَرَ - مَعَ بقاءِ صُورَةِ الحَظِّ فِي السِّيَاقِ، مِثْلُ:

ضَاءٌ مِنَ الضِّيَاءِ، وَضَاعٌ مِنَ الضِّيَاعِ - كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَوْلَيْكَ الضَّالُّونَ مِنَ اليَهُودِ، فَيُعَيِّرُونَ مَعانِيَ التَّورَةِ بالأشْباهِ - وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي المِثْونِ - وَأحياناً - فِي أسماءِ رِجالِ الإسنادِ.

٤ - فَقْدُ السَّلَامَةِ مِنَ الشُّدُودِ:

الحديثُ الشَّادُّ: وَهُوَ الحديثُ الَّذِي يُخالفُ فِيهِ الرَّاويِ الثِّقَةُ رِوايَةً مَنْ كَانَ أَرْجَحَ مِنْهُ عَدالَةً، أَوْ ضَبْطاً، أَوْ مُلَازِمَةً للمروِيِّ عَنْهُ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ؛ فَلَا تَرَجِّحُ رِوايَةَ ذَلِكَ الرَّاويِ - وَلَا يُؤخَذُ بِهَا - وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ العَدالَةِ وَالضَّبْطِ.

## ٥ - فَقَدْ السَّلَامَةُ مِنَ الْعَلَّةِ:

الْحَدِيثُ الْمَغُولُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي ظَاهِرُهُ صِحَّةٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَمَّمُ لَهُ بِهَا؛ ذَلِكَ بَأَنَّ فِيهِ عِلَّةٌ خَفِيَّةٌ قَادِحَةٌ، مِثْلُ:

- أَنْ يُتَبَيَّنَ بَعْدَ الْبَحْثِ فِي الْحَدِيثِ بَأَنَّهُ مَنْقُوعٌ، أَوْ مَوْقُوفٌ.

- أَنَّ الرَّاويَ فَاسِقٌ، أَوْ سَيِّئُ الْحِفْظِ، أَوْ يَهُمُّ، أَوْ يُخْطِئُ، أَوْ يَخْتَلِطُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، أَوْ مُبْتَدِعٌ، أَوْ رَمِيَ بِاتِّبَاعِ أَحَدِ الْمَذَاهِبِ الْأُخْرَى.

- أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، مِنْ الْعِلَلِ الَّتِي تَعِيبُ صِحَّةَ الْحَدِيثِ.



## الْحَدِيثُ الْمَقْبُولُ

١ - الْحَدِيثُ الْمُتَوَاتِرُ، أَوْ الْمَشْهُورُ، أَوْ الْعَزِيزُ.

٢ - كُلُّ حَدِيثٍ صَحِيحٍ أَوْ حَسَنٍ، مَا لَمْ يُنْسَخْ أَوْ يُعَارِضْ بِمَا هُوَ أَرْجَحُ مِنْهُ، أَي: إِنَّ شَرْطِي قَبُولِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - الَّذِي نُسِبَتْ رِوَايَتُهُ إِلَى أَحَدِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رضي الله عنهم - فَيَرْتَقِي بِهِمَا إِلَى مَرْتَبَةِ الْحَدِيثِ، هُنَا:

١ - أَنْ يُحَقَّقَ ذَلِكَ الْخَبَرُ شَرَايِطَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَوْ الْحَسَنِ كُلِّهَا.

٢ - أَلَّا يُنْسَخَ أَوْ يُعَارِضَ ذَلِكَ الْحَدِيثُ بِمَا هُوَ أَرْجَحُ مِنْهُ: مِنْ حَيْثُ الثَّقَّةُ أَوْ عَدَمُهَا، فِي سِلْسِلَةِ رِوَايَتِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.



## أَفْسَامُ الْحَدِيثِ

### ١- الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ، أَوِ الرَّبَّانِيُّ، أَوِ الْإِلَهِيُّ:

وَهُوَ حَدِيثٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى عَنِ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ، وَأَمَّا اللَّفْظُ فَهُوَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَي:

مَا أَوْحَى بِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ بِالْإِلْهَامِ أَوْ الْمَنَامِ، وَذَلِكَ دُونَ أَنْ يُنَزَّلَ سُبْحَانَهُ الْوَحْيَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَلْبِهِ ﷺ.

وَيَنْقَسِمُ الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ - مِنْ حَيْثُ الْاِحْتِجَاجَ بِهِ - إِلَى صَحِيحٍ، وَحَسَنٍ، وَضَعِيفٍ، وَمَوْضُوعٍ.

وَتَأْتِي مَرْتَبَةُ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ بَيْنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ:

- فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ يُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ لَفْظًا، وَمَعْنَى.

- وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ يُنْسَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَفْظًا، وَمَعْنَى.

- وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ فَهُوَ يُنْسَبُ إِلَى الذَّاتِ الْقُدْسِيَّةِ، أَي:

إِلَى اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ مَعْنَى، لَا لَفْظًا.

لِذَلِكَ فَإِنَّ الْحَدِيثَ الْقُدْسِيَّ:

١ - لَا يُعْبَدُ بِتِلَاوَةِ لَفْظِهِ.

٢ - لَا يُقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ.

٣ - لَمْ يُنْقَلْ بِالتَّوَاتُرِ، كَمَا نُقِلَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.

## صِيغُ رَوَايَةِ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ:

١ - قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ، أَوْ يَحْكِيهِ عَنِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ.

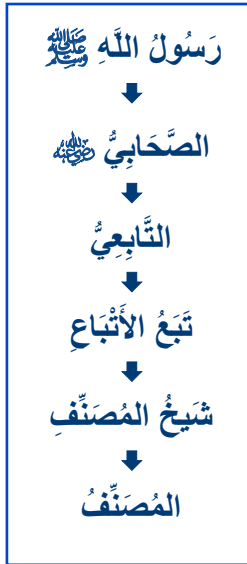
٢ - قال اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

## ٢- الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ:

وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي نَسَبَهُ الصَّحَابِيُّ ﷺ، أَوِ التَّابِعِيُّ، أَوْ مَنْ بَعْدَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - **خَاصَّةً** - مِنْ قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَقْرِيرٍ.

وَذَلِكَ، سِوَاءَ أَكَانَ إِسْنَادُهُ مُتَّصِلًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ - أَي: الْحَدِيثُ الْمُعَلَّقُ، أَوِ الْمُنْقَطِعُ، أَوِ الْمُعْضِلُ، أَوِ الْمُرْسَلُ، أَوِ الْمُدْنَسُ.

وَلَا يُحْتَجُّ وَلَا يُعْمَلُ بِالْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ إِلَّا إِذَا تَوَافَرَتْ جَمِيعُ شُرُوطِ الصَّحَّةِ وَالْقَبُولِ فِيهِ.



الإِسْنَادُ الْمُتَّصِلُ

وَأَمَّا رَفْعُ الْحَدِيثِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ اثْنَيْنِ:

١ - رَفْعُ تَصْرِيحِيٍّ: وَهُوَ الَّذِي يُنْسَبُ فِيهِ الْقَوْلُ، أَوْ الْفِعْلُ، أَوْ التَّفْهِيمُ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صِرَاحَةً.

١ - مِثَالُ الْمَرْفُوعِ مِنَ الْقَوْلِ تَصْرِيحًا:

أَنْ يَقُولَ الصَّحَابِيُّ ﷺ:

١ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ كَذَا.

٢ - حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا.

٣ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَا.

٤ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ كَذَا.

٢ - مِثَالُ الْمَرْفُوعِ مِنَ الْفِعْلِ تَصْرِيحًا:

أَنْ يَقُولَ الصَّحَابِيُّ ﷺ:

١ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَ كَذَا.

٢ - كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ كَذَا.

٣ - مِثَالُ الْمَرْفُوعِ مِنَ التَّفْهِيمِ تَصْرِيحًا:

أَنْ يَقُولَ الصَّحَابِيُّ ﷺ:

١ - كُنَّا نَفْعَلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَذَا.

٢ - فَعَلَ كَذَا بَحْضَرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَذْكَرُ إِنكَارَهُ ﷺ

لِذَلِكَ الْفِعْلِ. ( وَالْإِنْكَارُ: تَغْيِيرُ الْمُنْكَرِ مِنَ الْفِعْلِ. )

٢ - رَفَعُ حُكْمِي: وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُصَفْ فِيهِ الْقَوْلُ أَوْ الْفِعْلُ أَوْ التَّفْهِيمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صِرَاحَةً، فَلَا يُقَالُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَوْ فَعَلَ، أَوْ فَعِلَ بِحَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ.

١ - مِثَالُ الْمَرْفُوعِ مِنَ الْقَوْلِ حُكْمًا:

أَنْ يَقُولَ الصَّحَابِيُّ ﷺ قَوْلًا لَا يُقَالُ مِنْ وَجْهِ الرَّأْيِ، أَوْ الاجْتِهَادِ؛ أَوْ مِنْ قِبَلِ بَيَانِ لُغَةٍ، أَوْ شَرَحِ غَرِيبٍ. وَمِثَالُ ذَلِكَ:

١ - الإخْبَارُ عَمَّا مَضَى، مِثْلُ:

بَدَأَ الْخَلْقَ، وَأَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ..إِخ.

٢ - الإخْبَارُ عَمَّا سَوْفَ يَأْتِي، مِثْلُ: الْمَلَّاحِمِ، وَالْفِتَنِ، وَأَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٣ - كُلُّ فِعْلٍ يَسْتَوْجِبُ ثَوَابًا، أَوْ عِقَابًا، مَخْصُوصِينَ.

٢ - مِثَالُ الْمَرْفُوعِ مِنَ الْفِعْلِ حُكْمًا:

أَنْ يَفْعَلَ الصَّحَابِيُّ فِعْلًا لَا مَجَالَ لِاجْتِهَادِ الصَّحَابِيِّ فِيهِ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

كَمَا فَعَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ: إِذْ صَلَّى أَكْثَرَ مِنْ رُكُوعَيْنِ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ.

### ٣ - مَثَلُ الْمَرْفُوعِ مِنَ التَّفْصِيرِ حُكْمًا:

أَنْ يُخْبَرَ الصَّحَابِيُّ ﷺ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ كَذَا - فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَيَسْتَمِرُّونَ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ الْفِعْلِ دُونَ أَنْ يُنْكِرَهُ ﷺ، أَوْ يَمْنَعَهُ نَزُولَ الرُّوحِ الْأَمِينِ جِبْرِيلَ ﷺ بِحُكْمٍ مِنَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ.

٣- الْحَدِيثُ الْمَوْقُوفُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي انْتَهَى إِلَى الصَّحَابِيِّ ﷺ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَي: مَا أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الصَّحَابِيِّ ﷺ مِنْ اجْتِهَادَاتٍ، وَأَقْوَالٍ، وَأَفْعَالٍ - سِوَاءَ أَكَانَ إِسْنَادُهُ مُتَّصِلًا، أَمْ لَا.

وَلَا يُحْتَجُّ بِالْمَوْقُوفِ مِنَ الْحَدِيثِ - أَبَدًا - إِلَّا إِنْ وُجِدَتْ قَرِينَةٌ تُلْحِقُهُ بِالْمَرْفُوعِ، حَيْثُ يَصِيرُ إِلَى حُكْمِهِ.

### مَثَلُ الْمَوْقُوفِ الْقَوْلِيِّ:

قَالَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ كَذَا، أَوْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ كَذَا.

### مَثَلُ الْمَوْقُوفِ الْفِعْلِيِّ:

صَلَّى ابْنُ عُمَرَ ﷺ عَلَى التَّلْحِجِّ، وَغَيْرِهِ.

٤- الْحَدِيثُ الْمَقْطُوعُ: وَهُوَ مَا أُضِيفَ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ إِلَى التَّابِعِيِّ، فَمَنْ دُونَهُ؛ وَذَلِكَ أَيًّا كَانَتْ طَبَقَتُهُمْ، وَسِوَاءَ أَكَانَ إِسْنَادُهُ مُتَّصِلًا، أَمْ لَا.

وَلَا يُحْتَجُّ بِالْمَقْطُوعِ مِنَ الْحَدِيثِ - أَبَدًا - ذَلِكَ بِأَنَّهُ مِنَ اجْتِهَادَاتِ، وَأَقْوَالِ، وَأَفْعَالِ التَّابِعِينَ، فَمَنْ دُونَهُمْ.



وَمِثَالُ الْمَقْطُوعِ: قَوْلُ مُجَاهِدٍ إِذَا وَدَعَ أَصْحَابَهُ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَأَنْشُرُوا  
هَذَا الْعِلْمَ، وَعَلِّمُوهُ، وَلَا تَكْتُمُوهُ. ( وَمُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ الْمَكِّيُّ: ثِقَةٌ. وَإِمَامٌ  
فِي التَّفْسِيرِ، وَالْعِلْمِ. )



### الْخَبْرُ الْمَوْضُوعُ

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١٧٥) (النحل)

وَالْمَوْضُوعُ مِنَ الْوَضِيعِ، أَي: الْمُنْحَطُّ مَرْتَبَةً وَالسَّاقِطُ.

لِذَلِكَ، يَنْبَغِي أَلَّا يُطْلَقَ لَفْظُ ( حَدِيثٍ ) عَلَى الْمَوْضُوعِ مِنَ الْأَخْبَارِ - أَبَدًا -  
إِلَّا سَهْوًا أَوْ جَهْلًا بِهِ.

وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِذَلِكَ الَّذِي افْتَرَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِمَنْ اتَّبَعَهُ  
مِنَ الْعَاوِينَ: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٤٣) (الحجر).

ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَوْضُوعَ مِنَ الْأَخْبَارِ لَيْسَ بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، أَبَدًا! وَإِنَّمَا هُوَ الْخَبْرُ  
الْمُخْتَلَقُ، الْمَصْنُوعُ، الْوَضِيعُ، السَّاقِطُ، الَّذِي ثَبَّتَ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ - أَوْ أَكْثَرَ -  
مِنْ رِجَالِ إِسْنَادِهِ أَنَّهُ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَاعْلَمْ، أَنَّمَا تَحْرُمُ رِوَايَةَ الْمَوْضُوعِ - عَلَى كُلِّ مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ - مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ  
بِأَنَّهُ مَوْضُوعٌ؛ وَذَلِكَ أَيًّا كَانَ الْقَصْدُ مِنَ الرَّوَايَةِ: سَوَاءً فِي الْحَلَالِ،  
أَمْ الْحَرَامِ، أَمْ التَّرْغِيبِ، أَمْ التَّرْهِيْبِ، أَمْ غَيْرِ ذَلِكَ.



١- إِقْرَارُ الْوَضَاعِ:

وَمِثَالُ ذَلِكَ: إِقْرَارُ الْوَضَاعِ أَبِي عِصْمَةَ - نُوحِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ - قَاضِي مَدِينَةِ مَرْوَ، بِوَضْعِ أَحَادِيثٍ فِي فَضَائِلِ السُّورِ.

٢- وُجُودُ قَرِينَةٍ دَالَّةٍ عَلَى كَذِبِ الرَّاوي:

كَأَنَّ يَرْوِي ذَلِكَ الْوَضَاعُ عَنْ شَيْخٍ قَدْ تُوْفِّيَ قَبْلَ مَوْلِدِهِ، أَوْ لَمْ يَلْقَهُ، أَوْ لَمْ يُعَاصِرْهُ.

كَمَا ادَّعَى الْوَضَاعُ مَأْمُونُ بْنُ أَحْمَدَ الْهَرَوِيَّ (١) بِأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ مِنْ هِشَامِ بْنِ عَمَارٍ (٢)، فَسَأَلَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٣): مَتَى دَخَلْتَ الشَّامَ؟ فَقَالَ: سَنَةَ ( ٢٥٠ هـ ). فَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: فَإِنَّ هِشَامًا - الَّذِي تَرَوِي عَنْهُ - مَاتَ سَنَةَ ( ٢٤٥ هـ ).

---

(١) مَأْمُونُ بْنُ أَحْمَدَ الْهَرَوِيُّ: كَذَّابٌ، دَجَّالٌ مِنَ الدَّجَالَةِ.

(٢) هِشَامُ بْنُ عَمَارٍ: رَاوٍ صَدُوقٌ، مِنْ طَبَقَةِ كِبَارِ تَبَعِ الْأَتْبَاعِ.

رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُ. وَأَقَامَ فِي الشَّامِ. وَتُوْفِّيَ سَنَةَ ( ٢٤٥ هـ ).

(٣) ابْنُ حِبَّانَ: وَهُوَ الْحَافِظُ أَبُو حَاتِمٍ، مُحَمَّدُ بْنُ حِبَّانَ، بْنِ أَحْمَدَ التَّمِيمِيِّ، الْبَسْتِيِّ. صَاحِبُ التَّنَاصِيْفِ. وَوَلِيَّ قِضَاءِ سَمَرْقَنْدَ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الدِّينِ. وَتُوْفِّيَ سَنَةَ ( ٣٥٤ هـ ).

---

٣- وُجُودُ قَرِينَةٍ فِي الْمَثْنِ دَالَّةٍ عَلَى الْوَضْعِ: كَأَنَّ يَكُونُ فِي حَدِيثِ الْوَضَاعِ لَحْنٌ فِي الْكَلَامِ، أَوْ رَكَائِكَةٌ فِي الْأَسْلُوبِ، أَوْ سَقُوطٌ فِي الْمَعْنَى.

وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا أَنْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (١٩٢١٩):

" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحَلِّقَ حَبِيبَتَهُ حَلْقَةً مِنْ نَارٍ، فَلْيُحَلِّقْهَا حَلْقَةً مِنْ ذَهَبٍ.  
وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسَوِّرَ حَبِيبَتَهُ سِوَاراً مِنْ نَارٍ، فَلْيُسَوِّرْهَا سِوَاراً  
مِنْ ذَهَبٍ. وَلَكِنَّ الْفِضَّةَ فَالْعَبُوا بِهَا لَعِباً. " !؟

وَهِيَ - بِلَا رَيْبٍ - رِوَايَةٌ يَنْبَغِي أَلَّا تُنْسَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
وَأِنَّمَا إِلَى أَصْحَابِ مَذْهَبِ الْقَائِلِ:

أَيُّ شَيْءٍ أَهْدِيهِ إِلَيْكَ فِي الْعِيدِ يَا مَلَائِكِي؟  
أَسِوَاراً؟  
لَا أَحِبُّ الْقَيْوَدَ فِي مِعْصَمِيكَ!

٤ - مُخَالَفَةُ الرِّوَايَةِ لِلْعَقْلِ، وَالْحَسِّ السَّلِيمِ، وَالْإِدْرَاكِ:

وَمِثَالُ ذَلِكَ:

رِوَايَةٌ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، بِنِ اسْمٍ: أَنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ  
سَبْعاً، وَصَلَّتْ خَلْفَ الْمَقَامِ رِكَعَتَيْنِ.

٥ - مُخَالَفَةُ الرِّوَايَةِ لِصَرِيحِ كِتَابِ اللَّهِ وَهَدْيِ رَسُولِهِ ﷺ:

وَمِثَالُ ذَلِكَ:

رِوَايَةٌ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الشَّامِيِّ، الْمَصْلُوبِ فِي الرِّزْدَقَةِ: " أَنَا خَاتَمُ  
النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ. "

ذَلِكَ بِأَنَّهَا رِوَايَةٌ مُخَالَفَةٌ لِصَرِيحِ:

- الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب).

- وَهَدَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

عَنْ (جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

﴿ لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ  
بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ

- وَالْعَاقِبُ: هُوَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ - ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٣٥٣٢).

٦- مُخَالَفَةُ الرِّوَايَةِ لِلْحَقَائِقِ التَّارِيخِيَّةِ:

وَمِثَالُ ذَلِكَ:

الْكِتَابُ، الَّذِي زَعَمَ بَعْضُ مَنْ يَهُودِ خَيْبَرَ:

- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ قَدْ أَمَرَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكِتَابَتِهِ،  
لِإِسْقَاطِ الْجِزْيَةِ عَنْ رِقَابِهِمْ.

- وَأَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ.

وَكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ:

- فَإِنَّ الْجِزْيَةَ لَمْ تُفْرَضْ فِي عَامِ خَيْبَرَ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ آيَةُ الْجِزْيَةِ  
بَعْدَ عَامِ تَبُوكَ.

- وَإِنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ اسْتَشْهَدَ قَبْلَ ذَلِكَ الزَّمَنِ، أَي:  
فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ.

- وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ أَسْلَمَ زَمَنَ الْفَتْحِ.

٧- أَنْ يَتَّفَرَّدَ الرَّاوي بِالْخَبْرِ عَنْ أَمْرٍ قَدْ وَقَعَ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ ﷺ:

وَمِثَالُ ذَلِكَ:

مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ - عَلَى أَعْيُنِ الْأَشْهَادِ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ، وَذَلِكَ عَقِبَ عَوْدَتِهِمْ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ - ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ الْخَلِيفَةُ - مِنْ بَعْدِي - فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ - قَطْعًا - أَنْ يُخَالَفَ الصَّحَابَةَ ﷺ كُلَّهُمْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ ارْتَضَوْا أَبَا بَكْرٍ ﷺ خَلِيفَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ؟!

٨- شَدِيدُ الْعِقَابِ عَلَى الصَّغَائِرِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَعَظِيمُ الثَّوَابِ عَلَى الْمُفْرَطِ الْقَلَّةِ مِنَ الْأَعْمَالِ:

وَهُوَ أَمْرٌ شَائِعٌ فِي كَلَامِ بَعْضِ الْوَاعِظِينَ، مِثْلُ قَوْلِهِمْ:  
" مَنْ قَالَ ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى طَائِرًا لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ لِسَانٍ، لِكُلِّ لِسَانٍ سَبْعُونَ أَلْفَ لُغَةٍ، يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ."  
وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَدْخُلُ فِي حَدِّ الْجَهَالَةِ، وَالْإِثْمِ، لِمَا فِيهِ مِنْ افْتِرَاءِ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ وَرَسُولِهِ ﷺ.



وَخِتَامًا، مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرِي لِأُولِي الْأَلْبَابِ:

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ )، أَنَّهُ قَالَ:

« إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

﴿ مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيُنَبِّئُوا مَفْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ﴾. الْحَدِيثُ « (مسلم: ٢) ، فَانظُرُوا!

# رُويَاتُ حَدِيثِ طَيْبِ الشَّدَا

## زكوان حصريّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأنبياء).

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الشورى).

رُويحَاتٍ حَديثٍ طيبِ الشَّدَا، وَاسْتِرَاحَةَ قَلْبٍ تَعْبٍ مِنْ عَمَرَاتِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا،  
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَذَلِكَ:

- شَوْقًا إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الهُدَى.

- وَتَقِيَّةً مِنَ الْأَهْوَاءِ الَّتِي جَمَاعَهَا الضَّلَالَةُ وَمِيعَادُهَا النَّارُ.

- وَطَمَعًا بِلِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الحَوْضِ فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ، وَنُورَ  
الإِيمَانِ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِينَا وَبِأَيْمَانِنَا: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ

أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء).

وَعَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ ) « أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ:

مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: ﴿ وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ ﴾ قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي

أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ: ﴿ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾. الحديث « (البخاري: ٣٦٨٨).

وَقَالَ أَنَسٌ ؓ: " فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ أَنْتَ مَعَ مَنْ

أَحْبَبْتَ ﴾. فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ

مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ. "

\*\*\*

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

سَأَلْتُ خَالَيَ هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ التَّمِيمِيَّ (١) عَنْ حَلِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا أَشْتَهِي  
أَنْ يَصِفَ لِي شَيْئاً مِنْهَا أَتَعَلَّقُ بِهِ.

(١) هِنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ: هُوَ رَبِيبُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُمُّهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَكَانَ وَصَافاً.

وَالرَّبِيبُ: ابْنُ امْرَأَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْحَلِيَّةُ: الْخِلْقَةُ وَالصَّفَةُ وَالصُّورَةُ.

فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

- فَحَمًا مُفَحَّمًا - أَي: عَظِيمًا مُعَظَّمًا فِي الصُّدُورِ وَالْعُيُونِ.
- يَتَلَأَلُ وَجْهَهُ تَلَأُلُوَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ.
- أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُشَدَّبِ - وَالْمَرْبُوعُ: مَنْ كَانَ لَا بِالطَّوِيلِ  
وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَالْمُشَدَّبُ: الطَّوِيلُ الْبَائِنُ الطَّوِيلِ.
- عَظِيمَ الْهَامَةِ - أَي الرَّأْسِ.
- رَجُلَ الشَّعْرِ - أَي: لَا شَدِيدَ الْجُعُودَةِ وَلَا شَدِيدَ السُّبُوطَةِ، بَلْ بَيْنَهُمَا.
- إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيصَتُهُ فَرَقَ، وَإِلَّا فَلَا.

أَي: فَإِنْ صَارَ شَعْرُهُ ﷺ - فِي مَفْرَقِهِ - فَرَقَيْنِ بِنَفْسِهِ، تَرَكَهُ؛ وَإِنْ لَمْ يَنْفَرِقْ،  
لَمْ يَفْرُقْهُ. وَالْعَقِيصَةُ: الشَّعْرُ الْمَعْقُوصُ، وَهُوَ نَحْوُ مِنَ الْمَضْفُورِ.

وَأَصْلُ الْعَقْصِ: اللَّيُّ وَإِدْخَالُ أَطْرَافِ الشَّعْرِ فِي أَصُولِهِ.

وَالْمَفْرَقُ: وَسَطُ الرَّأْسِ، وَهُوَ الَّذِي يُفْرَقُ فِيهِ الشَّعْرُ.

- يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ الْيُسْرَى إِذَا هُوَ وَقَرَهُ - أَي: إِذَا هُوَ أَرْسَلَ شَعْرَهُ  
مِنْ غَيْرِ عَقْصٍ، وَلَا فَرَقٍ.



• أَزْهَرَ اللَّوْنِ - أَي: يَتَلَأَلُ وَجْهَهُ ﷺ بَيَاضاً وَنُوراً، كَأَنَّهُ الْبَدْرُ يُسْتَضَاءُ بِهِ إِذَا دَجَّ اللَّيْلُ.

• وَاسِعَ الْجَبِينِ - أَي: مُنْتَدِّ الْجَبِينِ طَوِلاً وَعَرْضاً.

• أَزَجَّ الْحَوَاجِبِ، سَوَابِغٍ فِي غَيْرِ قَرْنٍ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدْرُهُ الْغَضَبُ.

---

أَي: كَانَ ﷺ أَزَجَّ الْحَوَاجِبِ، وَكَامِلَهَا، وَوَافِيَهَا، غَيْرَ مَقْرُونِهَا.

وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ حَاجِبَيْهِ عِرْقٌ يَمْتَلِي دَمًا إِذَا غَضِبَ: كَمَا يَمْتَلِي الضَّرْعُ لَبْنًا إِذَا دَرَّ. وَالزَّجَجُ: تَفْقُوسُ الْحَاجِبِ فِي النَّاصِيَةِ مَعَ طُولٍ فِي طَرَفِهِ وَامْتِدَادٍ.

---

وَالقَرْنُ: التِّقَاءُ طَرَفِي الْحَاجِبِينَ.

• أَفْنَى الْعَرْنِينَ لَهُ نُورٌ يَعْלוهُ، يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ.

---

الْعَرْنِينُ: الْأَنْفُ. وَالقَنَا فِي الْأَنْفِ: طَوْلُهُ، وَدِقَّةُ أَرْزَبْتِهِ، مَعَ حَدَبٍ فِي وَسْطِهِ. وَالشَّمَمُ: ارْتِفَاعُ الْقَصْبَةِ، وَاسْتِوَاءُ أَعْلَاهَا، وَانْتِصَابُ الْأَرْزَبَةِ.

• كَثَّ اللَّحْيَةِ - وَلِحْيَةٌ كَثَّةٌ، أَي: فِيهَا كَثَافَةٌ، أَي: كَثُرَتْ أَصُولُهَا وَشَعْرُهَا. وَكَذَلِكَ، فَهِيَ لَيْسَتْ بِالذَّقِيقَةِ، وَلَا الطَّوِيلَةِ.

• سَهَّلَ الْخَدَّيْنِ - أَي: قَلِيلَ لَحْمِ الْخَدَّيْنِ غَيْرِ مُرْتَفِعِ الْوَجْنَتَيْنِ.

• ضَلِيعَ الْفَمِ - أَي: وَاسِعَ الْفَمِ. وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَحْمَدُ عِظَمَ الْفَمِ وَسَعَتَهُ، وَتُدْمُ صِغَرَهُ.

## • أُشْنَبَ، مُفْلَجُ الْأَسْنَانِ.

الشَّنَبُ: الْبَيَاضُ وَالْبَرِيقُ وَالتَّحْدِيدُ فِي الْأَسْنَانِ.

وَمُفْلَجُ الْأَسْنَانِ، أَي: مُنْفَرَجُ الْأَسْنَانِ لَيْسَ فِيهَا تَرَاصٌ، وَلَا تَرَائِبٌ.

وَكَانَتْ أَسْنَانُ نَعْرِهِ ﷺ قَدْ رُصِفَتْ رَصْفًا وَكَانَتْهَا اللَّوْلُؤُ مِنْ شِدَّةِ بَرِيقِ بَيَاضِهَا.

## • دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ، كَانَ عُنُقَهُ جَيِّدٌ دُمِيَّةً فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ.

وَالْمَسْرُوبَةُ: الشَّعْرُ النَّابِتُ وَسَطَ الصَّدْرِ إِلَى الْبَطْنِ، وَأَمَّا الْجَيِّدُ: فَهُوَ الْعُنُقُ.

وَالدُّمِيَّةُ: هِيَ الصُّورَةُ - الْمَصَوْرَةُ مِنَ الْعَاجِ وَعَیْرِهِ - الْمُبَالُغُ فِي تَحْسِينِهَا،  
وَالَّتِي تُعْجِبُ رَائِيهَا وَتُبْهَرُهُ.

## • مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ - أَي: تَامَ الْخَلْقِ وَالْجَمَالَ.

• بَادِنًا مَتَمَّاسِكًا - وَالْبَادِنُ: هُوَ السَّمِينُ الْجَسِيمُ. وَمَتَمَّاسِكُ اللَّحْمِ، أَي:  
لَيْسَ بِمُسْتَرْخِيهِ وَلَا مُتَهَدِّلَهُ، وَكَانَ أَعْضَاءَهُ يُمَسِّكُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

• سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ - أَي: كَانَ بَطْنُهُ ﷺ مُسْتَوٍ مَعَ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ.

• عَرِيضَ الصَّدْرِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ - وَالْمَنْكِبُ: النِّقَاءُ رَأْسِ الْكَتِفِ  
وَالْعَضُدِ، وَالْعَضُدُ مِنَ الْإِنْسَانِ: هُوَ مَا بَيْنَ الْمِرْفَقِ إِلَى الْكَتِفِ.

• ضَخَمَ الْكَرَادِيْسِ - وَكُلُّ عَظْمَيْنِ التَّقْيَا فِي مَفْصَلٍ فَهُوَ كُرْدُوسٌ، مِثْلُ: الْمَنْكِبَيْنِ،  
وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَالْوَرِكَيْنِ. وَكَانَ ﷺ ضَخَمَ الْأَعْضَاءِ.

• أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ - أَي: مُشْرِقَ الْجَسَدِ. وَكَانَ كُلُّ مَا جَرَّدَ عَنْهُ الثِّيَابُ مِنْ جَسَدِهِ  
الشَّرِيفِ وَكُشِفَ، فَهُوَ نَاصِعُ الْبَيَاضِ مُمْتَلِيٌّ.

- مَوْصُولٌ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسَّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَالْحَطِّ، عَارِي النَّدَّيْنِ وَالْبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ - أَي: خَالِي النَّدَّيْنِ وَالْبَطْنِ مِنَ الشَّعْرِ؛ وَأَمَّا اللَّبَّةُ، وَالْجَمْعُ أَلْبَابٌ: فَهِيَ وَسَطُ الصَّدْرِ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ.
- أَشْعَرَ الدَّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكَبَيْنِ وَأَعَالِي الزَّنْدَيْنِ - أَي: كَثِيرَ الشَّعْرِ وَطَوِيلَهُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ. وَالذَّرَاعُ: مَا بَيْنَ طَرْفِ الْمِرْفَقِ إِلَى طَرْفِ الْإِصْبَعِ الْوُسْطَى. وَالزَّنْدُ: مَا يَصِلُ طَرْفَ الذَّرَاعِ فِي الْكَفِّ.
- رَحْبَ الرَّاحَةِ - أَي: وَاسِعَ بَاطِنِ الْكَفِّ.
- سَبَطَ الْقَصَبِ - وَالسَّبَطُ: الْمُمْتَدُّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَعَقُّدٌ، وَلَا نُتُوءٌ. وَالْقَصَبُ: عِظَامُ الْأَصَابِعِ مِنَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ.
- شَتْنٌ - أَي ضَخْمٌ - الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ.
- سَائِلٌ - أَي مُمْتَدِّ - الْأَطْرَافِ.
- حُمْصَانُ الْأَحْمَصَيْنِ.

---

وَالْحُمْصَانُ: صِيغَةُ الْمُبَالَغَةِ مِنَ التَّخَامُصِ. وَالْأَحْمَصُ: بَاطِنُ الْقَدَمِ وَمَا رَقَّ مِنْ أَسْفَلِهَا وَتَجَافَى - أَي: تَبَاعَدَ - عَنِ الْأَرْضِ.

أَي: إِنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْ أَسْفَلِ قَدَمِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ شَدِيدُ التَّجَافِي عَنِ الْأَرْضِ.

---

- مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ - أَي: كَانَتْ قَدَمَاهُ الشَّرِيفَتَانِ مَلْسَاوَانِ لَيْتِنَانِ لَيْسَ فِي ظَهْرِيهِمَا تَكْسَرٌ؛ فَلَا يَطْمِنُّ الْمَاءُ، بَلْ يَزُولُ عَنْهُمَا إِنْ سَكَبَ عَلَيْهِمَا.

• إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا، يَخْطُو تَكْفُؤًا وَيَمْشِي هُونًا.

---

أي: كَانَ ﷺ يَرْفَع رِجْلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ - إِذَا مَشَى - رَفْعًا بَانِنًا بِقُوَّةٍ.  
وَيَمْشِي هُونًا، أي: بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ؛ وَذَلِكَ دُونَ أَنْ يَضْرِبَ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ،  
أَوْ أَنْ يَخْفِقَ بِنَعْلِهِ. وَالتَّكْفِيُّ: التَّمَايُلُ إِلَى الْأَمَامِ، كَمَا تَتَكَفَّى السَّفِينَةُ فِي جَرِيهَا.

---

• دَرِيْعَ الْمَشِيَّةِ - أَي: وَاسِعَ الْخَطَا.

إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ - أَي يَنْزِلُ - مِنْ صَبَبٍ - وَهُوَ الْمُنْحَدِرُ.  
وَإِذَا التَّقَّتْ، التَّقَّتْ جَمِيعًا - أَي: إِذَا نَظَرَ إِلَى الشَّيْءِ لَا يَلْوِي عُقْبَهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً،  
وَلَكِنْ كَانَ ﷺ يَقْبَلُ جَمِيعًا وَيُدْبِرُ جَمِيعًا.

• خَافِضَ الطَّرْفِ، نَظَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ - أَي:  
كَانَ ﷺ إِذَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَى شَيْءٍ خَفَضَ بَصَرَهُ، وَنَظَرَ إِلَى الْأَرْضِ.

• جُلُّ نَظَرِهِ الْمَلَاخِظَةُ.

---

وَالْمَلَاخِظَةُ: مَفَاعَلَةٌ مِنَ اللَّحْظِ، وَاللَّحْظُ: هُوَ النَّظَرُ بِشِقِّ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصَّدْعَ.  
وَلَحَظَ إِلَيْهِ: نَظَرَهُ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَيِّ جَانِبِيهِ كَانَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا.

---

• يَسُوقُ أَصْحَابَهُ - أَي: يُقَدِّمُ أَصْحَابَهُ ﷺ وَيَمْشِي خَلْفَهُمْ تَوَاضِعًا، فَلَا يَدْعُ أَحَدًا  
يَمْشِي خَلْفَهُ.

• يَبْدَأُ - أَي يَسْبِقُ - مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ.



قُلْتُ - أَيِ الْحَسَنِ ﷺ: صِفْ لِي مَنْطِقَهُ، قَالَ:

كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

• مُتَوَاصِلِ الْأَحْزَانِ.

---

أَي: خَاشِعًا يَدْعُو اللَّهَ شَفَقًا مِنْ خَشْيَتِهِ، وَطَمَعًا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ.

وَقَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

﴿ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ﴾ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ﴿ لَا، وَلَا أَنَا،

إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا ﴾. الْحَدِيثُ « ( البخاري: ٥٦٧٣ ) .

---

• دَائِمِ الْفِكْرَةِ - أَي: دَائِمِ التَّفَكُّرِ، وَالتَّأَمُّلِ - لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ.

• طَوِيلِ السَّكْتِ - أَي السُّكُوتِ - لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ.

• يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ - وَذَلِكَ لِرَحْبِ شِدْقِيهِ ﷺ، وَالشَّدَقُ: هُوَ جَانِبُ الْفَمِ.

• وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، كَلَامُهُ فَصْلٌ لَا فُضُولَ وَلَا تَفْصِيرَ.

---

أَي: كَانَ ﷺ كَثِيرَ الْمَعَانِي قَلِيلِ الْأَلْفَاظِ، كَلَامُهُ بَيِّنٌ ظَاهِرٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ فَلَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ فِي كَلَامِهِ.

وَفُضُولِ الْحَدِيثِ: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ الْمُتَجَالِسُونَ مِنَ التَّرْتُّرَةِ، وَالْقِيلِ وَالْقَالِ.

---

• دَمِيئًا - أَي: لَيِّنَ الْجَانِبِ سَهْلَ الْخُلُقِ - لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا الْمُهِينِ - أَي: لَا يَحْقَرُ

أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَلَا يُصَغِّرُهُ. وَالْجَافِي: الْغَلِيظُ الْخَلْقَةُ وَالطَّبَعِ الَّذِي يَجْفُو أَصْحَابَهُ، فَيَتْرُكُ الصَّلَاةَ وَالْعَطْفَ عَلَيْهِمْ.

• يُعْظَمُ النَّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ - أَي: وَلَوْ صَغُرَتْ - لَا يَدُمُّ مِنْهَا شَيْئًا.

## • لَا يَدُمُّ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ.

أي: لَا يَصِفُ الطَّعَامَ بِأَنَّهُ طَيِّبُ المَذَاقِ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَالذَّوَالِقُ: المَأْكُولُ وَالمَشْرُوبُ.

وَعَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه )، قَالَ: « مَا عَابَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم طَعَامًا قَطُّ إِنْ اسْتَهَاهُ أَكَلَهُ

وَالْأَتْرَكَةُ. الْحَدِيثُ « ( البخاري: ٣٥٦٣ ) ».

## • وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَلَا مَا كَانَ لَهَا.

فَإِذَا تُعْذِي الْحَقُّ لَمْ يَقُمْ لِعْضِبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ - أي: إِذَا تَعَدَّى أَحَدُهُم

الْحَقُّ - فَتَجَاوَزَهُ إِلَى البَاطِلِ - احْتَدَى وَغَضِبَ؛ فَلَا يُدْفَعُ غَضْبُهُ حَتَّى يَنْتَصِرَ لِلْحَقِّ

بِالْحَقِّ - وَلَا يَغْضِبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا.

• إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا - أي: لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الإِشَارَةِ بِبَعْضِ الأصَابِعِ،

لَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْمُتَكَبِّرِينَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ - وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلْبُهَا.

وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، فَيَضْرِبُ بِرَاحَتِهِ اليُمْنَى بَاطِنَ إِبْهَامِهِ اليُسْرَى

- وَتِلْكَ الحَرَكَةُ كَانَتْ سِمَةً مِنْ سِمَاتِ حَدِيثِهِ صلى الله عليه وسلم، وَذَلِكَ لِتَأْكِيدِ الكَلَامِ وَتَقْوِيَتِهِ

فِي النُّفُوسِ.

• وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ - أي: بَالِغٌ فِي الإِعْرَاضِ عَنِ الغَضْبِ.

• وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ - أي: حَفَظَ بَصَرَهُ إِلَى الأَرْضِ، وَكَفَّهُ عَنِ النَّظَرِ.

• جُلُّ - أي أَكْثَرُ - ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الغَمَامِ - أي: كَانَ صلى الله عليه وسلم

يُكْشِرُ إِذَا تَبَسَّمَ مِنْ غَيْرِ قَهْقَهَةٍ. وَكَانَتْ أَسْنَانُهُ مِنْ شِدَّةِ بَيَاضِهَا مِثْلَ حَبِّ البَرَدِ.

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ( مِنْ البسيط ) :

رُوحٌ مِنَ النُّورِ فِي جِسْمِ مِنَ القَمَرِ .. كَحَلِيَّةٍ نُسِجَتْ مِنَ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ  
( وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ: النُّجُومُ الَّتِي تَتَلَّأُ نُورًا. )

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

\*\*\*

عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ) أَنَهَا قَالَتْ :

« أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ - وَمِنْ تَبْعِيضِيَّةٍ، أَي: مِنْ أَفْسَامِ  
الوَحْيِ - الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ - وَذَلِكَ تَمْهِيداً وَتَوَطُّئَةً لِلْيَقْظَةِ. وَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ  
هِيَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ أَضْغَاثِ الأَحْلَامِ - فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ  
مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ - أَي: إِلَّا وَقَعَتْ جَلِيَّةً بِأَحْدَاثِهَا، مِثْل: ضِيَاءِ الصُّبْحِ الوَاضِحِ  
الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ - وَذَلِكَ مِنَ الإِلَهَامِ الإِلَهِيِّ. وَالخَلَاءُ: الخَلْوَةُ، وَفِيهَا فَرَاغُ القَلْبِ  
لِلَّذِي اتَّجَهَ لَهُ - وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ - وَهُوَ جَبَلٌ بِمَكَّةَ فِيهِ غَارٌ - فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ  
- أَي: يَتَعَبَّدُ فِيهِ. وَكُلُّ مَنْ تَعَبَّدَ اللّٰهَ وَخَذَهُ فَهُوَ مُتَحَنَّنٌ؛ وَذَلِكَ لِإِلْقَانِهِ الحِنْتِ، أَي: نَجَسِ  
الشَّرِكِ عَنْ نَفْسِهِ - اللَّيَالِي نَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ - أَي يَرْجِعَ - إِلَى أَهْلِهِ  
وَيَنْزَوُدُ لِذَلِكَ - أَي: وَيَسْتَصْحِبُ مَعَهُ مِنَ الزَّادِ مَا يَكْفِي تِلْكَ اللَّيَالِي -  
ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ - بَعْدَ انْقِضَانِهَا. وَهِيَ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا  
بنتِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العَزَّى - فَيَنْزَوُدُ لِمِثْلِهَا - أَي: لِلْيَالِي التَّحَنُّنِ - حَتَّى  
جَاءَهُ الحَقُّ - أَي: الوَحْيِ مِنَ اللّٰهِ - وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ.

فَجَاءَهُ الْمَلِكُ - وَالْفَاءُ - هَهُنَا - تَفْسِيرِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ تَعْقِيبِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ قَدْ لَازَمَ - وَهُوَ ﷺ فِي الْغَارِ - مَجِيءَ الرُّوحِ الْأَمِينِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: ﴿ مَا أَنَا بِقَارِيٍّ ﴾، قَالَ: ﴿ فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي - أَي: ضَمَّنِي وَعَصَرَنِي بِقُوَّةٍ، حَتَّى احْتَبَسَ نَفْسِي - حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ - أَي: بَلَغَ مِنِّي الْإِغْيَاءَ مَبْلَغَهُ - ثُمَّ أَرْسَلَنِي - أَي أَطْلَقَنِي - فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ - وَكَلِمَةُ مَا نَافِيَةٌ، وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، أَي: لَسْتُ بِقَارِيٍّ، أَبَدًا - فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ ﴾ .

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَي: بِالآيَاتِ - يَرْجُفُ فُؤَادُهُ - أَي: قَلْبُهُ ﷺ، وَذَلِكَ مِنَ الْجَزَعِ وَشِدَّةِ الْخَوْفِ - فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: ﴿ زَمَلُونِي زَمَلُونِي ﴾ فزَمَلُوهُ - وَالتَّزَمُّنُ: التَّلَفُّفُ، وَالدُّخُولُ بِالثُّوبِ - حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ - أَي: الْفَرَعُ - فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: ﴿ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي - أَي: خِفْتُ مِنَ الْمَوْتِ فَرَعًا - ﴾ فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا - أَي: لَنْ يَسُوءَكَ اللَّهُ أَبَدًا، أَي: لَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ بِكَ مَا تَكْرَهُ - إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ - وَالْكَلُّ: مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِهِ، أَي: هُوَ الْعَيْلُ مِنَ الْعِيَالِ الَّذِينَ ذَهَبَ عَنْهُمْ مَعِيْلُهُمْ، وَتَرَكَهُمْ بِمَضِيْعَةٍ - وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ - أَي: تُعْطِي النَّاسَ مَا لَا يَجِدُونَهُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ - وَتَقْرِي الضَّيْفَ - أَي: وَإِنَّكَ لِمَضِيْفٍ لِلأَضْيَافِ - وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.



فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ - أَي: مَضَتْ مَعَهُ، وَالْبَاءُ لِلْمُصَاحَبَةِ - حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ  
ابْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ.

وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وَكَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ قَدْ خَرَجَ - هُوَ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ نُفَيْلٍ - إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا،  
يَسْأَلُونَ عَنِ الدِّينِ، وَذَلِكَ حِينَ كَرِهَهَا عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ؛ فَأَمَّا وَرَقَةُ فَأَعْجَبَهُ دِينُ النَّصْرَانِيَّةِ،  
فَتَنَصَّرَ. وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ لَقِيَ - فِي تَرْحَالِهِ - مَنْ بَقِيَ مِنَ الرَّهْبَانِ عَلَى دِينِ عِيسَى ﷺ،  
أَي: أَوْلَادِ الرَّهْبَانِ الَّذِينَ لَمْ يَبْدُلُوا إِلَى ضَلَالَاتِ الَّذِينَ خَلَفُوا إِفْكَاءً، فَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ زُوراً  
وَبُهْتاناً، فَقَالُوا إِنَّ الْمَسِيحَ عِيسَى ﷺ هُوَ ابْنُ اللَّهِ: ﴿سُبْحٰنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ﴾ (النساء). وَذَلِكَ أَحْبَبَ بِشَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْبِشَارَةَ بِهِ.

وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ ﷻ  
أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ.

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا بْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بْنَ أَخِي  
مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ - أَي الرُّوحَ الْأَمِينُ جِبْرِيْلُ ﷺ - الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ  
عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعاً - أَي: تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ حِينَ ظَهَرَ الْإِسْلَامَ شَاباً،  
لِيَنْصُرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَالْجَدْعُ: هُوَ الصَّغِيرُ مِنَ الْبَهَائِمِ - لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا  
إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَوْمُخْرَجِيْ هُمْ؟﴾ قَالَ: نَعَمْ،  
لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عَوْدِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ  
نَصراً مُؤزَّراً، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ - أَي يَلْبَثْ - وَرَقَةُ أَنْ تُؤْفَى وَفَتَرَ الْوَحْيَ.

وَقَالَ ( جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه ) : وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: ﴿ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمْلُونِي زَمْلُونِي - وَالتَّرْمَلُ: هُوَ التَّدَنُّرُ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهَا الْمُدَّتُّرُ ۝١ فَمَ فَاذِرْ ۝٢ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ نَعَالِهِ: ﴿ وَالرُّجْزُ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾ - أَي: يَا مُحَمَّدُ، اهْجُرْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ الَّتِي تُفْضِي إِلَيَّ غَضَبِي وَعَذَابِي - فَحَمِيَ الْوَحْيُ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٤ )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) ، قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

﴿ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رَأَيْتُ مُوسَى وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرَبَ رَجُلٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَعَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَالدَّ إِبْرَاهِيمَ بِهِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاعَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ فَقَالَ: اشْرَبْ أَيُّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبْنَ فَشَرِبْتُهُ فَقِيلَ: أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ عَوْتَ أُمَّتِكَ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٣٣٩٤ ) .

رَجُلٌ ضَرَبَ، أَي: نَحِيفٌ.

رَجُلٌ، أَي: شَعْرُهُ لَيْسَ بِالشَّدِيدِ الجُعُودَةِ، وَلَا الشَّدِيدِ السُّبُوطَةِ بَلْ بَيْنَهُمَا.

شَنْوَعَةُ: قَبِيلَةٌ مِنَ الْيَمَنِ، وَرِجَالُهَا مَعْرُوفُونَ بِالطُّولِ وَالسُّمْرَةِ.

رَجُلٌ رَبْعَةٌ، أَي: لَيْسَ بِالطُّوِيلِ وَلَا الْقَصِيرِ.

الدِّيمَاسُ: الْحَمَامُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه ) قَالَ:

« كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خُدْرِهَا - وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي غَيْرِ خُدُودِ اللَّهِ؛ إِذْ كَانَتْ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ هَوَادَةٌ، وَلَا مُدَارَاةٌ، وَلَا تَرْفُوقٌ، وَلَا لِينٌ، وَلَا يُحَابِي فِيهِ أَحَدًا، وَلَا يَسْكُنُ حَتَّى يَنْتَصِرَ لِدِينِ اللَّهِ - وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفَ فِي وَجْهِهِ - أَي: كَانَ ﷺ إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُهُ الشَّرِيفُ، عَرَفَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ رضي الله عنهم أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُحِبًّا إِلَيْهِ. فَمَا وَاجَهَ ﷺ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ مِنْهُ قَطُّ. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٣٥٦٢) .»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها ) أَنَّهَا قَالَتْ:

« مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقَمَ اللَّهُ بِهَا. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٣٥٦٠) .»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها ) قَالَتْ:

« كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ النَّيْمَانَ - أَي: الْإِبْتِدَاءَ فِي الْأَفْعَالِ بِالْيَدِ الْيُمْنَى، وَالرَّجْلِ الْيُمْنَى، وَالْجَانِبِ الْأَيْمَنِ - مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ: فِي طَهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ - أَي: إِذَا نَزَلَ ﷺ عَنْ دَابَّتِهِ، أَوْ قَامَ مِنْ مِضْطَجَعِهِ أَوْ مَجْلِسِهِ، فَمَشَى رَاجِلًا - وَتَنَعَّلَهُ - وَالتَّنَعُّلُ: لِبْسُ النَّعْلِ، وَهُوَ الْحِدَاءُ. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٤٢٦) .»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) :

« أَنْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصُومُ فَلَا أَفْطِرُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

﴿ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ﴾. الحديث « (النسائي: ٣٢١٧) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) :

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ فَضَّلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَلَ الثَّرِيدَ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ﴾. الحديث « (البخاري: ٥٤٢٨) .

ذَلِكَ بِأَنَّ الطَّعَامَ الْمُتَّخَذَ مِنَ اللَّحْمِ وَالثَّرِيدَ مَعًا، إِنَّمَا يَجْمَعُ بَيْنَ لَذَّةِ الطَّعَامِ وَقُوَّةِ الْبَدَنِ. وَإِنَّمَا فَضَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ فِي الْقَدْرِ وَالْمَنْزِلَةِ - عَلَى النِّسَاءِ كُلِّهَا - ذَلِكَ بِأَنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

- ابْنَةُ الصَّدِيقِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه.
- وَأَحَبُّ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَلْبِهِ الشَّرِيفِ.
- وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرٍّ غَيْرَهَا.
- وَلَا يُعْرَفُ فِي سَائِرِ النِّسَاءِ أَعْلَمُ مِنْهَا، وَلَا أَفْهَمُ.
- وَلَقَدْ غَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهَا حِينَ قَالَ عَنْهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَأَنْزَلَ بَرَاءَتَهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

وَلَقَدْ عَمَّرْتِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَرِيبًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً، تَبَلَّغَ عَنْهُ الْقُرْآنَ وَالْهَدْيَ النَّبَوِيِّ، وَبَرَزَتْ بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْفُتْيَا، وَتُوَفِّيَتْ سَنَةً ( ٥٧ هـ ).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا عَانِشَةَ، يَا زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ الطَّاهِرِينَ.

بِسْمِ اللَّهِ ﷺ

قَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ﴾، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ﴿ لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدَّدُوا وَقَارَبُوا. »

وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَّادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِينًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ - أَي: لَعَلَّ الْمُسِيءَ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ خَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ، وَيَطْلُبَ الْعَفْوَ وَالرِّضَا مِنَ اللَّهِ؛ فَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَّا دَارُ جَزَاءٍ، لَا دَارُ عَمَلٍ - ﴿. الْحَدِيثُ « ( البخاري: ٥٦٧٣ ) . »

بِسْمِ اللَّهِ ﷺ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، أَنَّهُ قَالَ:

« إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أَحَدْتَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ﴾. الْحَدِيثُ « ( مسلم: ٢ ) . »

بِسْمِ اللَّهِ ﷺ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه )، قَالَ:

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَابًا ﴾. الحديث « (مسلم: ٢٦٠٧).

( ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ) (التحل: ٠)

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا )، قَالَتْ:

« تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾.

قَالَتْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاخْذَرُوهُمْ ﴾. الحديث « (مسلم: ٢٦٦٥).

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه ):

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾. الحديث « (البخاري: ٢٤٤٧).

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) ، قَالَ:

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ ثَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ ﴾. الْحَدِيثُ « ( البخاري: ٣٣٣١ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ لَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خُطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ. »

أَي: لَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَسَاوَمَ الْمُتَبَايِعَانِ فِي السَّلْعَةِ. فَيَجِيءُ رَجُلٌ آخَرَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَ تِلْكَ السَّلْعَةَ، فَيُخْرِجُهَا مِنْ يَدِ الْمُشْتَرِيِ الْأَوَّلِ، بِزِيَادَةٍ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُتَسَاوِمِينَ - أَي: بَيْنَ الْبَائِعِ وَالشَّارِيِ الْأَوَّلِ.

وَالْمُسَاوَمَةُ: الْمَجَادَبَةُ بَيْنَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِيِ عَلَى السَّلْعَةِ، وَفَصْلٌ ثَمَنِيهَا.

وَلَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا، وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا - أَي: طَلَاقَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ سَوَاءٌ أَكَانَتْ أُخْتَهَا مِنَ النَّسَبِ - أَي: الْقَرَابَةِ - أَمْ أُخْتَهَا فِي الْإِسْلَامِ، أَمْ كَافِرَةً - لِتُكْتَفَى صَحْفَتَهَا، وَلِتُنْكَحَ.

﴿ تَكْتَفَى ﴾: عَلَى وَزْنِ تَفْتَعِلُ، مِنْ كَفَأَتِ الْقِدْرَ: إِذَا كَبَبْتَهَا لَتَفْرَعُ مَا فِيهَا.

وَالصَّحْفَةُ: آنِيَةُ طَعَامٍ تُشْبِعُ الْخَمْسَةَ، وَنَحْوَهُمْ. وَفِي ذَلِكَ نَهْيٌ لِلْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ أَنْ تَسْأَلَ الزَّوْجَ طَلَاقَ زَوْجَتِهِ، وَالْإِسْتِنْثَارَ عَلَيْهَا بِحَظِّهَا - وَذَلِكَ بِأَنْ يَنْكَحَهَا، فَيَصِيرُ لَهَا مَا كَانَ لِلْمُطَلَّقَةِ - فَتَكُونُ كَأَلْتِيِ اسْتَفْرَعَتْ صَحْفَةَ غَيْرِهَا، وَقَلَبَتْ مَا فِي إِنْأَيْهَا.

فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهَا). الحديث « (مسلم: ١٤٠٨).

وَلَقَدْ جَاءَتْ ( يَسُومُ ) وَ ( يَخْطُبُ ) وَ ( تَسْأَلُ ) بِالرَّفْعِ عَلَى الْخَبَرِ - جَمِيعاً -  
أَي: بِلَفْظِ الْخَبَرِ. وَإِنَّمَا ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي النَّهْيِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ النَّهْيَ قَدْ تَقَعَّ مُخَالَفَتُهُ، فِي حِينِ أَنَّهُ  
مِنْ غَيْرِ الْجَائِزِ وَقُوعُ مَا يُخَالِفُ خَبَرَ الشَّارِعِ، أَبَدًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ):

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ مِنْ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدِيهِ ﴾ قَالُوا:  
يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدِيهِ؟ قَالَ: ﴿ نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ  
أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ ﴾. الحديث « (مسلم: ٩٠).

وَفِي الْحَدِيثِ نَهْيٌ لِأَحَدِهِمْ أَنْ يُعْرِضَ أَبَاهُ - أَوْ أُمَّهُ - لِلسَّبِّ، وَيَجْرَهُمَا إِلَيْهِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ  
يَسُبُّ أَبَا غَيْرِهِ - أَوْ أُمَّهُ - فَيَسُبُّ أَبَاهُ - أَوْ أُمَّهُ - مُجَازَاةً لَهُ.

وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ، لِأَنَّ مَنْ تَسَبَّبَ فِي شَيْءٍ كَانَ وَقَاعِلُهُ فِي الْإِثْمِ سَوَاءً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ )، قَالَ:

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا  
مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ ﴾. الحديث « (مسلم: ١٢٧).



أَي: لَقَدْ تَجَاوَزَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ كُلِّ مَا يَخْطُرُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَدْبِيرٍ أَوْ أَمْرٍ - فِيمَا لَا حِيلَةَ  
لِلْمَرْءِ فِيهِ، أَي: مِنْ وَسْوَاسَةِ الشَّيْطَانِ - وَذَلِكَ شَرِيْطَةٌ:

- أَلَّا تُؤْتِنَ النَّفْسُ عَلَى تِلْكَ الْخَوَاطِرِ.

- وَأَلَّا يَصْحَبَهَا إِصْرَارٌ، وَلَا عَزْمٌ، وَلَا قَوْلٌ، وَلَا فِعْلٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ):

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ  
خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلَيْسَتْ عُدُ بِاللَّهِ وَلَيْنَتْهُ ﴾

. الحديث « ( البخاري: ٣٢٧٦ ) .

أَي: إِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَظَلُّ يَتَّبِعُ كَمَا ظَلَّ ذَلِكَ الَّذِي قَدْ عَقَلَ قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَأُظْلِمَتْ  
بَصِيرَتُهُ، فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ!

إِي وَرَبِّي، مَا هِيَ إِلَّا خُطُواتُ الشَّيْطَانِ، إِذَا قَعَدَ لِأَحْدِهِمْ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ،  
فَيُنْحَرِفُ بِهِ خُطْوَةً، خُطْوَةً، مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ!

فَلَا تَقْعُدَنَّ مَعَ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ: ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ  
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ( النساء ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه ) ، قَالَ:

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ - إِذْ أَنْ مِنْ نَظَافَةِ الثَّوْبِ، أَلَا يَجْرُ الْمَرْءُ مَا اسْتَعْظَمَ فَاسْتَطَالَ مِنْ نَفْسِهِ - خَلْفَهُ - فَيَتَلَامَسُ مَعَ قَدَارَةِ الطَّرِيقِ! - لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٦٦﴾ (البقرة) - ﴿. الحديث « ( البخاري: ٣٦٦٥ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ):

« يَأْتُرُ - أَي: فِيمَا يَذْكُرُ ﷺ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ - وَخَاصَّةً، إِذَا سَرَدَ أَحَدُهُمْ كَلَامَهُ سَرْدًا، مِنْ غَيْرِ احْتِيَاظٍ، وَلَا احْتِرَازٍ. فَلَا يُبَالِي أَكَانَ قَوْلُهُ حَقًّا، أَمْ كَانَ بَاطِلًا! لِذَلِكَ فَاتِّهِ مَنْ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَإِنَّمَا هُوَ أَكْذَبُ الْقَائِلِينَ، وَإِنْ جَاءَ بِالصِّدْقِ حِينًا! - وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا - فَلَا يَلْتَفِتْ أَحَدُهُمْ - بِشَحْمَةِ أُذُنِهِ - مُتَسَمِّعًا، وَلَا يَمْتَدُّ بِبَصَرِهِ مُتَتَّبِعًا سَقَطَاتِ أَخِيهِ، لِيَفْضَحَ أَمْرَهُ - وَلَا تَبَاغَضُوا - ذَلِكَ بِأَنْ تَعَاطِيَ الْبَغْضَاءُ إِنَّمَا يَفْتِكُ بِجَسَدِ الْأُمَّةِ، فَلَا يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَذْهَبُ أَمْرُهَا - وَكُونُوا إِخْوَانًا - مُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ، وَمُتَأَلِّفِينَ يَأْلَفُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا - وَلَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكَحَ أَوْ يَتْرَكَ - وَإِنَّمَا هُوَ نَهْيٌ تَحْرِيمٍ عَنِ فِعْلِ ذَلِكَ؛ حَتَّى يَنْكَحَ الْخَاطِبُ الْأَوَّلُ فَيُطَلَّقَ، أَوْ يَتْرَكَ ذَلِكَ الْخَاطِبُ طَوْعًا، أَوْ كَرْهًا: بِأَنْ يَغِيبَ أَحَدٌ - أَوْ كُلُّ - شُرُوطِ عَقْدِ النِّكَاحِ فِيهِ - ﴿. الحديث « ( البخاري: ٥١٤٤ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، قَالَ :

« سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : ﴿ لَا طَيْرَةَ - وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ ، وَتَوَقُّعِ البَلَاءِ . وَالطَّيْرَةُ مِنَ الشَّرْكِ - وَأَصْلُهَا مِنَ النَّطِيرِ : وَهُوَ النَّشَاؤُْمُ - وَلَيْسَ لَهَا تَأْثِيرٌ بِنَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ ، وَمَنْ تَوَهَّمَ ذَلِكَ فِيهَا فَإِنَّهُ آثَمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَدْفَعَهَا عَنْهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا سُبْحَانَهُ . »

وَخَيْرُهَا الْفَأَلُ - الْفَأَلُ ، وَالجَمْعُ فُؤُودٌ : هُوَ خَيْرُ الطَّيْرَةِ - ﴿ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْفَأَلُ ؟ قَالَ : ﴿ الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ ﴾ . الْحَدِيثُ « ( مسلم : ٢٢٢٣ ) .

وَإِنَّمَا فَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَأَلَ فِي مَعْنَى الْكَلِمَةِ الصَّالِحَةِ ، وَذَلِكَ حَمَلًا عَلَى التَّفَاوُلِ . كَذَلِكَ ، نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّطِيرِ وَنَهَى عَنِ النَّفَوِّهِ بِهِ لَفْظًا ، إِلَّا بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ ( التوبة ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، قَالَ :

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ الطَّيْرَةُ مِنَ الشَّرْكِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُدْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ ﴾ . الْحَدِيثُ « ( الترمذي : ١٦١٤ ) .

فَإِذَا خَطَرَ لِأَحَدِهِمْ عَارِضُ النَّطِيرِ فَلَمْ يَعْمَلْ بِذَلِكَ الْخَاطِرِ ، بَلْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ ؛ كَانَ فِي حِرْزِ اللَّهِ مُطْمَئِنًّا وَآمِنًا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَسُوءٍ ، بِإِذْنِ اللَّهِ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ

وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّمَا ذَالِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ (آل عمران) •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ رضي الله عنه ) :

« كُنْتُ لِأَرَى الرَّؤْيَا تُمْرِضُنِي حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :

﴿ الرَّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَلْيَتَفَلَّحْ ثَلَاثًا وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ ﴾ . الحديث « ( البخاري : ٧٠٤٤ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَانَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) ، يَحَدِّثُ :

« أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : ﴿ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَآئِهِمْ ﴾ . الحديث « ( مسلم : ١٣٣٧ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه ) « أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

﴿ إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحْرَمْ فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ ﴾ . الحديث « ( البخاري : ٧٢٨٩ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، قَالَ:

« قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَخَيَّلُ بِي، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النَّبُوَّةِ ﴾ .  
الحديث « ( البخاري: ٦٩٩٤ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ( أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ):

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ فَأَرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .  
الحديث « ( البخاري: ٧٤٧٤ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ( عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ الْحَمْرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ):

« رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وَقَافٍ بِالْحَزْوَرَةِ - أَي: مُسْتَقْبِلاً الْكَعْبَةَ الشَّرِيفَةَ. وَالْحَزْوَرَةُ: الرَّابِئَةُ الصَّغِيرَةُ، وَهِيَ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ حَيْثُ كَانَ هُنَاكَ تَلٌّ صَغِيرٌ - يَقُولُ: ﴿ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ ﴾ .  
الحديث « ( ابن ماجه: ٣١٠٨ ) .

« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَّامُ إِبْرَاهِيمَ ۗ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴿ آل عمران ) .

وَاللَّهِ يَا مَكَّةَ - يَاخَيْرَ أَرْضِ اللَّهِ - مَا فَارَقَكَ جَسَدٌ إِلَّا تَرَكَ قَلْبَهُ مُعَلَّقًا بِأَسْتَارِ كَعْبَتِكَ،  
مَلَازِمًا لَهَا غَيْرَ مُفَارِقٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا ﴾. الحديث « (مسلم: ١٤٧) .

أَرَزَتِ الْحَيَّةُ: لَادَتْ بِجُحْرِهَا، وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ، وَاجْتَمَعَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فِيهِ.  
وَالْأَرَزُ: أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَّةُ جُحْرَهَا عَلَى ذَنْبِهَا، فَأَخِرَ مَا يَبْقَى مِنْهَا رَأْسُهَا، فَيَدْخُلُ بَعْدُ.  
وَإِنَّمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِذَا كَانَتْ خَائِفَةً؛ أَمَا إِذَا كَانَتْ آمِنَةً فَهِيَ تَبْدَأُ بِرَأْسِهَا، فَتَدْخُلُهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْإِنْجَارُ.  
وَكَذَلِكَ الْإِسْلَامُ، إِذْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَهُوَ يَنْكُصُ إِلَيْهَا - حَتَّى يَكُونَ آخِرَهُ نُكُوصًا، كَمَا كَانَ أَوَّلُهُ خُرُوجًا - وَالنُّكُوصُ: الرَّجُوعُ إِلَى وَرَاءِ، وَهُوَ الْقَهْقَرَى.  
وَقَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ أَمِرْتُ بِقَرِيَةٍ - أَي: أَمَرَنِي رَبِّي بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا - تَأْكُلُ الْقَرَى - أَي تَغْلِبُهَا - يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَّتَ الْحَدِيدِ - أَي: تَنْفِي عَنْهَا كُلَّ حَبِيثٍ، رَدِيءٍ؛ فَلَا تَتْرُكُ فِيهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَيِّبًا، لِأَنَّهَا طَيِّبَةٌ، أَي: الْمَدِينَةُ - ﴾. الحديث « (البخاري: ١٨٧١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ) : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

﴿ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِ كُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ﴾. الحديث « (البخاري: ١) .

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْرُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ (غافر)، أَي: إِنَّ الثَّوَابَ - فِي الْآخِرَةِ - إِنَّمَا هُوَ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ

كَانَ الْقَصْدُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ؛ وَأَمَّا مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِدُنْيَا يُحْصِلُهَا، أَوْ امْرَأَةً يَنْكِحُهَا،  
كَانَ ثَوَابُهُ مَا فَازَ بِهِ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَزَيْنَتِهَا.

وَإِنَّمَا أُعْنِي: إِنَّ الْعَمَلَ لَنْ يَكُونَ صَالِحاً إِلَّا إِذَا صَدَّقَ اللِّسَانَ قَوْلًا، وَالْجَوَارِحُ عَمَلًا؛  
مَا عَزَمَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِلَّا جَاءَ الْعَمَلُ بَانِرًا.

لِذَلِكَ، فَالْوَيْلُ - كُلُّ الْوَيْلِ - لِلَّذِينَ يَرَاوُونَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ.  
وَقِيلَ: إِنَّ رَجُلًا خَطَبَ امْرَأَةً - يُقَالُ لَهَا: أُمُّ قَيْسٍ - فَأَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ حَتَّى يُهَاجِرَ.  
فَهَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَتَزَوَّجَهَا. فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: مُهَاجِرُ أُمِّ قَيْسٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) : « عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:  
﴿ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

١ - إِمَامٌ عَدْلٌ.

٢ - وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ.

٣ - وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ.

٤ - وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ.

٥ - وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَتْ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ.

٦ - وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ.

٧ - وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ ﴿

. الحديث « ( البخاري : ١٤٢٣ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه ) :

« عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ - أَي: سَلَاطَةً وَأَذِيَّةٍ لِسَانِهِ - وَيَدِهِ - أَي: مَا اسْتَطَالَ مِنْهَا فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ - وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ﴾. الحديث « ( البخاري: ١٠ ) .

فَالْهَجْرَةُ إِلَى اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِتَرْوِيضِ النَّفْسِ عَلَى طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَاجْتِنَابِ أَنْ تَجْمَحَ بِالنَّفْسِ شَهَوَاتِ الْجَسَدِ الرَّخِيصَةِ وَرَعَائِبِهِ؛ فَتَهْوِيَ سَاقِطَةً فِي هَاوِيَةٍ لَا قَرَارَ لَهَا، إِلَّا الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَلِبْنَسِ الْقَرَارِ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿ ٣٧ ﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ ٣٨ ﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿ ٣٩ ﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿ ٤٠ ﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿ ٤١ ﴾ ( النزعات ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( أَبُو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه ) :

« قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ - أَي: إِنَّ مِمَّا بَقِيَ مُتَوَاتِرًا مِنْ وَصَايَا الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، وَجَاءَ عَلَى لِسَانِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، جَمِيعًا - إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاَفْعَلْ مَا شِئْتَ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٣٤٨٣ ) .

وَأَمَّا فِي الْكَلَامِ مِنَ التَّوْبِيخِ وَالتَّهْدِيدِ وَالتَّوَعِيدِ، مَا فِيهِ.

فَإِذَا صَلَبَ وَجْهَ الْمَرْءِ، وَقَلَّ اسْتِحْيَاؤُهُ - فَلَمْ يَحْزُرْهُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ وَالْفَوَاحِشِ، نَهَى وَلَا رَجْرَ - فَلْيَنْفَلِتْ، وَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ! فَلَا بُدَّ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ سَوْفَ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْوَفَاقَ عَلَى سُوءِ أَعْمَالِهِ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْعِقَابِ.



وَاعْلَمَ أَنَّ الَّذِي يَزِدُّ الْإِنْسَانَ عَنِ مُوَاقَعَةِ السُّوءِ إِنَّمَا هُوَ الْحَيَاءُ، فَإِذَا انْخَلَعَ مِنْهُ  
 اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ، فَكَانَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ الطَّاعِينَ: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾  
 لِلظَّالِمِينَ مَقَابِلًا ﴿١٢﴾ ﴾ (النبا).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ الْإِيمَانُ بِضْعٌ - وَهُوَ عَدَدٌ مُبَهَّمٌ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ  
 إِلَى الْعَشْرِ - وَسِتُّونَ شُعْبَةً - وَالشُّعْبَةُ، وَاحِدَةُ الشُّعْبِ: وَهِيَ الْأَعْصَانُ، أَي: **إِنَّ لَشَجَرَةِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ بِضْعًا وَسِتِّينَ ( شُعْبَةً ) مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ - وَالْحَيَاءِ  
 شُعْبَةً مِنَ الْإِيمَانِ - ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِنَّمَا يَنْقَطِعُ عَنِ الْمَعَاصِي حَيَاءً مِنَ اللَّهِ: ﴿ إِنَّ  
 الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣١﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ  
 الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأحقاف) - ﴿ الحديث ﴾ (البخاري: ٩) .**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ ثَلَاثٌ - أَي: ثَلَاثُ خِصَالٍ - مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ  
 بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ - أَي: ذَاقَ طَعْمَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ، وَحَلَاوَةُ الطَّعْمِ إِنَّمَا تَبَعَتْ  
 فِي النَّفْسِ السَّعَادَةَ وَالْمَسْرَةَ:

١ - مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا.

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (آل عمران)، أَي:

إِنَّ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّمَا هُمَا أَمْرَانِ مُتَلَاذِمَانِ، لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ. كَذَلِكَ، فَإِنَّ أَصْلَهُمَا طَاعَةُ اللَّهِ الْعَفُورِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى قَوْلًا وَفِعْلًا، أَي: خُضُوعُ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ مَعَ خُضُوعًا تَامًا لِلَّهِ وَحَدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٧٨) (المكف).

٢- وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ.

وَأَمَّا حَقِيقَةُ الْحُبِّ فِي اللَّهِ، فَهِيَ:

- أَلَّا يَزِيدَ بِالصَّلَاةِ، وَلَا يَنْقُصَ بِالْبِعَادِ.

- وَأَنْ يَكُونَ خَالِصًا فِي اللَّهِ، فَلَا يُخَالِطُهُ عَرَضٌ مِنْ أَعْرَاضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

٣- وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ

أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ - تَارَةً أُخْرَى، بَعْدَ إِذْ خَرَجَ مِنْ نَارِ الْكُفْرِ إِلَى جَنَّةِ الْإِيمَانِ؛

ذَلِكَ بِأَنَّ الْارْتِدَادَ إِلَى الْكُفْرِ مَوْعِدُهُ النَّارُ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥) (الفرقان)

- أَي: أَشَدَّ الْعَذَابِ هَلَاكًا وَلِزَامًا لِمَنْ طَعَى وَكَفَرَ - ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا

وَمَقَامًا﴾ (٦٦) (الفرقان) - ﴿. الْحَدِيثُ « (مسلم: ٤٣) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ:

« قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ أَرَيْتَ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ ﴾، قِيلَ:

أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: ﴿ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ

إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ﴾

. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٢٩) .

- ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (الرحمن).

- وَعَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ ﴾. الحديث « (الترمذي: ١٩٥٤).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ جُحُودَ الْإِحْسَانِ وَكُفْرَانَ الْمَعْرُوفِ، هُمَا الدَّلِيلَانِ الْقَاطِعَانِ عَلَى سُوءِ الطَّبَعِ، وَرَدَاءَةِ النَّشْأَةِ، وَذَهَابِ الْحَيَاءِ.

وَإِنَّ مَثَلَ الْمَرْأَةِ السُّوءِ: كَالْحِمْلِ الثَّقِيلِ عَلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ):

« عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ﴿ آيَةٌ - وَالآيَةُ: هِيَ الْعَلَامَةُ - الْمُنَافِقِ - وَهُوَ الَّذِي يَسْتُرُ كُفْرًا وَجُحُودًا، وَيُظْهِرُ إِيْمَانًا وَمَوَدَّةً، وَهُوَ مِنْ ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء) - ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبٌ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ﴾. الحديث « (البخاري: ٣٣).

فَاعْلَمْ أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ ثَلَاثٌ، أَي:

١- الْقَوْلُ: وَفَسَادُ الْقَوْلِ الْكَذِبُ، وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ اللَّسَانَ خِلَافَ مَا قَدْ أَضْمَرَ الْقَلْبُ: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (آل عمران).

٢- النِّيَّةُ: وَفَسَادُ النِّيَّةِ نَقْضُ الْعَهْدِ، وَإِخْلَافُ الْوَعْدِ: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل).

٣- الْفِعْلُ: وَفَسَادُ الْفِعْلِ الْخِيَانَةُ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء).

وَبِمَا أَنَّ الْمَنَافِقَ إِنَّمَا يَكْذِبُ فِيمَا مَضَى، وَيُخْلِفُ فِيمَا سَوَفَ يَأْتِي، وَيَفْرَطُ بِالْأَمَانَةِ - فَإِنَّ أَقْوَالَ فَاسِدَةً وَأَفْعَالَهُ بَائِرَةٌ، أَي: لَا دِينَ وَلَا عَهْدَ وَلَا نِمْمَةَ لَهُ، أَبَدًا! لِذَلِكَ: ﴿بَشِيرِ الْمُنْفِقِينَ يَا نَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَدَّثَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه):

« أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿ سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ - وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران) - ﴿ . الْحَدِيثُ « (البخاري: ٤٨) .

وَالسَّبَابُ: الشَّتْمُ بِبَدْيِ الْأَلْفَاظِ وَفَاحِشِ الْقَوْلِ، وَذَلِكَ بُغْيَةٌ أَنْ يَعْيبَ الْمُسْلِمَ أَخَاهُ؛ فَإِنَّ لَمْ يَجِدْ فِيهِ مَقَالًا أَوْ عَيْبًا يَعْيبُهُ بِهِ، تَعَلَّنَ بِالْبَاطِلِ. وَأَمَّا الْفُسُوقُ فَهُوَ التَّرْكَ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَي: الْخُرُوجُ عَنِ الدِّينِ وَطَرِيقِ الْحَقِّ إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْكَفْرِ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ صَرِيحٌ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ، أَبَدًا! إِذْ أَنَّ السَّبَابَ إِنَّمَا يُفْضِي إِلَى النَّزَاعِ وَالشَّقَاقِ وَبِالتَّالِي إِلَى الْكُفْرِ، أَي: الْإِفْتِتَالِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ إِلَى عَصَبَاتٍ يَدْعُو بَعْضُهَا إِلَى نُصْرَةِ بَعْضٍ - سَوَاءً أَكَانُوا ظَالِمِينَ أَمْ مَظْلُومِينَ - فَيَتَعَصَّبُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَتَهْلِكُ الْأُمَّةُ، وَيَذْهَبُ أَمْرُهَا! ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه ) ، قَالَ :

« سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ﴾ . الحديث « ( مسلم : ١٥٩٩ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) : « عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ﴾ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ : ﴿

- ١ - الشِّرْكَ بِاللَّهِ .
- ٢ - وَالسُّخْرُ .
- ٣ - وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .
- ٤ - وَأَكْلُ الرِّبَا .
- ٥ - وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ .
- ٦ - وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ .
- ٧ - وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ .

﴿ . الحديث « ( البخاري : ٢٧٦٧ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) : « عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

﴿ يَسِّرُوا - أَي: لِيَكُنْ قَوْلُكُمْ لَيْنًا وَتَعَامَلُكُمْ سَهْلًا سَمْحًا لَا تَشَدَّدَ فِيهِ وَلَا عِنَادَ - وَلَا تُعَسِّرُوا - أَي: فَيَجْعَلِ اللَّهُ أَمْرَكُمْ شِدَّةً وَعُسْرًا - وَبَشِّرُوا - أَي: قُولُوا خَيْرًا، وَلَا أَقْفُوا النَّاسَ بِوَجْهِ مُنْبَسِطٍ فَرِحَ، يَغْلُوهُ السُّرُورُ - وَلَا تُنْفِرُوا - أَي: وَلَا تَلْقُوا النَّاسَ بِالغَيْظَةِ وَالشَّدَّةِ، أَوْ بِوَجْهِ كَرِيهِ كَالْبُومِ، أَوْ حَدِيثِ قَبِيحٍ كَنَعِيقِ الْغُرَابِ؛ فَيَتَجَبَّوْكُمْ، وَيَكْرَهُوا لِقَاءَكُمْ، وَيَنْفِضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ - ﴾. الحديث « ( البخاري: ٦٩ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى ﴾. الحديث « ( البخاري: ٢٠٧٦ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

قَالَتْ ( عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ ) :

« دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ - أَي الْمَوْتُ - فَفَهَمْتُهَا، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ - وَالرَّفْقُ، وَصَاحِبُهُ رَفِيقٌ: هُوَ لَيْنُ الْجَانِبِ، وَلَطَافَةُ الْفِعْلِ - ﴾ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٦٠٢٤ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ) :

« أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفْيَيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فِقْرًا فِيهِمَا ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ وَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ثُمَّ يَمْسُحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . الْحَدِيثُ « ( البخاري: ٥٠١٨ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ ﴾ . الْحَدِيثُ « ( البخاري: ٥٦ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرِ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْهَمُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ﴾، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: ﴿ لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ ﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ ﴾، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: ﴿ لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ ﴾، وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: ﴿ لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ ﴾، فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ ﴾ . الْحَدِيثُ « ( النسائي: ٥٠٢٨ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى لَا تَصْنَعُ فَخَالِفُوهُمْ ﴾ .  
الحديث « (النسائي: ٥٠٦٩) .

بِسْمِ اللَّهِ ﷺ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه ) :

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَخْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ، فَكَانَتْ  
قُرَيْشٌ تَخْلِفُ بِآبَائِهَا، فَقَالَ: ﴿ لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ﴾ . الحديث « ( البخاري: ٣٨٣٦) .

بِسْمِ اللَّهِ ﷺ

قال ( الحسن بن علي رضي الله عنه ) :

« حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ  
طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الكَذِبَ رِيْبَةٌ - أَي: دَعُ مَا تَشْكُ فِيهِ إِلَى مَا لَا تَشْكُ فِيهِ؛ فَإِذَا وَقَعَ المَرءُ  
فِي الشَّكِّ، فَعَلَيْهِ بِالصَّافِي مِنَ الْأُمُورِ، وَلِيَدِعِ الْمُشْتَبَهَ مِنْهَا - ﴾ . الحديث « ( الترمذي: ٢٥١٨) .

بِسْمِ اللَّهِ ﷺ

عن ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ رضي الله عنه ) :

« أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قَالَ: ﴿ يَقُولُ ابْنُ  
آدَمَ مَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ - أَي: أَنْفَذْتَ فِيهِ  
عَطَاءَكَ، وَلَمْ تَتَوَقَّفْ فِيهِ: ﴾ ﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّلِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ  
أَمَلًا ﴾ ( الكهف ) - أَوْ أَكَلْتَ فَأَنْبَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ﴾ . الحديث « ( الترمذي: ٣٣٥٤) .

بِسْمِ اللَّهِ ﷺ



قَالَ ( عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رضي الله عنه ) :

« قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ حَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ﴾ - قَالَ عِمْرَانُ: لَا أُدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ بَعْدَ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْدُرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمْنُ ﴾ . الحديث « (البخاري: ٢٦٥١) .

وَالسَّمْنُ: يُطْلَقُ عَلَى الْخِصْلَةِ الْمَذْمُومَةِ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ يَتَعَظَّمُونَ، وَيَتَشَرَّفُونَ، وَيَتَجَمَّلُونَ بِكَثْرَةِ الْمَالِ؛ فَيَجْمَعُونَهُ وَلَا يُنْفِقُونَهُ: ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ (التوبة) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

قَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: ﴿ مَا الْإِيمَانُ؟ ﴾ قَالَ: ﴿ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرَسُولِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ﴾ .

قَالَ: ﴿ مَا الْإِسْلَامُ؟ ﴾ قَالَ: ﴿ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ﴾ .

قَالَ: ﴿ مَا الْإِحْسَانُ؟ ﴾ قَالَ: ﴿ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ﴾ .

قَالَ: ﴿ مَتَى السَّاعَةُ؟ ﴾، قَالَ: ﴿ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَمُ رَبَّهَا - أَي: كَمَا يَفْعَلُ أَقْوَامٌ، مِثْل: الزَّوْجِ بِالْخَادِمَاتِ الْأَجْنَبِيَّاتِ، فَتَلِدُ الْخَادِمَةُ مِنْهُنَّ سَيِّدَهَا - وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ - أَي: تَفَاخَرَتْ أَقْوَامٌ فِي تَطْوِيلِ الْبُنْيَانِ - أَي: فِي بِنَاءِ الْأَبْرَاجِ، وَنَاطِحَاتِ السَّحَابِ - فَأَكْتَرُوا مِنْهَا - فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ - أَي: إِنَّ عِلْمَ السَّاعَةِ مِنْ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ الْخَمْسِ - ﴾. ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الْآيَةَ ثُمَّ أَدْبَرَ، فَقَالَ: ﴿ رُدُّوهُ ﴾ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا.

فَقَالَ: ﴿ هَذَا جَبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٥٠) ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا )، قَالَ: « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ﴿ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ ﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٤٦٢٧) ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ )، قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيُنْتَبَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيُظْهَرَ الزَّانَا ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٨٢) ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ) أَنَّهُ قَدِمَ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ ، قَالَ :

« لَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ أَمْسَ - أَي : إِلَى عُمَرَ - سَأَلَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ : أَيُّكُمْ سَمِعَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفِتَنِ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، قَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: لَسْتُ عَنْ تِلْكَ أَسْأَلُ تِلْكَ يُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفِتَنِ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ فَأَمْسَكَ الْقَوْمُ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ إِيَّايَ يُرِيدُ، قُلْتُ: أَنَا، قَالَ لِي: أَنْتَ، لِلَّهِ أَبُوكَ - وَهُوَ مِنْ مَذْحِ الْعَرَبِ - قُلْتُ - أَي : قَالَ حُدَيْفَةُ - مَا سَمِعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ : ﴿ تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ - وَالْحَصِيرُ: هُوَ الْمَلِكُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَحْصُورٌ، أَي : مَحْجُوبٌ عَنِ الْعَامَّةِ وَالْمَعْنَى: تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ، كَمَا يَخْرُجُ الْمَلِكُ عَلَى قَوْمِهِ، فِي زِينَتِهِ - فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَضَاءُ - وَالنُّكْتَةُ: أَثَرٌ قَلِيلٌ كَالنُّقْطَةِ - وَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا - أَي : أَبْهَرَتْهُ بِإِعْوَانِهَا لَهُ، فَأَشْرَبَ حُبُّهَا فِيهِ - نُكْتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: أَبْيَضَ مِثْلَ الصَّفَا - وَهُوَ الْحَجَرُ الْأَمْسُ، الَّذِي لَا يَغْلِقُ عَلَيْهِ شَيْءٌ - لَا يَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدَ مُرَبِّدٌ - وَهُوَ السَّوَادُ بَيَاضٍ حَفِيٍّ - كَالْكُوزِ مُخْجِيًّا - أَي : مَانِلًا، وَأَمَّا كَفَّهُ ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكَرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ ﴾ . الْحَدِيثُ « (مسند احمد : ٢٢٧٦٩) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي وَقْدِ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ اللَّيْثِيِّ ) ، قَالَ: « بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ فِي الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَدَهَبَ وَاحِدٌ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلَقَةِ فَجَلَسَ وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ.

فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:

﴿ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا  
الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ ﴾

. الحديث « (البخاري: ٤٧٤) ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ (الْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: « قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

﴿ إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ،  
ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ،  
رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي  
أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ  
آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ﴾. الحديث « (البخاري: ٢٤٧) ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ (زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ:

« صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ - وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ مَكَّةَ  
الْمُكْرَمَةِ، سُمِّيَتْ بِنِزْرِ فِيهَا - عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ - أَي: بَعْدَ لَيْلَةِ  
مُنْطَرَةِ - فَلَمَّا أَنْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: ﴿ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ ﴾  
قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ﴿ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ،  
فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ  
وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ﴾

. الحديث « (البخاري: ٨٤٦) ».

وَالنَّوْءُ: هُوَ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى سُقُوطِ نَجْمٍ - أَي: فِي الْأُفُقِ الْعَرَبِيِّ مَعَ الْفَجْرِ - مِنَ النُّجُومِ  
الَّتِي يُسْتَنَاءُ بِهَا، أَي: الَّتِي يُوَافِقُ نَوُوهَا حَالَةَ طَقْسٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ مَطَرٍ، أَوْ رِيَّاحٍ، أَوْ حَرٍّ،  
أَوْ بَرْدٍ. وَالْمَرَادُ بِالنَّجْمِ - هَهُنَا - أَحَدُ تِلْكَ النُّجُومِ الَّتِي يَنْوَأُ مِنْهَا نَجْمٌ فِي كُلِّ ثَلَاثِ  
عَشْرَةَ لَيْلَةً - تَقْرِيْبًا - أَي: مَنَازِلِ الْقَمَرِ الثَّمَانِي وَالْعِشْرِينَ.

وَلَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَزْعُمُ أَنَّ مَا جَاءَ مِنَ الْمَطَرِ مُوَافِقًا لِنَوْءِ نَجْمٍ، هُوَ فِعْلٌ  
ذَلِكَ النَّجْمِ، فَكَانَتْ تَنْسُبُ الْمَطَرَ إِلَى نَوْءِ ذَلِكَ النَّجْمِ.

فَلَا يَجْعَلُونَهُ سَفِيًّا مِنَ اللَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ سُبْحَانَهُ بَلْ يَجْعَلُونَ النَّجْمَ هُوَ الْفَاعِلُ، مَثَلًا:  
كَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ: مَطَرْنَا بِنَوْءِ الثَّرِيَاءِ. ( وَمَوْعِدُ نَوْءِ كَوْكَبَةِ الثَّرِيَاءِ، هُوَ: ١٣ تَشْرِينِ  
الثَّانِي. )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ):

« أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ  
لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ - وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلشَّهَابِ: نَجْمٌ - فَاسْتَنَارَ،  
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ  
هَذَا؟ ﴾ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلْدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ  
عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

﴿ فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا  
قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ  
التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يُلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ  
الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ.

فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا،  
فَتَخْطَفُ الْجِنَّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيَرْمُونَ بِهِ.

أي: يُرْمَى الْجِنَّ - الَّذِي اسْتَرَقَ السَّمْعَ - بِذَلِكَ الشَّهَابِ، بَعْدَ إِخْبَارِ أَوْلِيَائِهِمْ بِمَا قَدْ  
خَطَفُوا مِنَ السَّمْعِ، وَزَادُوا فِيهِ: ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ (الحجر).

فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْدِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ ﴿  
الحدِيثُ « (مسلم: ٢٢٢٩) .

﴿ حَتَّى إِذَا فُرِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سبا)  
﴿ فُرِعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ - أي: كُشِفَ الْفَرْعُ عَن قُلُوبِ الْمَلَائِكَةِ - ﴿ قَالُوا ﴾، بَعْدَ أَنْ أُخْبِرَ  
بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَاذَا قَضَى رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ: ﴿ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ - أَي: مُؤَخَّرِ عُنُقِهِ - إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ - تَأْكِيدًا وَإِحْكَامًا لَهَا، قَائِلًا: - عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ! - وَإِنَّمَا يَفْعَلُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ لَعَلَّهُ يَحْجُبُ الْحِسَّ عَنِ النَّائِمِ، فَلَا يَسْتَيْقِظُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ - فَإِنِ اسْتَيْقِظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ حَبِيبَ النَّفْسِ كَسَلَانَ ﴾. الحدِيثُ « ( البخاري: ١١٤٢ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَأَشْنَدَ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأْ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ ﴾ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: ﴿ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٢٣٦٣ ). »

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) ، قَالَ:

« قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ - وَهِيَ الْبِئْرُ - كَادَ يَفْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ - وَهِيَ الزَّانِيَةُ الْفَاجِرَةُ - مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا - وَهُوَ الْخُفُّ - فَسَقَتْهُ فَغَفَرَ لَهَا بِهِ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٣٤٦٧ ). »

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه ) :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا - إِذْ حَبَسَتْهَا - وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ - أَي: هَوَامِّ الْأَرْضِ وَحَشَرَاتِهَا - ﴾. الحديث « ( البخاري: ٣٤٨٢ ). »

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٣٤٨٠ ) .

ﷺ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) ، قَالَ:

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٢٣٢٠ ) .

ﷺ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيُعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٦٣٢٩ ) .

ﷺ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) ، قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿

- مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكَلِّمْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ.
- وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ.
- وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ.

﴾. الحديث « ( البخاري: ٦٤٧٥ ) .

ﷺ



عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، قَالَ :

« قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ﴾

. الحديث « ( البخاري : ٦٤٨٦ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا الثُّرُكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمَرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأَنْوْفِ ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ، وَتَجْدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ ، وَالنَّاسُ مَعَادِنٌ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ ﴾ . الحديث « ( البخاري : ٣٥٨٩ ) .

- ﴿ نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ ﴾ ، أَي : نِعَالُهُمْ مِنْ صُوفِ الْإِبِلِ الْمَضْفُورِ ، وَالنَّعْلُ : هِيَ الَّتِي تَلْبَسُ فِي الْمَشْيِ .

- ﴿ ذُلْفَ الْأَنْوْفِ ﴾ ، وَالذَّلْفُ : قِصْرُ الْأَنْفِ ، وَصِغْرُهُ ، وَاسْتِوَاءُ الْأَرْزَبَةِ .

- ﴿ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ﴾ ، أَي : قَوْمٌ عَرَّضُوا الْوُجُوهُ غِلَظَهَا ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ ثُرُوسٌ قَدْ أَلْبَسَتْ جِلْدًا . وَالثُّرُوسُ ، جَمْعُ تَرَسٍ : وَهِيَ مِنَ السَّلَاحِ ، وَيُتَوَقَّى بِهَا مِنْ ضَرَبَاتِ السُّيُوفِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً - أَي: عَلَى الضَّلَالِ، أَي: مِثْلَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَانظُرُوا! - ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٧٠٥٣) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ ﴾ . الْحَدِيثُ « (البخاري: ٧١٤٤) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَخْبَرَتْ ( أُمُّ سَلَمَةَ، هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ) :

« عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَةً بِيَابِ حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخُصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيُتْرِكْهَا ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٢٤٥٨) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ):

« سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهْلِكُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرِيْمَ وَابْنَهَا ﴾ . ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

. الحديث « ( البخاري: ٣٤٣١ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

قَالَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

﴿ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ - وَالْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عِلَاتٍ - لَيْسَ بَيْنِي

وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ ﴾ . الحديث « ( البخاري: ٣٤٤٢ ) .

وَأَوْلَادُ الْعِلَاتِ: الْإِخْوَةُ مِنَ الْأَبِ الْوَاحِدِ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى. وَالْمَعْنَى أَنَّ التَّوْحِيدَ - أَي: عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ سَبَّحْتَهُ - إِنَّمَا هُوَ أَصْلُ دِينِهِمْ - جَمِيعًا - لَكِنَّ شَرَائِعَهُمْ وَأَزْمَنَتَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ ( المائدة ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ):

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ لَمَّا كَذَّبْتَنِي فَرِيشٌ قَمْتُ فِي الْحَجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِفْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ ﴾

. الحديث « ( مسلم: ١٧٠ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عن ( جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ) :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتٍ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾. الحديث ( البخاري: ٦١٤ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ) :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَأَعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ﴾ وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعْتُ لَكَ سَمْعِي وَبَصْرِي وَمُحْيِي وَعَظْمِي وَعَصْبِي ﴾ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: ﴿ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ﴾ وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ ﴾.

وَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾. الحديث « (مسلم: ٧٧١).

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا )، قَالَتْ:

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: ﴿ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ - أَي: رَبُّ الرُّوحِ الْأَمِينِ جِبْرِيلَ السَّلَاطِينِ - ﴾. الحديث « (النسائي: ١٠٤٨).

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( رِفَاعَةَ بِنِ رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ )، قَالَ:

« كُنَّا يَوْمًا نَصَلِّي وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: ﴿ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ﴾ قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: " رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ. "

فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ مَنْ الْمُتَكَلِّمُ آفَأ؟ ﴾ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ لَقَدْ رَأَيْتَ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا - أَي: يَسْتَبِقُونَ - أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوْلَى ﴾. الحديث « (النسائي: ١٠٦٢).

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ): « عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

﴿ إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلَا تُسْرِعُوا فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا ﴾. الحديث « (البخاري: ٦٣٦).

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلَاةِ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلَاةَ ﴾

. الحديث « ( البخاري: ٥٨٠ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

قَالَ ( جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ) :

« كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ:

﴿ أَمَا إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ - أَي: لَا يَنْضَمُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَتَرُدُّحُمُونَ وَفَتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ -

فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا يَعْني الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ ﴾ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ

وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ط ﴾ . الحديث « ( مسلم: ٦٣٣ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الصُّبْحِ رَكْعَةً قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ

الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الصُّبْحَ، وَمَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الْعَصْرِ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ

الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الْعَصْرَ ﴾ . الحديث « ( البخاري: ٥٧٩ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، قَالَ:

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدِكْرِي ﴾ ﴾ . الحديث « (مسلم: ٦٨٤) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ):

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي شَأْنِ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ: ﴿ لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً ﴾ . الحديث « (مسلم: ٧٢٥) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) « عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ ﴾ . الحديث « (مسلم: ٢٣٣) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، قَالَ:

« قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: ﴿ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً إِلَّا أَعْطَاهُ ﴾ . الحديث « (البخاري: ٦٤٠٠) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى ، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ ﴾ . الحديث « (البخاري: ١٢٣٢) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ دَعْوَتَهُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي ﴾. الحديث « ( البخاري: ٦٣٤٠ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَبِي مُوسَى، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الْأَسْعَرِيِّ رضي الله عنه )، قَالَ:

« كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ - أَي: ارْفُقُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِيمَا تَدْعُونَ، فَلَا تُجْهِدُوهَا - فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: ﴿ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ﴾ . الحديث « ( البخاري: ٦٣٨٤ ) .

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ) قَالَتْ:

« فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ وَقَدَمَاهُ مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعْفَاتِكَ مِنْ عِقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ ﴾ . الحديث « ( النسائي: ١١٠٠ ) .

اللَّهُمَّ آمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ



عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ) :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: ﴿

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ،  
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ  
مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ  
مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

- وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا.

﴿ الحديث ﴾ ( ابن ماجه: ٣٨٤٦ ) .

اللَّهُمَّ آمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، قَالَ :

« كَانَ أَكْثَرَ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ اللَّهُمَّ ﴾ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ

حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . ﴿ الحديث ﴾ ( البخاري: ٦٣٨٩ ) .

اللَّهُمَّ آمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ



عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) ، قَالَ:

« قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ - أَي: حَسْبِي وَكَفَايِي، وَتَكَرَّرَهَا لِلتَّكْيِيدِ - وَيُرْوَى - أَي يُجْمَعُ - بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٦٦٦١) .»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) ، قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقْتَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ حَاطِبِيَّتَهُ - انْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ حَاطِبِيَّتَهُ - انْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ حَاطِبِيَّتَهُ - انْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ حَاطِبِيَّتَهُ - انْتُوا عِيسَى، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ انْتُوا مُحَمَّدًا فَقَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتَ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ تَعْطُهُ وَقُلِّ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا ثُمَّ أَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقْعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ، حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ - وَكَانَ قِتَادَةً يَقُولُ عِنْدَ هَذَا: أَي وَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ - ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٦٥٦٥) .»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه ) :

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي ﴾. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٦٥٥٧).

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأعراف).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ( حَارِثَةُ بْنُ وَهَبٍ رضي الله عنه ) :

« سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ﴿ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ - وَيُقَالُ: تَضَعَّفْتُ رَجُلًا، أَي: اسْتَضَعَفْتُهُ، فَلَمْ أَقِمْ لَهُ وَزْنًا، أَبْدَأُ أَي: وَمَا يَزَالُ ذَلِكَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْمُتَضَعِّفُ يُطِيعُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ حَتَّى - لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ - أَي: لَوْ سَأَلَ اللَّهُ لِأَجَابِهِ فَلَمْ يَزِدْهُ سُبْحَانَهُ مَحْرُومًا خَائِبًا - وَأَهْلِ النَّارِ كُلِّ جَوَاطِظٍ عُتْلٍ مُسْتَكْبِرٍ - وَالْجَوَاطِظُ: الْجَسِيمُ، الْأَكُولُ، الشَّرُوبُ، الْبَطْرُ، الْكَفُورُ؛ وَأَمَّا الْعُتْلُ: فَهُوَ الشَّدِيدُ الْجَافِي الْخُلُقِ، أَي: الْفَظُّ، الْغَلِيظُ، اللَّئِيمُ الطَّبِيعَةِ وَالسَّجِيَّةِ - ﴾ . الْحَدِيثُ « (البخاري: ٦٦٥٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ) :

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُومُ مُوَدَّنٌ بَيْنَهُمْ: يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، خُلُودٌ ﴾

. الحديث « ( البخاري: ٦٥٤٤ ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَخْبَرَ ( أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) :

« أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: ﴿ هَلْ تُمَارُونَ - مِنَ الْمِرْيَةِ، أَيْ: الشَّكِّ وَالْجَدَلِ - فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ ﴾ قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ﴿ فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ ﴾ قَالُوا: لَا، قَالَ:

﴿ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاعِيَةَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، - أَيْ: فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ سُبْحَانَهُ - فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا.

فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ - وَهُوَ نَبَاتٌ لَهُ شَوْكَةٌ عَظِيمَةٌ، مِثْلُ: الْحَسَكِ، مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ - ﴾ قَالُوا: نَعَمْ.

**قال:** ﴿ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ - أَي: عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ - فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ - فَيَهْوِي فِي النَّارِ - وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدَلُ ثُمَّ يَنْجُو - وَالْمُخْرَدَلُ: الْمُقَطَّعُ، أَي: تُقَطَّعُهُ كَلَالِيِبُ الصِّرَاطِ، ثُمَّ يَنْجُو - حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ - وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ - فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا - أَي: احْتَرَفُوا - فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُثُونَ كَمَا تَنْبُثُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ - وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ السَّيْلُ، مِنْ طِينٍ خِصْبٍ - ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا - أَي: سَمَنِي، وَآذَانِي رِيحُهَا - وَأَحْرَقَنِي دُكَاؤُهَا - وَالذِّكَاؤُ شِدَّةٌ وَهَجِ النَّارِ - فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدَّمَنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النُّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ادْخُلْنِي الْجَنَّةَ.

فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا بَنَ آدَمَ مَا أَعْدَرَكِ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ  
 أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ،  
 فَيَضْحَكُ اللَّهُ ﷻ مِنْهُ ثُمَّ يَأْذُنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى  
 إِذَا انْقَطَعَتْ أُمْنِيَّتُهُ قَالَ اللَّهُ ﷻ: مِنْ كَذَا وَكَذَا - أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ - حَتَّى إِذَا  
 أَنْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. « الحديث » (البخاري: ٨٠٦).

ﷺ

عَنْ (صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

« عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:  
 تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ  
 وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ  
 إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ ﴾  
 . الحديث » (مسلم: ١٨١).

ﷺ

قَالَ (أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

« إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ  
 - أَي: يُحَاسِبُنِي إِنْ تَعَمَّدْتُ كَذِبًا، وَيُحَاسِبُ مَنْ ظَنَّ بِي السُّوءَ - وَيَقُولُونَ:  
 مَا بَالَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يَتَحَدَّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ:

إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَأَن يَشْغَلُهُمْ عَمَلٌ أَرْضِيهِمْ، وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَأَن يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ - وَالصَّفْقُ: كِنَايَةٌ عَنِ التَّبَايُعِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَبَايَعُوا، تَصَافَقُوا بِالْأَيْدِي - وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِاءٍ بَطْنِي فَأَتَشْهَدُ إِذَا غَابُوا وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا.

وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: ﴿ أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ؟ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ فَاتِهِ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ ﴾ فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ - وَالْبُرْدَةُ: كِسَاءٌ يُلْتَحَفُ بِهِ. الْحَدِيثُ « (مسلم: ٢٤٩٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَتْ ( عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ):

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ: ﴿ إِنَّهُ لَمْ يُفْبِضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَفْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُحْيَا - مِنَ التَّحِيَّةِ، أَي: يُحْيِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ ﷻ - أَوْ يُخَيَّرَ - وَرَبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ غَلَطِ الرِّوَاةِ عَلَيْهِ ﷺ، أَوْ أَنَّ الْأَرْجَحَ ( اسْتِبْدَالُ أَوْ بِالْوَاوِ ) فِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. »

فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأَسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غَشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَّصَ بَصْرَهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ﴾ فَقُلْتُ: إِذَا لَا يُجَاوِرُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٤٤٣٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## العَشْرَةُ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ﷺ

١- أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ: وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَانَ ﷺ، وَأَبُو السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ( أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ).

وَهُوَ ﷺ الَّذِي لَمْ يُوَالِ وَلَمْ يُعَادِ أَحَدًا - قَطُّ - إِلَّا فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَأَوَّلَ الْمُصَدِّقِينَ بِالْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَثَانِي اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة).

وَأَوَّلَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ( ١١ - ١٣ هـ )، وَمُتَّبِعَاتِ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ؛ إِذْ أَرْسَلَ الْجِيُوشَ لِقِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ.

وَهُوَ ﷺ الَّذِي أَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ - مِنْ صُدُورِ الْحِفَاطِ وَمِنَ الْكِتَابَاتِ - فِي نُسْخَةٍ وَاحِدَةٍ، سُمِّيَتْ ( الْمُصْحَفَ ):

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ (القيامة).

وَبَرَعِمُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ كَانَ مِنْ أَحْفَظِ النَّاسِ لِلْقُرْآنِ اسْتِظْهَارًا، فَقَدْ تَتَبَعَ زَيْدُ ﷺ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَجَمَعَهُ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي كُتِبَ فِيهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى مَا حَفِظَ هُوَ وَغَيْرُهُ، وَذَلِكَ اخْتِيَابًا لِنَلَا يَسْفُطُ مِنْهُ حَرْفٌ - لِسُوءِ حَفِظِ حَافِظِهِ - أَوْ يَتَبَدَّلُ حَرْفٌ بغيره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٥١﴾﴾ (النجم).

٢- عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: هُوَ الْفَارُوقُ ﷺ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْلَامَ

بِهِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِمَكَّةَ، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ.

وَهُوَ ﷺ صَاحِبُ الرَّأْيِ السَّيِّدِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَثَانِي الْخُلَفَاءِ  
الرَّاشِدِينَ ( ١٣ - ٢٣ هـ )؛ وَكَانَ حَاكِمًا بِالْعَدْلِ، زَاهِدًا بِالدُّنْيَا،  
مُتَوَاضِعًا لِلَّهِ، وَنَصِيرًا لِلضُّعَفَاءِ وَالْأَرَامِلِ، وَلَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
عَلَى يَدِهِ الْكَثِيرَ مِنَ الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، يَقُولُ: " مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُصَلِّيَ  
عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَ فُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى  
عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ."

وَقَالَ ( أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ ): « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

﴿ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّنَدِيَّ  
- جَمْعُ الثَّنَدِيِّ - وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ  
قَمِيصٌ يَجْرُهُ ﴾ قَالُوا: مَاذَا أَوْلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ﴿ الدِّينَ ﴾.

الْحَدِيثُ « (مسلّم: ٢٣٩٠).

وَعَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ )، قَالَ:

« إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ فَدَعَا اللَّهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَدْ وُضِعَ عَلَى  
سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وُضِعَ مِرْفَقُهُ عَلَى مَنْكَبِي، يَقُولُ:  
رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ لِأَنِّي كَثِيرًا  
مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: ﴿ كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ،  
وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَنْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ﴾.

فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي  
طَالِبٍ. الْحَدِيثُ « (البخاري: ٣٦٧٧).

٣- **عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ** رضي الله عنه: ذُو النُّورَيْنِ رضي الله عنه، فَهُوَ صَهْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِابْنَتَيْهِ السَّيِّدَةِ رُقَيْيَةَ، ثُمَّ السَّيِّدَةِ أُمِّ كَلْبُومٍ رضي الله عنهما.

وَهُوَ رضي الله عنه ثَالِثُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ( ٢٣ - ٣٥ هـ )، وَأَوَّلُ مَنْ أَمَرَ بِنَسْخِ المُصْحَفِ.

وَلَقَدْ بَعَثَ ﷺ بِتِلْكَ النُّسخِ مِنَ المُصْحَفِ إِلَى مَكَّةَ، وَالبَصْرَةَ، وَالكُوفَةَ، وَالشَّامَ. وَأَحْرَقَ جَمِيعَ الصُّحُفِ وَالمَصَاحِفِ، مَا عَدَا المُصْحَفَ الَّذِي جَعَلَهُ لِأَهْلِ المَدِينَةِ، وَالمُصْحَفَ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ نَفْسَهُ، وَالمَصَاحِفَ المُنْتَسَخَةَ مِنْهُمَا.

وَقَدْ امْتَدَّتْ رُقُوعَةُ أَرْضِ الإِسْلَامِ فِي عَهْدِهِ إِلَى خُرَاسَانَ، وَنَيْسَابُورَ، وَغَيْرِهَا مِنَ الأَقَالِيمِ وَالأَمْصَارِ.

وَكَانَ رضي الله عنه كَثِيرَ الجُودِ وَالبَدْلِ لِلْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَقَالَتْ ( عَائِشَةُ، أُمُّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها ) :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَن سَاقِيهِ.

فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ - وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ - فَتَحَدَّثَ.

ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ - وَهُوَ كَذَلِكَ - فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَسَوَى ثِيَابَهُ - فَدَخَلَ، فَتَحَدَّثَ.

فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ.

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ. ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَتْ

وَسَوَّيْتُ ثِيَابِكَ، فَقَالَ: ﴿ أَلَا أُسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ ﴾

. الحَدِيثُ « (مسلم: ٢٤٠١) ».

٤ - عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَهْرُهُ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، وَآمِيرُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ رضي الله عنه، وَأَوَّلُ الذُّكْرَانِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ﷺ وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ.

وَنَامَ فِي فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَوْمَ أَحَاطَتْ شَيَاطِينُ قُرَيْشٍ بِدَارِهِ ﷺ تُرِيدُ التَّخَلُّصَ مِنْهُ بِقَتْلِهِ.

وَهُوَ رضي الله عنه أَوَّلُ مَنْ كَسَرَ الْأَصْنَامَ عَلَى رَأْسِ كَبِيرِهَا هُبَلٍ، وَآخِرُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ (٣٥ - ٤٠ هـ).

وَعَنْ (سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه)، قَالَ:

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ: ﴿ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ﴾. الْحَدِيثُ « (مسلم: ٢٤٠٤).

وَقَالَ (زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ رضي الله عنه):

« قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَّظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ:

﴿ أَمَا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوْلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ﴾ فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَأَهْلَ بَيْتِي، أُذَكِّرْكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرْكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرْكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ﴾. الْحَدِيثُ « (مسلم: ٢٤٠٨).

٥- طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: صَفَرُ يَوْمٍ أُحُدٍ رضي الله عنه، الَّذِي دَافَعَ بِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ

- يَوْمَئِذٍ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ إِذْ نَجَّاهُ طَلْحَةُ رضي الله عنه مِنْ سَيْوْفِ الْمُشْرِكِينَ  
الَّتِي كَانَتْ تَلْهَثُ نَحْوَهُ، وَتَحِيْطُ بِهِ، تُرِيدُ أَنْ تَنَالَهُ بِسَوْءٍ.

فَسَانَدَهُ، وَحَمَلَهُ بَعِيداً عَنِ الْخُفْرَةِ، الَّتِي زَلِقَتْ فِيهَا قَدَمُهُ الشَّرِيفَةُ رضي الله عنه.  
وَتُوْفِيَ رضي الله عنه فِي الْبَصْرَةِ سَنَةَ ( ٣٦ هـ ).

٦- الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ رضي الله عنه: حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَابْنُ عَمَّتِهِ صَفِيَّةَ،  
وَزَوْجُ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَهُوَ رضي الله عنه صَاحِبُ السِّيفِ الْوَهَّاجِ، وَالثَّرَاءِ الْعَرِيضِ؛ وَكَانَ جَوَاداً سَخِيّاً  
النَّفْسِ، وَمَاتَ رضي الله عنه مَدِيناً سَنَةَ ( ٣٦ هـ ).

وَعَنْ ( جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ) قَالَ: « قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ  
حَوَارِيّاً وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٣٧١٩ ).

٧- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه: اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدُ عَمْرٍو.

فَلَمَّا أَسْلَمَ - بَعْدَ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه بِيَوْمَيْنِ اثْنَيْنِ - دَعَاهُ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدُ الرَّحْمَنِ.

وَلَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - مِنَ الْكُنُوزِ، مَا إِنَّ كَثْرَتَهَا  
لَتَفُوقُ الْخِيَالَ؛ حَتَّى صَارَ أَغْنَى الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم غِنَى، وَأَكْثَرَهُمْ ثَرَاءً.

وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِفَضْلِ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ لَهُ  
فِيمَا أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَكَانَ كَثِيرَ الْجُودِ، وَالْبَدْلِ لِلْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،  
أَي: كَانَ لِلَّهِ فِي مَالِهِ رضي الله عنه النَّصِيبَ الْأَوْفَى، وَتُوْفِيَ رضي الله عنه سَنَةَ ( ٣٢ هـ ).

٨- سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: جَدُّهُ أَهْيَبُ بْنُ مَنَافٍ، عَمُّ السَّيِّدَةِ  
أَمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ، أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

وَهُوَ رضي الله عنه ثَالِثُ أَوَّلِ ثَلَاثَةِ سَارَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ؛ وَأَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمِهِ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمِهِ أَيْضًا.  
وَكَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

وَهُوَ رضي الله عنه الْأَسَدُ فِي بَرَاتِنِهِ - وَذَلِكَ لِشِدَّةِ بَطْشِ يَدِهِ رضي الله عنه فِي قِتَالِ الْكَافِرِينَ،  
وَالْبُرْتُنُ: مَخْلَبُ الْأَسَدِ - فَاخْتَارَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه،  
لِإِطْفَاءِ النَّيْرَانِ الْمَعْبُودَةِ - فِي بِلَادِ فَارِسٍ - إِلَى الْأَبَدِ.  
وَتُوفِيَ رضي الله عنه سَنَةَ ( ٥٥ هـ ).

وَقَالَ ( عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ) : « مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبْوِيهِ لِأَحَدٍ  
غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ - أَي: مَالِكِ بْنِ أَهْيَبٍ، وَهُوَ أَبُو وَقَّاصٍ - فَاتَهُ جَعَلٌ يَقُولُ  
لَهُ يَوْمَ أَحَدٍ: ﴿ اِرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ﴾. الْحَدِيثُ « (مسلم: ٢٤١١) .

٩- سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه: ابْنُ عَمِّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَزَوْجُ أُخْتِهِ  
فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ وَكَانَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي طَلِيعَةِ مَنْ آمَنُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالسَّبَبُ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

وَهُوَ رضي الله عنه سَيْفٌ بَتَّارٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ، إِذْ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم  
الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا إِلَّا بَدْرًا.

كَمَا أَسْنَمَهُ رضي الله عنه مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي قَلْبِ عَرْشِ كِسْرَى، وَتَقْوِيضِ  
مُلْكِ قَيْصَرَ، وَكَانَ بَطْلًا مِنْ أَبْطَالِ يَوْمِ الْيَرْمُوكِ.

وَبَعْدَ أَنْ شَهِدَ فَتَحَ دِمَشْقَ، جَعَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه وَالِيًّا عَلَيْهَا،  
وَتُوفِّيَ رضي الله عنه سَنَةَ ( ٥٠ هـ ).

١٠- أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه: أَسْلَمَ بَعْدَ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه  
بِیَوْمَیْنِ اثْنِیْنِ، وَهُوَ رضي الله عنه الْقَوِيُّ الْأَمِیْنُ، أَمِیرُ الْأَمْرَاءِ، وَأَمِیْنُ  
أُمَّةِ الْإِسْلَامِ.

وَيَوْمَ أُحُدٍ، كَانَ صَدْرُهُ دِرْعًا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ رِمَاحِ الْمُشْرِكِينَ.  
وَكَانَ يَصُولُ بَيْنَ الصُّفُوفِ صَوْلَةً مَنْ لَا يَهَابُ الرَّدَى، وَذَلِكَ مِنْذُ صَحَبِ  
رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ رضي الله عنه.

وَلَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ سبحانه عَلَى يَدِهِ بِلَادَ الشَّامِ كُلَّهَا، وَتُوفِّيَ سَنَةَ ( ١٨ هـ ).

# نُورُ الْقَلْبِ فِي ظُلُمَاتِ الْفِكْرِ

خريطة طريق العطش إلى بئر الحقيقة

زكوان حصريّة



﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (النور)

بِسْمِ اللَّهِ.. تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ.. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب)



إِنَّ خَيْرَ الْهَدَايَا وَأَجْمَلَ الذُّكْرِيَّاتِ

كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ، إِرْشَادٌ قَوِيمٌ، حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ.. وَلَيْسَتْ لِفَمَّةٍ فَانِيَةً أَوْ خِرْقَةً بَالِيَةً!



اللَّهُمَّ أَجِرْ قَلْمِي هَذَا فِي مَرْضَاتِكَ.. وَلَا تَجْعَلْهُ عَثْرَةً فِي طَرِيقِ الْحَقِّ

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (الحج)



﴿ اللَّهُمَّ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ..

أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلِّحْ عَلَيْهِ أَمْرَ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ.. لَكَ الْعُثْبَى حَتَّى  
تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ﴾ (السيرة النبوية: ابن هشام)



﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٨﴾  
إِنَّهُمْ لَن يَغْنُؤُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ  
الْمُتَّقِينَ ﴿١٧٩﴾ هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الجنانية)



﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٤٥٧) (البقرة)

اللَّهُمَّ رَبَّنَا، هَذَا جَهْدِي أَضْعُهُ بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِكَ سُبْحَانَكَ، عَسَى أَنْ يَكُونَ مُخْرَجَ صِدْقٍ لِلْقُلُوبِ - بِإِذْنِ رَبِّهَا - مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَاطِلِ إِلَى نُورِ الْحَقِّ.. وَخَاصَّةً، مَا كَانَ يَعْطُ مِنْهَا نَائِمًا فِي عَتَمَةِ لَيْلِ الْمَادَّةِ، أَي: تِلْكَ الْقُلُوبُ الَّتِي إِنْ اسْتَفَاقَتْ مِنْ طُولِ لَيْلِ سُبَاتِهَا.. تَرَنَحَتْ كَالْعَمِيَاءِ مِنْ ظَلَامٍ دَامِسٍ! ذَلِكَ بِأَنَّهَا قُلُوبٌ تَأْتِيهِ ضَالَّةٌ تَلْهَتْ وَرَاءَ سَرَابٍ.. فَلَا تَرَى مَا الْحَقِيقَةُ؟ وَلَا تَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ الْمَسِيرُ؟ بِلَا هَادٍ وَلَا دَلِيلٍ!

﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أُتِيَ قُلٌّ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧١) (الأنعام)



يَا رَفِيقَ دَرْبِي.. هَذِهِ يَدِي وَإِلَى بِيَدِكَ.. وَلِنَسِرْ مَعًا فِي طَرِيقِ الشِّفَاءِ:

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٦١) (ص)



إِنَّ الْإِيمَانَ اسْتِقْرَارٌ بَلْ ثَبَاتٌ قَائِمٌ عَلَى الْحَقِّ.. أَمَّا الْكُفْرُ فَاضْطِرَابٌ وَاهْتِيَاجٌ كَالزَّبْدِ.. يَسْتُرُ سُكُونَ صَفْحَةِ الْمَاءِ تَحْتَ عَظِيمِ رَعْوَتِهِ! كَذَلِكَ يَمَكُثُ الْإِيمَانُ فِي قَرَارِ الْقَلْبِ.. وَيَذْهَبُ الْكُفْرُ جُفَاءً فِي غَيْرِ نَفْعٍ، وَلَا فَايِدَةٍ!



﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦١) (العنكبوت)



﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة)

فاعلم:

- أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
- وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ الْفَاعِلُ.
- وَأَنَّ كُلَّ مَا خَلَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ مَفْعُولٌ بِهِ، لَا وَلَنْ يَمْلِكَ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا!

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الاعراف)



كَيْفَ لِلظَّلَامِ أَنْ يُوَاجِهَ الشَّمْسَ؟

فَمَا كَانَ الظَّلَامُ إِلَّا ذَهَابُ النُّورِ.. وَإِنَّمَا يَمْحُو الظَّلَامَ شُرُوقُ الشَّمْسِ!



الْحَرَكَةُ نِسْبِيَّةٌ

فَاعْلَمْ أَنَّ السَّيْرَ عَبْرَ الزَّمَنِ لَهُ مَعْيَارَانِ أَسَاسِيَّانِ:

إِمَّا أَنْ الزَّمْنَ يَتَقَهَّرُ خَلْفَكَ وَأَنْتَ تَمْضِي إِلَى الْأَمَامِ بِخُطَوَاتٍ ثَابِتَةٍ وَنَبِيذَةٍ

وَإِمَّا أَنْ الزَّمْنَ يَسِيرُ إِلَى الْأَمَامِ وَأَنْتَ تَتَرَجَّعُ إِلَى الْوَرَاءِ.. إِلَى الزَّوَالِ!



إِنَّ الْحَضَارَةَ الْعِلْمِيَّةَ بغيرِ حِكْمَةِ الْقَلْبِ..

مَا هِيَ إِلَّا سِلَاحٌ قَاتِلٌ يَعْبَثُ بِهِ طِفْلٌ صَغِيرٌ!



إِنَّ دَارِوِينَ - الْيَوْمَ - يُنَادِي أَشْبَاهَهُ مِنَ الْقَرَدَةِ الْخَاسِنِينَ - كَمَا الْأَمْسِ - قَانِلًا  
فِي تَوْكِيدِ عِلْمِيٍّ: أَلَا إِنَّ الْإِنْسَانَ حَيَوَانٌ!

وَهَلْ كَانَ هَذَا الْمَسْخُ الْعِلْمِيُّ، إِلَّا رَسُولُ الشَّيْطَانِ؟!



﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) ﴿ (الإسراء).

فَإِذَا مَا طَعَى الْإِنْسَانُ، رَفَعَ عَنْهُ التَّكْرِيمَ الْإِلَهِيَّ.. فَانْحَطَّ سَاقِطًا إِلَى مَا دُونَ  
مَرْتَبَةِ الْبَهَائِمِ كُلِّهِمْ، أَجْمَعِينَ!

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ  
خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (١٣) ﴿ (الأنفال).

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْحَضَارَةَ إِنَّمَا هِيَ حَضَارَةُ الْإِنْسَانِ.. وَلَيْسَتْ رَغْدَ الْعَيْشِ،  
وَلَا زُخْرَفَ الْحَيَاةِ، أَبَدًا! فَمَا كَانَتْ الْحَضَارَةُ السَّعَةِ فِي الزَّرِّيْبَةِ، وَالْوَفْرَةِ  
فِي الْعَلْفِ، وَالْمَزِيدِ مِنَ الْبَرَسِيمِ! إِلَّا لِمَنْ قَدْ حَقَّتْ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِهَا!

فَاعْلَمْ، يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي أَرْضِ اللَّهِ: أَنَّ الْأَرْضَ مَا كَانَتْ - وَلَمْ تَكُنْ يَوْمًا -  
مَرْتَعًا خِصْبًا لَتِلْكَ الْأَنْعَامِ الْبَشْرِيَّةِ.. يَرْتَعُونَ، وَيَمْرَحُونَ فِي الْخِصْبِ  
- بِغَيْرِ الْحَقِّ - كَيْفَمَا شَاؤُوا!

﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (٧٥)  
﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٧٦) ﴿ (غافر)



وَحِينَ لَا تَعْلَمُ شَيْئًا.. لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا!



إِنِّي مَخْلُوقٌ ثَمِينٌ.. وَالكَوْنُ كُلُّهُ يُحِبُّنِي  
إِنِّي لَسْتُ بِمَخْلُوقٍ صَغِيرٍ تَافِهٍ.. وَلَقَدْ انطَوَى فِي الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ!  
مَا بَالُ قَدَمَيَّ مُلتَصِقَتَيْنِ بِالْأَرْضِ.. بَيْنَا يَتَّجِهَ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ؟!  
لَأُغَادِرَ جَسَدِي.. وَرَخِيسَ شَهْوَاتِي  
إِنَّهَا مِنْ طِينِ الْأَرْضِ.. وَطِينُ الْأَرْضِ يُلَوِّثُ كُلَّ ذَاتِي  
إِنَّهَا الْخَطِيئَةُ.. وَالْخَطِيئَةُ لَيْسَتْ أَنَا!  
لَأَتَقَبَّلَ تِلْكَ اللَّحْظَاتِ مِنْ حَيَاتِي.. لَحْظَاتِ الْخَطِيئَةِ!  
لَنْ أَرَى فِيهَا خَجَلًا بَعْدَ الْآنِ.. فَمَا كَانَ قَدْ كَانَ!  
وَلَنْ يَزِيدَنِي النَّدَمَ عَلَيْهَا.. إِلَّا خَسَارًا!  
إِنَّ الْخَطَايَا أَجْزَاءٌ مِنْ طِينِ الْأَرْضِ.. لَا تَنْتَمِي إِلَيَّ كِيَانِي!  
إِنَّهَا تُلَوِّثُ كُلَّ وُجُودِي!  
لَأُرْمِ بِهَا بَعِيدًا عَنِّي.. لَأَتَخَلَّصَ مِنَ الْخَطَايَا وَالْآثَامِ  
إِنَّهَا أَنْقَالَ تَشُدُّنِي إِلَى الْأَرْضِ.. تُثَبِّتُ كُلَّ قَلْبِي  
وَتُمانِعُ صُعودَهُ عَالِيًا إِلَى السَّمَاءِ  
إِنِّي رُوحٌ.. إِنِّي الْحَيَاةُ.. إِنِّي حُرٌّ.. وَالْحُرِّيَّةُ تَعْنِي الْاِخْتِيَارَ  
إِمَّا الشَّقَاءَ فَالْهَلَاكُ.. وَإِمَّا السَّعَادَةَ فَالنَّجَاةُ؟  
أه.. مَا أَشَدَّ رَغْبَتِي فِي الْارْتِقَاءِ إِلَى السَّمَاءِ!



إِنَّ إِيقَاعَ طُبُولِ الْحُرِّيَّةِ يُدَوِّي عَالِيًا فِي الْفَضَاءِ  
حَانَ الْوَقْتُ لِتَحْطِيمِ أَصْنَامِ الْقَلْبِ وَالْقَضَاءِ عَلَى إِلَهَةِ الْفِكْرِ  
إِلَيْكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ.. إِلَيْكَ أَنْتَ يَا رَفِيقَ الدَّرْبِ.. دَرْبِ الْوُجُودِ  
إِلَيْكَ أَنْتَ يَا مَنْ تَاهَ وَضَلَّ فِي مَتِيهَةِ الْحَيَاةِ  
إِلَيْكَ أَنْتَ وَحَدِّكَ أَتَوَجَّهُ مُنَادِيًا  
عَسَى أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَلْبُ.. وَأَنْ يُلَبِّيَ النِّدَاءَ



إِنَّهَا مَائِدَةٌ مَفْتُوحَةٌ قَدْ تَمَّ إِعْدَادُهَا بِعِنَايَةِ فَائِقَةٍ  
عَلَى شَرَفِ قُدُومِكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ.. أَيُّهَا الضَّيْفُ الْجَلِيلُ  
إِنَّ فِيهَا مِنْ أَطْيَابِ الطَّعَامِ وَلَذِيذِ الشَّرَابِ  
مَا لَا يَرَاهُ الْبَصَرُ الْحَسِيرُ وَإِنَّمَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ



يَا ضَيْفِي الْحَبِيبِ  
لَكَ أَنْ تَخْتَارَ مِنْهَا مَا يُلَانِمُ طَبِيعَتَكَ وَأَنْ تَدَعَ مَا لَا يُرْضِيكَ  
إِنَّ الْاِئْتِقَادَ لَيْسَ مِنْ شَمَائِلِ الضَّيْفِ الْكَرِيمِ!  
أَهْلًا بِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ



## أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ؟!

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج)

إِنَّ، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَحَوَّنَ الْبَصَرُ الْحَسِيرُ إِلَى بَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ؛ لِنَتْفُذِ فِي أَعْمَاقِ الْوُجُودِ، فَتَعْلَمَ: ﴿ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج).



﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الجناتية)

لَسْنَا أَيْتَامًا فِي هَذَا الْوُجُودِ بِلَا رِعَايَةٍ أَوْ مَحَبَّةٍ.. لَسْنَا عَبَثًا!

خُلِقَ الْوُجُودُ مِنْ أَجْلِنَا وَخُلِقْنَا مِنْ أَجْلِ عِبَادَةِ اللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات)

لِذَلِكَ، لَنْ تَتَحَقَّقَ خِلَافَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

أَي: إِنَّ اسْتِقْرَارَ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ - وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ - فِي كَيْنُونَةِ الْإِنْسَانِ

إِنَّمَا هِيَ غَايَةُ الْحَيَاةِ.. غَايَةُ الْوُجُودِ

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ (الزمر)

إِنَّ الْمَاضِيَ مِنْ نَصِيبِ الْعَابِدِينَ

لَكِنَّ امْتِدَادَ الْمُسْتَقْبَلِ هُوَ لِلخَاطِئِينَ التَّائِبِينَ الْإِيْبِينَ إِلَى الْغُفُورِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ



﴿ أَمَّنْ يَمِشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ

أَمَّنْ يَمِشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الملك)

اللَّهُمَّ لَا تَطْمَسْ عَلَىٰ قُلُوبِنَا بِالْغَفْلَةِ عَنِ الْحَقِّ.. فَمَا مَثَلُ الْغَافِلِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا إِلَّا كَنَائِمٍ - لَا، بَلْ يَعْطُ فِي أَضْغَاثِ أَحْلَامِهِ غَطِيطًا - فِي قَاعَةِ الْاِمْتِحَانِ!



﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ

لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم)

يَا رَفِيقَ دَرْبِي.. اسْتَهْدِ فِطْرَتَكَ السَّلِيمَةَ لِأَنَّهَا مَعْيَارُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.. ذَلِكَ  
الصِّرَاطِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ.. وَكُلُّ مَا سِوَاهُ لَنْ يُفْضِيَ

إِلَّا إِلَى شَفْوَةِ الْعَيْشِ.. إِلَى الْهَلَاكِ.. إِلَى الْجَحِيمِ!

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ

الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الحج، أي:

إِنَّ الْجِهَادَ الْحَقَّ إِنَّمَا هُوَ فِي إِرْجَاعِ قَلْبِ الْإِنْسَانِ إِلَى مَرْكَزِ الْفِطْرَةِ

- إِلَى فِطْرَةِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ - وَذَلِكَ بَعْدَ سِنِينَ طَوَالٍ مِنْ عَدَمِ التَّمَرُّكِ،

مِنَ الْفِرْقَةِ، مِنَ التَّخَبُّطِ، مِنَ الْفُجُورِ، مِنَ الْجُنُونِ الْفِكْرِيِّ، مِنَ الضِّيَاعِ

الْمُطْلَقِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَاطِلِ! ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ! ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ

أَهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّلِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ (مريم).





يَا رَفِيقَ دَرْبِي..

أَلَا تَرَى بِأَنَّ الرَّشِيمَ الْمُسْتَقَرَّ فِي بِدْرَةِ النَّبَاتِ - إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى أَرْضٍ طَيِّبَةِ التُّرْبَةِ، وَلَيْسَ إِلَى تَعَالِيمٍ، أَوْ وَصَايَا؟

كَذَلِكَ يَسْتَنْبِتُ الْمَرْبِيُّ بُدُورَ الْإِنْسَانِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يُحَافِظَ عَلَى النَّبْتَةِ الطَّرِيَّةِ مِنَ التَّلَفِ وَالضِّيَاعِ، وَيَشْمَلَهَا بِرِعَايَتِهِ حَتَّى يَشْتَدَّ عُودُهَا، تَارِكاً أَمْرَ الْإِزْهَارِ وَالْإِثْمَارِ وَالنُّضْجِ إِلَى فِطْرَتِهَا.. إِلَى فِطْرَةِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ.

( وَالرَّشِيمُ: جَنِينُ النَّبَاتِ، وَهُوَ تَصْغِيرُ الرَّشْمِ، أَي: أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ مِنَ النَّبْتِ. )



لَكِنْ وَآسَفَاهُ! ذَلِكَ بِأَنَّ مُتَعَةَ اسْتِنْسَاخِ النُّسْخِ الْكَرْبُونِيَّةِ لَا يُعَادِلُهَا نَشْوَةَ فِي نُفُوسِ صِغَارِ الْقَوْمِ.. أَقْرَامِ الْمُجْتَمَعِ! وَيَكْفِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ كُلَّ مَنْ حَوْلَهُمْ - وَفِي أَفْضَلِ الْأَحْوَالِ - مُجَرِّدُ نُسْخَةٍ أَصْلِيَّةٍ عَنْهُمْ لَا يَعْتَرِيهَا التَّرْوِيرُ، فَانظُرْ!

أَمَا عِلْمٌ أَوْلَيْكَ أَنَّ الْبِنَاءَ الرَّاسِخَ لَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى الْأَسَاسِ الْمَتِينِ؟!

فَأَمْهَلُهُمْ رُؤْيَا، وَذَلِكَ ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (النحل).



﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران)



عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ) :

« أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟  
قَالَ: ﴿ وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ ﴾ قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

فَقَالَ: ﴿ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾. الحديث « ( البخاري: ٣٦٨٨ ) .



يَا رَفِيقَ دَرْبِي.. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا أَحَبَّ الْقُرْآنَ عَاشَ مَعَهُ

وَإِذَا أَحَبَّ رَسُولَ اللَّهِ اتَّبَعَ هُدْيَهُ وَلَزِمَ طَاعَتَهُ صلى الله عليه وسلم

وَإِذَا أَحَبَّ الْمُؤْمِنِينَ صَحِبَهُمْ فَأَزْدُوا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا

وَإِذَا أَحَبَّ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ جَالَسَهُمْ، وَجَارَاهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ، وَعَصِيَانِهِمْ!



﴿ يُتَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ  
الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ( إبراهيم ) ، لِدَلِّكَ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ شَجَاعَةَ مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ.. ذَلِكَ بِأَنَّهَا الْإِبْحَارَ فِي بَحْرِ  
هَائِجٍ مُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ نَحْوَ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.. كَثِيرُونَ  
كُتِبَ لَهُمُ النَّجَاحُ مِنْ قَبْلِكَ، إِذْ تَقَادَفْتَهُمْ أَمْوَاجُ الرَّغَائِبِ وَالشَّهَوَاتِ الْعَاتِيَّةِ  
وَمِنْ فَوْقِهِمْ ظُلُمَاتِ الْأَنْحِرَافِ عَنْ دِينِ اللَّهِ إِلَى شَرَائِعِ شَيَاطِينِهِمْ.. لَكِنَّهُمْ  
قَهَرُوهَا وَتَجَاوَزُوهَا بِيَقِينِهِمْ بِأَنَّ الْفَجْرَ لَا بُدَّ وَأَنَّ يَذْخَرَ الظَّلَامَ، وَأَنَّ نُورَ اللَّهِ  
هُوَ الْهُدَى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ( يونس ) .



﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦) (الحج)

---

إِنَّ مَثَلَ عَيْنِ الْقَلْبِ وَسَاقِ الْفِكْرِ كَمَثَلِ الْكَسِيحِ وَالْأَعْمَى، فَلَا خَلَاصَ وَلَا نَجَاةَ  
إِلَّا إِذَا امْتَطَى الْكَسِيحُ كَتَفَيَّ الْأَعْمَى، لِذَلِكَ:

إِنَّ خُطْوَةَ الْعِلْمِ بِلَا إِيمَانٍ لِعَشْوَاءٌ.. وَإِنَّ خُطْوَةَ الْإِيمَانِ بِلَا عِلْمٍ لِعَرْجَاءُ!



مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَلْبَ بِالمَفْهُومِ التَّشْرِيحِيِّ - أَي: حَيَوَانِيًّا - إِنَّمَا هُوَ عُضْوٌ  
يَسْتَقِرُّ دَاخِلَ التَّجْوِيفِ الصَّدْرِيِّ، وَيَضْحُ الدَّمَّ عَبْرَ الشَّرَايِينِ وَالْأُورْدَةِ إِلَى  
أَنْحَاءِ الْجَسَدِ كُلِّهَا، وَيَخْضَعُ لِسَيْطَرَةِ الدِّمَاغِ مُسْتَجِيبًا لِلهُرْمُونَاتِ؛ وَذَلِكَ:

- إِمَّا بزيادةِ عَدَدِ النَّبْضَاتِ حِينَ الْعَمَلِ الشَّقِيقِ، أَوْ التَّعَرُّضِ إِلَى الْخَطَرِ،  
أَوْ حِينَ الْعِشْقِ وَالْهَيْامِ، أَوْ التَّلَهُّفِ إِلَى تَحْقِيقِ الْأَمَالِ.

- وَإِمَّا بِانْقِصَابِ الْخَفَقَانِ وَقْتِ الْاسْتِرْحَاءِ، أَوْ الْمَنَامِ.

فِيمَا يَظْهَرُ وَيَبْدُو أَنَّ الْقَلْبَ - حَيَوَانِيًّا - إِنَّمَا هُوَ حَيَاةُ الْجَسَدِ كُلِّهَا،  
إِذْ يَتَوَقَّفُ عَلَى سَلَامَتِهِ بَقَاءَ الْحَيَوَانِ! لَكِنَّ الْأَمْرَ غَيْرَ ذَلِكَ تَمَامًا:

( فَالْقَلْبُ هُوَ مَرَكَزُ الْفِطْرَةِ، وَمَوْطِنُ النَّفْسِ، وَيَبْشُرُ الْحِكْمَةَ )

ذَلِكَ بِأَنَّ فِي الْقَلْبِ:

١- قُوَّةٌ هَادِفَةٌ جَوْهَرِيَّةٌ ( هِيَ الْفِطْرَةُ ) لَهَا الْقُدْرَةُ عَلَى تَغْيِيرِ مَنْحَى  
خَلْجَاتِ النَّفْسِ وَتَلَهُّفِهَا، إِذْ تُسَيِّرُ الْإِنْسَانَ نَحْوَ غَايَةِ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ،  
أَلَا وَهِيَ: الْإِخْلَاصُ بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ.

( وَجَوْهَرٌ كُلُّ شَيْءٍ مَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ خُلُقَتُهُ، وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهِ جَوْهَرِيٌّ. )

٢- بَصِيرَةٌ تُدْرِكُ أَنَّ زَوَالَ تَأْتِيرِ الْأَفْعَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَا يَعْنِي - أَبَدًا -  
زَوَالَ الْآثَارِ، إِنَّمَا هِيَ بَاقِيَةٌ بِانْتِظَارِ يَوْمِ الْحِسَابِ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ

بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿۳۸﴾ (المدر).



إِنَّ مَثَلَ الْعَقْلِ - ﴿ وَبِاللَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ( النحل ) سُبْحَانَهُ - كَمَثَلِ مَنْظُومَةٍ  
 أَوْ جُمْلَةٍ مِنَ الْبَرْمَجِيَّاتِ ( Software ) أَوْدَعَهَا الْخَالِقُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ فِي دَاخِلِ  
 الْأَفْسَامِ التَّشْرِيحِيَّةِ لِلدِّمَاغِ الْبَشَرِيِّ ( Hardware ) لِتَكُونَ بِأَجْمَعِهَا مَعَ الدِّمَاغِ  
 الْبَشَرِيِّ مَا يُشْبَهُ وَحْدَةَ الْمُعَالَجَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ ( Central Processing Unit )  
 فِي الْعُقُولِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ الْحَدِيثَةِ ( Computers )، وَالَّتِي يَذْهَبُ بَعْضُهَا أَوْ كُلُّهَا  
 حِينَ إِصَابَةِ الدِّمَاغِ الْبَشَرِيِّ، أَوْ حِينَ الشَّيْخُوخَةِ؛ فَيَصِيرُ أَحَدُهُمْ إِمَّا مُخْتَلًّا،  
 وَإِمَّا مَجْنُونًا، وَإِمَّا حَرْفًا:

﴿ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ( النحل )

وَتُمَثِّلُ تِلْكَ الْمَنْظُومَةُ مِنَ الْبَرْمَجِيَّاتِ آيَةَ التَّفَكِيرِ، وَالْإِدْرَاكِ، وَالْمُحَاكَمَةَ،  
 وَالْمَنْطِقَ؛ فَهِيَ - بِلَا رَيْبٍ - مَا يُمَيِّزُ الْبَشَرَ عَنِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ.  
 كَمَا تَتَحَكَّمُ تِلْكَ الْمَنْظُومَةُ - مَعَ وَظَائِفِ الدِّمَاغِ - فِي كُلِّ تَصَرُّفَاتِ  
 الْكَائِنِ الْبَشَرِيِّ، وَكَذَلِكَ فِي كَيْفِيَّةِ تَكْيِيفِهِ مَعَ الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ مِنْ حَوْلِهِ.



وَيَقُومُ الْعَقْلُ بِإِنْتِاجِ الْفِكْرِ بِوَسِيطَةِ أَدَوَاتِ الْإِنْتِاجِ الْفِكْرِيِّ؛ فَهُوَ يَصِفُ  
 الْأَشْيَاءَ، وَيَلْجَأُ إِلَى التَّصْنِيفِ وَالتَّبْوِيبِ - مُتَّخِذًا مِنَ الْمُقَارَنَةِ أُسْلُوبًا  
 كَمَا الْأَطْفَالُ! - وَيُجْرِي التَّحْلِيلَاتِ وَالتَّرَكِيبَاتِ - مُتَجَاوِزًا ثَغْرَاتِ الْمَعْرِفَةِ  
 بِالْإِفْتِرَاضَاتِ! - وَيَعْتَمِدُ عَلَى بِنَاءِ النَّمَاذِجِ ( Models )، وَيَضَعُ الْقَوَالِبَ  
 الْفِكْرِيَّةَ... إلخ.

وَمِنَ الْجَائِزِ لُغَوِيًّا اسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ ( الْفِكْر ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى ( الْعَقْلِ )، أَوْ بِالْعَكْسِ؛  
 ذَلِكَ بِأَنَّ الْفِكْرَ إِنَّمَا هُوَ نِتَاجُ الْعَقْلِ وَثَمَرَتُهُ.

لَذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَقْلَ:

- لَا يَرَى إِلَّا ظَوَاهِرَ الْأَشْيَاءِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ يَتَوَكَّلُ عَلَى الْحَوَاسِ.

- وَلَا يَتَعَامَلُ إِلَّا مَعَ ظَوَاهِرِ الْأُمُورِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ يَسْتَنِدُ إِلَى الْمَنْطِقِ.

وَإِنَّمَا أَعْنِي حَقًّا، أَنَّ الْعَقْلَ - وَحْدَهُ - لَا وَلَنْ يَقْوَى عَلَى مَعْرِفَةِ كُنْهِ الْأَشْيَاءِ،  
وَمَا يَقِفُ مُسْتَتِرًا وَرَاءَهَا مِنَ الْحَقَائِقِ، أَبَدًا!

بَيِّنْ أَنْ مَا تَرَاهُ بِصِيرَةِ الْقَلْبِ لَا بَدُّ لَهُ مِنْ عَقْلِ رَصِينٍ يَضَعُهُ فِي الْقَوَالِبِ الْفِكْرِيَّةِ  
الصَّحِيحَةِ، وَذَلِكَ لِتَنْفِيذِهِ عَلَى طَرِيقَتِهِمُ الْمُتَلَى؛ فَتَصِيرُ الرَّوْيَةُ الثَّاقِبَةُ إِلَى آرَاءِ شَتَّى،  
فَانظُرْ - بِاللَّهِ عَلَيْكَ - لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ!

وَالْغَرِيبُ فِي الْفِكْرِ، أَنَّهُ غَالِبًا مَا يَشْتَبُهْ بِهِ الْأَمْرُ فَيَتَحَوَّلُ إِلَى ثُرْتُرَةٍ مُتَوَاصِلَةٍ،  
قَدْ تَبَدُّوْا - أَوَّلَ وَهْلَةٍ - أَنَّهَا مُتْرَابِطَةٌ وَمُحْكَمَةٌ، وَمَا هِيَ - حَقًّا - إِلَّا جَعَجَعَةٌ  
لَا يَرَى لَهَا طَحْنًا! لَا، بَلْ مَا هِيَ إِلَّا زَبْدٌ كَزَبْدِ السَّيْلِ الَّذِي لَا يَمُكُثُ  
فِي الْأَرْضِ؛ وَإِنَّمَا يَذْهَبُ جُفَاءً، لَا نَفْعَ فِيهِ!



الْفِكْرُ نِتَاجُ الْعَقْلِ.. وَالتَّفَكُّرُ غِذَاءُ الْقَلْبِ



إِنَّ مَثَلَ الْفِكْرِ كَالشَّاةِ السَّائِبَةِ الضَّالَّةِ

تَهِيمٌ عَلَى وَجْهَهَا بِلَا رَاعٍ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْقِفَارِ

فَإِنَّ أَحْكَمَ الْقَلْبِ عَقَالُ الْفِكْرِ.. أَصْبَحَ عِلْمًا.. أَمْسَى حِكْمَةً.. بَاتَ حَقِيقَةً

لَكِنْ إِنْ تَرِكَ لَهُ الْحَبْلُ عَلَى الْغَارِبِ

أَصْبَحَ جَهُولًا.. أَمْسَى ضَالًّا.. بَاتَ ضَائِعًا لَا خَيْرَ فِيهِ!



وَتَتَوَاصَلُ وَحْدَهُ الْمُعَالَجَةُ الْمَرْكَزِيَّةُ - الْمُؤَلَّفَةُ مِنْ اجْتِمَاعِ الْعَقْلِ وَالِدَّمَاعِ -  
مَعَ مَصَادِرِ النَّتَاجِ الْفِكْرِيِّ، أَلَا وَهِيَ:

١- الْعِلْمُ الْفِطْرِيُّ الَّذِي فَطَرَ الْخَلْقَ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ النَّاسَ عَلَيْهِ، أَي: إِنَّ اللَّهَ  
هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَلَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ:  
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ  
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم).  
وَذَلِكَ الْعِلْمُ إِنَّمَا هُوَ رَأْسُ مَا عَلَّمَ سُبْحَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ.  
( وَالْفِطْرَةُ مَرْكَزُهَا الْقَلْبُ. )

٢- الْهُدَى وَالشَّرَائِعَ السَّمَاوِيَّةَ - كُلَّهَا - الَّتِي أَنْزَلَهَا الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ  
عَلَى الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ  
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (البقرة).

٣- الْقَدْرُ الْعَظِيمُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الَّتِي أَوْدَعَهَا الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ  
فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ - حِينَ جَعَلَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً - فَهُوَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ  
الَّذِي ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥٠﴾ ﴾ (العلق).

٤- كُلُّ مَا خَبِرَتِ النَّفْسُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ وَالْأُمُورِ الْمُحَدَّثَةِ فِي  
حَيَاتِهَا الدُّنْيَا.

٥- كُلُّ مَا يَطْرَأُ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْهَامِ غُلُوبِيٍّ أَوْ إِحْيَاءَاتِ شَيْطَانِيَّةٍ سُفْلِيَّةٍ.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً ۗ ﴾ (البقرة)

فَمَا الْعَقْلُ الَّذِى نَمَلِكُهُ - فِى الْحَقِيْقَةِ - اِلَّا لَخِلَافَةِ اللّٰهِ فِى الْاَرْضِ، وَهُوَ السُّلْطٰنُ الْحَاكِمُ لَهَا بِاَمْرِ خَالِقِهِ سُبْحٰنَهُ: ﴿ اَلَمْ تَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَاَسْبَغَ عَلٰيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا ۗ ﴾ (لقمان).

لَكِنْ حِيْنَ يَتَصَدَّى الْعَقْلُ لِكُلِّ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنِ وظيفته - الَّتِى اَوْجَدَهُ الْخَلْقُ الْعَلِيْمُ سُبْحٰنَهُ مِنْ اَجْلِهَا - وَيَشْمُرُ ذٰلِكَ الْحَسِيْرُ عَنِ سَاعِدِيْهِ، وَيَتَخَبَّطُ عَلٰى غَيْرِ هُدٰى - فِى مُحٰوَلٰتٍ يٰئِسَةٍ - لِاِيْجَادِ تَشْرِيعٰتٍ تُخَالِفُ فِطْرَةَ اللّٰهِ! يَصِيْرُ نِتَاجُهُ الْفِكْرِيُّ اِلَى مُجْرَدِ شَطْحٰتٍ فُلْسَفِيَّةٍ، وَقَفْرٰتٍ بَهْلَوٰنِيَّةٍ فِى سَمَاءِ الْحَقِيْقَةِ، لَا تَلْبُثُ اَنْ تَتَحَوَّلَ اِلَى وَاَقِعِ رَهِيْبٍ! اَلَا سَآءَ مَا يَعْلَمُوْنَ! اِيْ وَرَبِّيْ، اِنَّمَا هِيَ تَشْرِيعٰتٌ تَدُلُّ عَلٰى فِسَادِ التَّصَوُّرِ وَالشَّدُوْدِ الْفِكْرِيِّ؛ ذٰلِكَ بِاَنَّهَا مُجْرَدُ ضَلٰلٰتٍ وَاَعْرَافٍ شَيْطٰنِيَّةٍ سَفَلِيَّةٍ، تُصَيِّرُ الَّذِى اَصَابَهُ رَجْسٌ تَعَالِيْمَهَا اِلَى مَسْخِ حَيَوٰنِيٍّ، بِلَا رِيْبٍ!

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلٰى شَرِيْعَةٍ مِّنَ الْاَمْرِ فَاَتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاءَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ ۗ ﴾ اِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوْا عَنْكَ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَاِنَّ الظّٰلِمِيْنَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ وَاللّٰهُ وَلِىُّ الْمُتَّقِيْنَ ﴿ ١١ ﴾ هٰذَا بَصِيْرٌ لِلنّٰسِ وَهُدٰى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُوْنَ ﴿ ١٢ ﴾ (الجنّٰة).



وَخِتَامًا، فَاِنَّ اِظْلَامَاتِ الْفِكْرِ - فِى كُلِّ زَمٰنٍ وَمَكَانٍ - لَيْسَتْ اِلَّا نِتَاجُ ذٰلِكَ الْعَقْلِ النَّآئِيْهِ ضَلٰلًا فِى ظُلُمٰتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، اَي: فِيمَا تَهْوٰى الْاَنْفُسُ وَفِى كُلِّ مَا لَمْ يُنَزَّلِ اللّٰهُ بِهِ مِنْ سُلْطٰنٍ! ﴿ اِنَّهُمْ اَتَّخَذُوْا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَيَحْسَبُوْنَ اَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ ۗ ﴾ (الاعراف).



لَذَلِكَ، فَهُوَ نِتَاجُ فِكْرِيٍّ عَقِيمٍ بَلْ مُنْقَطِعٌ تَمَاماً عَنْ عِلْمِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ  
الَّذِي عَلَّمَهُ لِلإِنْسَانِ! أَي: مُجَرِّدٌ تَخَيُّلاتٍ وَتَصَوُّرَاتٍ شَيْطَانِيَّةٍ سُفْلِيَّةٍ لَا تَلْبَثُ  
أَنْ تَصِيرَ إِلَى قَنَاعَاتٍ - وَمَا أَكْثَرَهَا مِنْ عَقَائِدَ وَمُعْتَقَدَاتٍ - فَإِذَا الْبَاطِلُ  
قَدْ صَارَ رُكَاماً - بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ - فَتَدْرُوهُ رِيَاخَ الْحَقِّ!

﴿ وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ  
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الانعام).

وَالْخَرَّاصُونَ: هُمُ الَّذِينَ إِنَّمَا يَظُنُّونَ الشَّيْءَ وَلَا يَسْتَبْقُونَهُ؛ فَيَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ  
بِمَا لَا يَعْلَمُونَ، وَيَفْتَعِلُونَ الْبَاطِلَ.

فَانظُرْ - يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ - فِي مَصَادِرِ النَّتَاجِ الْفِكْرِيِّ، وَلَا تَكُ فِي غَفْلَةٍ  
مَنْ أَمْرِكَ! ذَلِكَ بِأَنَّ قُدْرَةَ الْمَصَادِرِ لَنْ يَصْدُرَ عَنْهَا إِلَّا نَجَاسَةٌ فِكْرِيَّةٌ!  
وَلَنْ يَصْدُرَ عَنِ الْجَهْلِ إِلَّا جَهَالَةٌ فِكْرِيَّةٌ مُنْطَقَةٌ!

إِذَنْ، لِكَيْ يَتَّخِذَ الْمَرْءُ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، عَلَيْهِ إِلَّا يَنْسَى:

١ - أَنْ يُلْقِيَ عَنْهُ مِنْظَارَ الْفِكْرِ، بَعِيداً.

٢ - أَنْ يَتَخَلَّى عَنِ الْمَوَاقِفِ وَالِاتِّجَاهَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ الرَّاسِخَةِ عَمِيقاً  
فِي الْأُدْهَانِ وَالْفُهُومِ!

وَبِذَلِكَ، يَتَجَاوَزُ الْمَرْءُ عَنْ عَيْنِ الْعَقْلِ الْحَسِيرَةِ الزَّائِعَةِ الْمَائِلَةِ عَنِ الْهُدَى!  
إِلَى عَيْنِ الْقَلْبِ النَّافِذَةِ الْجَلِيَّةِ الثَّابِتَةِ؛ لِيَمِيزَ بِهَا الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، فَلَا يَتَّبِعُ  
إِلَّا حَقًّا: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ  
وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ (الزمر).



- إِنَّ الْفِكْرَ لَيَلْبُدُ سَمَاءَ الْقَلْبِ بِالْخَوَاطِرِ وَالْأَفْكَارِ كَمَا الْغُيُومُ تَحْجُبُ زُرْقَةَ السَّمَاءِ فَوْقَهَا فَتَعَكَّرُ صَفَاءَهَا، لَكِنَّ اعْتِكَارَ السَّمَاءِ بِالْغُيُومِ حَدَثٌ طَارِئٌ إِلَى زَوَالِ؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ بَاقِيَةٌ، وَالْغُيُومَ - لَا بُدَّ - مَفَارِقَةٌ!

- وَإِنَّ الْخَوَاطِرَ وَالْأَفْكَارَ لَا تَتَبَدَّدُ فَتَتَفَرَّقُ إِلَى زَوَالِ إِلَّا حِينَ تَعْلَمُ فَتَفْهَمُ أَنَّهَا لَا تَنْتَمِي إِلَيْكَ.. إِلَى كِيَانِكَ.. إِنَّهَا الضَّيْفُ، وَأَنْتَ صَاحِبُ الدَّارِ!

أَكْرَمَ ضَيْفِكَ، وَأَصْغَ إِلَيْهِ.. لَكِنَّ انْتِبَهْ! لَا تَتَعَلَّقْ بِهِ لِأَنَّهُ رَاحِلٌ لَا مَحَالَةَ! فَالضَّيْفُ يَجِبُ أَنْ يُغَادِرَ مِنْ حَيْثُ أَتَى!

- وَإِنَّ الْوَسَاوِسَ لَيْسَ لَهَا مَوْطِنٌ أَوْ جُدُورٌ.. إِنَّمَا هِيَ مُتَشَرِّدَةٌ تَحُومُ وَتَطُوفُ كَمَا الْغُيُومُ فِي السَّمَاءِ! لِذَلِكَ، فَإِنَّ مَقَاوِمَةَ الْوَسَاوِسِ لَيْسَتْ إِلَّا صِرَاعًا مَعَ طَوَاحِينِ الْهَوَاءِ!

- وَإِنَّ تَدَاعِي الْوَسَاوِسِ لَيْسَ بِمَصْرُوفٍ عَنكَ بِالمُوجَهَةِ أَوْ بِالنَّجَاهِ أَوْ حَتَّى لَوْ أَلْقَيْتَ بِهَا بَعِيدًا عَن كِيَانِكَ! لِأَنَّهَا سَوْفَ تَقْوَى عَلَيْكَ فَتَعُودُ أَكْثَرَ حِدَةً وَأَشَدَّ وَطْأَةً، وَتَصِيرُ الْوَسَاوِسُ إِلَى هَوَاجِسَ وَيَسْتَنِدُّ الصِّرَاعُ!

فَإِذَا مَا نَارَتْ عَلَيْكَ الْوَسَاوِسُ وَالْأَوْهَامُ، فَاجْتَحَقَتْ كِيَانَكَ بِلَا اسْتِنْدَانٍ أَوْ سَابِقِ إِعْلَامٍ! فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَأَقْهَرِهَا بِثَبَاتِكَ بَعِيدًا عَنْهَا، وَكَأَنَّكَ تُخْفِي نَظْرَةَ إِلَيْهَا وَتُعِيدُهَا، فَتَلْحَظُهَا وَهِيَ تَتَدَاعَى كَقَطَارٍ اصْطَخَبَتْ أَصْوَاتُهُ، وَقَدِ اجْتَاَزَ نَاطِرِيكَ سِرَاعًا إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ!



﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ  
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء)، أي:

إِنَّ فِي اهْتِرَازِ كُلِّ ذَرَّةٍ وَصَغَائِرِهَا، وَفِي صَوْتِ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ  
- فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ - لَتَسْبِيحًا لِخَالِقِهِمُ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ سُبْحَانَهُ،  
بَيِّنَةٌ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ لَنَا - أَبَدًا - أَنْ نَفْقَهُ مِنْ تَخَاطُبِ غَيْرِنَا أَوْ تَسْبِيحِهِمْ  
إِلَّا بِمَا أَجَازَ لَنَا الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ.



يَا رَفِيقَ دَرْبِي.. إِنَّ الْهِدَايَةَ مُسْتَقَرَّةٌ فِي أَعْمَاقِكَ، فَلَا تَكُنْ فِي عَقْلَةٍ مِنْ أَمْرِكَ!  
بَلَى وَرَبِّي، وَإِنَّ الْوُجُودَ - جَمِيعًا - لَيَتَلَهَفُ شَوْقًا لِيُعَانِقَ كِيَانَكَ أَنْتَ! وَيُرْشِدَكَ  
إِلَى طَرِيقِ الْهِدَايَةِ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ أَلْبَابٍ ﴾ (آل عمران).

وَلَكِنْ حِينَ تَنْظُرُ - يَا رَفِيقَ دَرْبِي - إِلَى الْوُجُودِ مِنْ مَنَظَارِ الْفِكْرِ فَلَنْ تَرَى  
إِلَّا صُورًا مُشَوَّهَةً زَانِفَةً.. ذَلِكَ بِأَنَّهَا نَظَرَاتٌ مُضْطَرِبَةٌ سَادِجَةٌ حَاوِرَةٌ لِلْحَقِيقَةِ  
غَيْرُ بِالِغَةِ.. نَظَرَاتٌ فِيهَا وَمَضَاتٌ مِنْ نُورِ الْحَقِّ فِي ظُلُمَاتِ الْعُمُوضِ  
وَالْتَنَاقُضِ وَالشَّكِّ وَالْفَلْسَفَةِ! فَاعْلَمْ، أَنَّ الْعَقْلَ لَا وَلَنَ يَرَى الْوُجُودَ  
عَلَى حَقِيقَتِهِ، بَلْ كَمَا يَتَوَقَّعُ هُوَ أَنْ يَرَاهُ! لِذَلِكَ:

كُلَّمَا ازْدَادَتْ نَظَرَاتُ قَلْبِكَ إِلَى الْوُجُودِ تَدَبَّرًا وَتَفَكُّرًا، ازْدَادَ انْصِهَارُكَ  
فِي بَوْتَقَةِ الْوُجُودِ انْصِهَارًا! ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ  
مَرًّا السَّحَابِ صُنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (النمل).



هَلْ تَوَقَّفْتَ هُنَيْهَةً عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ تَتَأَمَّلُ غُرُوبَ الشَّمْسِ فِي لَيْلِ اسْرَارِهِ؟!  
أَمَا كُنْتَ هُنَاكَ نَاطِرًا إِذْ بَدَأَتْ الْأَلْوَانُ بِالتَّدَاخُلِ فِيمَا بَيْنَهَا؟! فَيَمَازِجُ كُلِّ لَوْنٍ  
صَاحِبَهُ فِي طَيْفٍ رَفِيقٍ شَفَافٍ لَا نِهَائِيٍّ؛ لِتَتَجَدَّدَ أَلْوَانُ طَيْفِهَا - بِلَا مُهَلَّةٍ -  
عَلَى امْتِدَادِ شَفَقِ السَّمَاءِ.. إِنَّهَا لَحُظَّةُ الْغُرُوبِ.

حَقًّا، إِنَّهَا لَوْحَةٌ تَعْجُزُ رِيشَةَ أَعْظَمِ الرَّسَامِينَ عَنِ تَصْوِيرِ بَعْضٍ مِنْ حُسْنِ  
جَمَالِهَا، لِأَنَّهَا - بِكُلِّ بَسَاطَةٍ - لَوْحَةٌ تَعِجُّ بِالحَيَاةِ!

﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ۖ ﴾ (النمل)



يَا رَفِيقَ دَرْبِي..

حِينَ تَكُونُ السَّمَاءُ صَافِيَةً مِنْ غَيْرِ غُيُومٍ وَلَا رِيَاحٍ تَقْدِفُ الْعُيُونَ بِأَقْدَانِهَا  
وَبِمَا يُغْشِي أَبْصَارَهَا.. تَتَكَشَّفُ لَحُظَّةُ الْغُرُوبِ عَنِ رَوْعَةِ حُسْنِهَا؛  
فَيَرُوعُكَ حُسْنُ بَهَائِهَا! وَكَذَلِكَ هِيَ الْحَقِيقَةُ بِطَيْفِهَا اللَّوْنِيِّ الْوَاسِعِ:

- حِينَ تَتَجَلَّى فِي سَمَاءِ قَلْبٍ لَا يُعَكِّرُ صَفَاءَهَا غُيُومُ الضَّلَالِ.

- حِينَ تَتَجَلَّى فِي قَلْبٍ لَا تَجْتَاخُهُ أَعَاصِيرُ الشَّهَوَاتِ.

أَي: حِينَ تَتَجَلَّى فِي قَلْبٍ خَالٍ مِنْ ضَلَالَاتِ الْفِكْرِ، وَبَرِيءٍ مِنْ شَوَائِبِ الدُّنْيَا!



## الإنسانُ

ذَلِكَ اللَّقَاءَ بَيْنَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

الْجَسَدِ وَالرُّوحِ وَالنَّفْسِ

الْمُسْتَتِرِ وَالْمُرْتَبِي

الْحُرِّيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ

السُّمُوءِ وَالْحَاجَةِ

بَلَى، فَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا هُوَ ذَلِكَ التَّنَاعُمُ الْفَرِيدُ جَمِيعاً

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (التين)



إِنَّ الْحُرِّيَّةَ مِنْ عُبودِيَّةِ رَعَائِبِ الْجَسَدِ، وَأَصْفَادِ الشَّهَوَاتِ؛ إِنَّمَا هِيَ أَجْنَحَةُ  
الْإِنْسَانِ الَّتِي يُحَلِّقُ بِهَا فِي سَمَاءِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْأَنْعَمِ، وَذَلِكَ فَوْقَ حُدُودِ  
الْحَيَوَانِيَّةِ وَدُونَ الرَّهْبَانِيَّةِ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ  
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (الأعراف).

وَعَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ):

« أَنْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ،  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ،  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصُومُ فَلَا أَفْطِرُ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؛ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

﴿ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أَصْلِي، وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ،  
وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي ﴾. الحديث « (النسائي: ٣٢١٧).



الشَّهْوَةُ وَوَلِيدَةُ الْحَاجَةِ وَابْنَةُ الضَّرُورَةِ..

وَلَنْ يَنَالَ أَطْرَافَ السَّمَاءِ دَجَاجٌ أَثْقَلَتْ جِرْمَهُ نَهَامَةُ الشَّهَوَاتِ!



إِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ الْيَوْمَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهَا شِفْوَتُهَا، فَتَقَادَفَتْهَا أَمْوَاجُ الْحَاجَاتِ  
وَالضَّرُورِيَّاتِ حَتَّى اتَّخَذَتْ بَشَرًا جَسَدًا - لَهُ حُورٌ رَعَائِبٌ وَشَهَوَاتٌ - إِلَهًا  
مُطَاعًا مِنْ دُونِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء).

بَلَىٰ وَرَبِّي، لَقَدْ صَارَتِ الْعُبُودِيَّةُ - الَّتِي لَيْسَ مَعَهَا مَعْصِيَةٌ - لِإِلَهِ الْجَسَدِ  
شَرًّا شَامِلًا.. يَطْعَى عَلَىٰ كُلِّ الْحَيَاةِ!

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ - الْيَوْمَ - جَسَدٌ قَدْ أَضْنَاهُ الْمَرَضُ، وَيَتَلَوَّى مِنْ  
فَرْطِ الْأَلَامِ.. إِنَّهَا تَقْفُ - بَانِسَةً، يَانِسَةً، لَا حِيلَةَ لَهَا - عَلَىٰ فُوهَةِ بُرْكَانِ  
يُوشِكُ أَنْ يَنْفَجِرَ!

كَيْفَ لَا؟ فَمَا هُوَ إِلَّا الْعِقَابُ وَالْعَذَابُ لِكُلِّ مَنْ خَرَجَ عَنِ فِطْرَةِ اللَّهِ.



إِنَّ لِلْبَهَائِمِ مَا يَكْفِي مِنَ الْخَلْقَةِ السَّوِيَّةِ لِتُؤَدِّيَ مَا خُلِقَتْ لَهُ..

لَكِنْ مَا بَالُ مَنْ غَادَرَ فِطْرَةَ اللَّهِ فَأَضَاعَ الطَّرِيقَ؟!

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ  
فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۗ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (الأنفال)



إِنَّ قِيَمَ الْحَيَاةِ - الْيَوْمَ - قَدْ صَارَتْ إِلَىٰ هَشِيمٍ تَدْرُوهَ رِيَاخَ الرَّعَانِبِ  
وَأَعَاصِيرُ الشَّهَوَاتِ.. وَصَارَ الْإِنْسَانُ بِلَا جُدُورٍ، وَلَا بَقِيَّةٍ مِنْ أَخْلَاقٍ تُرْتَجَى!  
لَقَدْ صَارَ ذَلِكَ التَّائِيَةُ الْمَسْكِينُ فَاقِدًا لِمَعْنَىٰ وَجُودِهِ، وَأَحْدَقَ بِهِ الظَّلَامُ  
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ فَأَضَاعَ حَاسَةَ الزَّمَانِ، وَحَاسَةَ الْمَكَانِ!

كَيْفَ لَا؟ وَقَدْ بَاتَ تَائِيَةً فِي ظُلُمَاتِ بَحْرِ لُجِّيٍّ مُتَلَاظِمِ الْأَمْوَاجِ،  
ظُلُمَاتٍ مِنْ فَوْقِهَا ظُلُمَاتٌ! وَأَوْلَيْكَ هُمْ ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ  
فَمَا رَبِحَت تَّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ (البقرة).



مِنَ الْبُؤْسِ تُوَلَّدُ السَّعَادَةُ  
مِنَ الْيَأْسِ يُوَلَّدُ الْأَمَلُ  
مِنَ الضَّعْفِ تُوَلَّدُ الْإِرَادَةُ  
مِنَ الْخَوْفِ تُوَلَّدُ الْبَسَالَةُ  
مِنَ الْكِرَاهِيَةِ يُوَلَّدُ الْحُبُّ  
مِنَ الْقَسْوَةِ تُوَلَّدُ الرَّحْمَةُ  
مِنَ الظُّلْمِ يُوَلَّدُ الْعَدْلُ  
مِنَ بَاطِنِ الْجَهْلِ تُوَلَّدُ الْمَعْرِفَةُ  
مِنَ الضَّلَالِ يُوَلَّدُ الْهُدَى  
مِنَ بَاطِنِ الْكُفْرِ يُوَلَّدُ الْإِيمَانُ  
مِنَ حَالِكِ ظَلَامِ اللَّيْلِ يُوَلَّدُ نُورَ الْفَجْرِ



إِنَّهَا وِلَادَةُ الْإِنْسَانِ  
إِنَّهَا وِلَادَةُ عَسِيرَةٍ، وَالْأَمَهَا قَاسِيَةٌ!  
إِلَّا أَنَّ بَشَائِرَ النُّورِ بَادِيَةٌ فِي الظُّلْمَاتِ  
عَدَا.. يُشْرِقُ دِينَ اللَّهِ الْحَقُّ  
﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ  
وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف)





إِنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِيَّةِ - الْيَوْمَ - قَلْبٌ قَدْ أَثْقَلَتْهُ الشَّهَوَاتُ، وَتَصَلَّبَتْ شَرَايِينُهُ  
مِنْ نَهَامَةِ الْمَلْدَاتِ، وَارْتَفَعَ ضَغْطُ دَمِهِ - جَرِيًّا وَرَاءَ الْحَاجَاتِ وَالضَّرُورِيَّاتِ -  
حَتَّى بَاتَتْ شَرَايِينُهُ كَلِيلَةً، هَشَّةً، مِنْ سُوءِ الْإِسْتِعْمَالِ!

لَقَدْ اشْتَدَّتْ بِهِ الْآلَامُ، وَبَلَغَ الْخَطْرُ أَوْجَهُ، وَصَارَ الْمَوْتُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى،  
وَبَاتَ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى الْعِلَاجِ.. إِلَى عَمَلِيَّةِ قَلْبٍ مَفْتُوحٍ قَدْ تَكُونُ فِيهَا النَّجَاةُ!  
غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَفَارَقَاتِ أَنَّ الطَّبِيبَ جَزَّارٌ - مِهْنَتُهُ قَطْعُ الرَّؤُوسِ،  
وَتَفْطِيعُ اللَّحُومِ - وَالْأُدْهَى مِنْ ذَلِكَ، أَنَّ عِدَّتَهُ السَّيِّخُ وَالسَّاطُورُ!

يَأْتِي مُهْرَوْلًا، صَائِحًا بِسْمِ اللَّهِ.. اللَّهُ أَكْبَرُ!

إِنِّي قَادِمٌ أَيْنَ الْمَرِيضُ؟ إِنَّ عَلَى يَدَيَّ الشِّفَاءَ!

وَلَكِنْ مَهْلًا، رُوَيْدِكَ.. يَا هَذَا! إِنَّ الْمَرِيضَ إِنْسَانٌ، وَلَيْسَ بِشَاةٍ!

فَبِأَيِّ حَقٍّ يَا هَذَا تَرْتَدِي ثِيَابَ الطَّبِيبِ؟!

بَلْ كَيْفَ تَدْعِي أَنْ اللَّهُ سَوْفَ يُجْرِي عَلَى يَدَيْكَ الشِّفَاءَ؟

وَأَنْتَ جَزَّارٌ لَا يَرْحَمُ حَتَّى الشَّاةَ!

مِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَعْرِفَةُ؟! وَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْخَبْرَةُ؟!

بَلْ مَنْ أَعْطَاكَ السُّلْطَةَ أَيُّهَا الْجَزَّارُ؟! وَكَيْفَ تَتَّصَوَّرُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُجَرَّدُ شَاةٍ!

وَبِأَيِّ حَقٍّ - يَا أَيُّهَا الْجَزَّارُ - تَسْئَلُهُ الْحَيَاةَ؟!



الدِّيَانَاتُ كُلُّهَا تَلْتَقِي فِي اللَّهِ.. وَالْخِلَافَاتُ كُلُّهَا تَقَعُ بِاسْمِ اللَّهِ.. لِمَادَا؟!

لِأَنَّ النِّيَّاتِ الْحَسَنَةَ فِي أَيْدِي الْجُهَّالِ الْحَمَقِيِّ.. مَا هِيَ إِلَّا سِلَاحٌ مُدْمِرٌ قَاتِلٌ!



﴿ أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج)، أي:

إِنَّ التَّارِيخَ لِيُعِيدُ نَفْسَهُ!

إِنِّهَا حَقِيقَةٌ مُؤَلِّمَةٌ، وَطَامَّةٌ كُبْرَى تُزَيِّنُ رُؤُوسَ الْجُهَلَاءِ!

لِمَاذَا يُعِيدُ التَّارِيخُ نَفْسَهُ تَارَةً بَعْدَ أُخْرَى؟!

أَهُوَ جَهْلُ الْإِنْسَانِ، أَمْ الْغَفْلَةُ، أَمْ كِلَاهُمَا؟!

إِنَّ ذَهَابَ الْفِطْنَةِ وَقِلَّةَ الْفَهْمِ ( أي: عَدَمُ الْاِسْتِفَادَةِ مِنْ تَجَارِبِ الْحَيَاةِ! )

إِنَّمَا هُوَ أَوَّلُ وَآخِرُ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَجْعَلُ التَّارِيخَ يُعِيدُ نَفْسَهُ، أَبَدَ الْآبِدِينَ!

إِنَّ التَّجَارِبَ تَحْمِلُ الْأَخْطَاءَ بَيْنَ طَيَّاتِهَا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ طَبِيعَتِهَا..

إِلَّا أَنَّ التَّيَقُّظَ وَالْفِطْنَةَ مَنْجَاةٌ مِنْ تَكَرُّرِ الْوُقُوعِ فِي ( نَفْسِ الْخَطَا )

مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى! أَلَا وَإِنَّ فِي الْحِمَارِ لِأُسُوءَةَ وَقُدُوءَةَ لِكُلِّ أَحْمَقٍ غَافِلٍ،

فَمَا كَانَ الْحِمَارُ - أَبَدًا - بِذَلِكَ الَّذِي يَقَعُ فِي ( نَفْسِ الْحُفْرَةِ ) تَارَةً بَعْدَ أُخْرَى!



آيَةُ التَّخَلُّفِ ثَلَاثٌ:

عَدَمُ الْقِرَاءَةِ، عَدَمُ الْفَهْمِ، وَأَخِيرًا الطَّامَّةُ الْكُبْرَى:

حِينَ الْفَهْمِ لَا يَكُونُ التَّطْبِيقُ!!



الْمُسْتَقْبَلُ وَلَيْدُ الْمَاضِي، ذَلِكَ بِأَنَّ بُدُورَ الْمُسْتَقْبَلِ دَفِينَةٌ فِي أَعْمَاقِ الْمَاضِي!



﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين)

لَذَلِكَ، فَإِنَّ قَسْوَةَ الْقَلْبِ كَالْحِجَارَةِ - بَلْ أَشَدُّ قَسْوَةً - فَلَا يُنَالُ مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرٌ يُرْتَجَى! لَيْسَتْ - حَقًّا - إِلَّا مُجَرَّدَ مَوْتٍ يَعْقُبُهُ سِنُونَ طَوَالَ مِنَ السَّكَرَاتِ، وَالْعَمَرَاتِ، وَالنَّزَاعِ الْأَلِيمِ - بِانْتِظَارِ الْأَجْلِ - إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الْيَقِينُ، وَيَصِيرَ الْجَسَدُ الْفَاقِي إِلَى تُرَابٍ.



إِنَّ مَثَلِ الْقَلْبِ الْعَضِّ اللَّيِّنِ النَّابِضِ بِالْحَيَاةِ: كَمَثَلِ الْخَلِيَّةِ الْحَيَّةِ، الَّتِي يَتَحَيَّرُ الْعِلْمُ فِي تَفْسِيرِ حَرَكَةِ دَائِمَةٍ فِيهَا - بِلَا تَوْقُفٍ - أَي: (الْحَرَكَةُ السُّتُوبَلَازِمِيَّةُ). إِنَّهَا مُجَرَّدُ إِعْلَامٍ بِأَنَّ الْخَلِيَّةَ مَا زَالَتْ تَنْبُضُ بِالْحَيَاةِ! ذَلِكَ بِأَنَّ تَوْقُفَ تِلْكَ الْحَرَكَةِ الدَّوْرَانِيَّةِ إِنَّمَا يَعْنِي مَوْتَ الْخَلِيَّةِ.. فَإِذَا هِيَ جَمَادًا قَدْ صَارَ إِلَى تُرَابٍ! إِنَّهَا سُنَّةٌ لَا تَبْدِيلَ لَهَا مِنْ سُنَنِ الْخَلْقِ، وَالَّتِي تَنْطَبِقُ - بِلَا رَيْبٍ - عَلَى كُلِّ تِلْكَ الْقُلُوبِ الْمُتَحَجَّرَةِ الْقَاسِيَةِ، بِلَا اسْتِثْنَاءٍ.. ذَلِكَ بِأَنَّهَا قُلُوبٌ قَدْ فَارَقَتْهَا الْحَيَاةَ، فَطَالَ عَلَيْهَا الْأَمَدُ بِانْتِظَارِ الصَّيْرُورَةِ إِلَى تُرَابٍ!



إِنَّ الْقَلْبَ النَّابِضَ بِذِكْرِ اللَّهِ ( **وَلَيْسَ بِذَلِكَ الْبِنْبَغَاءِ الْمُتَمَتِّعِ بِالْأَنْكَارِ** ) إِنَّمَا هُوَ قَلْبٌ رَفِيقٌ شَفَافٌ، زَاخِرٌ بِالْحَيَاةِ، يَفِيضُ حُبًّا، وَيَشِعُّ نُورًا، غَامِرًا بِالضِّيَاءِ كُلِّ مَا حَوْلَهُ.

وَلَكِنَّ الْأَنْحِرَافَ عَنِ فِطْرَةِ اللَّهِ إِنَّمَا يَسْتَنْزِفُ الْقَلْبَ، فَيَقْتُلُهُ؛ فَلَا يَكُونُ نَصِيبُ مَنْ حَوْلَهُ إِلَّا ظُلْمَةٌ، تَمَلُّوْهَا حِدَّةٌ كُلُّ كَرِيهِ مِنَ الرِّوَايِحِ!



﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة)، أي:

إِنَّ الْإِصْرَارَ عَلَىٰ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ - وَالْإِنْعِمَاسِ فِي مَلَذَّاتِ الْحَيَاةِ - إِنَّمَا يَحْرِفُ قَلْبَ الْإِنْسَانِ عَنِ فِطْرَةِ اللَّهِ، وَعَنْ غَايَةِ وُجُودِهِ؛ فَيَجْعَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ شَجَرَةً يَابِسَةً مَصِيرُهَا فَأْسُ الْحَطَّابِ، وَمِيعَادُهَا الْحَقُّ نَارُ الْمَوْقِدِ، الْأَسَاءَ مَصِيرًا!

لِذَلِكَ، فَإِنَّهَا لَحِظَةُ الْعُودَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ الْعُفُورِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، لِمَنْ قَدْ وَقَعَ فِي شَوْكَةِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ (الفرقان)، وَبِالِاسْتِغْفَارِ لِذُنُوبِهِ إِنْ قَارَبَهَا فَلَمْ تَغْلِبْهُ قُوَّتُهَا: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران).



وَخِتَامًا:

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴾ (آل عمران)، فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ!



## فَرَضِيَّةُ زَمَّوَانِ الْكُونِيَّةِ

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب)

وَتَقُولُ تِلْكَ الْفَرَضِيَّةُ - وَإِنَّمَا هِيَ نَظْرِيَّةٌ عِنْدَ أَوْلِي الْعِلْمِ - بِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْضَعُ إِلَى قَوَانِينِ التَّفَاضُلِ وَالتَّكَامُلِ ( Calculus Laws ) طَوَالَ مُدَّةِ الْخِلَافَةِ عَلَى الْأَرْضِ:

- فإِذَا مَا اتَّجَهَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْأَرْضِ - مِنْ غَيْرِ اللَّهِ - صَارَ خَاضِعًا إِلَى قَوَانِينِ التَّفَاضُلِ ( Differentiation Laws ) الَّتِي تُشَتَّتُ وُجُودَهُ وَطَاقَاتِهِ، أَي: يَصِيرُ إِلَى أَجْزَاءٍ صَغِيرَةٍ مُبْعَثَرَةٍ، يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا قَوَانِينُ مِيكَانِيكِ الْكَمِّ ( Quantum Mechanics ) الْقَائِمِ عَلَى دِرَاسَةِ الْاِحْتِمَالَاتِ - غَيْرِ النَّهَائِيَّةِ - وَالشَّكِّ فِي الْفُؤْرَةِ عَلَى إِدْرَاكِ - أَي: تَحْقِيقِ - الْغَايَةِ مِنْ خِلَافَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ، وَذَلِكَ دُونَ أَيِّ تَقْصِيرٍ فِي أَدَاءِ الْأَمَانَةِ الَّتِي انْتَمَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

- أَمَا إِذَا اتَّحَدَ الْإِنْسَانُ مَعَ الْقُوَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، صَارَ خَاضِعًا إِلَى قَوَانِينِ التَّكَامُلِ ( Integration Laws )، وَهُوَ - حِينَئِذٍ - أَقْوَى مَا يَكُونُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَدْ صَارَ إِلَى كُلِّ غَيْرٍ مُجْزَأً، أَي: يَصِيرُ الْإِنْسَانُ مِنْ ظُلُومِ جَهُولٍ، إِلَى كَانِنٍ خَاضِعٍ إِلَى الْقَوَانِينِ الْكُلِّيَّةِ ( Universal Laws ) الَّتِي تَتَحَرَّكُ وَفَقَّهَا الْأَجْرَامُ السَّمَاوِيَّةُ فِي أَفْلَاكِهَا - بِدِقَّةٍ مُتْنَاهِيَّةٍ - فَلَا اِحْتِمَالَ وَلَا شَكَّ، وَإِنَّمَا مُؤَكَّدٌ وَيَقِينٌ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ أَدْرَكَ الْغَايَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ.

فِي ضَوْءِ الْفَرَضِيَّةِ، فَإِنَّ سُنَّةَ الْخَلْقِ الْإِلَهِيِّ لَتَمْضِي فِي الْإِنْسَانِ - فَرْدًا -  
وَفِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، كُلًّا ← فَأَمَّا تَجْمَعَاتُ بَشَرِيَّةٌ أَوْ مُجْتَمَعَاتُ إِنْسَانِيَّةٌ!  
﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا  
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (٤١٢) ﴿ (فاطر).



## الدِّينُ

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (الفتح)

إِنَّ آيَةَ الانْحِرَافِ الدِّينِيَّ - الْيَوْمَ - إِنَّمَا هِيَ فِي تَغْيِيرِ الدِّينِ الْقِيمِ مِنَ الْحَقِّ  
إِلَى شَعَائِرِ وَطُفُوسٍ، لَا خَيْرَ فِيهَا! أَي: إِلَى تَهْرِيجِ وَمَهْرَجَانَاتٍ!  
طُبُولٌ تُضْرَبُ.. أَصْوَاتُهَا عَالِيَةٌ وَقُلُوبُهَا خَوَاءٌ!



﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ أُثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيتَى فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾  
وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَعَيْرَ اللَّهُ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ (النحل) !؟

إِي وَرَبِّي، مَا دُورُ الْعِبَادَةِ الْيَوْمَ إِلَّا مَدَافِنُ لِدَيْنِ اللَّهِ الْحَقِّ، فَانظُرْ!  
أَفَلَا تَرَى أَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهَا لَيْسَ إِلَّا هَيْأَكِلٍ عَظْمِيَّةً - بِأَثْوَابِ جِهَالَةٍ فَضْفَاضَةٍ،  
وَبَقَايَا أَشْلَاءٍ لَتَعَالِيمٍ مُتَحَلِّلَةٍ عَفْنَةٍ - إِلَّا مَا قَدْ رَحِمَ رَبُّكَ؟! لِدَلِكْ:

**إِمَّا اللَّهُ.. وَإِمَّا الْإِنْهِيَارُ! لَا مَجَالَ لِلشُّكِّ أَوْ الْاِخْتِيَارِ!**



﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ (الزمر)  
وَكَذَلِكَ أَنْزَلَ دِينَ اللَّهِ الْحَقِّ مِنْ لَدُنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَلْبِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَكُونَ ﴿ بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الجناتية)؛  
فَنَسَخَ أَدْعِيَاءَ الدِّينِ كُلَّ ذَلِكَ جَمِيعًا، وَصَارَ دِينَ اللَّهِ - بَيْنَ أَيْدِيهِمْ - إِلَى تِجَارَةٍ  
حَاضِرَةٍ يُدِيرُونَهَا بَيْنَهُمْ!

وَإِذَا أَسْفَاهُ! مَا أَرْخَصَهُ مِنْ بَيْعٍ، وَمَا أَبْخَسَهُ مِنْ ثَمَنِ، ابْتِغَاءَ عَرْضٍ مِنْ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا! ﴿ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ  
فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (البقرة).

فَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ الْقِيَمَ إِنَّمَا هُوَ دِينُ الْأُمَّةِ الْقِيَمَةِ بِالْحَقِّ، وَالَّتِي بَيْنَ سُبْحَانَهُ لِمَاذَا  
فَضَّلَهَا بِالتَّمْيِيزِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأُمَّمِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:  
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران)، فَإِنَّ أَنْتُمْ مِنْ ذَلِكَ - جَمِيعًا - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ!؟





إِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَدْعِيَاءِ الْفِكْرِ وَالَّذِينَ يُحَدِّقُ بِهِمْ - الْيَوْمَ - حَشْدٌ عَظِيمٌ  
مِنَ الْغَوَّاعِيِّينَ، بَلْ تَحُومُ حَوْلَ رُؤُوسِهِمُ الْفَارِغَةُ أَسْرَابٌ كَبِيرَةٌ مِنْ طُيُورِ  
الْوَقُوقِ، الَّتِي لَا فَائِدَةَ وَلَا مَعْنَى لَوْجُودِهَا سِوَى:

وَاقٌ.. وَاقٌ.. وَاقٌ! نَعَمْ.. نَعَمْ.. نَعَمْ!

إِنَّهُمْ - حَقًّا - آلاتٌ تَسْجِيلِ لَا، بَلْ آلاتٌ ضَجِيجٌ!

أَيًّا كَانَتِ التَّوَافِيهِ.. وَاقٌ!

أَيًّا كَانَتِ السَّفَاسِيفُ.. وَاقٌ!

أَيًّا كَانَ الْهَرَاءُ.. وَاقٌ!

أَيًّا كَانَتِ التَّرْتِرَةُ.. وَاقٌ!

مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا هَذَا يَا هَذَا؟!.. وَاقٌ!

تَابِعْ يَا حَكِيمَ الزَّمَانِ، تَابِعْ.. وَاقٌ!

إِنَّ فِي حَدِيثِكَ طَرْبًا، تَابِعْ.. وَاقٌ!

يَا يَنْبُوعَ الْحِكْمَةِ الدَّافِقِ.. وَاقٌ!

إِنَّهُ عَيْنُ الصَّوَابِ وَعَيْنُ الْحِكْمَةِ، يَا رَجُلَ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ!

وَاقٌ.. وَاقٌ.. وَاقٌ! نَعَمْ.. نَعَمْ.. نَعَمْ!



إِنَّهُمْ حُمُولَةٌ زَانِدَةٌ تُضَلُّ الْقَلْبَ لَا، بَلْ سَقَطُ مَتَاعٍ!

إِنَّهُمْ كَالطَّحَالِبِ لَا تَنْمُو إِلَّا فَوْقَ الْمُسْتَنْقَعَاتِ.. مُسْتَنْقَعَاتِ الْفِكْرِ الْآسِنِ!

إِنَّهُمْ يَرُدُّونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَيَصْرُخُ الْقَلْبُ مُتَأَلِّمًا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!



إِنَّ الشَّرْوَطَ الْبَدِيهِيَّةَ لِبَقَاءِ الْقَمَرِ الصَّنَاعِيِّ سَابِحاً فِي الْفَلَكَ الْمَطْلُوبِ، ثَلَاثَةٌ:

١ - سَلَامَةٌ أَنْظِمَةِ التَّحَكُّمِ.

٢ - الضَّبْطُ عَلَى التَّرَدُّدِ الصَّحِيحِ.

٣ - إِزَالَةُ التَّشْوِيشِ.

فَإِذَا انْتَفَى أَيُّ شَرْطٍ مِنْهَا انْقَطَعَ اتِّصَالُ الْقَمَرِ الصَّنَاعِيِّ - حَتْمًا - مَعَ الْمَحَطَّةِ الْأَرْضِيَّةِ؛ فَيَتِيهِ ضَالًّا فِي الْفَضَاءِ، وَيَصِيرُ إِلَى خُرْدَةٍ حَدِيدِيَّةٍ، لَا فَايِدَةَ فِيهَا!  
وَكذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَاةِ - ﴿ وَاللَّهُ الْمَعْلُومُ الْأَعْلَى ﴾ ( النحل ) سُبْحَانَهُ - فَهِيَ صَلَاةٌ لَا تَنْقَطِعُ - لَيْلًا وَلَا نَهَارًا - مَعَ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ( طه )، أَي:

إِنَّ أَسَاسَ الصَّلَاةِ التَّوَافُقُ، وَأَصْلُهَا الْأُلْفَةُ؛ فَمَا كَانَتِ الصَّلَاةُ - أَبَدًا - مُجَرَّدَ حَرَكَاتٍ، وَلَا تَرْدِيدِ آيَاتٍ، وَلَا تَمْتَمَةَ أَدْنَاكَرٍ! ذَلِكَ بِأَنَّهَا خُشُوعُ الْقَلْبِ وَخُضُوعُ الْجَسَدِ لِعَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَاتِّحَادُ النَّفْسِ مَعَ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ ( مريم )، أَي:

إِنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِ - الْيَوْمَ - لِيَتِيهِ ضَالًّا فِي قِفَارِ الرَّغَائِبِ وَالشَّهْوَاتِ؛ حَتَّى أَعْيَاهُ شِدَّةُ الْإِنْعِمَاسِ فِي مَلَدَاتِ الْحَيَاةِ، وَصَارَ يُغْشَاهُ الْوَهْنُ وَالْفَسَادُ!  
فَاعْلَمْ، أَنَّ الصَّلَاةَ بِتِلْكَ الْقُلُوبِ السَّاهِيَةِ اللَّاهِيَةِ - بَلِ الْخَاوِيَةِ خُويًّا مِنْ مَنَابِتِ الْإِيمَانِ - لَنْ تَرِيدَ الْغَافِلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ إِلَّا ضِيَاعًا، فَابْتِعَادًا عَنِ اللَّهِ!



## الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا  
فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (فصلت) وَاسْفَاهُ!

كَانَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ تَصِفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
بِأَنَّهُ قُرْآنٌ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ كُلِّهَا: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ  
فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿١﴾ ﴾ (الأحزاب)، لِذَلِكَ:

إِنَّ مَكَانَ الْقُرْآنِ وَمَكَانَهُ هُوَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْغَايَةَ مِنْ حَقِّ تِلَاوَتِهِ  
إِنَّمَا هِيَ التَّطْبِيقُ لَا تَمَنُّةُ الْآيَاتِ كَقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ فِي الْمُنَاسَبَاتِ - مِنْ أَفْرَاحٍ  
وَأَحْزَانٍ، أَوْ فِي افْتِتَاحِيَّاتٍ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَيُّ صِلَةٍ أَوْ افْتِرَانٍ،  
بَلْ هِيَ مَحْضُ زُحْرَفٍ وَمَلءِ فَرَاحٍ - ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا  
الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفرقان)، فَنَادُوا - يَوْمِئِذٍ - وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ!

فَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - أَنَّ دِينَ اللَّهِ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ،  
فَانْتَبِهْ! لِأَنَّ تَدْمِيرَ بُنْيَانِ الْإِسْلَامِ إِنَّمَا يَبْدَأُ مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَذَلِكَ:

- بِأَنَّ تَصِيرَ الْعِبَادَاتِ إِلَى شَعَائِرِ وَطُقُوسٍ خَاوِيَةٍ، لَا خَيْرَ فِيهَا!  
- بِإِبْعَادِ كِتَابِ اللَّهِ - الَّذِي فِيهِ هُدًى مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ - عَنِ قُلُوبِ  
الْمُؤْمِنِينَ وَوَضْعِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَذَلِكَ - بِلَا رَيْبٍ - هُوَ آيَةُ الْإِفْرَاطِ  
فِي الْجَهَالَةِ وَالْحُمُقِ!

فِيخِرُ عَلَى الْأُمَّةِ الْعَافِلَةِ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهَا؛ وَيُظْهَرُ الْفَسَادُ - حِينَئِذٍ -  
فِي الْأَرْضِ، وَيَتَأَهَّبُ الطَّاعُوتُ!

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ (إبراهيم) أَفَلَا يَعْلَمُونَ؟!

﴿ أَمْ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٦﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الصفات)؟!

إِنِّي وَرَبِّي، إِنَّ حُمْقَ الْجَهَالَةِ لَيَقْضِي بَأْنَ يَصِيرَ ذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ - بَيْنَ أَيْدِيهِمْ - إِلَى كَلِمَاتٍ تُتْلَى فِي الْمُنَاسَبَاتِ لَا، بَلْ عَلَى الْأَمْوَاتِ؛ وَإِنَّمَا هِيَ - فِي الْأَصْلِ - لِلأَحْيَاءِ؟!

وَكَذَلِكَ صَارَ أَكْثَرُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - الْيَوْمَ - يَأْكُلُ الْفُشُورَ، وَيَرْمِي بِاللُّبِّ بَعِيداً عَنْهُ مَخَافَةَ الْفَائِدَةِ، أَلَا سَاءَ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - مُنْقَلَباً!

فَاعْلَمْ، أَنَّمَا الْفَقِيهَ مَنْ فَقَهُ مَدَاخِلَ الشَّيْطَانِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيهِ: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (النحل).



وختاماً:

أَلَيْسَ الشَّيْطَانُ وَقَبِيلُهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ هُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ سُوءَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ؟! أَمْ أَنَّ أَكْثَرَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَدْ وَقَعَ - حَقّاً - فِي الْمَصِيدَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ؛ فَأُطْبِقَتْ شَبَابُكَ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَصَارَ يَلْهُو بِأَوْلَانِكَ الْغَاوِينَ كَيْفَمَا يَشَاءُ؟!

وَلَكِنْ، ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الأنفال).

فَمَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ - الْيَوْمَ - إِلَّا عِمْلَاقُ عَظِيمٍ قَدْ ثَقُلَ نَائِمًا بِفِعْلِ الْمُخَدَّرِ الشَّيْطَانِيِّ! ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٧﴾ (الأعراف) .

وَلَنْ يَصْحَوْ ذَلِكَ الْعِمْلَاقُ الْغَافِلُ - الَّذِي يَعْطُ فِي أَضْغَاثِ أَحْلَامِهِ غَطِيظًا - إِلَّا بِرُجُوعِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِلَى مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ فِي الْقَلْبِ؛ وَذَلِكَ لِيَنْهَضَ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ سَقَطَتِهَا، وَيَتَحَقَّقَ قَوْلُ اللَّهِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ سُبْحَانَهُ فِيهَا: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٦٣﴾ (البقرة) .

فَاعْلَمْ، أَنَّمَا أَكْثَرَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - الْيَوْمَ - هِيَ: ( شَاهِدْ مَا شَافَسَ حَاجَةً )! وَمَا زَالَ الْعَرَضُ لِتِلْكَ الْمَسْرُحِيَّةِ الْهَزْلِيَّةِ مُسْتَمِرًّا بِنَجَاحِ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ! ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أَنْفُسَهُمْ، وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِهِمْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ: ﴿ عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ (الطور)!



﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ - أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ (الأعراف) ، وَسَوْفَ أَدْعُ لَكَ - يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - أَنْ تَتَبَيَّنَ أَيَّنَ هُوَ مَكَانُ الْقُرْآنِ وَكِنَانُهُ، حَقًّا؟!



﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران)، أي:

فاعلم - يا أيها المسلم - أن الأمة هي: ( الطريقة والدين )، وأن هناك استعمالين أساسيين للفعل ( كان ) في اللغة العربية:

- أولهما: لما مضى من الزمان؛ وإنما هو زمن صحابة رسول الله ﷺ، رضوان الله عليهم أجمعين.

- ثانيهما: للزمن الحاضر، وما سوف يأتي من الزمان.

لذلك، فإن كينونة الأمة الإسلامية ( كما بينها لهم السميع العليم سبحانه بأن تكون خير أمة أخرجت للناس )؛ إنما تتوقف على أمور ثلاثة:

١ - الأمر بالمعروف.

٢ - النهي عن المنكر.

٣ - الإيمان بالله الملك الحق سبحانه.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة).

أما قرأ ذلك الجاهل - الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف - كتاب الله؟!

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ (الزخرف).

﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي

هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل).

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَوْلَانِكَ، الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِأَمْرِ شَيَاطِينِهِمْ، أَنَّ أَمْرَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ  
 إِنَّمَا هُوَ بِالذُّعْوَةِ إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ: ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ﴾ (النحل)؛  
 وَلَيْسَ بِالْإِسَاءَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ - أَوْلَى - وَلَا بِتَثْقِيلِ كَاهِلِ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ  
 - ثَانِيًا - بِأَوْزَارِ تِلْكَ الْجَمَهَرَةِ الضَّالَّةِ الْمُضَلَّةِ مِنْ أَدْعِيَاءِ الْإِسْلَامِ!  
 لَكِنْ، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ  
 عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ۗ﴾ (النحل).

أَلَا فَلْيَعْلَمَ أَوْلَانِكَ الضَّالُّونَ الْمُضَلَّلُونَ - وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْغَاوِينَ -  
 أَنَّ الْأَدْيَانَ وَالشَّرَائِعَ السَّمَاوِيَّةَ كَافَّةً، وَقُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ أَجْمَعِينَ؛  
 إِنَّمَا هِيَ بَرَاءٌ:

- مِمَّا يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ!

- وَمِمَّا يُجْرِمُ أَوْلَانِكَ الْقَتْلَةَ الْمُجْرِمُونَ مِنْ دِمَارِ اللَّيْلِ وَإِهْلَاكِ الْعِبَادِ،  
 بَلْ تَقْتِيلِ لِلْأَبْرِيَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ! مِنْ رِجَالٍ أَوْ نِسَاءٍ؛  
 أَطْفَالًا، وَشَبَابًا، وَكُهُولًا، وَشُيُوخًا:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا  
 وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾ (المائدة).

وَذَلِكَ خَلْفَ قِنَاعٍ - مِنَ الدَّجْلِ وَالتَّدْجِيلِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ - ظَاهِرُهُ الْخَيْرُ  
 بِالذُّعْوَةِ إِلَى اتِّبَاعِ مَنْهَجِ اللَّهِ، وَبَاطِنُهُ هَلَاكٌ مُنْتَظَرٌ لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، جَمْعَاءَ!

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ



وَخَتَامًا:

يَا أُمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِي بِالْحَقِّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ:

- لَا تَكُونُوا كَأُولَئِكَ الَّذِينَ: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ

فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ (الحشر)!

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ (آل عمران).

إِي وَرَبِّي، لَقَدْ صَارَ أَوْلَئِكَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى لَمَّةٍ مِنْ شَتَاتٍ شَتَى! بَعْدَ أَنْ كَانُوا  
أُمَّةً مَرْصُوصَةً الْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا.

فَاعْتَبِرُوا - يَا أُمَّةَ الْمُسْلِمِينَ - لِأَنَّ دِينَ اللَّهِ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ!

أَلَا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ، ذَلِكَ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ

إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ

وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ (الحج).

\*\*\*



عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ) : « عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ﴿ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُوتِمِنَ خَانَ ﴾ . الحديث « ( البخاري : ٣٣ ) .

وَالْيَوْمَ ، صَارَ التَّسْوِيفُ وَالْمُطَاطَلَةُ مِنَ الْأَخْطَاءِ الْكُبْرَى الَّتِي تُلَازِمُ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، فَلَا تَنْفُكُ عَنْهَا ! أَي : لَقَدْ صَارَ قَوْلُ ( إِنْ شَاءَ اللَّهُ ) - عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ - دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى الْإِنْمِلَاصِ مِنَ الْوَعُودِ ، وَالْإِنْفِلَاتِ مِنَ الْعُهُودِ ؛ حَتَّى صَارَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ - مِنَ الْأُمَّمِ الْأُخْرَى - يُرَدِّدُونَ سَاخِرِينَ مِنْهُمْ ( بُوْكَرًا إِشْرَافًا ! ) وَيَا لَهَا مِنْ مَهْزَلَةٍ ! بَلْ وَصَمَةٌ عَارٍ تَتَأَلَّقُ ظُلْمَةً - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - عَلَى جَبِينِ تِلْكَ الْأُمَّةِ الْخَاوِيَةِ عَلَى عُرُوشِهَا !

أَلَا فَلْيُعْلَمَ - كُلُّ مَنْ كَانَ بِهِ خِصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ ، حَتَّى يَدْعَهَا - أَنَّهُ إِذَا قَالَ اللِّسَانُ : ( إِنْ شَاءَ اللَّهُ ) ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْمُؤْمِنَ لِيُعْلَمَ يَقِينًا :

١ - أَنَّهُ لَا مَشِيئَةَ وَلَا إِرَادَةَ تَسْبِقُ مَشِيئَةَ وَإِرَادَةَ اللَّهِ :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ( يس ) .

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ( الإنسان ) .

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ( الأعراف ) .

٢ - أَنَّ نِيَّةَ الْإِنْتِزَامِ بِالْوَعْدِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ قَدْ سَبَقَتْ قَوْلَ صَاحِبِهَا : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ( الإسراء ) .

ثُمَّ يَتَوَكَّلُ الْقَلْبُ الْمُؤْمِنُ عَلَى اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ( آل عمران ) .



﴿ قَالَهُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (الحج، ٣٤) أي:

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطْمَئِنِينَ إِلَى اللَّهِ: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ  
وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (الحج، ٣٥).

وَأِنَّمَا الْإِخْبَاتُ هُوَ خُضُوعُ الْجَسَدِ وَتَدَلُّلُ النَّفْسِ إِلَى اللَّهِ؛ وَذَلِكَ خَوْفًا  
مِنْ سَخَطِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ، وَطَمَعًا بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ  
فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة).



( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) أَصْلُ كُلِّ مَعْرِفَةٍ، وَابْتِدَاءُ كُلِّ عِلْمٍ: ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ  
لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة).

( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) حِصْنُ الْقُلُوبِ مِنْ ضَلَالَاتِ الشَّيْطَانِ؛ حَتَّى لَا يَحُومَ حَوْلَهَا،  
فَتُطْبَقَ عَلَيْهَا شِبَاكَةُ الشَّيْطَانِيَّةِ الْخَبِيثَةِ: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ  
لَهُو شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف).

( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) أُنْسُ الْقُلُوبِ بِاللَّهِ الْغُفُورِ الْوَدُودِ سُبْحَانَهُ.

( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) طَمَئِينَةُ الْقُلُوبِ الْوَاجِفَةِ الْخَائِفَةِ إِلَى اللَّهِ اللَّطِيفِ بَعْبَادِهِ  
الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ  
اللَّهِ أَلَّا يَذْكُرَ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد).



( سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ) هِيَ:

- خُشُوعُ الْقَلْبِ الْمُؤْمِنِ لِلخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ.

- تَنْزِيَهُ لِلَّهِ عَنْ كُلِّ سُوءٍ، وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ سُبْحَانَهُ بِهِ.

- تَمْجِيدُ اللَّهِ؛ وَتَقْدِيسُهُ سُبْحَانَهُ عَنِ الصَّاحِبَةِ، وَالْوَالِدِ، وَالْأَنْدَادِ، وَالْأَشْبَاهِ.

فَهُوَ اللَّهُ ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ (الفرقان).

فَاعْلَمْ، ( عَلَّمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ ):

- أَنَّ ( سُبْحَانَ اللَّهِ ) كَلِمَةٌ رَضِيهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ؛ فَأَوْصَى بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ.

- وَأَنَّ الْحَمْدَ رَأْسُ الشُّكْرِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ تَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ، وَتَعْظِيمٌ وَتَمْجِيدٌ لَهُ، وَشُكْرٌ لِلَّهِ عَلَى نِعْمِهِ وَفَضْلِهِ: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ﴿١٣٣﴾ (النساء).

- وَأَنَّ لِشُكْرِ النُّعْمَةِ دَعَائِمَ ثَلَاثًا، لَا يَقُومُ إِلَّا بِهَا:

١ - عِرْفَانُ الْإِحْسَانِ بِالتَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ، وَنَشْرُهُ - لَا فِرْحًا وَلَا مَرْحًا - بِإِظْهَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ﴿١١﴾ (الضحى).

٢ - فِرْحَةُ الْقَلْبِ بِأَنْ تَجِدَ فِي قَلْبِكَ خِفَةً، وَبِهَجَةً؛ وَأَنْ تَعْمَرَ السَّعَادَةَ كُلَّ قَلْبِكَ: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿٣١﴾ (إبراهيم).

٣ - اسْتِعْمَالُ النُّعْمَةِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَا فِي مَعْصِيَةِ الْمُنْعِمِ الْمُعْطِي سُبْحَانَهُ.

وَلَقَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ عَلَى نَفْسِهِ عَهْدًا؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يُضِلَّ كُلَّ مَنْ اتَّخَذَهُ وَلِيًّا،  
عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ: ﴿ ثُمَّ لَا تَتَيْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ  
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ (الأعراف)، فَانظُرْ!



يَا رَفِيقَ دَرَبِي..

فَإِذَا مَا قَارَبْتَ يَوْمًا مَعْصِيَةً فَارْجِعْ عَنْهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ الرَّقِيبِ الَّذِي  
كَانَ عَلَيْكَ شَهِيدًا.. وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَاقَعْتَهَا فَالْجَأُ إِلَى الْغُفُورِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ  
بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ  
فَأَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا  
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٥﴾ ( آل عمران ) . ( وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ: هِيَ التَّوْبَةُ الْخَالِصَةُ إِلَى اللَّهِ،  
فَلَا يَعُودُ الْعَبْدُ الْعَاصِي بَعْدَهَا إِلَى مَا تَابَ عَنْهُ. )

وَخِتَامًا:

( اسْتَغْفِرِ اللَّهَ ) جَلَاءَ الْقُلُوبِ مِنْ ظُلْمَةِ الذُّنُوبِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ لِلذُّنُوبِ ظُلُمَاتٍ،  
إِذَا رَأَيْتَ عَلَى الْقَلْبِ حَاجَبَتَهُ عَنْ نُورِ اللَّهِ:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٦٠﴾ (النور) ﴾



إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ بَصِيرَةِ الْحَقِّ وَعَمِيَّةِ الْبَاطِلِ: كَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ!

- فَأَمَّا بَصِيرَةُ الْحَقِّ، فَهِيَ: ﴿عَآمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَآمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (البقرة).

- وَأَمَّا عَمِيَّةُ الْبَاطِلِ، فَهِيَ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُجُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَاتُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَجَبُوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ (البقرة).



وَسَوْفَ ادْعُ لَكَ - يَا رَفِيقَ دَرْبِي - أَنْ تَتَّبِعَنِي كَمَا هُوَ عَظِيمُ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا!؟



## المُجْتَمَعُ

لَأَنَّ الْمُجْتَمَعَ هُوَ السَّيِّدُ الْمُتَّصِرُ.. وَالْإِنْسَانُ هُوَ الْعَبْدُ الْخَاضِعُ الدَّلِيلُ  
فَلَا عَجَبَ أَنَّهُ لَا حُقُوقَ لِذَلِكَ الْعَبْدِ، وَإِنَّمَا عَلَى الْإِنْسَانِ تَتْرَاكُمُ كُلُّ الْوَاجِبَاتِ!  
وَيَا لَهُ مِنْ ثِقَلٍ يَسْحَقُ كُلَّ الْكِيَانِ!



إِنَّ الْمُجْتَمَعَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ( الْفَرْدِيَّةِ ) وَإِنَّمَا إِلَى ( الْكِفَاءَةِ )، حَصْرًا!

إِذْ كُلَّمَا ازْدَادَ الْإِنْسَانُ تَفَرُّدًا؛ قَلَّ نَفْعُهُ، وَازْدَادَتْ خُطُورُهُ عَلَى الْمُجْتَمَعِ!

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُهَمَّةَ الْأَسَاسِيَّةَ لِأَيِّ مَنْظُومَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ إِنَّمَا هِيَ فِي تَجْرِيدِ الْإِنْسَانِ مِنْ فَرْدِيَّتِهِ؛ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى آلَةٍ بَشَرِيَّةٍ ذَاتِ كِفَاءَةٍ عَالِيَةٍ، سَلْسَلَةِ الْفِيَادِ، سَهْلَةَ التَّحَكُّمِ، وَأَخْطَارَهَا مَحْدُودَةٌ!

إِنَّ اسْتِعْبَادَ الْإِنْسَانِ، وَاسْتِغْلَالَ طَاقَاتِهِ الْعَقْلِيَّةِ، وَفَوَاهُ الْجَسَدِيَّةِ - لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَجْرِيدِ الْفَرْدِ مِنْ فَرْدِيَّتِهِ، أَيْ: تَكْسِيرِ أَجْنَحَتِهِ لِنَلَا يَطِيرَ بَعِيدًا، أَبَدًا!

وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَيَّدَ الْمُجْتَمَعُ الْإِنْسَانِ فِي قَفْصِ دَهْبِيٍّ، يَنْظُرُ مِنْ خِلَالِهِ إِلَى ظُلْمٍ وَانْحِرَافِ الْمُجْتَمَعِ.. فَلَا حِيلَةَ لِذَلِكَ الْمَسْكِينِ، وَلَا انْتِصَارَ مِنَ الظُّلْمِ؛ مَهْمَا اسْتَيْسَسَ فِي الصَّرَاحِ!



إِنَّ الطَّرِيقَةَ الْمُثَلَى لِاخْتِرَالِ الْإِنْسَانِ إِلَى طَبَقَةِ الْعَبِيدِ ( أَيْ: عَبِيدِ الْمُجْتَمَعِ )؛ إِنَّمَا تَقُومُ - أَسَاسًا - عَلَى الْاسْتِنْكَارِ، وَالْإِدَانَةِ، وَالتَّجْرِيمِ إِلَى أَفْصَى الْحُدُودِ.. وَذَلِكَ بِاسْمِ الدِّينِ، أَوْ بِاسْمِ الْمُجْتَمَعِ، أَوْ بِاسْمِ الْوَطَنِ وَالْوَطَنِيَّةِ!

إِي وَرَبِّي، مَا تِلْكَ إِلَّا دَوَاءٌ سِحْرِيٌّ نَاجِعٌ فِي التَّحَرُّرِ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ ← ارْتِقَاءً إِلَى الْعُبُودِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ.. وَأَيُّمَا عُبُودِيَّةِ!

إِنَّهَا شِقْوَةٌ فِيهَا - مِنْ مَشَاعِرِ النَّقْصِ، وَالذُّلِّ، وَالْهَوَانِ - مَا يُبْرِئُ كُلَّ مَأْتُومٍ قَدْ أَصَابَهُ دَاءُ الْكِرَامَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِدَوَاءِ الْإِهَانَةِ الشَّافِي مِنْهَا؛ فَلَا يَبْقَى فِي الذَّاتِ إِلَّا شَفَاءٌ قَلِيلٌ كَافٍ لِنَلَا تَقُومَ لَهَا مِنْ بَعْدِهِ قَانِمَةٌ، أَبَدًا!



## الإِنْسَانُ الاجْتِمَاعِيُّ

إِنَّ الإِنْسَانَ الاجْتِمَاعِيَّ هُوَ إِنْسَانٌ مُلتَزِمٌ بِأُصُولِ الآدَابِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَعَالِمٌ بِقَوَاعِدِ السُّلُوكِ الاجْتِمَاعِيِّ، أَي: هُوَ إِنْسَانٌ مُلتَزِقٌ بِكُلِّ أُصُولٍ قَلَّةِ الآدَابِ وَرَدِيءِ الأَخْلَاقِ! وَشَدِيدُ التَّشَبُّثِ بِقَوَاعِدِ الانْحِرَافِ عَنِ الخِلْفَةِ السَّوِيَّةِ!



لَقَدْ صَارَتِ الفُرُوضُ الاجْتِمَاعِيَّةُ - اليَوْمَ - إِلَى طُقُوسٍ تُقَرَّبُ زُلْفَى إِلَى آلِهَةِ المُجْتَمَعِ، أَي: بَاتِ السُّجُودُ - تَحَشُّعًا - فِي مِحْرَابِ المُجْتَمَعِ؛ إِنَّمَا يَرْفَعُ دَلِيلًا، وَيَخْفِضُ عَزِيزًا! بَلْ صَارَ طَرِيدًا مُهَانًا ذَلِكَ الَّذِي أَنفَ فَامْتَنَعَ عَنِ آدَاءِ طُقُوسِ الجُنُونِ الاجْتِمَاعِيِّ، لِمَادَا؟!

بَلَا رَيْبٍ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى طَرِيقَتِهِمُ المُثَلَى! وَلَقَدْ أَفْلَحَ اليَوْمَ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ يَسْعَى!



مَا هَذِهِ المَهْزَلَةُ؟! وَمَا هَذِهِ المُفَارَقَاتُ؟!

كَيْفَ أَصْبَحَ المَحْظُورُ مَسْمُوحًا؟!

لَا، بَلْ كَيْفَ صَارَ الجُنُونُ عَقْلًا، وَسُلُوكًا اجْتِمَاعِيًّا رَفِيعًا؛ بَلْ مَعْيَارًا أُسَاسِيًّا؟!

إِنَّهَا المَأْسَاءُ! أَلَا سَاءَ الصُّعُودُ - حَثِيثًا - إِلَى قِمَّةِ الهَاوِيَّةِ، مُنْقَلَبًا!





## مَرَّاسِمُ الْجُنُونِ

إِنَّ السَّيْرَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَصَابِعِ، وَتَحْرِيكَ الْأَيْدِي بِبِلَاهَةٍ، وَهَزَّ الرُّؤُوسِ  
الْفَارِغَةَ بِلَا مَعْنَى، وَمَطَّ الشَّفَاهِ، وَالْابْتِسَامَةَ الصَّفْرَاءَ الْبَلِيدَةَ؛ مَا هِيَ - قَطْعًا -  
إِلَّا مَرَّاسِمُ الْجُنُونِ الْاجْتِمَاعِيِّ، أَي: آيَاتُ الْجُنُونِ!

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ الْكُبْرَى الَّتِي يَرْتَكِبُهَا الْعَافِلُ - فِي حَقِّ نَفْسِهِ - إِنَّمَا هِيَ  
فِي وَادٍ ذَلِكَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ فِي أَعْمَاقِ الْإِنْسَانِ.. وَذَلِكَ بِأَنْ يَدُسَّ الْبِرَاءَةَ،  
وَالْعَفْوِيَّةَ، وَالْبَهْجَةَ، وَالْفَرَحَةَ - أَحْيَاءً - فِي الْمَرَّاسِمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ!



الضَّحِكُ بِهَجَّةِ الْقَلْبِ، وَالذُّمُوعُ غَسُولُ الْقَلْبِ

إِنَّهُمَا الْعِلَاجُ وَالذَّوَاءُ!

فَالضَّحِكُ شِفَاءُ الْقَلْبِ، وَالذُّمُوعُ تَطْهِيرُ الْقَلْبِ مِنَ الْآلَامِ

وَبِتَوَاطُرِهِمَا تَكُونُ بَرَاءَةُ الْأَطْفَالِ!



## العُرْوَةُ الْوُثْقَى

﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ (البقرة).



لِمَاذَا تَشَقُّ النَّبْتَةُ طَرِيقَهَا فِي الثَّرَابِ بِاتِّجَاهِ النُّورِ؟!  
إِنَّهَا إِرَادَةُ الْحَيَاةِ لَا، بَلْ قُوَّةُ الْحَيَاةِ!



يَا رَفِيقَ دَرْبِي.. لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُسْتَعْبَدَ - إِلَى الْأَبَدِ - إِذَا أَرَدْتَ الْحُرِّيَّةَ!

وَاعْلَمْ أَنَّ إِرَادَةَ التَّغْيِيرِ، وَشَقَّ الطَّرِيقِ، وَطَلَبَ الْمُحَالِ؛ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الْعَالِيَةِ لِأَوْلِيكَ الْعَبَاةِ وَالْقَادَةِ - فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ - فَلَا تَعْجَبْ! ذَلِكَ بِأَنَّ الْعَبْقَرِيَّةَ مَا هِيَ إِلَّا التَّوَاؤُمُ الْمُطْلَقُ مَعَ سُنَنِ الْحَيَاةِ! وَأَوْلِيكَ هُمْ ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ وَأَوْلِيكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَوْلِيكَ هُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ (الزمر).

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْجُبْنَاءِ وَالْأَتْبَاعِ الرُّكُونِ إِلَى الْحَالِ، وَطَأْطَأَةِ الرُّؤُوسِ، وَتَنْفِيدِ أَوْامِرِ الْأَرْبَابِ - مِنْ دُونِ اللَّهِ - بِغَيْرِ الْحَقِّ؛ وَإِنَّمَا هِيَ السَّمَاتُ الْفَارِقَةُ لِأَوْلِيكَ الْأَغْبِيَاءِ - عِبِيدِ الْمُجْتَمَعِ! - ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ الْأَحْجَارَ الَّتِي يَتَسَانَدُ إِلَيْهَا صَرْحُ الطَّاغُوتِ شَامِحًا عَالِيًا فِي السَّمَاءِ!



إِنَّ نُورَ الْعِلْمِ يَمْحُو ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ، وَيُوقِظُ الْقُلُوبَ - السَّاهِيَةَ اللَّاهِيَةَ -  
مِنْ طُولِ غَفْلَتِهَا.. تِلْكَ الْقُلُوبَ الْجَاهِدَةَ لِاتِّعَمَّ اللَّهُ الْمَلِكِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، أَي:  
تِلْكَ الْقُلُوبَ السَّاجِدَةَ الْعَابِدَةَ لِلْأَصْنَامِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ، وَمَا أَكْثَرَهَا - الْيَوْمَ -  
مِنْ أَصْنَامٍ: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (الغنموت)؟!!



إِنَّ الْمَذْهَبَ الرَّأْسْمَالِيَّ هُوَ مَذْهَبُ شَرِيعَةِ الْغَابِ وَالصَّرَاحِ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ!  
ذَلِكَ بِأَنَّهُ يَقُومُ - أَسَاساً - عَلَى مَبْدَأِ فَرْقِ الْقِيَمَةِ بَيْنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ!  
فِيُعْذِي نَارَ الشَّرَاهَةِ فِي الْإِنْسَانِ، وَيَقْوِي رُوحَ التَّنَاطُحِ بَيْنَ الْأَنْعَامِ!

إِنَّ الْمَذْهَبَ الرَّأْسْمَالِيَّ يَصْرُخُ عَالِيًا:

الْبَقَاءُ لِلأَقْوَى! الْبَقَاءُ لِلأَفْضَلِ وَالْأَكْثَرُ تَلَاوُماً مَعَ الْحَيَاةِ!

أَي: إِنَّ الرَّأْسْمَالِيَّةَ تُحَوِّلُ الْإِنْسَانِيَّةَ إِلَى أَسْرَابٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأَسْمَاكِ، تَجُوبُ  
الْمُحِيطَاتِ - وَأَفْوَاهَهَا فَاعِرَةٌ - لَتَلْتَهُمْ كُلَّ مَا يَعْتَرِضُ طَرِيقَهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ!  
وَأَخِيرًا، يَظْهَرُ الْحَوْتُ (السَّيِّدُ الْأَوْحَدُ!) لِيَلْتَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ!

وَأَمَّا الْمَذْهَبُ الشَّيْوَعِيُّ فَيَقِفُ - عَلَى الطَّرْفِ الْآخِرِ - مُنَادِيًا بِسَلْبِ  
الْمُمْتَلَكَاتِ.. ذَلِكَ بِأَنَّهُ يَقُومُ - أَسَاساً - عَلَى تَجْرِيدِ الْإِنْسَانِ مِنْ غَرِيزَةِ التَّمَكُّكِ  
لَا، بَلْ مِنَ التَّمَتُّعِ بِالْحَيَاةِ!

إِنَّ الْمَذْهَبَ الشَّيْوَعِيَّ يُصَيِّرُ الْإِنْسَانِيَّةَ إِلَى أَدَوَاتِ إِنْتَاجٍ، بِلَا مُتَطَلِّبَاتٍ!  
بَلْ تُوزَّعُ الْبُؤْسُ وَالْفَقْرُ - عَدْلًا - فَلَا تَظْلُمُ مِنْهُمْ أَحَدًا، إِذْ لِكُلِّ حَسَبٍ كَدْحُهُ!

أَي: إِنَّ الشَّيْوَعِيَّةَ تُحَوِّلُ الْإِنْسَانِيَّةَ إِلَى قَطِيعِ جَمَاعِيٍّ، تَسْهَلُ قِيَادَتُهُ بِالْعَصَا،  
دُونَ أَيِّ تَدْمُرٍ أَوْ اغْتِرَاضٍ!

أَفَلَا تَرَى أَنَّ فِي كِلَا الْمَذْهَبَيْنِ مُخَالَفَةً سَافِرَةً لِلْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ؟!

إِنِّي وَرَبِّي، مَا هِيَ إِلَّا تَصَوُّرَاتٌ عَلَى طَرَفِي نَقِيزٍ!

ذَلِكَ بِأَنَّهَا مُجْرَدٌ شَطْحَاتٍ فُلْسَفِيَّةٍ، إِنَّمَا خَرَجَتْ مِنَ التَّصَوُّرِ إِلَى حَيِّزِ الوجودِ؛  
فَصَارَتْ - بِلا ريبٍ - ذَلِكَ الوَاقِعِ الرَّهيبِ!

فَلَا تَعَجَبْ، إِنَّهَا تَشْرِيعَاتُ آلِهَةِ الحَتَمِيَّاتِ! أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ!



لِذَلِكَ، فَإِنَّ الحُكْمَ الحَقَّ إِنَّمَا هُوَ لِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ سُبْحَانَهُ وَحَدَهُ:

﴿ وَالَّذِينَ يَبْخَسُونَ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ (الأعراف)، أَي: فَلَا تُنْقِصْ أَخَاكَ حَقَّهُ،  
فَتَظْلِمَهُ!

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ  
أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ (النساء).



﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ  
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم)



يَا رَفِيقَ دَرْبِي.. أَتَدْرِي مَا كَانَتْ هَدِيَّةَ الْوِلَادَةِ - فِي الصَّيْنِ - فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ؟  
يُحْكِي أَنَّ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ حِدَاءً - مِنَ النَّحَاسِ الْأَبْيَضِ - عَلَى قِيَاسِ قَدَمِ  
الْوَالِدَةِ، تَمَامًا! وَذَلِكَ لِإِبْقَاءِ قَدَمِي الْفَتَاةِ صَغِيرَتَيْنِ، لَكِنْ لِمَاذَا؟  
وَالجَوَابُ الْفِطْرِيُّ، عِنْدَهُمْ:

لَكِي تَبْقَى - تِلْكَ الْمِسْكِينَةُ - ضَيْقَةَ الْمَشْيِ، أَي: بِطِبْنَةٍ عَنِ الْهُرُوبِ - مُسْتَقْبَلًا -  
مِنْ عُسِّ الزَّوْجِيَّةِ، وَذَلِكَ مَخَافَةَ إِحْقَاقِ الْعَارِ بِقَوْمِهَا!

يَا رَفِيقَ دَرْبِي.. إِنَّ الْفِكْرَةَ - بَعِينَهَا - تَرُوقُ لِلْمُجْتَمَعِ، إِنَّمَا عَلَى مَوْضِعٍ آخَرَ!  
حَيْثُ يُقَدِّمُ الْمُجْتَمَعُ - حِينَ وِلَادَةِ الْمَوْلُودِ - هَدِيَّةً مُتَوَاضِعَةً تُعْبِرُ عَنِ  
شِدَّةِ الْفَرَحِ بِقُدُومِ شَاةٍ أُخْرَى! إِنَّهَا فُتْبَعَةٌ فُولَانِيَّةٌ، يَضَعُهَا الْمُجْتَمَعُ عَلَى رَأْسِ  
الْوَالِدِ الْمِسْكِينِ - وَعَلَى قِيَاسِ رَأْسِهِ تَمَامًا! - فَلَا تُفَارِقُهُ مَدَى الْحَيَاةِ،  
بَلْ تُقَاوِمُ آيَةَ مُحَاوَلَةِ نُمُوٍّ - شَادَّةٍ - يَقُومُ بِهَا الدِّمَاغُ حَاضِرًا، أَوْ مُسْتَقْبَلًا!

وَبِذَلِكَ، يَبْقَى الدِّمَاغُ فِي مَرَحَلَةِ الرِّضَاعَةِ! مَصُونٌ عَنِ التَّوَرُّطِ فِي الْفَهْمِ؛  
فَلَا تُضْرَهُ فِطْنَةٌ، وَلَا يَسُوءُهُ فَهْمٌ!

حَيْثُ يَصْرُخُ بَاكِيًا كُلَّمَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ جُوعُ الْبَطْنِ.. وَاعٍ.. وَاعٍ.. وَاعٍ

أَيْنَ صَدْرُ أُمِّي؟! وَاعٍ.. وَاعٍ.. أَكَادُ أَمُوتُ جُوعًا.. وَاعٍ.. وَاعٍ

أَكَادُ أَمُوتُ عَطْشًا.. وَاعٍ.. أَرِجُوكُمْ، أَرِيدُ نُقْطَةَ حَلِيبٍ!



لَكِنَّ الْمَفَارِقَةَ الْكَبِيرَةَ، أَنَّ الْمُجْتَمَعَ قَاسٍ لَا يَرَحِمُ حَتَّى صُرَاخَ الْأَطْفَالِ!

فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَضَعَ فِي فَمِ الرَّضِيعِ الشَّكَايَ الْبَاكِي لَهَايَةَ مَطَّاطِيَّةً!

أَي: الْكَثِيرَ مِنَ الشُّعَارَاتِ الْبَرَّاقَةِ، وَاللَّافِتَاتِ الْكَبِيرَةِ، لَشَكَّتْ صُرَاخَهُ!

بَلْ تَجْعَلُهُ يَغْفُو، وَيَنَامُ حَالِمًا بِنُقْطَةِ الْحَلِيبِ، طَوَالَ الْحَيَاةِ!



إِنَّ الشُّعَارَاتِ الطَّنَّانَةَ لَهَا مِنَ الْبَعُوضَةِ الطَّنِينِ، وَمِنْ إِبْرَتِهَا التَّخْدِيرُ، أَي:

تَعْطِيلُ الْإِحْسَاسِ قَبْلَ امْتِصَاصِ الدَّمَاءِ، وَسَلْبِ الْعَافِيَةِ!



## ضَرْبٌ مِنَ الْعِلَاجِ الْبَيْطَرِيِّ

إِنَّ الْمُعْتَقَدَاتِ الْفِكْرِيَّةَ، وَالنَّظَرِيَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةَ، وَالطَّرَائِقَ الْعِلَاجِيَّةَ - كَافَّةً - لَيْسَتْ كَمَا زَعَمُوا، أَبَدًا! وَإِنَّمَا هِيَ مُحَاوَلَاتٌ عَقِيمَةٌ فِيهَا كُلُّ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا فَايِدَةٌ تُرْتَجَى مِنْهُ!

ذَلِكَ بِأَنَّهَا تَجَارِبُ عِلَاجِ بَيْطَرِيٍّ، فَاسِدَةٍ، بَائِرَةٍ؛ وَذَلِكَ بُغْيَةٌ الْحِفَاطِ عَلَى الصَّحَّةِ الْعَامَّةِ لِلْقَطِيعِ الْاجْتِمَاعِيِّ، أَي: لِنَلَا يَنْتَشِرَ الْوَبَاءُ فِي الْمَاشِيَةِ وَتَصِيرَ الْخَسَارَةُ فَاذِحَةً!

### وَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمُ الْعَبِيَّةَ الْقَطِيعِ إِلَّا هَلَاكًا!

وَالسُّؤَالُ الْبَدِيهِيُّ: هَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرُّكَامُ الْهَائِلُ مِنَ النَّفَايَاتِ الْفِكْرِيَّةِ عَلَى خَطَأٍ، أَوْ ضَلَالٍ؟ نَعَمْ، أَلَا فَانظُرْ إِلَى ضَلَالِهِمْ، وَحَيْرَتِهِمْ، وَبَوَارِ أَمْرِهِمْ! لَذَلِكَ، كَانَ الْفَوْزُ وَالنَّجَاةُ فِي الْاِخْتِيَارِ الصَّحِيحِ! أَي:

إِنَّ الْعَافِلَ الَّذِي يَتَخَبَّطُ - ضَلَالًا - فِي ظِلَامِ الْجَهْلِ، كَخَبْطِ الْعَشْوَاءِ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي لَا تُبْصِرُ لَهَا طَرِيقًا؛ إِنَّمَا يُسَاقُ إِلَى قَدْرِهِ - وَمِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي - كَمَا تُسَاقُ الْبَهَائِمُ إِلَى حَنْفِهَا!

اعْلَمْ - عَلَّمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ - أَنْ كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ الْمُخْتَصِمُونَ بِالْعِلَاجِ الرُّوحَانِيِّ أَوْ الْجَسَدِيِّ (مِنَ الدَّجَالِينَ الْكُدُوبِيِّينَ - عَامَّةً - وَشَيَاطِينِ الْإِنْسِ - خَاصَّةً - الَّذِينَ يَزْعُمُونَ - بِاطْلًا - أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ)؛ إِنَّمَا يَقُومُ - أَسَاسًا - عَلَى مَا وَضَعَهُ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ فِي تِلْكَ الْمَنْظُومَةِ الْفَائِقَةِ الْإِتْقَانِ مِنْ قُدْرَةٍ - بِإِذْنِ اللَّهِ وَحْدَهُ - عَلَى الشِّفَاءِ الذَّاتِيِّ لِلْجَسَدِ أَوْ النَّفْسِ عَلَى السَّوَاءِ: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ۝﴾ (النمل)، فَلَا تُشْرِكْ - يَا رَفِيقَ دَرْبِي - بِاللَّهِ الشَّافِي سُبْحَانَهُ، أَحَدًا!



وَمِثَالُ تِلْكَ الضَّلَالَاتِ الْمُبِينَةِ: إِعَادَةُ شَحْنِ الْإِنْسَانِ بِالطَّاقَةِ ( عَنْ قُرْبٍ أَوْ عَنْ بُعْدٍ، وَذَلِكَ حَسَبَ فَرْقِ الذَّكَاءِ وَالْفَهْمِ بَيْنَ الشَّاحِنِ وَالْمَشْحُونِ! )، أَوْ بَرَمَجْتُهُ لُغَوِيًّا أَوْ عَصَبِيًّا، وَغَيْرُهَا الْكَثِيرُ مِنَ التَّلْبِيسِ وَالتَّدْجِيلِ فِي الْأُمُورِ النَّفْسِيَّةِ أَوْ الطَّبِيبِيَّةِ، فَانْظُرْ!



﴿ وَإِذَا مَرَضْتَ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء)، أي:

إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الشَّافِي، وَلَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ سُبْحَانَهُ - إِذَا أَصَابَ الدَّاءُ فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ - وَإِنَّمَا يَلْزِمُ عَلَى الْمَرِيضِ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ مِنْ عِلَاجٍ طَبِيبِيٍّ، أَوْ دَوَاءٍ. وَعَنْ (عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، قَالَتْ:

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَرِيضَ يَدْعُو لَهُ: ﴿ أَذْهَبِ الْبَاسُ رَبَّ النَّاسِ. وَاشْفِ، أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا ﴾. الْحَدِيثُ « (مسلم: ٢١٩١).



﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْفُرْعَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء)، أي:

وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ الشِّفَاءُ - حَقًّا - لِمَنْ قَرَأَ وَتَدَبَّرَ الْقُرْآنَ، وَلَيْسَ شِفَاءً لِمَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس)، وَالْحَدِيثُ يَطُولُ!

لِذَلِكَ، فَاتِي أَعِيدُكَ بِاللَّهِ - يَا رَفِيقَ دَرْبِي - مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِمَّا يُؤَسِّسُ بِهِ - مِنَ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ سُبْحَانَهُ - أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ!

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء).

## أَقْرَامُ الْمَالِ وَالْأَعْمَالِ

إِنَّ آفَةَ الثَّرْوَةِ وَالْغِنَى - الْيَوْمَ - أَنْ بَعْضاً مِنَ الثَّرْوَةِ فِي أَيْدِي أَقْرَامِ الْمَالِ وَالْأَعْمَالِ، أَي: فِي أَيْدِي أَوْلِيكَ الْجَرَائِعِ - أَقْرَامِ الْقَدْرِ، وَالشَّرَفِ، وَالْمَنْزِلَةِ - الَّذِينَ يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً مَعْرُورِينَ بِمَا يُزَيِّنُ أَدْنَابَهُمُ الطَّوِيلَةَ خَلْفَهُمْ مِنْ رِيَشٍ بَدِيعٍ!

وَمِنَ الْمَعْلُومِ - فِي عَالَمِ الْحَيَوَانِ - أَنَّ لِلْجَرَبُوعِ سَاقَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ يَقْفِرُ بِهِمَا قَفْرَانًا فِي مَنَابِ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ سَعِيّاً وَرَاءَ الْقَرْضِ وَالْقَضْمِ؛ حَيْثُ يَقْرَضُ قَرْضاً - وَيَقْضِمُ قَضِماً - كُلُّ مَا يَجِدُ فِي طَرِيقِهِ مِنْ أَحْضَرَ أَوْ يَابِسٍ - بَلَا تَوْقُفٍ أَوْ اكْتِرَاتٍ - فَلَا يَهْتَمُّ ذَلِكَ الْقَارِضُ النَّهْمَ لِشَيْءٍ، وَلَا يُبَالِي مَا قَرَضَ أَوْ قَضَمَ، أَبَداً!

فِيَمَا يَظْهَرُ وَيَبْدُو، أَنَّ وُجُوهَ السَّادَةِ الْأَصَاغِرِ قَدْ تَمَيَّزَتْ عَيْظاً مِنَ التَّجْرِيحِ وَالتَّحْقِيرِ لِشَأْنِهِمْ!

لَكِنْ، عُذْراً! فَمَا زَالَ بِالْإِمْكَانِ إِيْرَادُ تَشْبِيهِ آخَرَ، قَدْ يَصُونُ الْمَكَانَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ - الرَّفِيعَةَ - لِأَوْلِيكَ السَّادَةِ الْأَقْرَامِ!

إِنَّ بَعْضاً مِنَ الثَّرْوَةِ - الْيَوْمَ - فِي أَيْدِي كَاتِنِ آخَرَ - مِنْ نَوْعِ آخَرَ - لَا عِلَاقَةَ لَهُ الْبِتَّةَ بِتِلْكَ الْجَرَائِعِ.. إِنَّهُ الْخُلْدُ، طَبْعاً!

إِنَّ الْخُلْدَ كَاتِنٌ غَايَةٌ فِي الْاِحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ لَا لِشَيْءٍ سِوَى أَنَّهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَيُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ فِي الْحَيَاةِ.

لَكِنْ مَهْلًا!

إِنَّ الْخُلْدَ بِلَا عَيْنَيْنِ وَلَا أُذُنَيْنِ، وَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَهْزَأَ بِصُنْعِ اللَّهِ، أَبَدًا؛  
إِنَّمَا الْمُهْمٌ - هَهُنَا - أَنَّ الْخُلْدَ يَعْيشُ تَحْتَ الْأَرْضِ مُحْتَجِزًا فِي جُحْرِهِ الْمُظْلَمِ  
الكَثِيرِ الْكَثِيرِ مِنَ الْبَلُوطِ!

أَلَا تَرَى أَنَّ مَجْرَدَ النَّيَّةِ بِالْجُوعِ إِلَى ذَلِكَ الْخُلْدِ إِنَّمَا تَدْعُو إِلَى التَّقْيُوثِ وَالغَيَانِ!  
فَالْخُلْدُ غَايَةٌ فِي الْجَشَعِ، وَرَائِحَتُهُ نَتْنَةٌ، مِنْ قِلَّةِ الْخُرُوجِ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ!  
بِاللَّهِ عَلَيْكَ، أَنَّى يَكُونُ لَكَ أَنْ تَقِفَ قُبَالَةَ كَائِنٍ أَعْمَى، وَأَصْمَمٌ، وَتَبْحَرُ مِنْ نَتْنِ  
حَدِيثِهِ كَرِيهَ الرَّوَاحِ؟!

بِالطَّبْعِ، لَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُ مَدَى صُعُوبَةِ التَّفَاوُضِ مَعَ هَذَا حَيَوَانٍ! لِأَنَّ ذَلِكَ  
يَجْعَلُكَ تَصْرُخُ، مُسْتَعِيثًا: يَا إِلَهِي مَا هَذَا الْحَيَوَانُ؟! وَكَيْفَ لِي النِّجَاةُ؟!



وَخِتَامًا، هَلْ بَقِيَ هُنَاكَ أَيُّ تَمَنِّيَاتٍ أَوْ أَحْلَامٍ تُرْجَى مِنْ أَوْلِيكَ الْأَقْرَامِ؟!  
﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِينَ ﴿٥٥﴾  
نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (المؤمنون)

فَاعْلَمْ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - أَنَّ الْمُبَادَرَةَ إِلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ إِنَّمَا تُحَرِّرُ النَّفْسَ  
مِنَ الْإِلْتِزَاقِ بِطِينِ الْأَرْضِ، وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ! فَتَصِيرُ تِلْكَ النَّفْسُ  
الْخَيْرَةُ بِيضَاءَ شَفَافَةٍ، لَا دَرَنٍ يُلَطِّحُ صَفَاءَهَا؛ فَلَا تَضُرُّهَا فِتْنَةٌ، مَا دَامَتِ  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.



## العَوَاطِفُ وَالْعَلَاقَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ

عَنْ ( عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا )، قَالَتْ:

« سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ﴿ الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ؛ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ،

وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ ﴾. الحديث « (صحيح البخاري).



إِنَّ مَثَلَ الْقُلُوبِ كَمَثَلِ الذَّرَاتِ، تَتَحَرَّكُ - هُنَا وَهُنَاكَ - حَرَكَةً دَائِمَةً، بِلَا انْقِطَاعِ

إِذَنْ، بِالتَّقَارُبِ الْعَفْوِيِّ - بَيْنَ الْقُلُوبِ - يَكُونُ التَّجَادُبُ، وَالانْتِلَافُ

وَلَنْ يَزْدَادَ بِالْإِكْرَاهِ إِلَّا التَّنَافُرُ، وَالِاخْتِلَافُ!



## تَكَامِلٌ لَا تَسَاوٍ، أَبَدًا!

﴿يَنبَأُهَا النَّاسُ أَتَقُؤْا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ  
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾﴾ (النساء)

وَالْيَوْمَ، مَا زَالَتْ - فِي بَعْضِ مُجْتَمَعَاتِهِمُ الذُّكُورِيَّةِ - بَقِيَّةٌ مِّنْ ظُلُمَاتِ جَاهِلِيَّةِ  
جَهْلَاءَ، تَبِيعُ بِالْمَرْأَةِ وَتَشْتَرِي؛ كَمَثَلِ أَيِّ سِلْعَةٍ مُّبْتَدَلَةٍ، بِأَخْسَةِ الثَّمَنِ!

أَمَا عَلِمُوا أَنَّ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مَا هُوَ إِلَّا اجْتِمَاعُ الْعَقْلِ إِلَى الْقَلْبِ!؟



إِنَّ الْخَلِيَّةَ الْأَوَّلِيَّةَ لِأَيِّ نَسِيجِ اجْتِمَاعِيٍّ إِنَّمَا هِيَ الْأُسْرَةُ، لِذَلِكَ فَإِنَّ صَلَاحَ  
الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ لَا وَلَنْ يَكُونَ إِلَّا إِذَا صَلَحَتْ جَمِيعُ خَلَايَاهُ، وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ  
مَنْهَجِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا  
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الروم)، أي:

فَمَا الْمَوَدَّةُ إِلَّا ثَمَرَةُ التَّوَاؤُمِ وَالتَّفَهُمِ وَالتَّسَايُرِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَلَنْ تُؤْتِيَ أَكْلِهَا  
إِلَّا حِينَ يَعْلَمُ كِلَا الزَّوْجَيْنِ، فَيَفْهَمُ:

- أَنْ كُلَّ مَخْلُوقٍ قَدْ هَيَّئَ لِمَا قَدْ خُلِقَ لَهُ!

- وَأَنَّ الْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ إِنَّمَا هُمَا مُتَكَامِلَانِ، لَا ضِدَّانِ مُتَسَاوِيَانِ!

إِنَّ، إِنَّ السَّوِيَّ بَيْنَهُمَا، إِنَّمَا هُوَ: ( تَكَامُلٌ لَا تَسَاوٍ، أَيْدَاً! )؛ ذَلِكَ بِأَنَّ غَايَةَ الْحِكْمَةَ الإِلَهِيَّةَ مِنْ خَلْقِ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هِيَ التَّكَامُلُ لَا التَّسَاوِي، فَمَا نَقُصَّ فِي أَحَدِهِمَا اكْتَمَلَ بِالْآخَرِ، أَي:

حِينَ تَتَحَقَّقُ الْمُسَاوَاةُ - الضَّائِعَةُ - بَيْنَهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لِزَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ؛ وَإِنَّمَا نُسَخِّةٌ أَصْلِيَّةٌ، وَصُورَةٌ مُصَدِّقَةٌ عَنْهَا!

**أَي: وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ بِخَيْرٍ مَا تَكَامَلَا فَإِذَا تَسَاوَيَا هَلَكُوا جَمِيعاً!**



وَخِتَاماً:

فَإِذَا كَانَ أَصْلُ الزَّوْجِ - شَرْعاً وَقَانُوناً - هُوَ عَقْدُ النِّكَاحِ؛ فَإِنَّ أَصْلَ الْعِلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ، فَاعْلَم:

- أَنَّ الْمَوَدَّةَ إِنَّمَا هِيَ جِسْرُ الْقُلُوبِ، وَالرَّحْمَةَ رَبَاطُهَا.  
- وَأَنَّ الْإِحْتِرَامَ الْمُتَبَادِلَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِنَّمَا يَخْلُقُ التَّعَاطُفَ، وَيُوَلِّدُ الْمَحَبَّةَ، وَيُؤَسِّسُ الْمَوَدَّةَ.

- وَأَنَّ الْإِدْلَالَ وَالْتَّحْقِيرَ إِنَّمَا يَقْطَعُ أَوْصَالَ الْعِلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ فَيَقْتُلِعُهَا مِنْ جُذُورِهَا اقْتِلَاعاً لَا حَيَاةَ بَعْدَهُ، أَيْدَاً!



إِنَّ حُسْنَ جَمَالِ الْمَرْأَةِ فِي قَلْبِهَا

وَإِنَّ قَلْبَ الْمَرْأَةِ الْأُنْثَى لِأَعْظَمَ مِنْ قَلْبِ أَيِّ رَجُلٍ



## الإيمان والاعتقاد

إِنَّ التَّفَكُّرَ وَالتَّأَمُّلَ، أَي: الصَّمْتِ..  
إِنَّمَا هُوَ طَرِيقُ الحَقِّ، طَرِيقُ الإِيْمَانِ.  
وَإِنَّ الِاعْتِقَادَ وَالتَّطَرُّفَ، أَي: التَّعَصُّبَ الأَعْمَى..  
إِنَّمَا هُوَ طَرِيقُ البَاطِلِ، طَرِيقُ الضَّيَاعِ!



إِنَّ الْحَقِيقَةَ كَنْزُ الْوُجُودِ وَمَا لِهَذَا الْكَنْزِ الدَّفِينِ مِنْ هِبَةٍ وَلَا عَطَاءٍ! وَإِنَّمَا  
مَخَاطَرَةُ طَلَبِ، وَعَنَاءُ قَلْبٍ، وَطُولُ شَقَاءٍ! ذَلِكَ بِأَنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ بَحْثُ دَائِبٍ  
لَا يَسْنَأُ الْمِرَاسَ لِاسْتِفْصَاءِ مَعْرِفَتِهَا فِي طَرِيقِ شَانِكَةٍ وَعَرَةِ شَدِيدَةِ الْالتِّوَاءِ.



إِنَّ بَوَابَةَ الْمَعْرِفَةِ إِلَى الْحِكْمَةِ مَفْتُوحَةٌ عَلَى مِصْرَاعِيهَا..  
وَأَنَّ رَأْسَ الْحِكْمَةِ مَعْرِفَةُ الذَّاتِ، أَي: إِنَّهَا الْإِجَابَةُ عَنْ مَسَائِلِ أَوْلِيَّةٍ:  
مَنْ أَنَا؟.. مَنْ أَيْنَ أَتَيْتُ؟.. أَيْنَ أَنَا؟.. إِلَى أَيْنَ الْمَسِيرُ؟  
وَحِينَ لَا تَعْلَمُ شَيْئًا.. لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا!



إِنَّ الْعَقِيدَةَ تَعْقُدُ عَلَى الْفِكْرِ، لَكِنَّ الْإِيمَانَ شَجَرَةٌ أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي أَعْمَاقِ الْقَلْبِ  
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ.. فَالْعَقِيدَةُ هِيَ الثَّبَاتُ عَلَى الْمَذْهَبِ أَوْ الرَّأْيِ  
- الَّذِي يُذْهَبُ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ - لِذَلِكَ، فَهِيَ أَصْلُ كُلِّ التَّشَدُّدِ وَالتَّعَصُّبِ الْأَعْمَى!  
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا  
أَوَّلًا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٦١﴾ ﴾ (نقمان)، أَي:

إِنَّ الْاِعْتِقَادَ سَهْلٌ لَيْنٌ، أَي: سِلْعَةٌ بِاخْسَاءِ الثَّمَنِ، مُبْتَدَلَةٌ، وَحَسْبُ الطَّلَبِ،  
فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ!

أَي: قَلْعَةٌ مِنَ الرِّمَالِ لَا تَتَمَاسِكُ فَتَنْهَارُ، إِذَا ظَهَرَتِ الرَّعْبَةُ فَطَغَتِ الشَّهَوَاتُ!



كَلَّمَا ارْتَدَادَ الْمَرْءُ جَهْلًا.. ارْتَدَادَتْ جَهَالَتُهُ

( وَالْجَهَالَةُ - عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِعَارَةِ اللَّفْظِيَّةِ - هِيَ: مُمَارَسَةُ وَاتِّقَانُ فُنُونِ الْجَهْلِ! )





## حِينَ تُلْجَمُ بِرَبْرَةِ الْفِكْرِ، يَتَجَلَّى الْقَلْبُ!

﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام)، أي:

- حِينَ يَذْهَبُ صِيَاخُ وَرِيَاطِ شَيَاطِينِ الْفِكْرِ، يَتْرُكُ وَرَاءَهُ هُدُوءَ الْحَقِيقَةِ!
- حِينَ تَسْبُرُ أَعْوَارَ دَاتِكَ، تَنْهَارُ قِلَاعَ الْفِكْرِ؛ فَلَا يَبْقَى مِنْ آثَارِهَا غَيْرُ الْأَطْلَالِ إِلَى زَوَالِ!
- حِينَ تُحَلِّقُ فِي سَمَاءِ الْقَلْبِ - عَلَى أُنْجَحَةِ الْبَصِيرَةِ - تَصِيرُ الْأَفْكَارُ إِلَى الْإِهَامِ!
- وَمَنْ وَجَدَ - فِي كُلِّ ذَلِكَ - ضَالَّتَهُ، فَقَدْ عَرَفَ أَنَّهَا هُوَ إِحْسَاسٌ دَاخِلِيٌّ عَمِيقٌ، أَقْوَى مِنْ بَيَانِ كُلِّ الْكَلِمَاتِ!



﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (النور)

- إِنَّ الْحَقِيقَةَ مَنَارٌ وَنُورُ الْقَلْبِ، أَي: هُدَى الْقَلْبِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
- وَإِنَّ مَثَلَ الْحَقِيقَةِ كَمَثَلِ نَبْضَاتِ ضِيَاءٍ مُتَوَاقِفَةٍ، مُرَكَّزَةٍ، قَوِيَّةٍ؛ إِذْ يَصِيرُ فِيهَا الضَّوُّ الْمُسْتَنْتِ إِلَى طَاقَةٍ عَظِيمَةٍ، تَخْتَرِقُ أَقْوَى الْجَمَادِ!
- وَحِينَ تَتَكَشَّفُ الْحَقِيقَةُ عَنْ مَكُونِ أَسْرَارِهَا، فَإِنَّهَا تَتَجَلَّى كَهَيْئَةِ وَمِضٍ يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ، وَيُبْهِرُ الْقُلُوبَ مِنْ شِدَّةِ الْبَرِيقِ وَاللَّمْعَانِ!

إِنَّهَا اللَّحْظَةُ الَّتِي تَمَلُّ قَلْبَكَ بِنُورِ الْحَقِيقَةِ الْأَزَلِيِّ!

إِنَّهَا رُؤْيَا عَظِيمَةً تَبُوحُ بِالْأَسْرَارِ!

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (النور)



وَخِتَامًا:

إِنَّ فِي شِدَّةِ بَرِيقِ وَمَضَاتِ الْحَقِيقَةِ مَا فِيهِ الْكِفَايَةُ - مِنْ عَظِيمِ الْهُدَى -  
لِإِرْجَاعِ الْقَلْبِ - التَّائِهِ ضَلَالًا - إِلَى فِطْرَةِ الْخَلْقِ الْعَلِيمِ سُبْحَانَهُ؛ وَحِينَدٍ،

يُحَقِّقُ الْإِنْسَانَ غَايَةَ وُجُودِهِ، أَلَا وَهِيَ:

١ - الْعِبَادَةُ الْخَالِصَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى

تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٥) وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) (التَّوَارِيكَتُ).

٢ - خِلَافَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ

فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ ﴾ (البقرة).

ذَلِكَ، وَإِنَّمَا ﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَنَفُونَ ﴾ (٧)

أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (٨) (الروم).



# هَمَسَاتُ قَلْبِي

زكوان حصريّة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« التَّفَاوُلُ يَرْوِي شَجَرَةَ الْأَحْلَامِ لِتَشُقَّ طَرِيقُهَا فِي صُخُورِ الْمُسْتَحِيلِ إِلَى النُّورِ وَالْحَيَاةِ.

« إِنَّمَا الْحَاضِرُ لَحْظَاتٍ مِنَ الْحَقِيقَةِ بَلْ نَوَانٍ مَعْدُودَاتٍ تَتَجَدَّدُ بِاسْتِمْرَارٍ وَلَا نُبْصِرُهَا لِأَنَّهَا تَمُرُّ عَلَى عَجَلٍ أَمَامَ نَاطِرِينَا مُسْتَخْفِيَةً فِي ثِيَابِ الْأَوْهَامِ بَيْنَ ذِكْرِيَّاتٍ لَنْ تَعُودَ وَأَحْلَامٍ رُبَّمَا لَا تَتَحَقَّقُ!

« إِنَّ نَسِيمَ الشَّمَالِ يُحْرِكُ أَزْهَارَ الْحَدِيقَةِ لِتَنْشُرَ عَبَقَ شِدَاهَا.

« مَا أَقْصَرَ الْبُعْدَ عَلَى أَشْرَعَةِ الْحُبِّ!

« هُنَالِكَ ثَمْرَةٌ وَحِيدَةٌ لِأَشْجَارِ الدِّيَاتَاتِ السَّمَاويَّةِ كَافَّةً.. إِنْ تَبَايَنْتَ أَلْوَانَ تِلْكَ الثَّمَرَةِ فَإِنَّ مَذَاقَهَا لَنْ يَتَغَيَّرَ أَبَدًا.. إِنَّهَا الْأَخْلَاقُ.

« إِنَّ الْأَذْنَ تَسْمَعُ كُلَّ الْأَصْوَاتِ حَتَّى الْقَبِيحِ النَّاشِرِ مِنْهَا!

« قَدْ تَكُونُ الْحَقِيقَةُ فِي قُصَاصَةِ وَرَقٍ مَرْمِيَّةٍ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ!

« الْحُبُّ فَيْضٌ يَتَدَفَّقُ مِنْ أَعْمَاقِ الْقَلْبِ لِيَرْوِيَ الْعَطْشَى مِنْ حَوْلِهِ.

« إِنَّمَا أَسْأَلُ الْخِصَامَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ تَدْخُلُ الْعَقْلَ فِي شُؤُونِ الْقَلْبِ.

« مَنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ مَا الْحُبُّ فَمِنْ الْأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَبْدَأَ بِالنَّظَرِ حَوْلَهُ وَالتَّعَلُّمِ بِصَمْتٍ قَبْلَ أَنْ يُجَرَّبَ بِالْآخِرِينَ!

« إِنَّ مَنَبَعَ ذَلِكَ الضُّوءِ الْخَافِتِ أَعْمَاقُ الْقَلْبِ.. أَعْمَضُ عَيْنَيْكَ حَتَّى تَرَى

بَصِيرَتَكَ بِصِيصِ نُورِهِ.. إِنَّهُ الْأَمَلُ يَحْدُوهُ الرَّجَاءُ.. إِنَّهُ نُورُ الْفَجْرِ

بَعْدَ حَالِكِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

« الْحَضَارَةُ تَتَطَلَّبُ وُجُودَ مُجْتَمَعِ إِنْسَانِيٍّ وَلا يَسِ قَطِيعًا بَشَرِيًّا كَمَا زَعَمُوا!

« حِينَ تَمْلِكُ مَدِينَةً كَبِيرَةً فَآنُكْ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَى الْجُسُورِ.. أَمَا فِي الْبُيُوتِ  
الصَّغِيرَةِ فَإِنَّ الْجُدْرَانَ هِيَ مَا تَحْتَاجُهُ فِعْلًا!

« حِينَ تَفْهَمُ تَمَامًا مَاذَا تُرِيدُ.. فَبِأَبْدَانِ الْمَسِيرِ حِينَ يَتَّضِحُ الْهَدَفُ  
وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَّا إِلَى الْأَمَامِ!

« الْحُرِّيَّةُ أَجْنَحَةٌ يَرْتَفِعُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَالِيًا فِي سَمَاءِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

« النَّفْسُ هِيَ الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ لِأَنَّهَا تَعْرِفُكَ تَمَامًا!

« لَا يُمَكِّنُ الْهُرُوبُ مِنَ الْوَأَقِعِ - أَبَدًا - بَلْ يَجِبُ أَنْ تُوَأِجَهُ وَجْهًا لِوَجْهِ.

« الْخَوْفُ غَرِيزَةٌ حَيَوِيَّةٌ مِنْ غَرَائِزِ الْبَقَاءِ وَإِنَّمَا حَدَارُ أَنْ يَخَافَ قَلْبُكَ!

« إِنَّ الْيَدَ الْخَبِيثَةَ تَعْبَثُ بِالْقُلُوبِ، أَوَّلًا.. وَقَدْ يَدْفَعُ الْغَافِلُ النَّثْمَ دُونَ مُقَابِلِ!

« إِنَّ السَّحْرَ لَا يُؤْتِي فِعْلَهُ إِلَّا عَلَى الْقُلُوبِ الضَّعِيفَةِ بِجَهْلِهَا..

فَالشَّيْطَانُ لَا يَجْتُمُّ إِلَّا عَلَى قُلُوبِ الضَّعَفَاءِ وَالْجُهَلَاءِ.

« إِنْسَانٌ بِلَا دِينٍ أَوْ وَارِعٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ يَكْفُفُ النَّفْسَ عَنْ فُجُورِهَا = شَيْطَانٌ

بَشَرِيٌّ = شَرٌّ مُطْلَقٌ!

« إِنَّ الشَّيْطَانَ شَرِيرٌ قَدْ اقْتَصَرَ شَرُّهُ عَلَى الْغَوَايَةِ وَالْإِضْلَالِ الشَّيْطَانِيِّ،

لِذَلِكَ فَإِنَّ الشَّرِيرَ الْفِعْلِيَّ إِنَّمَا هُوَ الْإِنْسَانُ! لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يُوسِسُ

وَالْإِنْسَانَ يُنْفِذُ إِسْلَامًا لِأَمْرِهِ!

« الْغَدْرُ وَالْخِيَانَةُ مِنَ طَبَائِعِ النَّامِ وَالْحُبُّ وَالْكَرَهُ ضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ!

« إِنَّ أَشَدَّ لَحْظَاتِ اللَّيْلِ اسْوَدَادًا هِيَ قُبَيْلَ طُلُوعِ نُورِ الْفَجْرِ.

« الذَّنَابُ لَا تَسْتَقْوِي إِلَّا عَلَى الْغَمِّ وَمَا شَاكَلَهَا وَوَأَفَقَهَا مِنَ الْبَهَائِمِ!

﴿ يَجِبُ عَلَى الطُّيُورِ أَنْ تُتَقَنَّ فَنَ الطَّيْرَانَ جَيِّدًا قَبْلَ أَنْ تُحَاوِلَ الطَّيْرَانَ..  
وَإِلَّا فَالْسَّقُوطُ وَالنَّهْيَةُ!﴾

﴿ الطَّيْرَانَ بِعَكْسِ الرِّيَّاحِ يَحْتَاجُ إِلَى الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّحْلِيْقِ عَالِيًا  
فِي سَمَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ.﴾

﴿ إِنَّ طَائِرَ الْإِنْسَانِيَّةِ الْيَوْمَ مَهِيضُ الْجَنَاحِ وَيَتَخَبَّطُ مُحَاوِلًا الْارْتِفَاعَ فِي  
سَمَاءِ الْحَضَارَةِ بِجَنَاحِ الْعِلْمِ دُونَ الْأَخْلَاقِ.. فَالْإِرْتِطَامُ أَكِيدٌ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ!

﴿ مَنْ يَبِيعُ وَطَنَهُ فَهُوَ الَّذِي يُمَكِّنُهُ أَنْ يَبِيعَ أَيَّ شَيْءٍ إِذَا جَاءَ السَّعْرُ  
مُنَاسِبًا لَهُ!﴾

﴿ الْوَطْنَ هُوَ الْعِفْدُ الَّذِي يَجْمَعُنَا وَنَحْنُ جَمِيعًا جَوَاهِرُهُ.

﴿ الْوَطْنَ هُوَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَرُ إِلَى التَّسَلُّطِ!

﴿ إِنَّ مَثَلَ الْخِيَانَةِ كَالصَّبَّارِ لَا تَعْصِرُ إِلَّا الْحَسْرَةَ وَمَرَارَةَ النَّدَمِ.

﴿ عَامِلِ النَّاسِ بِالْحُسْنَى وَهُمَا صِنْفَانِ: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ أَوْ نَظِيرُ لَكَ  
فِي الْخَلْقِ ( عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؑ ).﴾

﴿ إِنَّ حُبَّ النَّفْسِ فِي عُرْفِ النَّاسِ هُوَ الْأَتَانِيَّةُ وَهَذَا خَطَأٌ فِي الْفَهْمِ!  
فَإِذَا لَمْ تَعْرِفْ كَيْفَ تُحِبُّ نَفْسَكَ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحِبَّ أَحَدًا!

﴿ إِنَّ الْوُقُوعَ فِي الْخَطَأِ لَيْسَ عَيْبًا إِنَّمَا الْعَيْبُ الْإِصْرَارُ عَلَى ارْتِكَابِ الْأَخْطَاءِ!

﴿ إِنَّ الْحَقِيقَةَ فِي التَّفَاصِيلِ الصَّغِيرَةِ وَمِنْ هَفَوَاتِ الْمَرْءِ تَتَكشَّفُ نَوَايَاهُ!

﴿ مَنْ يُحَاجِجُ وَيُجَادِلُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ وَاضِحَةٌ وَبَسِيطَةٌ وَأَنَّ الْبَاطِلَ  
هُوَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْبَرَهْنَةِ الْعَقِيمَةِ بِاللَّفِّ وَالِدَّوْرَانِ!

◀ النَّجْسُ الْقَلِيلُ يُفْسِدُ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَلِيبِ!

◀ الْبَرَاءَةُ وَالشَّيْطَانُ عَدُوَانِ فِطْرِيَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ!

◀ إِنَّ بَرَاءَةَ الْقُلُوبِ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ مِنْ إِيْمَانِهَا جِسْرًا يَصِلُ أَخْلَامَهَا بِاسْتِجَابَةِ السَّمَاءِ.

◀ الْبَصِيرَةُ عَيْنُ الْقَلْبِ.. عَيْنُ الْوُجُودِ ﴿ فَانَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج) .

◀ إِنَّ تَمَازُجَ الْأَلْوَانِ هُوَ سِرٌّ مَسْحَةِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ فِي لَوْحَةِ الْحَيَاةِ.

◀ الْحَقِيقَةُ كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ لَنْ يَنَالَهَا أَحَدٌ، أَبَدًا.. إِلَّا أَنْ ضِيَاءَهَا يَجْعَلُ مِنَ النَّائِمِ فِي أَضْغَاثِ الْبَاطِلِ مُسْتَيْقِظًا بَعْدَ طُولِ سُبَاتٍ!

◀ إِنَّ الْمَرْأَةَ الْأَنْثَى الرَّقِيقَةَ بِجَمَالِ أَنْوْثَتِهَا هِيَ قَلْبُ الْحَيَاةِ.. وَإِنَّ نَبْضَاتِ ذَلِكَ الْقَلْبِ الرَّقِيقِ تَعْرِفُ لَحْنَ الْبَقَاءِ.

◀ النَّقَّةُ مِفْتَاحُ بَابِ الْقُلُوبِ.. فَلَا تُسَلِّمُ مِفْتَاحَ قَلْبِكَ لِمَنْ قَدْ يَعْثُبُ بِمَكْنُونَاتِ أَسْرَارِهِ!

◀ عِنْدَ لَحْظَةِ الْغُرُوبِ، تَطْبَعُ الشَّمْسُ عَلَى خَدِّ السَّمَاءِ قُبْلَةً وَرَدِيَّةً.. وَيَعَانِقُ الْبَحْرَ شَفَقَ السَّمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَغْفُوَ وَيَنَامَ فِي لَيْلِ أَسْرَارِهِ بِانْتِظَارِ شُرُوقِ شَمْسِ الصَّبَاحِ.

◀ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ غِذَاءُ الْأَجْسَادِ لَكِنَّ الْحَبَّ هُوَ بَلْسَمُ الرُّوحِ وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ.

◀ الذِّكْرِيَّاتُ الْحُلُوءَةُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُنْسَى، أَبَدًا.. لِأَنَّهَا مَا زَالَتْ تَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ فِي أَعْمَاقِ قُلُوبِنَا وَيُرْوِيهَا الشَّوْقُ وَالْحَنِينُ إِلَى لِقَاءِ طَالِ انْتِظَارِهِ.

- ◀ نَحْنُ الْمُسَافِرُونَ.. فَاللقاءُ قصيرٌ والسفرُ قريبٌ.
- ◀ الحُبُّ يفيضُ مِنَ القلبِ وَلَا يثرثرُ بِهِ العَقْلُ.. وَإِنَّمَا أَصلُ الجِراحِ هُوَ الفَهمُ الخاطِئُ للأخريْنَ.. وَحينَ يفيضُ القلبُ حُبًّا تذهبُ الجِراحُ وتختفي.
- ◀ الحُبُّ فيضٌ ينبُعُ مِنَ القلبِ ليغمرَ كُلَّ الدُّنيا مِنْ حوله.. وَمَنْ يَعْرِفُ كَيْفَ يُحِبُّ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يكرهه، أَبداً.
- ◀ الغبارُ لَا يلتصِقُ عَلَى الصُّخُورِ الملساءِ الصلدةِ!
- ◀ الصُّخُورُ الصلدةُ تصمُدُ فِي وَجهِ أَعْتَى الأَعاصيرِ.. وَإِنَّمَا تَكْفِي هَبَّةً مِنْ رِيحٍ لِتَحْرِكَ كُتباناً مِنَ الرَّمالِ!
- ◀ إِنَّ خَطِيئَةَ الكَلَامِ فِي وَقْتِ الصَّمْتِ لأهونُ كَثيراً مِنْ أَلَمِ الصَّمْتِ فِي وَقْتِ الكَلَامِ!
- ◀ الضحكُ شفاءُ القلوبِ مِنْ سَقَمِ الأيَّامِ.
- ◀ مَا العَافِلُ إِلا نائمٌ فِي سُبَاتٍ عميقٍ وَعَيناهُ مَفْتُوحَتانِ!
- ◀ إِنَّ الهَلَاكَ الحَتْمِيَّ هُوَ فِي مُواجهَةِ الأمواجِ العاتيةِ دُونَ أَيِّ حِراكِ!
- ◀ إِنَّ ضياعَ الهَدَفِ يَعْنِي ضياعَ الاتِّجاهِ، أَي: الدَّورانَ فِي المَكَانِ!
- ◀ لَا يُمكنُ للغَرابِ الأسودِ أَنْ يُقلدَ صَوْتَ البُلبُلِ، أَبداً.. هُنالكَ فَرَقٌ عَظِيمٌ!
- ◀ إِنَّ الناقِصَ - صَغيرَ القومِ - لَيَسْتَدْرِكُ نواقِصَهُ بِتَفاهاتِهِ!
- ◀ لَيْسَ العَيْبُ بِأَنْ يَكُونَ المرءُ جاهِلاً إِنَّمَا العَيْبُ هُوَ فِي أَنْ يَجْهَلَ المرءُ عَلَى غَيْرِهِ فَيَسْتَجْهَلُهُ! وَإِنَّ الغَبَاءَ لَيَقْضِي بِأَنْ يمارِسَ أَحَدُهُم جَهْلَهُ وَيَجربَ حَمَاقَتَهُ وَهُوَ يَدْرِي بِأَنَّهُ جاهِلٌ!



- < إِنَّ الشَّدَانِدَ وَالْمِحْنَ تُسْقِطُ الْأَقْنَعَةَ عَنِ الْوُجُوهِ لِتُظْهِرَ بَرِيقَ جَمَالِهَا،  
 أَوْ مَا تَوَارَى خَلْفَهَا مِنْ ظِلْمَةِ الْأَحْقَادِ وَسُوءِ الطَّبَاعِ وَشُحِّ الْأَخْلَاقِ!
- < لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصُدْرَ عَنِ الْحَقَارَةِ إِلَّا وَسَاخَةً.. وَالْوَسَاخَةُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصُدْرَ  
 عَنْهَا إِلَّا نَجَاسَةً!
- < حِكْمَةٌ عَفْرَبٍ: أَنَا أَلْدَعُ إِذَا أَنَا مَوْجُودٌ!
- < وَإِنَّمَا هِيَ فِطْرَةٌ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ بِأَنْ تَفْتَرِسَ لِتَحْيَا.. أَمَّا الْإِنْسَانُ  
 فَحَدَّثَ وَلَا حَرَجَ!
- < مَهْمَا اشْتَدَّتِ الْعَوَاصِفُ وَهَاجَتِ الْبِحَارُ فَلَا بُدَّ أَنْ تَتَكَسَّرَ الْأَمْوَاجُ الْعَاتِيَةُ  
 بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ عِنْدَ سَفْحِ تِلْكَ الصَّخْرَةِ الشَّمَاءِ!
- < لَنْ يَكُونَ صَلَاحُ الْجَسَدِ جَمِيعاً إِلَّا إِذَا صَلَحَتْ كُلُّ خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَايَاهُ..  
 لِأَنَّ الْجَسَدَ الْحَيَّ إِنَّمَا هُوَ جَمَاعُ خَلَايَاهُ!
- < وَمَا نَفْعُ الدُّنْيَا بِكُلِّ مَا فِيهَا إِذَا خَسِرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ.. وَإِنَّمَا الْحَيَاةُ مَوْقِفٌ  
 وَوَقْفَةٌ شَرَفٍ كَمَا هِيَ الرَّجَالُ! فَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ الْمَرْءُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ فَسَوْفَ  
 يَبْقَى ذَلِيلًا تَدُوسُهُ وَطَاةٌ أَقْدَامِ الشُّرَفَاءِ!
- < لَا يَكُونُ الْمَعْدِنُ ذَهَباً خَالِصاً إِذَا تَغَيَّرَ جَوْهَرُهُ وَلَوْ لِمَرَّةٍ!
- < إِنَّ فِي الرُّمَّانِ حِكْمَةً بَلِيغَةً وَهِيَ أَنَّ الْجَوْهَرَ الدَّاخِلِيَّ قَدْ يَكُونُ أَعْظَمَ كَثِيراً  
 مِنَ الْمَظْهِرِ الْخَارِجِيِّ!
- < لَوْلَا آلامُ الْمَخَاضِ مَا كَانَتْ أَبَداً وَوِلَادَةُ الْحَيَاةِ!
- < حِينَ تَسِيرُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ تَنَمَحِي ظِلْمَةَ الْخَوْفِ بِنُورِ الْحَقِيقَةِ.
- < إِنَّ مَا تَمَلَّكَ هُوَ الْحَقِيقَةُ وَمَا الْبَاقِي إِلَّا مُجَرَّدٌ وَهُمْ وَخِذَاعٌ.

﴿ لَنْ يَكْتَمِلَ مَشْهَدُ الْحَقِيقَةِ إِلَّا حِينَ يَرَاهَا الْجَمِيعُ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ! ﴾

﴿ السَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ هِيَ أَنْ تَرَى نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ أَنْتَ، وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِكَ! ﴾

﴿ قَالَ لِي أَبِي: جَوْهْرُكَ عَقْلُكَ وَجَوْهْرُ عَقْلِكَ تَوْفِيقُ اللَّهِ، وَإِنَّمَا الْقَلْبُ الْعَقْلُ هُوَ قَلْبٌ فَهَمَّ فَطِنٌ مُتَنَبِّتٌ فِي الْأَمْرِ وَالرَّأْيِ. ﴾

﴿ قَالَتْ لِي أُمِّي مَاجِدَةُ الْكُزْبَرِيِّ: مَنْ لَمْ تُرَبِّهِ الْأَهَالِي تُرَبِّهِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي! ﴾

﴿ الْمَدِيحُ وَالْمَدْمَةُ هُمَا كَيْفَ يَرَانِي الْآخَرُ.. فَإِذَا كُنْتَ تَعْرِفُ قَدَرَ نَفْسِكَ فَلَا يَهْمُكَ - أَبَدًا - مَا قَالَهُ النَّاسُ فِيكَ! ﴾

﴿ لِيَبْقَ ذَلِكَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ حَيًّا فِي أَعْمَاقِ وُجُودِنَا لِأَنَّ أَسَارِيرَ قُلُوبِنَا إِنَّمَا تَضْحَكُ سُرُورًا بِضَحِكَاتِهِ الْبَرِيئَةِ. ﴾

﴿ وَيَبْقَى نَهْرُ الْحَيَاةِ يَجْرِي دَافِقًا مَا بَقِيَ الْحُبُّ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ. ﴾

﴿ تَهْرَمُ الْأَجْسَادُ لِأَنَّهَا مِنْ طِينِ الْأَرْضِ.. وَتَبْقَى الْقُلُوبُ تَنْبُضُ بِالْحُبِّ لِأَنَّهَا نَفْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. ﴾

﴿ وَفِي حُسْنِ الْإِصْغَاءِ يَكْمُنُ فَنُّ الْقَوْلِ. ﴾

﴿ فَلْيَكْتُبْ بَعْضُنَا كَلِمَاتِهِ عَلَى أَوْرَاقِ بَعْضِنَا بَعْضًا.. ﴾

زكوان حصريّة

تَمَّتْ